

البفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم
القرآن الكريم

تأليف

أ. أحمد عبد الرزاق مريوش

سوره البقره

انه بالنظر إلى القضايا التي تعالجها السوره والمواضيع التي تطرحها النصوص والحقائق التي تدور حولها الايات وربط ذلك بأحوال واوضاع المسلمين خاصة في الفترة الزمنية التي نزلت فيها السوره التي هي اول ما نزل الله من القرآن بعد الهجره حيث كان انتقال المومنون من مكه الى المدينه المنوره بأمر الله تعالى لهم بذلك

وبالنظر إلى المدينه المنوره من حيث الموقع الجغرافي فهي تبعد عن مكه المكرمه بما يعادل أربعمائه وخمسين كيلومتر فهي ليست بذلك القرب الذي يتصوره البعض

ومن حيث مكونات السكان في المدينه المنوره فإن الاسم المدينه يعطيك تعريفاً انها يقطنها أقوام مختلفون لهم ثقافات متنوعه فقد كان يسكن فيها اليهود والايوس والخزرج الذين عاشوا في صراعات وحروب امتدت لعقود ولا بد أن ذلك قد أنتج ثقافة متباينه وافرزات افكار وتصورات مختلفه وغرست فيهم مشاعر كراهيه وأحقاد

في ظل تلك الظروف والاحوال لبيئه المدينه المنوره أمر الله المومنين بالهجرة والانتقال للعيش فيها فاضيف الي هذه البيئه مكوناً جديداً أطلق عليه المهاجرون وهذا المكون من أجناس مختلفه

*

وهنا لابد أن نقف مع أنفسنا ونضع أنفسنا موضع الجماعه الاسلاميه الاولي اننا نعيش في بيئه فيها يهود لهم افكار وعقيده ونظام حياه مختلف تماماً عن بقيه المكونات وهناك أناس من الاوس والخزرج مازالوا علي الشرك وهناك أناس التحقوا بصوف الاسلام وهم كافرون أطلق عليهم منافقون وهناك قبائل تحيط بالمدينه مازلوا علي الكفر وهناك كفارا يتربصون بالمسلمين علي أطراف المدينه

*

ولما كانت الهجرة تدبير الهي يراد بها الانتقال من أجل بناء وتأسيس دولة الإسلام فإنه في ظل تلك الظروف والا حوال لو أننا كنا نعيش بينهم فنحن بحاجة إلى وضع أنفسنا كأننا من المهاجرين وتاره كأننا من الأنصار لننظر ماهو تفكيرنا ومشاعرنا وأحلامنا وطموحاتنا أفراداً وجماعات ودوله والأزمات والتحديات التي تواجه المهمه التي تسعى إلي تحقيقها

*

فلو كنا من المهاجرين فلننظر كيف ستكون مشاعرنا واحتياجاتنا والتحديات التي تواجهنا في ظل هذه الظروف كيف نتصرف وماهي مشاعرنا ونحن قد انتقلنا إلى بلد لانعرفها ولا نملك فيها شي بلد تختلف عن ما الفنا واعتدنا عليه من اسلوب الحياه

اننا وفق التصور الإنساني غرباء وصلنا الي بئيه لانعرف طبائع الناس فيها والميولات والعادات الاجتماعيه لنا تختلف عنهم في كافه أنماط الحياه

لابد أن المهاجر كان مرهق من رحلته تلك جسدياً ونفسياً نتيجة معاناه طويله استمرت ثلاثه عشر عام من الكفاح والنضال والمعاناه وفي هذه الرحلة فقد فيها المهاجر جميع مكتسباته بمنطق الإنسان العادي حيث خسر الأهل والأصدقاء والمال والمسكن والاولاد والاقارب ورفاهية الحياه وما اعتاد عليه من أنماط الحياه

تخلي عن ذلك كله وانتقل إلى العيش في بيئه جديده تختلف تماماً عن البيئه السابقه

فلا بد اننا سوف نسأل أنفسنا؟؟؟

كيف نعيش كيف ننشئ حياتنا الجديدة وما هو مستقبلنا كيف ننسي الماضي وحياتنا السابقة ومالنا فيها من ذكريات وأهل وأقارب وأموال كيف نتخلص من اثار ذلك فلا يكون الماضي ومافيه عائقا أمام أهدافنا الجديدة أفراد وجماعات ودوله

انه مثل هذه الظروف والاحوال نحتاج الى رعايه نفسية واعاده تاهيل والي التعايش مع الوضع الجديد والتاقلم معه بحاجه أن نبي لنا وطنا جديدا واهلا واقارب وأصدقاء جدد ونكون ونبي اسره ومنزل جديد

نحن بحاجه الي فهم ثقافة وافكار المكونات من يهود وغيرهم وفي ظل تلك الظروف لا بد اننا سوف نجد الصعوبات والتحديات في المعيشه والعقيدة لبناء أشخاصا أقوياء فنحن بحاجة إلي بناء الإنسان الفرد الخليفه مثلما نحتاج إلي بناء الدولة ومؤسساتها

٢

وكذلك لو وضعنا أنفسنا موضع الانصار فلا بد اننا سوف نسأل أنفسنا كيف نتصرف اذا حصل الهجوم من قريش علي المدينة وطلبوا منا تسليم المهاجرين فهم مطلبون لنظام قوي تجمع حول هذا المطلب العالم المحيط بنا بل إن هنالك من بيئته الاوس والخزرج من يحاول إلقاء اللوم عليهم بأنهم تسرعوا في احضار المهاجرين المطلوبين لقريش التي تمتلك القوه السياسية والاقتصادية والعسكرية فجميع القبائل تخضع لقريش سياسيا

لا بد أننا سوف نسمع من اقاربنا الذين لم يلتحقوا بالإسلام اللوم بأننا وضعنا اهلنا في مأزق وأننا قمنا بالمغامرة بمستقبل اهلنا الذين نعيش معهم ولا بد اننا سوف نسأل أنفسنا كيف نتعامل مع الاحداث إذا حصلت حروب مع قريش

وفي الجوانب الماديه لا بد أن نسأل أنفسنا كيف نستوعب الكم الهائل من المهاجرين الذين أصبحوا فقراء فهم بحاجة إلى الماكل والمشرب والمسكن

انه في ظل هذه الظروف والاحوال لا بد أن كلا منهما الأنصار والمهاجرين قد أدركوا أنهم انتقلوا إلى عهد جديد فهم يحتاجون الي معرفه القوانين والقواعد التي تتعلق بتفاصيل كل تلك المسائل التي اثير بشأنها تساؤلات بحاجه الي معرفه اسباب القوه التي تجعلهم يصمدون أمام تلك التحديات والصعوبات ويستطيعون تجاوزها

وهم في الجانب السياسي بحاجه الي قواعد ترسم خطوط مواجهه هذه الازمه والمومنون يعلمون أن الهجرة من مکه الى المدينة إنما تهدف إلى بناء دوله الموحدين وإلا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان معه في مکه خيار الإتياع امثال ابوبكر الصديق وعمر وعلي وعثمان وآخرون فلم تكن الهجرة من قله الإتياع

لكن الهدف الأساسي هو التمهيد لاقامه دوله الموحدين فلا بد أن يكون التوحيد حاكما لشعب الموحدين فهو ليس مجرد فكره تبقي في النفوس فلا بد لهذه الفكرة أن تخرج الي العلن ويكون هنالك دوله للموحدين لها أسس وقواعد وقوانين تحكم وتحمي النظام الذي طالما كافح المومنون لإقامته فلاسلام ليس مجرد عبادات فردية يقوم بها الإنسان بل لا بد أن يكون نظاما حاكما

فالقاعدة الأساسية لاقامه هذا النظام هي لاله الا الله ولهذا فمن الطبيعي أن يقف المسلم مع نفسه ويتسال

*

ماهي الأسس والمبادئ والنظريات التي سوف نقيم بها دولتنا فالقواعد المجمله هي معرفه الله ومحبتة وعبادته وتوحيده واقامه الخلافة التي نخضع فيها لله لكن الدوله تحتاج إلى تفاصيل للجزائيات التي ترتبط بتلك الكليات

والدولة تحتاج الي قواعد ترسم عقيدة الامه اي الخلافه في دوله الموحدين كنظام ودوله يقوم علي اساس التوحيد بحيث لاتنحرف عن الخط المستقيم الذي فيه النجاه من سخط الله وغضبه والنجاة من الضلال الذي حذرنا الله تعالى منه

كما أن الدولة تحتاج إلى بناء المؤسسات وهي سوف تواجه التحديات في مرحله العبور والتحول والانتقال من عصابه الي دوله تحديات كبيرة في الإقتصاد والسياسية الداخلية والخارجية والتعامل مع المتمردين والعصيان و المتريبين بالدوله الناشئة فنحن بحاجة إلى منهج متكامل يحقق الطموحات والامال ويلبي المتطلبات ويساعد على حصول العبور والتحول والانتقال ويوجه التحديات بحاجه الي بناء وإعداد وتأهيل الكوادر والقاده القادرين على الاضطلاع بالمهمه بحاجه الي مايحفظ استقرار الجماعه والحافظ علي الكيان المولود من الانقسام والشقاق بحاجه الي التماسك بحاجه الي معرفه كيفيه الخلاص من العوائق وبحاجه إلى معرفه كلا واحد منا الي المسؤولية الملقاه علي عاتقه أفراد وجماعات في المساهمه ببناء هذه الدوله والمشاركة في تأسيسها ونهوضها بحاجه الي معرفه قواعد السلم والحرب بحاجه الي معرفه كيفيه التعامل مع المكونات التي تحيط بناومسايره الحوادث بحاجه الي قراءه الأحداث الجارية في مجال الخير والشر ومعرفه كيفيه التعامل معها ومع الازمات والتحديات التي تواجه الامه والدوله الوليده بحاجه الي معرفه كيفيه انزال الأحكام علي الواقع ومعرفه السنن الإلهية التي هي بمثابة مقدمات توصل الي النتيجة فهناك عقبات أمام مشروع النهضة والتقدم وبناء الدولة ومؤسساتها فهم اميون لايعرفون القراءه والكتابه وهنالك اعداء يتربصون بهم وهنالك عملاء واتباع ابليس يسعون للإطاحة بهذه الدوله بشتي الوسائل والأمة بحاجه الي موجهه أزمات ندره الخبرات والمعلومات وغياب الرؤية الكامله لكيفيه بناء الدول وتشيد مؤسساتها واداراتها لديهم ازمه دستوريه لأن هذه المجتمعات لم تكن تعرف الانظمه فهي بحاجة إلى فهم الأهداف والغايات التي سيكون السير اليها لديهم ندره مهارات وخبرات وكودار فهم لايعرفون القراءه و الكتابه لديهم ندره مال واقتصاد وندره أدرك لما ورثوه من ركام الفكر الجاهلي ومخلفاته الفاسده التي ألقت العقل البشري واهنته بالتقليد والجهل والظلم ولهذا فهم بحاجة إلى التخلص من ركام الفكر الجاهلي وأثاره السلبية فهم بحاجة إلي رؤية الأهداف بوضوح والقدرة على وضع كل شي في موضعه بحاجه الي خارطه ترسم الهيكل التنظيمي للدوله والقوانين والعقوبات والسياسية الداخلية والخارجية الدوله وكيفيه مخاطبة العالم برسالة الاسلا م وإيصال الفكرة بوضوح واعاده ترتيب افكار الامه واحساسها وصياغه روحها وبناء العقول وتشكيلها ووضع القواعد والتشريعات التي تحكم أحوالهم والحياه للوصول إلى الطريق المستقيم سواء في علاقات الإنسان مع نفسه أو اقاربه وجيرانه أو المحيطين به أو أولئك الذين لهم تعامل معهم من بني جنسه وحتى الحيوانات والأرض والنبات وعلاقتهم مع الله فالمرء بحاجه الي معرفه مالهمن حقوق وماعليه من واجبات

فمهمه المنهج مزدوجة في تربية الفرد والمجتمع والنظام واقامه دوله الموحدين فهو البوصله التي تدل المومنين علي الطريق المستقيم الذي فيه العلاج والنجاح

ففي ظل تلك الظروف والاحوال لابد أن كل واحد سوف يقول ماهو الطريق المستقيم الذي أخبرنا الله به في سوره الفاتحه وأمرنا الله أن ندعوه أن يوفقنا إليه فنجد الجواب في هذه السوره وهو ما تناولته من اصول العلم وقواعد الدين

المقطع الاول

ابتداء النصوص بذكر مكونات المجتمع في المدنية المنوره من المومنين والكفار والمنافقون وبالوقوف علي الآيات في هذا المقطع نجد الاتي

القسم الاول

ابتداءت السوره بذكر إن القرآن الكريم هاديا للمتقين الي سبيل النجاه والفلاح والنجاح والفوز فقال تعالى

(الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدي للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون اولئك علي هدي من ربهم واولئك هم المفلحون)

فالنصوص جاءت للرد على سؤال الناس (اهدنا الصراط المستقيم)

فكان الجواب

ان هذه الهدايه الخاصة التي طلبتموها تكون في اتباع هذا المنهج الذي فيه سبيل الهدايه ودليل العمل والتعامل مع الحياة وتحولاتها واطرادها هو الوسيلة الوحيدة الكفيله بتحقيق الغايه والهدف من الوجود الإنساني علي الا رض

فالقران يحتوي علي البيان والمعارف والنصيحه الربانية والمواعظ التي يحتاجها الإنسان للقيام بدوره الفردي بالخ لافه بتزكية النفس والقيام بما أمر الله به واجتناب نواهيه

ويحتوي علي الأحكام والقواعد التي يكون بها الحكم بما أنزل الله واقامه الدولة وبناءها وتشيد المؤسسات والا نظمه وبه ترسم السياسيات الاساسيه الكليه والجزئيه للدوله ويوضح الخطط والبرامج وقواعد العلاقات والتعاملا ت في قياده البشرية وكيف يكون العمران وبناء الأرض

فجاءت السوره ترسم لنا كيفيه الانتفاع وكيفيه استقبال المنهج ومنهم المنتفعون وواوصافهم وبيان كيف يكون السير الي طريق الهدايه والنجاح والفلاح والفوز وهذا يتضح من خلال الآتي

اولا

ابتدأت النصوص بقوله تعالي (الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدي للمتقين)

ان السوره استهلّت بالاقسام بالحروف المقطعه (الم) ألف لام ميم وقد تعدد الآراء واختلفت معناها فمنهم من قال إنها من المتشابهه التي لايعلم معناها الا الله تعالي واللازم التوقف عن الخوض فيها أو محاولة البحث في تاويلاتها ويجب الإيمان بها لقوله تعالي (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محاكمات هن ام الكتاب واخر متشابهاتالخ

ومنهم من قال إنها للتحدي بأن القرآن من جنس الحروف العربيه المعروفة للعرب وينظمون من هذه الحروف أشعارهم وهم عاجزون أن ياتوا بمثلها

وبالوقوف علي هذا الأسلوب الذي استهلّت به السوره والمفاهيم التي ترتبط بذلك نجد الآتي

الوجه الاول

ان هذه الطريقة التي افتتحت به السوره جديده بالنسبه للعرب فلم يكن هذا الأسلوب معروفا للعرب قبل ذلك وهذا الأسلوب الجديد ورد في تسعه وعشرين سوره جميعها مكيه ماعدا سورتي البقره وال عمران وعدد الحروف المقطعه بدون تكرار ١٤ حرف ويمكن أن نفهم من هذا الأسلوب دون الخوض في تأويلها الآتي

الأمر الأول

لفت انتباه المخاطبين الي اهميه استشعار العهد الجديد الذي اختار الله سبحانه وتعالى امه العرب لحمل رايه الهدايه وقياده البشرية وان ذلك يتطلب إعادة صياغة روح الامه أفرادا وجماعات ودوله ونظام من خلال الاشاره

الي أن الصراط المستقيم هو القرآن الكريم

فهذه الحروف الثلاثة التي تنطق بالتفريق بين الحروف فنقول الف لام ميم هي بدايه الانطلاق لحمل رايه الهدايه للعالم أجمع

فالامه الاسلاميه بحاجه الي المعارف التي تمكنها من القيام بالخلافه وقيادته البشرية وهذه الحاجه ضرورية لمعرفة الحقوق والواجبات ولتنظيم أمور الناس والرعيه وتوحيد الطاقات وتنسيق الجهود لاداره الدولة ومؤسساتها

وامه العرب لم تكن تعرف القراءة والكتابه ولا يعرفون كيف يتم بناء الدولة ومؤسساتها ولا كيفيه ادرتها

ولهذا يخبرنا الله تعالى أن علينا الاعتماد على الله والرجوع إلى كتابه الكريم لمعرفة الأحكام المتعلقة باي مجال نريد وان علينا أن معرفه قيمه كل شي منه وفهم المعلومات الفهم الصحيح لنضع كل شي في مكانه الصحيح وهذا يحتاج الي التدريب والتعلم فالبدائية تكون مثلما يتدرب الطفل الذي يريد معرفه القراءه للكلمات فهو يبدأ بالهجاء لحروف الكلمه حرفا حرفا فيقول الف حاء ميم دال هجاء احرف كلمه احمد وهكذا ثم يبدأ في تأليف الكلمه حتي يصبح قادرا علي النطق احمد دون هجاء

ولهذا فإن اداره الدولة ومؤسساتها وفهم الأحكام الشرعية يكون من خلال النظر إلى المعلومات والربط بين اجزاءها مع القواعد الأساسية لتحكم سلوك الإنسان لانه يرتبط بتفكيره ارتباطا وثيقا يستقيم باستقلته ويعوج باعوجاجه وياتمر بأمره

ويقول لنا الله تعالى أن القرآن قد جاء فيه غايه البيان ونهايه التسيير بما حواه من أحكام واصوال وبيان تفاصيلها في سنه النبي صلى الله عليه وسلم

فإذا كان المتعلم بحاجه الي المنهج فهذا المنهج موجود لكن كما أن الطفل بحاجه الي المعلم فإن الله تعالى قد أرسل إلينا رسوله صلى الله عليه وسلم يعلم الامه الأحكام التي في القران

فما علينا الا أخذ المعلومه من مصدرها بفهم وإدراك بالاحاطه بها من جميع جوانبها بالنظر إلى الغايه والهدف من الوجود الإنساني علي الارض وربط كل حركه وفعل بذلك الهدف من خلال النظر إلى مشروعيه الفعل في حكم الله ووضع الوسائل التي تساعد على الفعل في ميزان القران الكريم بالنظر إلى المعالم المنصوبه علي جانبي الطريق التي أخبرنا الله بها في القران لتكون ظاهره وبارزه لمنع الانحراف بالمروق والبدع والمخالفات بالشعور انك مسافرا الي الله تعالى في هذه الرحله فالقران هو الدليل والسبيل الذي فيه بيان الطريق المستقيم للوصول إلى الهدايه الخاصة اعانه الله والثبات على الطريق فعليك أن تثق به فهو ناصح لايفش وهادي لايضل وصادق لايكذب وهو الذي يعطيك النظريات والقواعد والأحكام التي فيها سلامه وسعاده البشرية وتلبيه احتياجات الجسد والروح وبه يكون بناء العقول واعاده تشكيلها وتنقيته من ركام الفكر الجاهلي وهو البوصله التي نعرف به الاتجاه الصحيح وبه نعرف كيف نربط بين الأساسيات والكليات والجزئيات وبين الأسباب والمسببات والمؤشرات والعواقب فالله يقول لنا أن لكل شئ سنن تحكمه وقوانين تنتظمه وان علينا الاستعانة ب الله لنفهم أحكامه فهو يمدنا بالقدره علي الاستنتاج وربط التصورات بالأسس العقائدي الذي يجمع فيه الأفكار والتصورات في قالب واحد مترابط الأجزاء ومتماسك فلا تكون الأفكار مبعثرة ولا الجزئيات والتفاصيل متعارضه مع بعضها أو مع الاساس العقائدي

فالعلم هو الذي نبني به دوله الموحدين وهو العلم الذي يقوم علي الربط بين العلم بالماده والعلم بخالق الماده ولهذا كانت حضاره الاسلام ودوله الموحدين فيها كرامه البشرية قاطبة وحافظت علي منزلته الإنسان وكرامته

الأمر الثاني

ان استخدام هذا الأسلوب الذي استهلته به السوره من الحروف المقطعه التي لا يعلم معناها الا الله وحده
فهذا الأسلوب الرباني في عرض النظرية الاسلاميه لبناء الفرد والمجتمع والنظام وتشكيل العقل المسلم وقواعد
التصور وحركه العمل الإسلامي التي ربطها باساسها العقائدي فيه اخبار من الله تعالى لنا

*

ان الناس في استقبالهم للقران احد رجلان أما راسخون بالعلم مبتغون شرعه لطلب زياده هدايه الله تعالى وأما
مبتدع بدعه وفي قلبه زيغ وانحراف عن الطريق ليس لديه البرهان ولا حجه ولا نور كما قال تعالى في سوره ال
عمران (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محاكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فما الذين في قلوبهم زيغ
فيتبعون ما تشابه منهالخ

فالله سبحانه وتعالى يقول لنا أن طريق الهدايه الذي طلبتموه يكون من خلال

١

الاستقامه علي كتاب الله وعلي منهاج امره وعلي الطريقة الصحيحة في عبادته وهذا لا يكون إلا من خلال العلم و
المعرفة والإحاطة بجوانب الشئ وأحكامه بمعني أن علي التاجر أن يلم بالأحكام المتعلقة بالتجارة في القران وكل
صاحب صنعه لابد أن يلم بقواعد والأحكام المتعلقة بمهنته مع ربط تلك العلوم بمعرفه القواعد اللازمه لكامل الإ
يمان اي علاقه بين العبد وربيه بمعرفه الحلال والحرام

٢

فهذا هو الطريق المستقيم وعليكم أن تدركوا أن طريق الاستقامه هو طريق واحد اي ليست متعدده ولا متفرقه
وهذا الطريق يقوم علي اساس نظام جامع ومحكم له تربط أركانه الكليه والجزئيه والتفاصيل ارتباطا منطقيا
لشموليه النظام وهو مرتبط بالتوحيد لا اله الا الله وهنا قال تعالى (يومنون بالغيب)وهو شرط الخلافه التوحيد
حيث قيدت بشرط اتباع الهدي المنهج الرباني الذي يحمله الرسل والأنبياء عليهم السلام من الله تعالى فهو من
وحي السماء لأن من صنع الأرض ولا من صنع البيئه ولهذا فإن هذا المنهج هو القادر علي اعاده صياغه روح الامه
والاخذ بيدها وإخراجها من حالات التخلف والعجز والحييره والغرابه وبه يكون إيقاظ الوعي ومنع سقوطه وبه
يكون بنا الفكر والعقل والارتقاء به

٣

يقول لنا الله أن احكام وتشريعاته ثلاثة

*آيات محكمه متاحه الفهم لمن يوفقه الله تعالى اي الظاهر الجلي

*مافيها نوع من الخفاء والغموض فلا يدركها إلا أهل العلم وهذا لا مانع لاهل العلم من البحث عنها ومحاولة
معرفته من باب ماقاله ابراهيم (ولكن ليطمئن قلبي)

*ما استأثر الله به في علمه فهذا لم يكلف الإنسان بالبحث عنه فاللازم عليه التسليم والانعان له لأنه من علم
الغيب الذي لا يدركه العقل البشري فالوسيله الوحيدة لعلم ذلك هو ما يصل لنا من الوحي بالقران فقال تعالى
يومنون بالغيب

ولما كانت الحروف المقطعه من ضمن الأمور الغيبية فاللازم عدم الخوض فيها لانك لا تمتلك ادوات تلك العلوم ولا
بد من حمايه العقل والفكر البشري من الخلل الذي يحدث له الشلل ويفقده توزانه فلا يجوز التطاول بأمور لانملك

أدواته فالله يقول في موضع آخر (ولاتقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مستؤلاً) فالوحي هو المصدر الوحيد لمعرفة أمور الغيب ولهذا يجب الإيمان بها كما وردت لأن التعمق بالذهاب خلف الاوهام بزعم طلب معرفه الاسرار فيما لا يعلم ولايمتلك أدواته يولد الخلل الفكري ويولد عدم إدراك قيمه الدليل ولا مقاصده وبودي في النهايه الي غياب الرؤية والعيش في أسر الخرافات والأوهام ولهذا نجد أن الله سبحانه وتعالى يخبرنا أن علينا أن نثق بالقران واخباره في كل أمر مشهود وغائب فقال تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدي للمتقين)

واستعمل اسم الاشاره (ذا) واتبعه لام البعد وكاف الخطاب لبيان علو منزلته ومكانه فهو في اللوح المحفوظ فذكره بهذا التفخيم لعلوه وأنه لاشبهه ولاريب ولا عيب ولا نقص فيه فهو لا يغش ولا يضل ولا يكذب

فذكر ذلك لغرض غرس الثقة به لانه منزل من الله تعالى وانه لفهم أحكامه عليك الاستعانة ب الله أن يرزقك الفهم وبوفقك الي اختيار احسن الأحكام والهداية الي الصراط المستقيم فهو الرعاية والعناية والتربية للناس لصيانه العقول والنفوس وتوجيه الحركه ومنع سقوط الوعي فقال (يومنون بالغيب) أن من ثمار الانتفاع به أن يكون ربط كل حركه ب الله بالتوحيد الذي يسان به جميع اعضاءك وملكاتك من التعطيل لتكون حركتك كلها مرتبطه بحيل الكرامه ولتحظي بعون الله وتوفيقه لصيانه الحركه من الانحراف فأنت بحاجة إلي هذا الاتصال الذي يمدك ب الطاقه التي تدفع الارده نحو الفعل ولهذا فإنه لا بد لحامل منهج القران من التخلص من النجاسات الماديه و المعنوية والنفاق والحقد ومن الحسد فقال تعالى (هدي للمتقين) فيجب عليك عدم التهاون ولا التساهل في احكام القران ولا بد من توحيد وتنسيق الجهود لإيجاد الحلول كي تتمكن من الوصول الي الطريق المستقيم ولهذا فإن ابتداء بالحروف المقطعه هي لشد انتباه المخاطبين الي اهميه التفاعل مع حولكم من البشر من خلال الأخذ بهذا المنهج الرباني والمساهمة في بناء الدولة ومؤسساتها

الوجه الثاني

ان النصوص فيها توجيه لنا بأن شرط الهدايه الخاصه أن يحصل منك القبول بمنهج الله وان عين المنهج الرباني هو المعجزه القرآنية فجاء ذكر الحروف المقطعة للتحدي كما هو شأن جميع السور التي استهلكت بالحروف المقطعه ولهذا كان نقل القران بالتوتر بدليل اننا نقرأ الم ترا كيف فعل ربك... الخ بدون حروف مقطعه بينما هنا نقرأها الف لام ميم فقد حصل تناقله من جيل الي اخر دون أن يشكك احد فيه فهو لم يحصل له تبديل ولا تغيير لأن الله حفظه فقص من هذا الاخبار بأن القران هو المعجزه وهو عين المنهج ومن حمله هو الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعرف القراءة والكتابة فهو يقول إن هذا الكلام البليغ المعجز من جنس هذه الحروف التي تتكلمون بها ومحمد لا يعرف القراءة والكتابة ولهذا نجد أنه استعمل ذلك البعيد مع أن موضوعها قريب لمجي بعدها فوراً لفظ الكتاب..و المراد به شحذ الهمة باستقبال القران لعلو شأنه واستخدم اللام في الكتاب للحقيقه والمعني ذلك هو الكتاب الكامل فأراد تميزه عن غيره من الكتب وللإشارة الي حيازته كمالات جنس فهي للعهد الحضوري فهو جامع لمعاني الكتب المنزلة لحديث الرسول اتيت السبع الطول مكان التواره والبين مكان الزبوزوالمثاني مكان الانحيل وفضلت بالمفصل

فالاشارة تفيد التعيين الشخصي أو النوعي فالمراد به أنه كتاب معروف بكماله وأنه لجميع الناس في كل زمان ومكان فهو فيه الحجج والبيان ولهذا خص بالهداية المتقين فلم يخص جنس أو

لون وانما لفظ عموم منسجم مع قوله إن أكرمكم عند الله اتقاكم

(وفي ذلك توجيه أن هذا القران هو لكل العالم هو معجزه تتضمن اللغة التي نخاطب بها العالم المتعدد الالوان والأجناس والأوطان والازمنه فهو فيه المنفعة للمتقين اي أنه لا بد لمن يحمل منهج ليحظي بهدايته الخاصه أن يكون خاليا من النجاسات فيجب عدم تلويث سمعه الاسلام فانتهم يجب أن تترجموا ما درستهم في القران الي سلوك كي

يصل الخير الي العالم كله فمن الخطأ ارتكاب الجرائم باسم القران الكريم فهذا ليس منهج الله فرحمه الله لا يمكن أن تكون دمارا وخراب فهو رب العالمين ومنهجه أنزله رحمه بالعالمين فهو رحمه للعالم أجمع فلا تكون نحاسات البعض عائقا امام وصول رحمته سبحانه الي العالم فلا بد أن تتعاملوا مع الله بجديه أكثر من الجديه في التعامل فيما بينكم فلا تهاون ولا تساهل في حمل المهمة التي اختار الله المسلمين ليكونوا معلمين للعالم وليقوموا بدورهم في نشر الخير فهؤلاء هم المتقون

ثانيا

(ذلك الكتاب لاريب فيه هدي للمتقين)

ان الكتاب هو القرآن الكريم

(لا اداه نفي (لاريب) للشك والتهمه

فالله سبحانه وتعالى ينفي الشك عن القران من اي وجه كان فهو سبحانه وتعالى يقول لنا أنه لاشك أن القرآن منزل من عند الله ونزوله ليقع الاهتداء به ولا يكون كذلك الا وهو حجه ولا يكون حجه أن لم يكن معجزه فالله سبحانه وتعالى يقول لنا أنه حين ابتعث نبيه صلى الله عليه وسلم جعل معجزاته القران وهو ما بني عليه أمر نبوته صلى الله عليه وسلم

وأنه لاشك في كونه هادئا الي سبيل النجاه والفلاح والنجاح والفوز والسلامة فهو مبرا من كل عيب ونقص فلا شبهه تحوم حوله فهو الذي فيه السلامه والكمال في كل ماجاء به فجاء بجمله لاريب بعد الاشاره الي علو شأن القران الكريم وسطوع البرهان بحيث لا يرتاب العامل بعد التصديق بكونه وحيا من الله تعالى وهذا فيه عده مفاهيم وأمور يخاطب بها العباد نذكر منها الآتي

الأمر الأول

ان المولي سبحانه وتعالى يلفت انتباهك ايه المسلم أن المعركه بين الحق والباطل مستمرة الي قيام الساعة وان اول معركه سوف توجهه من يلتحق بحركه العمل الإسلامي هي أن أهل الباطل سوف يلجأون إلى سلاح اثاره الشبهات ومحاوله توجيه الاتهامات الي القران الكريم بدعاوي عاريه من البرهان وهذه المعركه سوف تأخذ صورا متعدده تهدف إلى إحداث شلل عقلي ونفسي في المجتمع المسلم لغرض إسقاط الوعي ورسم صورة مغلوطة عن الإسلام لغرض تزييف الوعي لدي المسلمين والحق الهزيمة النفسية بكم وسلاح العدو سيكون تقديم صوره مغشوشة عن الإسلام من خلال عده امور أبرزها

١

اثاره الشبهات حول القران الكريم لغرض هز ثقه السامع بكتاب الله من خلال محاوله تصوير الأحكام الشرعية بعضها أو كلها بصوره مخالفه لمفهوم ودلاله النصوص بهدف إحداث ثغرات في المجتمع المسلم للنفوذ الي أعماقه

وقد عرض علينا القران مشاهد لامثله ونماذج لمعارك تم إثارتها من قبل اليهود والمنافقون مثل تحويل القبله من بيت المقدس الي الكعبه المشرفه وكذلك واقعه الافك وغيرها من النماذج لمعارك أهل الشر ضد القران الكريم وأهل الايمان

١٢

ان من المعارك العرضيه في مسرح الحياة هو اقتناص أخطاء وفساد بعض من يدعي الانتساب للاسلام لتقديم صورته مشوهه عن الإسلام كما هو حال البعض الذين يمارسون الجرائم باسم الإسلام ويدعون أن ذلك هو من أوامر القرآن لتصوير الدين الاسلامي أنه دين عنف وقتل

٣

خلق الجماعات المنحرفه والصاقها بالإسلام وأحيانا يكون استغلال وجود انحراف فكري لدي بعض الحركات التي تدعي الانتساب للاسلام وتغذيه مافيه من انحراف وبدع ونشر أفكارها التي تكون ناتجه عن التحريف في تفسير الايات والاستدلال بها في غير محلها وبالخروج عن قواعد الإسلام مثل عرض صورته للاسلام علي أنه خرافات وأوهام وتعظيم فكره تقديس البشر والموتي والقبور وهذا ما حدث في التاريخ الاسلامي حيث صاغ الملحدون صورته للاسلام بأنه تقديس القبور وان التدين يعني ترك الحياه والتفرغ للصلاة والصيام فكانت هذه الصورة التي رسمها الاستعمار عن الإسلام ومازالت المعاناه الي اليوم من اثار ذلك

٣

كما أن التجارب في التاريخ الاسلامي تعطينا صورا لأوجه الصراع وكيف صار حال المسلمين عندما استطاع المستعمر أن يحدث اختراق في عقول أبناء المسلمون بالتأثر بما حمله الاستعمار من معلومات وسياسيات وأهداف ومقاصد تغلبت في اعماق ضعاف النفوس من المسلمين فحدثت خلالا في الوعي والاستقبال وضعفا في القراءه والاستنتاج واحباطا للمواقف والمدركات واجتثاث الهمم والعزائم وجمود الحركة والاستعداد حتي شاهدنا الدعاوي الضيقه القومييه والسلاله مرهقه بالخذلان وسواء التأويل لنصوص القرآن بما يخدم تلك الدعاوى التي أرهقت كاهل المسلمون واعاقت حركتهم

٤

ان من مخاطر الوقوع في مصيده الضجيج الاعلامي ضد المنهج نتيجه الانهزام النفسي والقبول بالأمر الواقع هو ا لانسحاب من حركة العمل الإسلامي نتيجه التأثر بحاله الضجيج الاعلامي وكذلك نجد من اثار ذلك التردد عن مواجهه الباطل في المعارك المصيرييه وأصابه مركز الحركة بالخوف والخلج وتقديم رجل وتأخير رجل لينتهي الأ مر الي التوقف عن العمل علي التغيير فالهزيمة تبدأ من داخل النفوس وحينها يكون القبول بالأمر الواقع وترك الهدف واتباع الباطل وأهله وسقوط مركز قياده بالقبول بذلك وهو ماينبغي الإلتباه له

الأمر الثاني

ان المولي سبحانه وتعالى يبين لنا كيفيه مواجهه العدو في المعركه الاعلاميه

١

ان عليكم أن تنظروا لهذا الكتاب بأنه منزل من الله تعالى وإن له منزله عظيمه فتزويد القلب بهذه المشاعر يولد الطاقه والاستعداد ويزدوه بالقدرة علي القراءة والفهم والاستنتاج فأشارت النصوص الي علو منزلته كما أوضحنا بحيث لايرتاب العامل بعد النظر في كونه من الله وحيا

٣

ان عليك الاهتمام بالدفاع عن القرآن وازاله الشبهات التي حاول الأعداء إثارتها بالثقه فيه لتغرس ذلك الاحساس في نفسك اولا ولهذا نجد أن النص جاء فيه تقديم نفي التهمه عن القرآن لاريب قبل الجار والمجرور(فيه)لانه أولي بالذكر ولغرس الثقة بنفس السامع استعداد لصورته حتي تتحسد في ذهن القارئ هذه الصورة التي ترسم صورته

لكماله وأنه فوق الشبهات فهو منزل من عند الله وهو فوق طاقه البشر وفوق علم الناس لانه كتاب الله الحكيم

٣

ولأن مركز الرب والشك هو النفوس ومرتبطة بها فإن المولي يريد بهذا أن يغرس في نفوسنا الثقة فهو لا يعتريه شك ولا عيب فاللازم النهوض للحركة علي اساس هذا المنهج في جميع جوانب الحياة وحث المومنون علي مواجهه المعركة ضد الباطل بثبات وثقه بأن تلك تلك دعاوى التي يثيرها أهل الباطل ضد القرآن كاذبة وعاريه عن البرهان فكتاب الله منتف ذلك الزيف حال كونه هاديا بانتفاء الرب عنه في جميع الأزمنة

وهنا يأتي الرد علي الوساس الشيطانيه التي تجعل البعض يقولون اذا كان القرآن كتاب هداية لجميع جوانب الحياة فلماذا نجد الكثيرون يسمعون القرآن الكريم ومع ذلك لا يهتدون وانما يزدادون جحود وتكذيب فجاء الجواب بقوله تعالي (هدي للمتقين) وهذا فيه

المساله الاولى

ان المنتفعون بأحكامه ودلالة الطريق الي الغايه هم المتقون اي أن المهتدي بدلاله القرآن الهدايه الخاصة التوفيق والنجاح والفلاح والسداد هو الذي قام بصيانة نفسه من الهزيمة النفسيه وكان منه الحيطه والحذر من السقوط في مصيدة الضجيج الإعلامي لاهل الكفر وأهله وأدواته

فالتقوي لفظ مشتق من الوقايه اي الصيانه والحمايه وهذا يوحي أن الإنسان في معركه مع أعدائه الذين يستهدفون قواه وهو بحاجة إلى النظر إلي نفسه ومشاهده العيوب التي يمكن أن تصيب هذه القوي التي زود الله بها الإنسان ليقوم بدوره بحمل الامانه الخلافه وأمانه العلم بأسماء الله وصفاته وهذه القوي قوه العلم (الفهم والإدراك القوي العقلية) والشعور والاحساس وقوه الحب والأرده وقوه البغض والكراهية النفور

حيث أن قوه العلم يحصل من خلال توفر المعلومه والاحاطه بها يولد الفهم والإدراك اذا كانت المشاعر الناتجة عن قوه الحب والغضب سليمه وإذا أصاب هذه القوي الخلل فإنها تؤدي الي التكذيب والجحود والعصيان

المساله الثانيه

ان الحق سبحانه وتعالى يقول لنا أن لكل شئ سنن وقوانين وأسباب فبين أن أسباب الوصول إلى هدايه دلاله القرآن الهدايه الخاصة التوفيق التي فيها السعاده والنجاه اذا اردتم أن تتنفعوا هي التقوي التي فيها صيانه هذه القوي العلم والأرده ولأن القلب هو مركز الفهم والإدراك والوعي ومحل استقبال العلم فاللازم أن يكون صالحا لا ستقبال نور الله وعونه وتوفيقه فاللازم الاهتمام بصيانه محل الفهم والإدراك لأن سقوطه يعني سقوط الوعي الذي هو مركز قياده الإنسان وبالتالي فقدان القدرة علي الفهم ويسلب ملكيه القرار والقدرة على التحكم علي إصدار الأحكام الصحيحه فهو يتبخط قال تعالي(بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتيهم تأويله)ولهذا نجد أن النصوص تبين لنا اهميه صيانه محل استقبال الهدايه القلب من الأوساخ والأهواء والشهوات فحصر الهدايه الخاصة بالمتقين لبيان ان غيرهم محرومون منها وأن طريق غير المتقون هو الفشل والخذلان فإذا اردتم تجنب ذلك فعليكم بالاحذ بأسباب النجاه والسلامه والنجاح والفلاح وهو يبدأ من إصلاح القلب والنفس وتنقيه الأوعية القلبية والعقلية والنفسية بإعادة ترتيب أوضاع المجتمع المسلم باثاره الاحساس وإجراء عمليات تربويه جراحية لإصلاح ما فسدته الجاهلية في العقل والنفس والقلب بالاستعلاء بالحق فلا خجل والنهوض في حمل رأيه الهدايه و التقدم بعزم وشجاعه وقلوب قويه لاتخاف الا الله لأن الرب يكون نتيجة الخوف الذي يتسلل إلى النفوس نتيجة نقص الايمان وعدم معرفة الطريق فعندما تطرا علي الإنسان احداث مفاجئه يتولد الخوف ولهذا فإن الهجره من وسائل الخروج من أسر الذات والمخاوف الي عباده الله وحده لا شريك له

الأمر الثالث

كما أن افتتاح السوره بقوله تعالى (هدي للمتقين)

فيه الاشاره الى الهدايه الخاصه التي اختص بها المتقون بهذا المدح بالتوفيق كما قال تعالى في موضع آخر (من يريد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام)

وهي تختلف عن الهدايه العامه الحاصلة باقامه الحجه بالانذار بالقران

وتخصيص هذا المدح للمتقين بالفوز والنجاح والفلاح والسداد فيه لفت انتباه المخاطبين أن عليك أن تنظر إلهذا المدح لانك المستهدف بالخطاب بهذه الكلمه المتقين

يقول لك هل تريد ان تكون من الذين ينعم الله عليهم بالهداية الخاصه التي تجعلك تصل إلى مافيها السعاده و النجاه والفلاح في الدنيا والآخرة

هل ترغب ان تتجنب الفشل والخذلان فإذا كنت ترغب أن تكون من أهل الفوز فاعلم أن الله تعالى قد جعل لكل شئ سنن وأسباب وانت في معركه مع الفشل والخذلان ولهذا فأنت بحاجة إلي المعرفه وامتلاك ادوات وسلاح المعركه التي يكون بها اتقاء الفشل والخذلان ولهذا فعليك أن تعلم أن باب الوصول إلى السعاده هو التقوي ومفاتيحها العلم النافع والأرده فلا يكون حصول التقوي دون العلم بالحلال والحرام ولا يتصور حصول ذلك دون المعرفه ولا يمكن حصول الحب والكرهية للأشياء التي يريدها الله أو ينهي عنها بدون العلم ولا تكفي مجرد الرغبة دون العمل لأنها تبقي مجرد امانى وهي تختلف عن الارده التي هي قوه تجعلك قادرا على الوصول إلى الغايه و الهدف الذي فيه كمال سعادتك بالدنيا والآخرة ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالبيخبرنا بأوصاف المتقون(الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يومنون بما أنزل.... الخ

يخبرنا الله أنه أرسل الرسل والأنبياء عليهم السلام يحملون المنهج الرباني الذي فيه طريق النجاه ويعطينا مفاتيح أبوابها فهو يبين للناس طريق تحصيل السعاده وأسبابها ويحذرهم من المعاصي وازاح عن العباد العلل والأمراض وأمرهم أن يستعدوا بالله من العجز والكسل وجعل السعاده كلها في طاعته والارباح كلها في رضاه

وانك مسافر إلي الله والدار الآخرة فجعل لنفسك نصيبا في ذلك بأن يكون هدفك من الرحله هو لقاء الله والدار الآخرة بالعلم باليقين الذي لا يخالطه شك فالصراط المستقيم الذي تصل به الي الله له باب هو العلم والاراده فالارده هي باب الوصول والعلم هو مفتاح ذلك يقول لنا أن كمالك وسعادتك تكمن بامتلاك مفاتيح تلك الأبواب وإحسان استعمال المفاتيح الاستعمال السليم فأنت بحاجة إلى العزيمه والهمه العاليه للوصول إلى الله وتحرير اردتك من العجز والكسل والشهوات والملذات

فأنت بحاجة إلى معرفه حقيقه نفسك وافتقارك لله وحاجتك إليه علي الدوام ومعرفه مايجب عليك ليكون ذلك دافعا الي البذل والعطاء لأن ضعف قوه الحب والارده يعني ترك الاعطاء يعني فقدانه لهذه القوي وبالتالي يفقد الأمل في تحصيل الهدايه الخاصه كما أن ضعف قوه البغض والنفور يضعف قوه الأتقاء وهذا أماكما قال ابن القيم أما أن يكون لضعف العلم بمخاطر المخالفه أو لفقدان الاراده وبالتالي فالمرء بحاجة الى هذه القوي فالله يقول عن قوم ثمود (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمي علي الهدي)

ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يبين لنا أوصاف المتقون

الصفه الاولى

ابتداء بذكر اول سمه من سمات المتقون (الذين يؤمنون بالغيب) لأن الايمان بالغيب يكون فيه كمال العقول و النفوس فالعقل لا يدرك ما غاب عنه ولا طريق للوصول إليه إلا عن طريق الوحي حيث أنه يعطي للإنسان الاجابه علي اسئله الفطره التي تعرف خالقها

والايمان بالغيب هو الذي يميز الإنسان عن الحيوان الذي يعيش الشهوات والغرائز اما الإنسان فهو يحس أن له مهمه ودور في الحياه بالاتصال بالله بإزالة الاحجبه التي تحول بينه وبين خالقه وعندها يحصل له الاطمئنان ويكون قادرا على مقاومه الشهوات

وهو بذلك يعرف حقيقة الدنيا والغاية من وجوده بأنها ليست دار قرار وانما دار عمل وامتحان وان الحياه الحقيقيه في الاخره وهذا يقضي على أصل الفساد في الأرض الذي يكون باعته حب الدنيا التي تولد الكبر و العجب والحسد والحقد والغضب ويولد قوه الصبر والايمان باليقين الجازم وعندما تستقر هذه المفاهيم في القلب حينها تقوي الارده بالصبر والثبات والخشيه من الله تعالى إنما يخشي الله من عباده العلماء)

*

والايمان بالغيب تضمن الايمان بالأصول الستة وهنا قد يقول قائل إن الله تعالى قد نفى عن نفسه في موضع آخر أن يكون غائباً فقال تعالى (وما كنا عن الخلق غائبين) وقال (فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين) وهو ما أحدث اشتباه لدي البعض فقالوا كيف يذكر في موضع طلب الايمان بالله وفي موضع ينفي عن ذاته المقدسه أن يكون غائباً

يقول شيخ الإسلام

انه يجب عليك أن تعلم أن اسم الغيب والغائب من الأمور الإضافية يراد ماغاب عنا فلم ندركه ويراد به من غاب عنا فلم يدركنا لأن غياب الشخص عن اخر يسمي مغيباً لانه غيباً مطلقاً بحيث لم يدرك أحدهما الآخر

أما الله تعالى فهو شهيد علي العباد وقائم ومهيمن عليهم فليس سبحانه وتعالى غائب وانما عالم يري العباد ولهذا يدخل ضمن مفهوم الغيب الذي يجب أن نومن به نحن لانه لا تدركه الأبصار أما هو فليس غائب ولان الغائب اسم فاعل من قولك غاب يغيب فهو غائب والله شاهد غير غائب والغيب مصدر غاب يغيب غيباً فوضع الفاعل ولهذا يتفاوت الناس في الاتصال بالله بمقدار مايكون التقرب منهم من الله فهم بحاجة إلى أن يقطعون الطريق سيرا الي الله وهذا السير يكون بالقلب قبل الإقدام فكلما تقرب العبد من الله زالت الستائر والأغطية التي تحجب الرؤية

الصفه الثانية

لأن أخذ العلم إنما يكون بالخشيه نجد أن الله سبحانه وتعالى ذكر بعد العلم النافع وجوب العمل لأن الحركة من لوازم النفس

فقال تعالى (ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون)

فذكر الصلاة العابدين البدنيه وثنى بالزكاه العباده الماليه

وهذا فيه عده مفاهيم لأن السوره تناولت احوال العلم وقواعد كما أوضحنا ولهذا فهناك مفاهيم ابعده من مجرد حركه الصلاة القيام والسجود أو الصدقه وانما يراد بها بيان مقومات النهضه للامه وأسس بنا الأرض والإنسان

واقامه النظام الإسلامي ودستوره

المفهوم الاول

فاول هذه القواعد ربط الامه بعقيده التوحيد :-

فالله يقول لنا أن هذا الدين أنزله الله السعاده البشرية وان أمر الاهتداء يتوقف على التزام العلم والعمل الذي أمر الله به فإن سلك الإنسان هذا الطريق مسترشد عمله بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فقد سلك طريق الهداية راشدا مهديا فالقران والسنة فيهما الهداية وتزكيه النفس لمن حصل له الاتصال الروحاني فذكر الایمان بالغيب والحاجه الاستعانه بالله الذي يحصل به العرفان فالتصورات توجب ارده العمل الإسلامي لكن مجرد الایرده لا تكفي فلا بد أن تكون مشفوعه بعمل تنفيذي متجدد لا يتوقف فقال تعالي (ويقيمون الصلاة) لبيان ان العمل والنهوض منك في كفه مجالات الحياة يكون متوجه به الي اي مدعم بإصرار متواصل لا ينقطع بالخضوع والا ذعان والخشوع المقصود به التطلع الي مطلوبه وهو ارضاء الله بقصد التوجه بالعبادة والطاعة لله في كل حركه باستحضار الله تعالي وقصد التوجه إليها سبحانه وتعالى فعملك كله عباده لأن الصلاة هي الدعاء والذي يتوجب عليك أن يكون متوجها إلى الله تعالي والاستعانة به وحده لا شريك له

وبالتالي فإن قيامك باي فعل او حركه يعني أنك في صلاه وعباده الله بهذا العمل ولهذا فإن اللازم عليك أن تعطي الفعل حقه لأن قوله (يقيمون) تعني الاقامه وهي مشتقه من أقمت الشيء اذا وفيت حقه فقال تعالي (لستم علي شي حتي تقيموا التوراة والإنجيل)

ومعني ذلك الاعتناء والاهتمام بكل عمل تعلمه فأنت متعبد به لله تعالي فيجب عليك إعطاءه حقه من الجد والاجتهاد وعدم التأخير والانتباه من التقصير الذي يفسد تلك المعاني وان يكون ذلك علي بالمؤاظبه والمدوامه لأن الله تعالي قال (يقيمون) ولم يقل يصلون فالمراد منك الشعور بالمسؤولية وانك في عباده الله في كل الأوقات ب العزيمة والهمه العاليه شاعرا برقابة الله والوقوف بين يديه والاقامه تعني التسويه للأجسام اذا صارت مستقيمه وهذا فيه اهميه اتقان العمل بإخلاص النوايا والمقاصد لله تعالي بحيث تكون حياتك كلها بمثابة صلاه حتي اذا اردت أن تأتي اهلك لتحصل على الأجر والوصول إلى مرتبة المتقين

فلا يكفي مجرد العلم اذا لا بد من تمرين المتعلم على ماتحملة العلوم من تجارب في شتي الميادين ولهذا فإن هذا يتطلب منك تذوق العلم وبذل الجهد والاهتمام به لتكون صاحب فن في هذا العلم ولهذا فإن العرفان بالله ينبغي أن يودي الي استحضر وجود الله وبالتالي توجيه الإنسان بجميع نشاطه الي الله لتكون كل حركه منك عباده له ف لا بد أن يكون مصدر الفعل الذي تقوم به هو العزم والإرادة القوية بقصد طاعه الله ونيل رضاه فهذا هي اساس البواعث الدافعه للفعل لانك تري أن ذلك يجلب لك المصلحه ويدفع عنك الضرر بالوعي الناتج عن الحكم الشرعي بعيدا عن التقليد لأن العلم يزيل الشك ولهذا عليك أن تفهم أن الصلاة ليست مجرد حركات قيام وعود وسجود ف لا بد أن يكون لها آثار في حياتك يلمسها الآخرون فيجب أن تنظر هل أن اداءك الصلاة حصل منها ترك الفواحش و المنكر لأن الله يقول (أن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر) فهي تطهر النفس من النزاعات والشهوات والملذات وتجعلك تتصل بالله فقد قال تعالي (واستعينوا بالصبر والصلاة

(فهي تقوي العزيمة وتزود العبد بالطاقة اللازمه للمدوامه بالسير بالطريق المستقيم وعدم الانحراف فإذا لم يحصل ذلك فأنت لم تصلي

المفهوم الثاني

التوجيه الي المومنون بالمساهمة والمشاركة في بناء دولة الموحدين من خلال وضع قواعد المال والاستثمار فقال تعالي (ومما رزقناهم ينفقون)

حيث ان الكثيرون قد وقع في الفهم الخاطئ لمفهوم الانفاق لان الانفاق يعني النفاذ والخروج والذهاب في المعنى فذهبوا الي قصر معني الانفاق علي أنه مراد به الصدقات للفقراء والمساكين... فقط أو الزكاة فقط

لكن الحقيقة أن من معاني الانفاق هو عدم حبس المال كما أخبرنا الله بدم الذين يكنزون الذهب والفضة فقال تعالي (أن الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونه في سبيل الله)

حيث أن هذا الحبس يحرم المجتمع المسلم من الانتفاع بعائدات ذلك المال المحبوس

ولهذا فإن من ضمن المفاهيم للإنفاق هو تشغيل المال في كافة المجالات فالانفاق هنا يعني دفع أصحاب راس المال الي المساهمة في عمران الأرض وقيام المشاريع التنموية التي تساهم في الإنتاج والخدمات والقضاء على البطالة

والانفاق يعني الخروج لأن كنز المال يعني حبسه وجمعه دون تشغيله وهذا فيه إهدار لحق الجماعة وحرمان المجتمع من منفعة تشغيله فهو مال الله ومنح للإنسان لأجل القيام بالعمران

ولهذا نجد أن الله سبحانه وتعالى يقول (مما رزقناهم) يذكرهم أن المال هو مال الله فلا بد أن يكون تهيئه ظروف المجتمع وتكوين التصورات عن المال والاقتصاد وحق الفقراء فيه وحق الناس ليكون هذا باعنا علي الكسب الحلال والقيام بالعمل المشترك الذي يحقق تجاوز الفقر والجوع بما يحقق قيام الدولة القوية فسمي الاستثمار وتشغيل المال إنفاقا في سبيل الله أي في طريق الكسب الحلال وهو ما يعرف اليوم بالإنظمة التكتيكية التي تجعل للمال دور في إنعاش الحياة الاقتصادية فغياب المال أو كزبه يودي الي ندره المال فيكون حرمان المجتمع من هذه الوسيلة ولهذا حث علي تشغيل المال فهو يوفر فرص عمل وبودي الي مضاعفة الدخل القومي والارتفاع بمستوى دخل الفرد وتمكين الدولة من تحقيق المشاريع مع احترام حق الملكية وان إخراج المال من محبسه للعمل يودي الي زياده الانتاج وزيادة فرص العمل وهذا يتطلب الانفتاح على العالم والتعامل معهم وتسهيل حركة الأموال وضمان احترام حقوق الآخرين وتبادل الخبرات والمعلومات المالية لكن مع الإنتباه لضوابط العقيدة ونظرتها المال بأنه وسيلة الخلافة وضرورة التحرر من عبادة تقديس المال فلا تجعل له سلطانا يصل لحد صناعه صنم يعبد من دون الله ولهذا أوجب عليك اخراج جزء منه للفقراء والمساكين وابن السبيل مبينا أن اخراج هذا المحبوب مقدمه للتوفيق السير في الطريق المستقيم لانه فيه تحرير الإنسان من حب المال وحب الدنيا وذلك فيه استعباد للإنسان للمال فكان لابد من إخراجها للتخلص من عبودية المال

المفهوم الثالث

اهميه ازاله العقبات التي تحول دون حصول النهضة والتقدم فذكرت الايه السابقه اهميه ازاله افكار وتصورات الطبقيه التي تمزق المجتمع الي أشلاء طبقه اغنياء وطبقه فقراء فأمر بازاله الفوراق بغراس مبدأ المساواة و التكافل والاخوه وحمايه الفرد من كافة اشكال الاستبداد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي بتحرير الإنسان من كل عبودية فلا يعبد الا الله تعالي

وهنا تأتي النصوص لبيان الصفه الثالثه (والذين يومنون بما أنزل إليك وما انزال من قبلك) بأنهم صدقوا بالقران وبالكتب السماويه السابقه والملاحظ أنه يفهم أن هذا هو تكرار لأن ذكر الايمان بالغيب يعني أنه شمل الايمان ب الكتب السماوية فلماذا هذا التكرار

الجواب المراد بهذا التحذير من العصبية والافاق الضيقه التي تخرج عن إطار المتقين بالانحراف عن المسار ب

العصبية أو النسب أو القومي فيقول لنا أن دعوته الإسلام وصفات المتقون المنتفعون بهدايه القرآن الكريم لا يقبلون ذلك وأن نقطه الانطلاق باتجاه النجاح تكون بالاجتماع علي اصل واحد هو الايمان فالنصوص فيها دعوته الي اتقاء اي نوع من أنواع الاستبداد والطغيان التي تتولد في النفوس عند غياب المنهج فالإسلام دين الهدايه الذي يقوم الارتباط بينهم علي التقوى أن أكرمكم عند الله اتقاكم)

المفهوم الخامس

ان اللازم عليك أن تدرك أنك مسافر إلي الله والدار الآخرة ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى ابتداء بالإيمان بالله وختم بالإيمان باليوم الآخر هذا يكون بالتصديق باليقين لاشك فيه أن الله تعالى لم يخلق أحد عبثا بالإيمان به اليوم الآخر من دواعي وبواعث تزويد الإنسان بالطاقة التي تمده بالعون الإلهي والاستمرار بالعمل الاسلامي فلا يتساقط العبد في منتصف الطريق

فالدنيا من الأمور المحسوسة تعرف بالحس ولهذا يأمرنا الله بالإيمان بالنهاية لهذه البداية وهو اليوم الآخر لأنها لا تري وحاجتك للإيمان الذي تري فيه الجنة والنار لأن من عرف النهايه وأدرك العواقب فسوف يخاف من المكروهات التي تكون عواقبها الهلاك

فالإيمان باليوم الآخر هو من المسائل التي تفجر الطاقات البشرية ومن دواعي الابداع والإتقان للأعمال والاحلاص فيولد مشاعر اليقظه الدائمه في النفس ويمنع الغفله ومتي استقر ذلك باليقين فإنه فيه حماية القلب من الشك الذي يولد الارتعاش في الحركه فخصهم الله بالإيمان باليقين لأن اليقين ما استقر وسكن في القلب فيودي الي الثبات فيقال يقن الماء في الخوض اذا استقر فيه وسكن

ثالثا

تأتي بالإشارة الي أن هولاء استحقوا الرعاية والعناية والهداية الخاصة من الله فقال تعالى (اولئك علي هدي من ربهم واولئك هم المفلحون)

فاستعمل المولي حرف(علي) في جملة (اولئك علي هدي)

لشد انتباه المتقين ما يمنحه الله تعالى المومن المتقي من الاستعلاء فنجد النصوص ترسم صورته جميله له كانه راكبا علي الهدي للإشارة إلى القوه والاستعلاء فهو سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر (والعمل الصالح يرفعه) وقال تعالى (إنما يتقبل الله من المتقين)

٢

يبين لنا المولي سبحانه وتعالى أن هذا التوفيق هو من الرب الذي رعاهم بالنماء والارتقاء والتوفيق الي مايجبه ويرضاه وأسند الهدايه الي الرب الكريم لبيان شرفها واستمرارها من ربهم فإن هذا التوفيق والنجاح والفلاح هو من الله تعالى الذي وفقهم الي عمل الخير واستعمل الجملة الاسميه للدلالة علي دوام الصلاح ودوام التوفيق خاصه وأنه ذكر لفظ هدي بلفظ التنكير الداله على تنوع الهدايه الخاصة في الدنيا أو الآخرة

٣

كرر الاشاره اولئك واستعمل لفظ هم للحصر بأن هولاء هم الذين اختصهم الله بالعلو والتمكين علي الهدي فكأنه صار مستمكنا عليها فهم علي هدايه مستمرة

وخصهم بالفلاح لبيان ان الفوز العظيم هو الذي يكون مستمرا لا ينقطع أما الفوز الرخيص فهو الذي ينقطع

ويزوال فهو سبحانه وتعالى يخبرنا أن هذا الفوز يميزه علي الملائكة فشله حال المتقين بحال من يتمكن من صهوه جوده للدلالة على الاستعلاء فنقول سعيد علي السطح اذا اعتلي السطح لبيان ان نهايه الهدايه هو الفلاح فحصر ذلك عليهم وحدهم فقال هم فأراد بهذا التحفيز علي هذا الطريق وتحمل المشقه فالمفلح يقال لمن شق الطريق وتحمل المتاعب للوصول إلى مبتغاه فدل ذلك أنه كان جاد فعمل بجد واجتهاد وجاهد المشقات فكان مبتغاهم أن انفتحت لهم طريق النجاح والظفر فقد استحقوا ذلك الوصف والتمكين إنما يتقبل الله من المتقين

القسم الثاني

ذكر أحوال الكفار واوصافهم فقال تعالى

(ان الذين كفروا سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله علي قلوبهم وعلي سمعهم وعلي أبصارهم غشاوه ولهم عذاب عظيم

وبالوقوف علي مدلولات النصوص من حيث الآتي

الأمر الأول

معاني الكفر .. والمقصود به أي من عني بهذه الايه

الكفر في اللغة تغطيه الشي ... فيقال للزراع كافر لانه يغطي النبات في التراب فقال تعالى (يعجب الكفار نباته)

ولأن الإنسان مفطور علي معرفه ربه وخالقه فلو سلمت الفطره من التلوث فهي تعرف ربها وهي تحب الخير وتكره الشر تحب الصدق وتكره الكذب لكن هنالك تلوث يغطي عنها رؤية الحق

والنصوص ذكرت الكفره الذين لا ينتفعون بهدايه الانذار القران لتخبرنا أنهم ستروا الفطره عن محبه الحق وجحدوا الحق والتوحيد وكذبوا به

والنص ابتداء بقوله تعالى (أن الذين كفروا)

بالنون التوكيده التي ترسم لنا صورته لحال القسم الثاني من أقسام الناس تجاه هدايه القران

وهذه الصورة جاء فيها بيان حال الكفره مقطوعا ومفصولا عما قبله فلم يعطفه عليه للإشارة إلى ما بينهما من الاختلاف في الطريق وعدم المشاركة بينهما في شي فهم لا يمكن أن يلتقوا

واستعمل اسلوب الذم (أن الذين كفروا) فأراد بهذا التعريف للجنس أن يرسم صورته قبيحه عن هولاء وبين قبح أفعالهم وأحوالهم فقال (سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون... الخ

ليغرس في النفوس كراهيه هولاء وافعالهم فتري تلك الصورة القبيحه لتحذر من ذلك السلوك حيث والمراد به الكفار في كل زمان ومكان بأنهم لا ينتفعون بهدايه القران لانهم ليس لديهم استعداد وهم مصرون علي الكفر للنهي والتحذير من ذلك السلوك وليس كما ذهب البعض للقول بالتخصيص لأن العموم أولي لما سبق ذكره

ولفظ الكفر هنا جاء مطلق وهو يعني الجحود للنعم والتكذيب والشرك والعناد والحسد والظلم والاستبداد وجحود كل خير

وكفر وجحود النعمه يكون بعدم شكر المنعم ونعمه الهدايه من أعظم النعم

والكفر بالله يكون بإنكار وجوده وإنكار اسم أو صفه صفاته التي أخبرنا الله بها في كتابه والشرك بوحدايه الله

أو إنكار كتبه أو رسله بعضهم أو كلهم وعدم التصديق والاذعان له سبحانه فكل ذلك من ضروب الشر والتغطية السلبية في الأمور المعنوية والكفر بالجحود بما أمر الله والاعراض عن ما بلغهم به رسوله أو الاستهزاء بما أخبرهم به والكفر قد كفر عقيدة أو كفر سلوك وقد يكون مع العلم وقد يكون بدون معرفه الحق ولا يريد به ولا يحبه فهو ينفر من الحق

الأمر الثاني

المناسبة من ذكر أحوال الكفار ووصافهم

انه لما ذكر الله تعالى المتقون وأحوالهم وانتفاعهم بالقران وذكر أن علي المسلم أن يدرك أن الجنسية التي ينتمي إليها هي جنسيه الايمان والتقوي فذكرت النصوص قواعد الدين مبينه أنها تقوم علي قاعده التوحيد لاله الا الله و التي تعني توحيد الخالق سبحانه وتعالى وهي تعني أيضا وحده الإنسانية وتوحيد مظاهر الحياة المادية والروحية في صورته شكل واحد في جميع جوانب الحياة فذكرت اهمية التصديق بالاديان السابقه التي كانت قاعده بناء تطور التشريعات والقوانين وصولاً إلى خاتم الرسالات وذكرت النصوص حاجه الإنسان الي الهدايه لكيفية التعامل مع نفسه وبني جنسه والكون من حوله ومع خالقه ليكون لك السعاده والنجاه والفلاح والسداد ولهذا فإن المستمع لابد أن يتسال ويقول لماذا لا ينتفع الكافرون من هدايه القران

فجاء الجواب

انه بقدر ما يكون الأعراض والجحود والعصيان والتكذيب بما في القران يكون الخذلان فقوه السبب من قوه المسبب فالله يخبرنا أن نحذر كل ما من شأنه منت أسباب النجاح والوصول إلى عون الله ورعايته فكل شئ له أسباب ومسببات وسنن وقوانين توصل الي النتيجة الفلاح أو الهلاك ولهذا يخبرنا الله تعالى أن هلاك هؤلاء يعود إلي عنادهم وإصرارهم واستكبارهم بالكفر فقد خانوا الامانه بالشرك وخانوا الرسول برفض اتباعه وخانوا أنفسهم بالمعاصي والفواحش فكانت تلك الخيانه بمثابة تعطيل الحواس لديهم واصابهم الجهل والكسل فلم يستعملوها فيما خلقت لأجله لمعرفة الخير وأسباب الحياه والسعاده من خلال معرفه الله ومحبتة وعبادته وتوحيده بل استعملوا في الشر وافساد الحياه فشكلت تلك الخيانه والكفر موانع من استعمال أدوات والحواس فأصبحت معطله فنحن نقول هذه سياره او اله صالحه للتعبير عن تحصيل المنفعة المراد من هذه السياره او الأله لانتظام اجزاءها فنقول أنها سلبه لأنها تؤدي الاغراض منها ونقول هذه سياره او اله فاسده لأنها لا يحصل المنفعة منها لا ختلال في تركيبها

فالصالح هنا شي استنار قلبه بالإيمان وعقله باليقين وتحركت حواسه فشاهد الحقائق فعبداً لله واجتنب نواهيهِ وأطلق عليهم المتقين فهو حافظ على ما أعطاه الله من حواس واستعمل كل ملكاته واجزؤه فيمارة خلقت لأجله عباده الله وحده ومحبتة فكانت منافذ الهدايه مفتوحه لاستقبال نور الله فحصل له المنفعة من تلك الحواس

أما الكافر فقد اغلق أدواته وعطل حواسه واستعمالها في غير ما خلقت له فكان ذلك سبباً لتكون موانع الاستعمال لهذه الأدوات فأصبحت عاطله مختله في تركيبها فهو لا يفقه لانه سقط عنه الوعي فأصبح كالبهميه وعبد هواه فأصبح عبد الهوي والشهوات والملذات فهو مريض معلول فالله يقول في موضع آخر (افريت من اتخذ الهه هواه واضله الله علي علم وختم علي سمعه وقلبه وجعل علي بصره غشاؤه) فذكرت النصوص فساد أردته وفكرته فأصبح عبد الهوي فكانت العقوبه حرمانه من الانتفاع بناوفاذ تلك المواهب السمع والعقل والبصر فهو أقل شأناً من الحيوان فقد قال تعالى في موضع آخر (أن شر الدواب عند الله الصم اليكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم... الخ

الأمر الثالث

ربط جنس الكفار بعدم الاستفادة من الانذار فقال تعالى (سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون)

الايه تدل بظاهرها علي عدم الإيمان للكفار بينما نجد أن هنالك آيات تدل أنه يمكن لهم الإيمان مثل قوله تعالى (قل للذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) وهنا نجد أن النصوص تبين أن سبب عدم الإيمان (ختم الله علي قلوبهم وعلي سمعهم وعلي أبصارهم غشاوه) فجعل الختم والطبع والغشاوه سببا لكفرهم وقد ذكر العلامة الشنقيطي وآخرون ما يتعلق بذلك الجميع خلص الي الاستدلال أنه تعالى قال عن قوم ثمود (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمي علي الهدي) ويقوله تعالى (اشترؤا الضلالة بالهدي) ويقوله تعالى (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) فدللت النصوص أن كفرهم كان بمشئتهم واردة عليهم حيث يفهم أن الختم والطبع والغشاوه كان عقوبه لهم من الله علي الكفر والجحود والعصيان والتكذيب والشرك والذنوب فالله يقول في موضع آخر (بل طبع الله عليها بكفرهم) وقال تعالى (فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم)

فالنص فيه الاخبار أن عدم انتفاع هؤلاء بهدايه القران الكريم ليس لان القرآن لم يكون واضحا في البيان ولا لوجود تقصير من جهه المبلغ وانما العيب فيهم فهم انصرفوا عن الهدايه الي ما اعتادوا عليه وماورثوه من الاجداد والإسلاف حيث امتلأت نفوسهم بالتمسك بالماده وعلومها دون العلم بخالق الماده فنحن نري كيف انه كما تطورت وتقدمت الحضارة الماديه ادي ذلك إلي ضعف القيم والمبادئ الروحانية لدي المجتمعات لحصول الانبهار بعلوم الماده والغرور والانجذاب الي الماده وتفسير الاشياء بمنطق الماده فإذا امتلأت النفوس بالماده واستغرقت عقولهم ونفوسهم فإن ذلك يكون ظلام وظلمات تغطي القلب والخواس فلا يفقهون ولا يسمعون ولا يبصرون عندها يحصل قتل المواهب واغتتيال ادوات الفهم والإدراك والوعي بالانشغال بالنعم دون رؤية ماوراء الماده والمنعم فيكون الجحود للنعم نتيجة فساد التصورات لدي هؤلاء وفساد استقبالهم المعلومات التي يكون بها تحليل الأمور والأشياء لإصدار الحكم حيث انك تري اختلال الموازين لدي هؤلاء فهم ينظرون لمن يدعوا الي القيم والمبادئ الروحانية بأنهم اغبياء وحمقاء ويصبح اللصوص بنظرهم اذكيا عندها يفقدون نور الهدايه ويحرمون منها لانهم أغلقوا منافذ الهدايه فالله أودع في الإنسان طرق العلم وأدواته التي تساعد علي معرفه فقال تعالى (والله اخرجكم من بطون أمهاتهم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئده)

ولهذا فإن النفس القبيحه اذا استقبلت الخبر الذي يأتي من المنذرين فإنها لاترغب لأن ميولها متعلقه بالشر ولهذا فإن هذا الميل يشكل لها فجوه وهواه تدخل فيه نفوسهم في نفق مظلم يغطي عنها انوار الحق فتشوق لنفسها طريقا معوجا سماه الله الفجور

وعندها تصاب بداء الجهل الغفله نتيجة الابتعاد عن الحق فيكون العقل مشلولا فيكون مطيه للشيطان الذي يزين ويحسن له صورته الباطل والشهوات فتصاب النفس بالشلل فتتنظر للاشياء من حيث الملذات والشهوات فتري الباطل جميلا لان أهدافه للحياه تنطلق من الاعجاب وتعظيم أنفسهم والكبر وطلب التغلب والكسب والكبر العصبيه والاستعلاء ولهذا ذكر المولي سبحانه وتعالى أن المتقين كان منهم اتقاء تلك الامور لأن هذه الأشياء أن وجدت في النفس فإنها تكون أغطية واحجبه تمنع العقل من التفحص والنظر لحقيقه الاشياء ليكون منه رفض ماسواها اذا غزت النفس تلك الأمراض الجهل والغني والشهوات حينها يحصل الانحطاط للفرد والجماعه وتصير أقل شأنا من الحيوانات

*

ولهذا يخبرنا الله تعالى أن جهل هؤلاء بطابع الحوادث في الأمور لانهم بنوا حياتهم علي التقليد والتمسك بـ الموروث والنظر له انه مقدس غير قابل للنقاش وهذا أفسد العقول والتصورات والمعايير لديهم فهم لا ينتفعون بالانذار سواء حصل ذلك الانذار ام لم يحصل فقال تعالى (سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون) مبينه دلاله

عله عدم ايمان هولاء في الماضي والمحمول علي الاستمرار في المستقبل

ف الله سبحانه وتعالى يقول لنا أن هولاء يستوي عندهم الإدراك وعدم الإدراك فالاستفهام هنا للمعادله الداله على استوي الانذار وعدمه لبيان عدم تأثرهم بالانذار لأن الشر استغرق نفوسهم فكان إصابتها بالمرض حب الشهوات واصاب الوجدان العلل وفقد تذوق طعم لذه الحق والطاعه فهو لايجد في نفسه رغبه في الطاعه فقد تحطمت طاقاته بالحيرة والهموم والقلق والشعور بالغرابه فعطل ذلك الحوس وستر الفطره فلاتري نور الحق فلايفهمون ما يدعوهم إليه الداعي

والنصوص تبين لنا أن هولاء لا احساس لديهم لأن الانذار معناه الاخبار والإعلام بالشيء مقرونا بالتخويف مما قد يترتب علي المخالفه لتغرس في النفس بغض ودم الفعل المأمور بتركه والاحساس بخطورة الموقف للتحذير من عواقب المخالفه

فالنصوص ترسم لنا صورته قبيحه لاهل الكفر وأفعالهم فهم مكابرون ومعاندون فقدوا عقولهم واغلقوا نوافذ الهدايه لذلك كانوا من المحرومين من الانتفاع بهدايه القران لرسوخهم في الكفر فهم يستوي الانذار عندهم من عدمه لهذا لم يستفيدوا من نور الايمان مع العلم به

فما الذي سوف تعمله مع شخص يغمض عينيه عن نور الحق كيلا يراه عنادا منه وعدواه لمن دعا اليه

فهذا لا يستفيد من النور وماذا يفيد النور فالعيب ليس من النور وانما العيب بالشخص نفسه الذي لا يريد أن يعرف النور ويعرض عنه ولا يحب أن يعرفه وغير قابل له لأن طبيعته فاسده وخبثت تربيته فقد اعتاد علي حياه الظلام و الزيف والميل الحيواني وراء الشهوات و العيش في الظلمات التي يظل فيها باحثا عن مخرج بالسير وراء اوهام السراب والخرافات لا يجد لنفسه مخرجا من هذه الظلمات فلا ينفع معه الجدال لانه يجادل من أجل إظهار قوه الجدال لا اظهار الحق فهو لم لديه استعداد ولا مكان في قلبه لاستقبال نور الايمان ولهذا فإن سبب نفي الهدايه عنهم هو حصول العقوبه لهولاء بتفسير أسباب الضلال لهم لبيان العناد والجحود والعصيان والتكذيب والشرك يكون سببا للهلاك فقال تعالى (ختم الله علي قلوبهم وعلي سمعهم وعلي أبصارهم غشاوه ولهم عذاب عظيم) والمتأمل للأسلوب الذي عرضت فيها النصوص

١

يقول لنا الله أن هولاء فقدوا البواعث والدواعي التي تجعلهم ينظرون ويتاملون ويفهمون الداله الايمان فقال تعالي (ختم الله علي قلوبهم) لبيان ان قلوبهم مغلقة لايدخلها الامارسخ فيها من الشهوات والملذات فهو لا يحب الحق ولا يقبل به (وعلي سمعهم)

فلا يسمعون آيات الله استماع تدبر وتفكر (وعلي أبصارهم غشاوه) الغشاوة ما يغطي الشيء والمراد أن أبصارهم لا تري آيات الله واستعمل أبصارهم والمراد به البصيره الداله على الإيمان لبيان انه ليس لديه استعداد

٢ استعمل الختم والمراد إصابة القلب مركز الوعي والفهم واستقبال المعلومات اي أنه قد أصابه داء الختم الذي يمنع دخول الايمان الي الداخل فتقول ختم الباب بالشمع الاحمر اشارة الي المنع من الدخول الي داخل المبنى ف الختم علامه على منع الدخول وهكذا كان التشبيه بالختم علي القلب لمنع دخول الايمان

لأن القلب امتلئ باوساخ الشرك والمعاصي والذنوب فهذه نجاسات تشكل مانعا من دخول نور الحق والايمان فيه حتي ازله تلك الأوساخ لإحلال الايمان محله فكان إسناد الختم الي القلب استعارة شبهت اعراضها عن الحق وعدم الاصفاء إليه بحال أنها ختم الله عليها فهي قلوب بهائم فشبهه معقول بمحسوس لبيان انه للخروج من حالات الحيره واللامبالاة الي حاله الاطمئنان لابد أن يكون لديه استعداد لأن الإنسان يعيش في معركة بين نوزاع الظلم و

الشر والاستكبار ونوزاع العدل والخير والايمان فالنفس فيها المتناقضات وهي تعيش هذا الصراع فإذا انشغلت بـ الكفر والتمسك بالهوي والتقليد فإن هذا من دواعي قتل الفكر وسقوط الوعي من الإنسان فيكون أقل مرتبه من الحيوان ولهذا نجد أن الله تعالى يقول في موضع آخر (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعافيه للمتقين)

فلا بد من تهذيب النفس وتنقيتها من النزاعات والأهواء فالنفس أن سيطرت عليها تلك النزاعات وحب الرئاسة فإنها تفسد مركز الوعي والفهم والإدراك وهو القلب ولهذا نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول (الا وان في الجسد مضغه اذا صلحت صلح الجسد كله وأن فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب)

فالمراد أن ارتكاب المعاصي يلون القلب بالران الذي يكون نقطه سوداء حتي يظلم القلب كله ويفقد النور(كلا بل ران علي قلوبهم ما كانوا يكسبون)

٣

وفساد قوي العلم بالشبهات والثقه بالاجداد وضيق الأفق بالعصبية وغيرها يشكل مواد وعناصر أساسية في بناء البلاده والعناد في النفوس سواء كان ذلك بالادراك للمعلومه ام لا فهم وان وصلت المعلومه صحيحه فإنهم لا يفقهون شيئاً ولا ينتفعون بهاف الله يقول إن هولاء سواء وعظمتهم ام لم تعظهم أو خوفتهم ام لم تخوفهم فإنهم لا ينتفعون نتيجة العناد والاستبداد الذي سيطر على مركز التفكير والوعي والإدراك لانهم عطلو ادوات العلم بـ المعاصي حتي عقابهم الله بالختم الذي يمنع دخول الايمان اليهاولهذا قدم الختم علي القلوب لانه مركز الوعي و الفهم والإدراك فهو مبدأ مستقر العلوم فمن فسد قلبه فسدت طبيعته وصار لايفقه الاشياء وليس لديه استعداد ثم ذكر بعده الختم علي السمع لأن السمع يشارك القلب لأن هنالك أمور تثبت بالسمع مثل الأمور الغيبية التي يكون الا نذار منها مثل اليوم الآخر فإذا كان القلب واعياً فإنه يفهم النصوص ويدرك المعاني فإذا سقط الوعي عاش في الحيره واللامبالاة لايقبل سماع آيات الله لانتفاء الخير من هذه القلوب فهي لاتصغي الي الخير ولا تريد الاستماع (ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم)

٤

كما أننا نجد أنه افرد السمع وجمع القلوب لأن الأسباب التي تعلق بالقلوب متعددة بتعدد أصناف القلوب فكان هذا دليلاً على أن كل واحد يسكن في قلبه علل متعددة من اهواء وتفاخر وتقليد... الخ فنكون أسباباً لإغلاق القلب فذكر الختم علي القلوب والسمع لتأكيد أن الكفر نجاسه لا تقبل دخول الحق الي القلب ولا يقبل السماع للحق فهو ك الغطاء الذي لايسمح بدخول الشئ إليه من خارجه لبيان ان قلوبهم لم تعد صالحه لا ستقبال الايمان من كثره المعاصي التي غطت القلب نتيجة تعددها فصارت كالقطع المظلمه وإفساد طباع هولاء

ثم ذكر حجب الرؤية (وعلي أبصارهم غشاوه)

فهي الغطاء الذي يمنع الرؤية للشئ كالعصابه والعمامه والغشي مرض يصيب العين ويفقدنا الرؤية والعمي هنا للقلوب لقوله تعالى (فإنها لاتعمي الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور) فالنصوص تبين لنا أن الختم والطبع والغشاوه عقوبه من الله للكفار في الدنيا لرفضهم هدايه الانذار فكانت سبباً للحرمان ولهذا نجد أن الله يتوعدهم بـ العذاب فقال (ولهم عذاب عظيم)

بأن عقوبه هولاء في الدنيا بالحرمان من الهدايه ليعيشيون في الم البعد عن الله تعالى في الدنيا وانه ينتظرهم عذاب عظيم في الآخرة فهو بالغ في الكثره والقدرة بما يفوق التصور والوصف فجاء ذكره بالتنكير للإشارة أنه مجهول كما ووصفا وكيفابانه عظيم

القسم الثالث

ومن الناس من يقول انا ب الله واليوم الآخر وما هم بمومنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون الا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا إنؤمن كما آمن السفهاء الا أنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون

ان آيات هذا القسم تتناول الصورة الثالثة من أفراد المجتمعات هذا الصنف ليسوا من لون المتقون وصفاءهم ولا من لون العصاة العتاه الكافرون في العتامة انهم لون آخر ضبابي مذبذب متردد بين العتمة والصفاء هذا الصنف يشكل خطراً على الجماعة المسلمة وعلي بناء الدولة وعلي استقرار الجماعه وانسجامها

فالنصوص تتناول هذا الصنف من مكونات المجتمع في ثلاثة عشر ايه استهلت عرض أوصاف وأحوال هذا الصنف بصيغه المجهول فقال تعالي

(ومن الناس)

حيث نجد لفظ البناء للمجهول للاعيان باستعمال لفظ العموم للجنس ومن الناس والمراد به تعيين نوع خاص من الناس وليس جنس العموم للناس فالمراد بإطلاق لفظ العموم للفظ هو لفت

انتباه المخاطبين الي اهميه ماترسم الآيات من لوجه متحركه عن خطوره النفاق فهي وان كانت واقعه في المدنية الا انها حالة متكررة في كل زمان ومكان فهم ليس من لون المتقون الاصفياء ولا لون الكفار المعتم فهم ناس لا دين لهم ولأخلاق ولا مبادي ولا قيم لهم الوان متعدده بحسب الحاجة والمصلحة لهم قدره علي التلون وإظهار خلا ف مافي قلوبهم فكان ذلك قوه يمنحهم القدره على تغطية حقيقه أنفسهم هم حائرون بين الحق والباطل بين العدواه التي في قلوبهم وبين اظهار الموده فوصفهم الله بثلاثه عشر ايه للتنبيه منهم لخطوره أهل النفاق ولهذا كان تقديم الخبر في تركيب الجملة ومن الناس ليغرس في النفس السامع استشعار اهميه مأسوف يذكر لكم من أوصاف فينتج الشوق والاهتمام الي الاستعلام عن هولاء الناس وخطورتهم علي المجتمع المسلم وعلي ما استهلت به السوره من بيان قواعد وأسس بناء الدولة ومؤسساتها فذكرت النصوص اهميه الشعور بالانتماء إلى جماعه الا يمان فوصفهم بالمتقين وبينت اهميه المشاركة الجماعية للمجتمع المسلم في المساهمه بنشر الخير الي العالم أجمع وتزكية النفس من الأوساخ للاضطلاع بالمهمة والمساهمة بفاعلية ايجابية وأدرك الامه ابعاد رسالتها فكان هذا التشويق للاستعلام ومن الناس تخصيصا لتحقير شأن المنافقين بثلاث عشر ايه بشأن حملهم الخبث والمكر وحقارتهم وسوء عقابتهم وجهلهم واردف ذلك بأنه سوف يتم معاقبتهم وتصوير حالهم بأبشع الصور فهي تجمع مذام النفاق وتعطينا اوصافا لهؤلاء فيها بيان رءه الفكر وسوء السلوك والطمع وزوال الإدراك والسفه وسعيهم لخلخله الصفوف والظهور لظاهر مخالفه لحقيقتهم

والمراد بهذا التحذير من سلوكهم ومنع وصول هذه النماذج الي مركز القيادة تحت شعار المساهمه والمشاركة في بناء الدولة ومؤسساتها فهم يمثلون خطرا كبيرا على الدولة ومؤسساتها واهدافها واتجاهاتها فتعرض لنا النصوص نماذج متعددة المنافقون وأحوالهم وظروفهم المتباتيه والمتنوعة لترسم لك صورته لهؤلاء وهم في مركز القيادة الدينيه والرئاسة الحكم السلطه وفساد تصوراتهم وأفكارهم وتوجهاتهم كما تعطينا صورته المنافقون في حاله الضعف وفقدانهم سلطه القرار السياسي والديني اوغيره

الوصف الاول

(ومن الناس من يقول انا ب الله وبالايوم الاخر وما هم بمومنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون)

فالنص يبين لنا الآتي

الأمر الأول

(الادعاء الكاذب لهؤلاء المنافقون):-

(ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمومنين)

بأن هذا النوع يفتقدون الي الجراءه للتصريح بحقيقة مشاعرهم في مواجهة المومنين فما هو في قلوبهم يختلف عن ما يتكلمون به في ألسنتهم فهم يظهرون خلاف ما يبطنون

فأخبرنا الله تعالى أن هؤلاء يرفعون شعارات ومبادئ عظيمة لاعلان الانتماء الي جماعه المومنين بادعاء يحملون هدف الايمان بالله واليوم الآخر وانهم يقصدون بعملهم ابتغاء وجه الله واتقاء عذاب اليوم الآخر يظهرون الصلاح والتقوى وهم في الحقيقة كاذبون يقصدون من ذلك الاعلان الوصول إلى المناصب ومراكز القيادة في دوله الاسلام او نقل الاسرار ونقاط الضعف التي قد توجد في النظام الي الأعداء فقال تعالى (وما هم بمومنين)

لتحذير المسلمون من الانخداع بالمظاهر الكاذبة الزائفة والشعارات التي يرفعها هؤلاء لأجل التسلل إلى مراكز القيادة كما أوضحنا بادعاء الانتماء لجماعة الايمان

فالله يحذر الجماعه من ذلك ويلفت انتباه المومنون الي اهميه استشعار حقيقه الإنتقال من عصابه الي دوله بأن هذا التحول والتغيير والعبور يحتاج الي اداره رشيده للجماعه المومنه تمنع وصول الفاسدون الي مركز سلطه القرار الجماعه وتمنع تسلل هؤلاء الي المراكز الحساسه لأن ذلك يعرض الأمة والدوله للانهييار والوقوع في الازمات وتفقدتها فاعليتها ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى

*نكر هؤلاء فقال ومن الناس لبيان ان لهم قدره علي التخفي في صفوف الجماعة الإسلامية بادعاء الايمان وهم كاذبون ولهذا فضحهم الله تعالى فقال (وما هم بمومنين) حيث اخراج ذواتهم من اعداد المومنين وأكد نفي الايمان عنهم بالباء (بمومنين) لقطع صلتهم بالإيمان كي يلفت انتباه المخاطبين الي اهميه الحذر منهم فلا تنخدع بـ الشعارات التي يرفعها هؤلاء وأطاله السجود وإظهار الخوف من الله امام الناس فالله يقول لنا أنهم ليسوا كذلك فهم يرفعون شعارات ويتاجرون بالدين رغبة في محاربه الصالحين وللمومنين ويريدون تقسيم الدولة ومؤسساتها وإصابتها بالشلل فقال تعالى (يخادعون الله والذين آمنوا)

للتحذير من تسلل هؤلاء المرضي الكاذبون الي مركز القرار فاستعمل ال الجنس للعهد ومن الناس) والقصد إنكار ادعاء هؤلاء للايمان وإنكار الشعارات التي يرفعها هؤلاء وختم ذلك بتأكيد أنهم ليسوا بمومنين

*

كما أن النصوص تبين لنا أن قاعدة اداره المؤسسات في الإسلام يقوم علي الإيمان الحقيقي الذي يقتضي التصديق والاندعان والعمل والاعتقاد والتسليم ثم يكون الكفاءة والخبرة فنجد أنه قدم الفاعل (وما هم بمومنين) لنفي ادعاء هؤلاء للايمان النفي القاطع لبيان ان انخراطهم في صفوف الجماعة لايعني أنهم صاروا جزء منهم فالأمر يستلزم الصدق والإخلاص والاعتقاد المطابق للقول مع الدليل والعلم فمن لم يصدق قوله فعله فليس مومنت لأن الله كذب ادعائه وما هم بمومنين

ولأن القلوب اذا تداعت الي الأهواء والميل إلى الدنيا فإنه يمكنه أن يتلون بالوان مختلفه للوصول إلي العاجله ولهذا فإن هؤلاء يصبحون من أنصار مدرسه الشر التي أسسها ابليس الذي توعد بخداع واغواء ابن آدم وبالتالي فهم في معركه وحرب مع الله والمومنون (يخادعون الله والذين آمنوا)

ف الله سبحانه وتعالى يقول لنا انتبهوا من هولاء واحذروا فهم أعداء لله وللمومنين فلا تغفروا بالاقوال وانظروا الي الأفعال فمن يلجا الي الخداع لايمكن أن يكون مومنا بالله لانه لو كان مومن أن له خالقا قادرا لخاف من الله فهو يعلم مافي الصدور ولا يخفي عليه شي فلو كان مومن لإدراك أنه لم يخلق عبثا وأنه سوف يحاسب علي أفعاله فكيف يتصور أنه يستطيع أن يخدع الله والمومنون بإظهار الانتساب الي جماعه المومنين وهو يكن الكفر والعدوه المومنين لبيان انه سبحانه وتعالى يتولي رعايه المومنون من خطر هولاء

الأمر الثاني

كما أن الايه الكريمه ورد فيها الاقتصار علي ذكر ادعاء الايمان بالله واليوم الآخر ونفي ونفي الايمان عنهم و الشعور والإحساس وبالوقوف علي ذلك نجد أنها تهدف إلى غرس الآتي

١

ان فاعليه الامه الإيجابية يكمن في الشعور بالمسؤولية وإدراك ابعاد رسالتها ف الله يخبرنا أن الإنسان مخلوق لمعرفة الله ومحبته وعبادته وتوحيده واقامه الخلافه علي الارض وفق منهج الله وان هذا الإنسان لم يخلق عبثا فهو في سفر ورحله يقطع فيها المسافات الي الله والدار الآخرة وهناك سوف يكون الحساب عن الأعمال التي عملها في الحياه الدنيا ولهذا فإن وضوح الأهداف والغايات أمر مهم لبناء الإنسان القادر علي الاضطلاع بالمهمه و القيام بأمر الله

٢

وان في مسألة الايمان بالله واليوم الآخر تحديد الإعلام التي يقطع بها المرء رحلته وسفره إليها ولهذا فإن المومن الحقيقي ينظر إلي ارضاء الله والنجاه من عذاب اليوم الآخر فهو سوف يحاسب علي كل فعل أو قول يقوم وهنا عليه أن ينظر هل يتطابق القول مع الاعتقاد والفعل مع الهدف والغاية نظره صادرة عن علم وإدراك لا تقليد وهو ما يقتضي الرجوع الي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في كل فعل وقول لمعرفة هل يوافق الشرع ام لا ولهذا يقول لنا الله تعالى أن فقدان هذه المعالم وغياب هذه الأهداف تجعل الشخص يضل الطريق ويعرض نفسه للضياع دون أن يشعر فأخبرنا الله أن المنافقون اتخذوا اعلان الايمان وسيله للمتاجره و الوصول إلى أهدافهم التي للتخرج عن نطاق الشهوات والملذات فهم قد وضعوا لحياتهم تلك الأهداف ولهذا ينظرون إلى الآخرون أنهم اغبياء لانهم يعلمون لله واليوم الآخر فهم لايشعرون بوجود رقابه علي أفعالهم وقد اتخذوا من الخداع الذي هو في الأصل الاخفاء بأن يظهر شي مختلف لما في نفسه فيقال خدع الضب اذا توري واختفي والمخدع يريد أن يظهر أمرا ليخفي أردته الحقيقيه فهو يريد أن يضل من يراقبه فيظهر الخروج من باب ليتخفي في غيره وإن يوهم صاحبه خلاف ما يريد فمن يتعامل مع الله بهذا المنطق لا يعد ذكيا بل هو غبي احمق لانه في قبضه الله وهو تعالي لا يخفي عليه شي

فمن كان ذلك تفكيره فهو لايعرف نفسه ولايعرف ربه وهو سي الاداب كيف يتعامل مع خالقه بهذا المنطق فكيف لا يقدر الله حق قدره

وبالتالي فإن هذا الشخص يجب الحذر منه لأنه يطلق الأحكام دون المعرفة ودون الإحاطة بالاشياء علما قبل الحكم أنه سي التقدير للحقائق فكيف إذا وصل الي مركز القيادة والقرار للامه فإنه سيكون سببا لدمار وهلاك الامه ولهذا فإن اللازم عليكم الحذر من هذا الشخص فهو أن وصل إلى مركز القيادة سوف يعبت بنظام الدولة ومؤسساتها ودستورها وأهدافها ومصالح الجماعه التي رفع أمامه شعارات ومبادئ عظيمة أنه سوف يقوم بتنفيذها وهو لا يومن بها فكيف سيقوم بتنفيذها إذا وصل إلى مركز القيادة والقرار وحصل تعارض مصالحه الشخصية و الأهداف التي يخفيها في نفسه لا بد أنه سيقوم بهدم نظام الجماعه لأجل مصالحه فهذا الشخص في

الحقيقه مخدوع يخدع نفسه فقال تعالي (ومايخدعون الا أنفسهم) وقد استعمل ما الحجازية التي تعمل ليس بلغه الحجاز ف الله يكشفهم المومنين ليعرفهم فيقول احذروا منهم فأمرهم مكشوف لله غير مستور وحالهم معروف فهو سبحانه وتعالى يفضحهم مهما حاولوا التخفي فلا يظنون أنهم ستروا فهو تعالي فضحهم فهم يخدعون أنفسهم بالاماني ويتوهمون أنهم اذكيا فيعيشون في ذلك الخيال فيلحق بهم الضرر وفقدان الاحساس والشعور لانهم كاذبون في ادعاءتهم بالإيمان بالله واليوم الآخر لأن من فوائد الايمان أنه يولد قوه الصبر واليقين الذي هو السكون والاستقرار ومن فقد هذه القوه عاش في اضطراب فاقد الشعور والإحساس فقال تعالي (ومايشعرون)

والسبب أنه عندما تغيب الفكرة معرفه الله ومحبتة وعبادته وتوحيده يبرز الصنم لأن الإنسان يتخذ لنفسه أهدافا لحياته لاختلاف الطبائع وهذه الأهداف لا تخرج عن نطاق الشهوات والملذات وهنا نجد أنه كلما حصل تطور الحياة المادية زاد هذا الإنسان بعدا عن القيم الروحانية لان الانشغال بالمتاع وحب الدنيا يولد مرض الشك و النفاق واصل المرض الضعف والنقصان والشك ولهذا نفي عنهم الشعور بمعنى العلم لا يعلمون ونفي الإدراك لانه فاقد الاحساس فهو أقل من الحيوان لانه يعيش لأجل الغرائز والشهوات فيكون كاذبا ومخادع به فساد في التصور والاعتقاد والإدراك فهو فاقد الاحساس والشعور بالعلم بالحواس لانهم عطلوها ولم يستعملوا اي الجهل لفقدان العلم بالمحسوس فهم في ظلمه لا منفذ لدخول النور الي قلبه لأنها مريضه معلوله لانهم لو كانوا لديهم شعورا لكان نظرتهم الي النعم تكون برؤية المنعم الذي أوجد النعم فيري إبداعه وجماله لانهم لو كان لديهم شعورا بأنهم سوف يحاسبون عند البعث لوقفوا مع أنفسهم عندما يخطر ببالهم خواطر ارتكاب الجريمة بالنظر إليها أنها بمثابة وحش مفترس أو نار حارقه فإنهم لن يقترفوا المعاصي وبهذا يحصلون على الطاقة والقوه التي تمدهم بالقدره علي من الم البعد عن الله لأن أكبر الم هو الم البعد عن الله فهم بحاجة إلى الاتصال بمصدر الطاقة بالإيمان بالله بحاجه الي الاتصال بأن هنالك مخلوقات تشاركك هدف عباده الله مثل الملائكة والشعور أن الإيمان بالله واليوم الآخر فيه القوه الحقيقيه لكن هذه القلوب مريضه فقال تعالي (في قلوبهم مرض)

اي الشك والريبة والظلمات والشهوات والفساد فالمرض هو العله واثبات صفة المرض يعني خروج هذا الشخص عن حد الصحه فهم لديهم مرض الشك والريبة ولذلك شبه حالهم بحال من يخدع سلطانه لبيان فسادهم مبينا أن المرض أصاب قلوبهم بالحيره والضعف والفتور والوهن وعدم الاستقرار ولأن هذا المرض قد أوغل في تلك النفوس فهي يصعب علاجها ولهذا يبين الله لنا أن الله سهل للمرض السيطرة على قلوبهم عقوبة لهم فقال تعالي (فزادهم الله مرضا) لبيان انه استدراج من الله فلم يشعروا أنه تعالي يستدرجهم فاستحبوا بذلك العقاب الموجه لكذبهم فقال تعالي (ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون) فالمولي سبحانه وتعالى يبين المومنين أن عليهم أن يدركوا أن هؤلاء المنافقون يلحقون بأنفسهم الضرر ف الله يتولي المعركة معهم ولهذا قال تعالي (يخادعون الله والذين آمنوا) ريب المومنين بالله بالصله التي تربطهم بالله الايمان ليخبرهم أن قضيتهم ومعركتهم هي قضيتة ومعركته فعليهم أن يطمئنوا فماذا سيكون من مكر وكيد المكذبين اذا كان الله يقف محاربا مع المومنين فمعركه ا ليمان هي معركة الله وفيها تهديد للمنافقون بأنهم لاقوه لهم ولا قدره من اذايه المومنين لأن الله يقف معهم ويدافعهم

الصفه الثانية

من أوصاف المنافقون وأحوالهم التي يخبرنا الله تعالي بها فيها بيان خطوره هؤلاء المنافقون وخطورة هذا السلوك فترسم لنا الايه الكريمة صورته لمعرض عن النصيحة والمواعظ فهم عندما يأتون مافيهما الإخلال بنظام الجماعة و الخروج عن أهدافها ومخالفة الثوابت والقيم والمبادئ وكان تقديم النصيحة والمواعظ لهم كيف يكون رده الفعل منهم فترسم لنا الايه صورته متحركه عن أحوالهم ومشاعرهم النفسية بمواجهه ذلك بالنظرة المعكوسه للأشياء حيث يحاولون تصوير الباطل حقا والحق باطلا فقال تعالي (واذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون الا أنهم هم المفسدون ولكن لايشعرون واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا إنومن كما آمن السفهاء الا أنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) وهذا فيه عده مفاهيم نذكر منها الآتي

المفهوم الاول

ان النصوص تبين لنا اهميه اعداد الخطط في بناء واداره الدولة ومؤسساتها وضرورة الرقابة علي أداء من يدير المؤسسات وتجنب اسلوب التفويض المطلق للفرد وهذا يتضح من خلال الآتي

١

ان النص ابتداء بصيغه المجهول للذين نهوا عن المنكر فقال تعالي (واذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض) وهذا فيه ان الواجب علي الامه عندما يشاهدون المنكر القيام بالنهي عنه وكذلك قال (واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس) لبيان اهميه الاحتساب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

٢

ان من ضمن مايفهم من لفظ البناء للمجهول و اذا قيل لهم لاتفسدوا... الخ

الاشاره الي عموم شرهم وواصفهم في غياب الرقابة وبالتالي فإن اللازم عليكم الرقابة على أداء من يدير المؤسسات لأن ذلك يكشف حقيقه المنافقون الذين اتخذوا من المناصب وسيله للأضرار بالأمه فأحيانا يحصل تسلل هولاء الي المراكز الحساسه لكن الرقابة تفضحهم وهم موجودون في كل زمان ومكان حيث أنهم عندما يكشفون يدعون أن أعمالهم الفاسده فيها الخير والصلاح فدل ذلك أنهم غير قابلين للنصائح وهذا إنما يكون سلوك المنافقون وترك اداره المؤسسات بدون رقابه بايدي مثل هولاء الذين لايقبلون الرقابة يخول المؤسسه الي كيان هش ورموا لايستطيع الصمود والثبات أمام الازمات ولهذا تبين لنا النصوص حاله الشلل النفسي والذهني لهولاء بأن حركتهم خاضعه للاهواء لاتقوم علي خطط ولا تخدم الأهداف العامه وانما تخدم الأهداف الشخصية فحركه هولاء عشوائية غير منضبطه فيحدث اخراج الشيء عن صلاحه واستقامته الي نقيضه وهو الانحراف والفساد و العمران في الأرض إنما يهدف إلي التحسين والاستقرار وهذا لا يكون إلا من خلال فهم الأحكام ووضع كل في محله الصحيح وبالنظر إلى هولاء تجدون أنهم اتخذوا من معصيه الله هدفا للوصول إلى أهدافهم القذرة فرفعوا شعارات الدين لأجل عصيان الله وهم لايقبلون النصائح ويلجأون الي تبرير افعالهم فهم لا يكتفون بنفي الافساد في الأرض بل يصل بهم الأمر الي التبجح بأن أفعالهم فيه الصلاح (إنما نحن مصلحون) فهو لا اذا وصلوا إلى رأس هرم السلطة فإنهم سوف يسعون إلى الانفراد بالرأي ولن يقبلوا اي موعظه فهم لايعرفون بالخطأ ولا يشعرون ب المسؤولية ولايقبلون التعامل وفقا لمقتضي تلك المسؤولية وغياب هذا المبدأ يجعل الشخص عرضة لأمراض توهم أنه عظيم وبناء نظام ديكتاتور يري أفعاله القبيحه أنها فيها الصلاح ويلقي عواقب أفعاله علي الآخرين

المفهوم الثاني

يخبرنا الله أن علينا الإنتباه ومنع وصول المنافقون الي مراكز القيادة فهم يهدفون من ذلك الافساد في الأرض ففي البداية يظهر الصلاح فإذا وصل مثل هولاء الي مراكز قياده اوطان أو أحزاب أو جماعات يظهر فسادهم وأفعالهم التي سبق وأن رفعوا شعارات محاربه تلك المظاهر ورفعوا شعارات ومبادئ عظيمه لأجل كسب المصالح العاجله وبعد ذلك نجد أنهم يرتكبون أفعالا قبيحه تتعارض مع الإيمان ب الله واليوم الآخر وعندما يقوم الدعاه بوجوب النهي عن المنكر فإن هولاء لا يكتفون بالتبرير لأفعالهم القذره بل يلجأون الي التبجح بأعمالهم والمراد بهذا أنهم قد يكون منهم التنكيل بمن ينصحهم والزج بهم في السجون والادعاء أن هولاء العلماء يقفون ضد أفعالهم التي يصورون للناس العوام أن فيها الخير والصلاح يريدون تطويع الشريعه لاهوهم المعكوسه لانه لايمكن ادعاء الصلاح في الأرض في محاربه منهج الله والوقوف بوجه الدعاه والوقوف ضد العدل لايمكن أن يكون ذلك مصلحا في الأرض فهو لا ضمير له والشعور بالرقابة مفقود ويبري أنه لن يحاسب ولايقبل بالنصائح فلا يمكن أن يكون اداه اصلاح في الأرض من يبني مشاريع التخلف والجهل وينشر الشر والفتن بين الناس فقد قال تعالي (اتحلل فيها من

يفسد... الخ

وهذه المظاهر موجوده في الوقت المعاصر ولا يخفى على أحد تلك النماذج التي أصيبت بالشلل النفسي والذهني لمن يعيشون على الخيالات المتناقضه وهم بيدهم راس السلطة فأنت اذا قمت بتسجيل خطابتهم تجد من التناقض ما يخبرك انهم ينظرون إلي الشر أن فيه الصلاح ويحاولون التبرير لذلك واذا بحث الأمر ستجد أنهم متاثرون بأفكار الاستعمار التي تغلت في نفوسهم وحدثت خلافا في الوعي والفهم والإدراك لديهم وضعفا في القراءة والاستنتاج فقد أفسدت العمالة للغرب اوعيه ومستودعات الاستقبال لديهم وهو ما ينطبق مع قوله تعالى (! لا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) فهم فاقدون الاحساس والإدراك وقوه العلم لانهم لم يستعملوا قوه العلم و التميز في إدراك الحق ومعرفه الخير من الشر والحق من الباطل ولم يستعملوا قوه الارده والمحبة في طلب الحق ومحبته لانهم تعلقوا بالسلطه والدنيا فحصل منهم التهاون بالقيم والمبادئ لإرضاء أهل الشر فعشوا في الذل و الهوان وفقدوا الاحساس فهم لا يتاثرون بما يسمعون من مواعظ ولا يمكن اثاره الاحساس لديهم لانهم مثل الميت الذي لا يحس حتي وان سلخت جلده فقال تعالي (فهم لا يشعرون) فهذا قلبه ميت لا يحس ولا يشعر فاعطانا الله تعالي الدلائل علي فقدانهم الاحساس وذكرت النصوص عموم فسادهم فذكر الفساد في الأرض ولم يقل في الدنيا مبينا أن الفساد لابد أن ينكر بمعني أنه حتي لو وصل هولاء فإن الواجب عليكم مقاومه ذلك بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر والحذر من هكذا سلوك لأن من وجد فيه ذلك فهو به صفة من صفات النفاق فالمسلم يقبل النصيحة والمواعظ وعليه أن يراجع نفسه وأن يسأل نفسه عن فعله لماذا فعله وكيف فعله لمعرفة بواعث الفعل هل قصد به وجه الله أم سواه ام حصل خلط الأهواء والرغبات

ثم يسأل نفسه كيف فعله هل هو مشروع ام حرام ثم يقف عند الوسائل المساعدة هل هي حلال ام حرام لينظر هل متبع للرسول صلى الله عليه وسلم ام لا وهل خالف منهج الله ام أنه مطابق له فإذا كانت حلال فينظر هل فيها مفاسد ام مصالح فإذا كان فيها مفسده ترك الفعل وهكذا يحب أن يحاسب الإنسان نفسه وعليه أن يربي نفسه علي ذلك ليمنع نفسه من أن سلوك النفاق وهنا فإنه يقبل النصيحة والمواعظ بعكس المنافع

ثانياً

تبين لنا النصوص حاله ارده التعالي والتطاول بعد ذكر بيان ضرر الجهل بالخير والشر فقال تعالي (واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا إنؤمن كما آمن السفهاء الا أنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) لبيان فقدان قوه المحبه والا رده فالنصوص تبين لنا أن هم يحاولون كسب مصالح من رفع شعار(امنا ب الله وباللهم الاخر) يريدون كسب مقاما زائفا في أعين الناس

ولهذا لابد من الوقوف على مدلول النصوص

١

ماهو ايمان الناس في صيغه (واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس)

ان المراد بهذا الإيمان باليقين الذي لا يخالطه شك ايمان يكون فيه معرفه الله ومحبه وعبادته وتوحيده واخلاص العمل في كل شي لله ولا يتحقق ذلك إلا من خلال المنهج الرباني وأتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فالاخلاص و التجرد لله في العمل يكون بموافقة العمل للشرع اي منهج الله باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم

٢

منهم الناس المذكورين في النص (كما آمن الناس)

ان النص جاء بال التعريف في الناس وهم بعض الناس لاجميعهم فهم كانوا معروفون عند الذين خوطبوا بالايه

والمعنى آمنوا كما أمن أهل اليقين والتصديق بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وماحملة من عند الله تعالى
فالنص فيه التحذير من البدع وأنه يجب الالتزام بما التزام به السلف الصالح فلا تحمل النص ما لا يحمله والنص
فيه بيان منزله الصحابة رضوان الله عليهم فهم معروفون عند الذين خوطبوا بالايه مثل قوله تعالى (الذين قال لهم
الناس أن الناس قد جمعوا لكم... الخ

٣

الرد من هولاء

قالوا انومن كما امن السفهاء)

وهذه الصفه موجوده في واقعنا المعاصر حيث نجد أن الكثير من هولاء الذين وصلوا الي مركز القيادة والقرار في
الدول يرون أنفسهم أهل منزله وذكاء وعلم سواء كانت هذه القيادة كونه أو رئاسه علميه دينيه

فهم بيتدعون علي دين الله وينظر إلى أهل العلم وحمله المبادئ والقيم بأنهم اغبياء وحمقاء لا يفهمون السياسية و
العلوم لا يميزون بين الخير والشر والنافع والضارة

ولفظ السفهاء جمع سفيه وهو الجاهل ضعيف الرأي قليل المعرفه والخبره ولا يقدر علي تمييز النافع من الضار قال
تعالى في سوره النساء (ولاتوتوا السفهاء أموالكم)

والنصوص ترسم صورته حيه يجسد قبح رد هولاء تظهر فيها ملامح وحركات هولاء فقالوا (إنومن) تظهر فيها حالة
التعالي بالتعجب في ردهم بالاستفهام لتتنقل الصورة السامع فكأنه يري هذا المنافق واقفا أمامه يحاول كسب مقام
زائف لنفسه يظهر فيه التعالي ثم التناول بتصوير ملامح الغرور بالتناول علي الآخرين (كما أمن السفهاء)

٤

يأتي التعقيب (الا أنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون)

انهم هم الجهلاء ولكن لا يدركون ذلك فهم جهلا ً باسائه التقدير للأمر وأدخلت التعريف (السفهاء) لبيان أنهم
معروفون بالحقاقه وانهم لا يعلمون بأنهم ضعاف بالرأي والاعتقاد وجهلاء بطابع الحوادث ولهذا يساون التقدير للأ
مور والأشياء والايه تدل على خطأ من قال إن العقوبه من الله لا يستحقها الا المعناد مع علمه بصحة ما كان منه الا
صرار بعدم قبوله

الصفه الرابعه

(واذا لقوا الذين آمنوا قالوا امنا واذا خلوا الي شيطانهم قالوا انا معكم إنما نحن مستهزون الله يستهزئ بهم
ويمدهم في طغيانهم يعمهون اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين)

ان المتأمل لأسلوب تناول النصوص لاوصاف المنافقون وما فيها من تنوع وصف أحوالهم يجد أنها تضمنت مزج
صور النفاق لتشمل المنافقون الذين التحقوا بصوف الاسلام وهم كاذبون ومزجتهم باليهود في حاله امتلاك القوه
الماديه من خلال الاشاره الي أوصاف لها صلح باليهود الذين كانوا يتمتعون بقوه ماديه لانهم كانوا ينظر إليهم أنهم
أهل علم بالاديان ويدعون أنهم يومنون بالله واليوم الآخر فرسمت النصوص كذب هولاء مبينه كيف أنهم يدعون
احتكار العلم والمعرفه وهم جهلاء وكذلك يكون حال المنافقون في حاله القوه مثل ابن أبي

والنصوص ترسم لنا مشهد متحرك بين امتزاج المنافقون باليهود لترسم صورته التآمر والضعف والجبن فيهم في -

اله الضعف اذا فقدوا مصادر القوه (واذا لقوا الذين آمنوا) فهم ضعاف جنباء لايجرؤون علي مواجهه المومنين فقال
تعالى (قالوا امنا)

*

وتبين لنا صورا لحاله التآمر والخبت لدي هولاء الجبناء فقال تعالى (واذا خلوا الي شيطانهم قالوا انا معكم إنما
نحن مستهزون)

فاستعمل المولى سبحانه وتعالى واذا خلوا... الخ للإشارة الي التآمر والتخطيط منهم ضد الإسلام فلفظ الخلوه
يدل على البعد عن الأنظار فيكون المعني إذا خلا المنافقون الي اصحابهم من الكفار واليهود فإنهم يسخرون من
المومنين

واستعمل لفظ (الي شيطانهم) ولم يقل لشيطانهم) مع ان الجاري بين الناس في كلامهم استعمال خلوت بفلان
أكثر من خلوت الي فلان

فأراد بهذا شد الإنتباه إلى أن الخلوه هي لامور خاصه محده ذلك أن قولك خلوت بفلان تحتل معنين أحدهما
الخلا به لحاجهوالثاني السخريه به

أما خلوت الي فلان أي خلوت إليه في حاجه خاصه لايحتمل اذا قيل كذلك الا الخلا إليه في قضاء حاجه

فكان استعمال الي أكثر فصاحه لمنع الالتباس الذي يمكن أن يكون من استعمال بشيطانهم

والمعنى وإذا خلو مع شيطانهم فإنهم يقولون (انا معكم)

اي علي ماانتم عليه من التكذيب ومعاده الاسلام والرسول صلى الله عليه وسلم والنصوص ترسم لنا صوره حيه
تجسد المشاعر والأحاسيس قول المنافقين مع شيطانهم انا معكم بصيغه الجمله الاسمية بينما استعمال في
خطابهم مع المومنين (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا امنا)الجمله الفعلية لأن الجمله الاسمية اثبت من الجمله الفعلية
ليبان ان إيمانهم كاذب لايعدوا أكثر من تحريك اللسان أو مده آباءهم بالمومنين

وان ركونهم الي شيطانهم دائم ومستمر فنفسهم مرتبطه بالكفر ارتباطا قويا فاستخدم الجمله الاسمية لأنها
مناسبة لحالتهم لتحمل السامع علي رؤيه صورتهم القبيحه كأنهم ماثلون أمامه

يشاهدهم وهما يتباهون بادعاء الذكاء (إنما نحن مستهزون)اي نلعب عليهم فهم بسطاء لايفعمون اننا نسخر منهم
بما نضحك عليهم من إظهار التصديق والايمان ونحن غير مصدقين وانما نضحك عليهم بإظهار مايرضهم ونحن
في الباطن لانقبل به

*

تمضي سياق النصوص بسرد حقيقه سخافه المنافقون وأحوالهم فقال تعالى (الله يستهزئ بهم ويمدهم في
طغيانهم يعمهون)

وهذا التركيب الجمله قادر على إيصال الفكره الي الناس حيث نجد أنها لم تأتي معطوفه علي شي من الجمل
السابقه وانما هي جمله مستانفه والحال أن استهزأ الله تعالى بهم وخذلانه لهم أمر سوف يلحق بهم سواء خلو الي
شيطانهم ام لم يخلوا فالله يسخر منهم و يستدرجهم ويملي لهم ويزيدهم علي ماكان منهم من الشر زياده
فاستعمل (ويمدهم)ذلك أن ماكان فيه زياده الشر يقول مددت أما ماكان زياده الخير يقول امددت

والمراد هنا انه يزيدهم من الشر علي وجه الاملاء الذي يزيدهم لما كان من أمرهم والغرور (ونقلب افئدتهم
وابصارهم كما لم يؤمنواالي قوله اول مره ونذرهم في طغيانهم يعمهون)

والمعنى اذا أنه يفتح لهم ابواب الطغيان والتجاوز في الحد

بالانتقال من طغيان الي طغيان ومن نجاسه الي نجاسه

والعمه:ـ

التردد والريب من العمي لانه يذهب النور عن العين وهو لا يطلق الا علي الخطا في الرأي حيث أنه يزين لهم
أعمالهم القبيحة فيراها جميله فهم وان وصلت المعلومه إليهم سليمه لا يستطيعون فهم وإدراك مافيها لسوء الفهم
والإدراك لديهم فإذا غابت المعلومه حصلت الحيره واللامبالاة والاضطراب وان وجدت المعلومه فهم لا يفهمون
المراد منها ويعيشون في قلق وحيره أما المومن فهو مطمئن وقابل باختيار الله

*

تأتي النصوص لتبين لنا أن هولاء هم من تسببوا بذلك الخذلان فقال تعالي

(اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين)

والمعني أنهم تركوا الايمان واستبدلوا الكفر به عوضا عن الإيمان واستخدم لفظ البيع والشراء لبيان ان الايمان كان
في متناولهم أي أنهم كانوا مومنين فحصل منهم الترتك له واشتروا مقابل ذلك الكفر والضلال اللذان اخذهما
كمقابل عن الهدى فكان الثمن هو ترك الهدى لبيان قبح حالهم وصفقاتهم فهم كانوا قد آمنوا فقالوا (أما ب الله
وباليوم الاخر) بالدخول بالإسلام لكنهم لم يكونوا قد استفادوا من نور الايمان ولا دخلوا حقيقه (وماهم
بمومنين)ولهذا قال اشترؤا لأن لفظ الشراء لهم معاني متعددة فقد يكون أخذ شي بترك شي وقد يكون بمعني الا
ختيار فهم أخذوا الضلاله وتركوا الهدى لأن كل كافر مستبدل بالإيمان كفرا لاكتسابه الكفر الذي وجد منه بديلا عن
الإيمان الذي أمر الله به فقال تعالي (ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل) وكذلك حال الكافر و
المنافق استبدال بالإيمان الكفر وبالحقيقه الكذب وبالخق الباطل وبالهدى الضلال وهذا يسلب النور الرباني فيعيش
في ظلمات الجهل والضلال

(فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين)

انهم بشرائهم الضلالة مقابل ترك الهدى خسروا ولم يربحوا لأن الرياح من التجار المستبدل من سلعته المملوكة بدلا
بما هو أنفس من سلعته وافضل

لكن هذا استبدل سلعته بما فيه الهلاك ودون الثمن العوض فمن ترك الهدى هو الخاسر لامحاله لانه اختار طريق
الحيره والضلال والعمي والخوف بدل الرشاد والهدى والأمن والسلامة فقد اختار طريق الهلاك والخسارة

ثانيا

تستمر النصوص في ذم حال المنافقون لتحذير من هذا السلوك القبيح ولأجل أن تغرس في النفوس قوه النفور من هكذا تصرفات فترسم للذهان صور تعبر عن مظاهر قبيحه لحالهم فنجد أن النصوص تأتي بالامثال المضروبه التشبيه حال المنافقين من عده أوجه

الايه والمثال الاول

(مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون) وقد ذكر المفسرون أمور كثيرة عن ما ذكر في هذه الايه وماتلاها وأفضل ما قرأت عن ذلك ما طرحه ابن القيم رحمه الله تعالى ولذلك فقد أخذت عنه وعن البقيه أيضا في تناول هذه الآيات والتي قمت بطرح المفاهيم والدروس التي يمكن استنباطها من ذلك من خلال الوقوف على الاتي

الأمر الأول

ضرب الله هذا المثال الذي شبه فيه حال المنافق الذي انخرط في صفوف المسلمين وخالطهم في الماكل والمشرب والمناكح وعاش فيهم وعرف نور القران والايمان لكنه لم يفقه ولم يفهم مراد الله ولم يدرك اهميه مافيه من نور وضوء بأنه مثل الذي استوقد النار الذي يحصل بها الإضاءة والاشراق وسط الظلام الحالك فيري مايتقي من اذي فيعرف اين يضع قدمه فلا يصيبه اذي ..حتي اذا هبت رياح أو مطر أو ما شابه ذلك فاطفي هذه النار فإنه يجد نفسه في ظلمه الليل فكيف يمشي وهو لا يدري اين يضع قدمه في ظل هذا الظلام الحالك

فكذلك هو حال المنافق الذي عرف الايمان ونور القران ولم ينتفع به لضعف هذه العقلية المصابه بالسفه وضيق الأفق لديه وفساد تصوراتهم وأفكارهم لانه لم يستعمل حواسه وقام بتعطيلها

يقول لنا الله تعالى أن هذا يسير في طريق مظلم لا يعرف اين يضع قدماه فلا يدري هل يضعها فوق هوام وثعابين أو اشواك او قذورات لا يدري اين تنتهي به الرحله فهو في ظلمات لا يري اتجاه مساره

فهو أن كان لديه إذن يسمع بها فهو أصم لانه عطلها ولم ينتفع بها في سماع الحق وأن كان يسمع بها غيره فأنت لو قلت لشخص أن هذا الطريق خطير جدا لان فيها وحوش مفترسه فلا تمشي فيه فانه ينتفع بما سمع ولا يسلك هذا الطريق الا اذا كان إصم لم يسمع ماقلت له فإنه يمشي فيها والمراد بهذا لفت الإنتباه الى تأثير الحيدان عن الحق ب الميل الي الشهوات والغرائز الحيوانية الذي يجعله في سكر لا يعي مايقال له

وهو أبكم اي غير قادرا على الكلام لانه لم يتكلم في الحق وأن كان قادرا علي الكلام في غيره والمراد بهذا لفت ا لإنتباه إلى أن الجدل معه غير مجدي لانه يجادل من أجل إظهار قوه الجدل لا الرغبه في رؤية الحق فهو اعمي لا يري لانه لم يري الحق ولا يريد رؤيته وأن كان يري غيره لانه اصبح التنازع والشقاق له سلوك فهو قد دخل نفق مظلم لا يستطيع الخروج منه يظل يتبخط فيه لا يجد مخرج هذا النفق ولهذا قال (لا يرجعون) انهم يستحيل عودتهم إلى الحق فقد جمعوا خصال الكفر كلها بعد رؤية الحق وتذوقه

الأمر الثاني

ان عليك اخي الحبيب أن تفهم حقيقه هؤلاء الصنف المخذول فهم سوف يتكروون في كل زمان ومكان ومن امثال هؤلاء في طغيانهم وادعاءهم الإيمان وقلوبهم منكروه له في الوقت المعاصر من يحمل فكره الدعوه ثم يصطدم بالتحديات فيكون منه الانسحاب من ثم يذهب لتبرير سقوطه في مواجهه من يطلب منه النظر إلي ما كان لدي السلف من سعادة وتمكين ورخاء فيقول أن الله خصهم به وحدهم لتكون تلك النظرة سببا لعدم التفكر في كتاب الله ليري أسباب ومسببات السعاده والتمكين التي اوصلتهم الي العز فهذا لم يفهم مراد الله تعالى ولم

ينتفع من شمس المعرفة لانه لجأ إلى التقليد وبني عقيدته علي الاماني كما فعل اليهود عندما قالوا(لن تمسنا النار إلا أياما معدودة

فهذا مثل الذي بذل الجهد وطلب استوقد النار فقام بايقادها

بعد عناء وجهد ولهذا نجد التعبير عن قيامه بايقاد النار جاء بالسبين (استوقد) لأنها تدل علي بذل الجهد والطلب فلم يقل أوقد ...

فهذا قد أهدر جهده وسعيه لانه لم يبني عقيدته عن علم ويقين فقد انطفت عنه شمس الانذار لضيق الأفق لديه وانحرف في الطريق بالتعمق في الاوهام وترك الاخذ بالاسباب فدخل نفق مظلم فلا يمكنه الخروج منه ولا العوده الى النور

فهو قد سقط عنه الوعي وامثال هولاء دعاه القوميه اليوم والحزبية الضيقه التي صارت لدي البعض هدفا وغاية وليس مجرد وسيلة فهو فقدوا النور واصيبوا بالحرمان من نعمه الاضاهه بمثل من ذهب عنه الضوء نتيجة الرياح أو غيرها لأن سقوط الوعي والتقليد والغرور والتعصب تطفي النور وتذهب الضوء فلا يعود

الأمر الثالث

ان المولي سبحانه وتعالى يريد من ذكر المثل وهذا التنويع في الخطاب التحذير من سلوك المنافقين وتزويد المومنين بأدوات تشخيص الامراض والعلل ليكون قادرا علي اختيار العلاج المناسب ولمنع حاله الرضي بالعلل فكان ضرب المثل بالاشياء المحسوسة القريبه من المخاطبين لقياس أحوالهم وظروفهم أو للمسارعه في تلافي الأخطاء التي يصعب بعد ذلك تدركها نظرا لأن امراض المجتمعات تكون إما للرضي بالعلل كما ذكرنا في البند الثاني من هذا أو للعجز وعدم القدرة على تشخيص الامراض والعلل ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يذكر لنا حال القلوب المريضة التي لم تقدر النور بأنها فاقدته الضوء لعدم وجود محل تستقر فيه فتركهم في الظلام الحال ك

فأخبرنا أن عله هذا الصنف المخذول وتشخيص داء هذا المريض اذا اردت معرفه ذلك فعليك أن تقيس حاله بحال مستوقد النار الذي يستضي بنورها فتزول عنه الظلمه فإذا انطفت ذهبت الاستضاءه وانتفي انتفاعه والسبب أن مستوقد النار هذا لم يمدّها بالوقود الذي يمدّه بالضوء فهو يفقد الضوء وكذلك حال المنافق لم يمد قلبه بالإيمان الذي يزيد وينقص فقد انطفي النور من قلبه وزال عنه الضوء فلم يزوده بالوقود فعش في ظلمات الحيره والضلال وسقط عنه الوعي وتعطلت لديه ادوات الاستقبال للعلم واصابه ضعف القراءة والفهم والإدراك فهذا يستحيل عودته الي الحق فلا هدايه له الي النور فقال تعالي (صم بكم فهم لا يرجعون)

لبيان ان هذا الشخص قد أصابه داء الرضي بالعلل فهذه هي مشكلته فكان ذلك عقوبة لهم ولهذا فلا امل بعودتهم الي الحق وأكد ذلك بقوله (ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون)

لبيان ان ذلك كان عقوبة لهم فاستعمل ذهب الله بنورهم) ولم يقل اذهب لأن لفظ اذهب تحدث لبس لدي السامع بأنه يمكن عوده الضوء لكن لفظ ذهب تعني أنه استصحبه وامسكه عن الرجوع الي الخاله الاولى فكان المعني واضحا ان اخذ الضوء عنهم وامسكه هو عقوبة لهم لأنهم لم يقدروا ما حملة إليهم القران حق تقديره وهو مثل ضيف عزيز كريم اذا لم يجد الحفاوه والآداب والاحترام والاهتمام منك فإنه يذهب عنك فلا يعود إلي من لم يقدره

وأكد ذلك بقوله (وتركهم في ظلمات لا يبصرون)

والترك يعني الحرمان من الرعايه والعنايه الخاصة التوفيق والنجاح والفلاح والسداد وجاء لفظ ظلمات بالتنكير للإشارة إلى أن السبب الرئيسي هو تعدد الظلمات منهم من ظلّمه الجهل وظلمه الحيره والقلق والفساد وعدم قبول

الحق وعدم رؤية الصواب وعدم القابليه لسماع الحقيقه فهم يعيشون في تلك الظلمات لتأكيد الحرمان من الضوء وعدم رجوعه إليهم مره اخرى ولبيان أنهم راضين بتلك الأمراض فيهم ولهذا تركهم فهم لا ينظرون الي ما فيهم من الخيانه والجهل والكذب والفساد علي انها علل فهم نتيجته لمرض الرضي بالعلل قد عطلوا ادوات تشخيص الا مراض والعلل ولهذا نجد أنه نفي عنهم السمع والبصر والكلام وهذا لا يتعارض مع قوله تعالى (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم..) والتي يراد بها أخذ الحواس الظاهرية العين والاذن

اما في الايه محل النص فالمعني أنهم صم عن سماع الحق وبكم عن الكلام بالحق وان تكلموا وسمعوا بغيره وهم عمي عن رؤية الحق وأن روا غيره وهو متعلق يعمي البصيرة.... الخ

الحواس الباطنه ولأنهم عطلوا الحواس الظاهره ولم يستعملوها لما خلقت لأجله وهو معرفه الله ومحبتة وعبادته وتوحيده والتي توجب عليهم جعل كل ملكاته وحواسه مفتوحه كي يدخل إليها نور الله لتقوم بما خلقت لأجله وتؤدي الدور المناط بها وبالتالي فإن عدم استخدامها يعني أنه لاعمي لها كما قال تعالي في سوره الحديد (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا أنظرونا نقتبس من نوركمالي قوله (قالوا الم نكن معكم قالوا بلي ولكنكم فتنتم أنفسكم الخ فدللت النصوص أن مصدر النور من الدنيا وهو العمل الصالح الخالص لله للرد علي قولهم الم نكن معكم ...اي كنا نصلي ونصوم مثلكم

الامثال الثاني

(أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في اذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بك الكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم أن الله علي كل شي قدير)

ان النص فيه تشبيه حال المنافقين في استقبال القران الكريم بمن في الصحراء جالسا فنزل من السماء (الصب) اي المطر الهاطل الهاطل النازل من السماء والمراد به هنا القران الكريم النازل من السماء وان هذا المطر هطل مصحوبا بأصوات الرعد ولمعان البرق التي يراد بها ما في القران من وعيد وتحذير من عذاب النار اي الانذار فالقران يكون مصحوبا بالانذار للمكذبين والتبشير للمومنين والمطر يكون فيه بشاره خير المطر وفيه اصوات الرعد المخيف وكذلك يراد بلمعان البرق الحجج والبراهين التي يحملها القران الكريم للناس لترسم لنا الايه الكريمه حركه التيه والاضطراب والقلق والتوتر النفسي والذهني لدي المنافقون وهم يستمعون إلى القران وما فيه من الوعيد ترسم حالهم عندما يلقوا المومنون فيقولون أنهم آمنوا وحالهم عندما يكونوا في الخلا مع شيطانهم ينفون علاقتهم بالمومنين

فهم في حاله نفسيه مضطربة مذبذبين في ضوء وظلمات فإذا أضاء لهم القران بكلماته انتفعوا بها بإعلان الاسلام الذي كان لهم به عصمه الدم والمال بقول لا اله الا الله واذا رجعوا إلى شيطانهم خيم عليهم الظلام واصبحوا حائرين كيف يتصرفون والنص ورد فيه استعمل الكاف للخطاب(أو كصيب) فحذف المثل لأن ما سبقه (مثل الذي استوقد ناراً) فحذف مثل اكتفاء بدلاله ما مضى من الكلام ايجازا واختصارا

فذكر نزول الماء من السماء والذي يكون به حياه الارض مثالا مضروبا للقران النازل من السماء وفيه حياه الأرواح وهو يزيل الظلمات ف الله يقول إن مثل المنافقين عند نزول القران مثل من هو في ظلمات الصيب فهم في ظلمات الكفر والشرك والجهل والنفاق وحب الدنيا وحذر الموت والخوف من المومنين فهم في اضطراب وقلق مثل من يجعل أصابعه في أذنه من الصواعق حذر الموت فهؤلاء لا يريدون أن يسمعون آيات الوعيد والانذار من عذاب النار فاستعمل لفظ وضع الاصابع في الأذن لبيان ان ذلك أثرا من اثار الذعر والهلع الدائم والخوف الذي يعيشه المنافق

من انفضاح امره

يقول لنا الله أن المنافقون مصابون بالهلع وضعف القلوب والخوف من الموت ولقاء الله فإذا سمعوا الوعيد والانداز في القرآن جعلوا أصابعهم في آذانهم لخوفهم من حلول العذاب العاجل المهلك الذي تولده بساحتهم كما يفعل سامع صوت البرق أصابعه في آذنه حذر العطب والموت خوفا على نفسه أن تزهد من شدة صوت الصواعق فجاء التعقيب (والله محيط بالكافرين) أنهم في سلطان الله وقبضته فهو جامعهم فلا يستطيعون الفرار منه

مبيناً أن حاله الشك ومرض قلوبهم بعد أن حصل منهم الإقرار بألسنتهم بـالله ورسوله فقال (يكاد البرق يخطف أبصارهم)

فالإيه ترسم شدة لمعان البرق فهو يكاد يأخذ أبصارهم بسرعه فائقه نتيجة شدة ضوءه ونور شعاعه فالخطف يعني الأخذ السريع حيث يطلق على سرعه الطائر أنه خطاف لسرعه أخذه

والنصوص تبين أنهم لا يبصرون حال أن سرعه ومضات النور الحجج والايات تظهر بسرعه وتختفي بسرعه لأن المخل غير صالح لاستقبال نور الايمان فقال تعالى (كلما أضاء لهم مشوا فيه)

بأن لمعان البرق الذي هو مثلاً لايمانهم كلما أضاء لهم عندما يرون ما يعجبهم في عاجل دنياهم من النصر علي الأعداء وأصابه الغنائم في الغزوات والفتوحات والثراء بالاموال والسلامة في الأبدان والأموال والأهل فإن تلك الأضياء تجعلهم يظهرهم بألسنتهم ما يظهرون من الإقرار ابتغاء المنافع لأنفسهم وأهلهم وذويهم كما قال تعالى في موضع آخر (ومن الناس من يعبد الله علي حرف فإن أصابه خير اطمأن وان إصابته فتنة انقلب على وجهه)

فذكر المولي سبحانه وتعالى المشي وهو السير في ضوء البرق دون الإسراع فقال (مشوا فيه) لأن المشي اذا اشتد كان سعياً واذا اشتد السعي كان عدواً فذكر هنا أن الحركة مشي لأن ايمانهم واقرارهم كان تماهياً مع ما أعجبهم في عاجل دنياهم كما أوضحنا فهم يمشون ببط كما يمشي السائر في ظلمات الليل

ولأن الأحوال التي تعجبهم منقطعها فاستعمال البرق لأنها تعدو وتروح فقال إن حالهم مثل حال الذي يمشي علي ضوء البرق فإذا جاء مشي وإذا توقف للمعان توقف عن السير فهذا هو حال من جعل عقيدته تقوم علي المصلحه فإذا وافق عاجل منافعهم مشوا في طريق المومنين وإذا وقع الابتلاء والامتحان توقفوا عن حمل الفكر وانسحبوا من حركه العمل الإسلامي فهم في حيره وتردد خائفين من الابتلاء والامتحان وبنفس الوقت يخافون من ظهور أهل الحق وحصول العز والتمكين لهم أنهم حينها سوف يحرمون من ذلك الخير

انهم في حيره وتردد من خوض المعركة ضد الباطل ولهذا اذا اشتدت قوه الباطل فإنك تري أناس يسرعون مهرولين نحوه أو يبادرون الي الانسحاب من مقاومته ويقبلون بسياسة الأمر الواقع ويتخلون عن الأهداف والغايات العليا ويتساقطون عند أول امتحان ويصبحون أعوان لاهل الشر

فهم قد عطلوا الحواس فقال تعالى (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم)

وخص المنافقين بهذا التهديد بسلبهم الحواس الظاهره السمع والبصر لوشاء دون سائر العباد وذلك لارتباطهما بقوله تعالى (يكاد البرق يخطف أبصارهم) ولقوله (يجعلون أصابعهم في آذانهم)

فهم عطلوا الحواس ولم يستعملوها لما خلقت لأجله في سماع الحق ورؤية الحق ولهذا لو شاء الله لسلبهم اسماعهم وابصارهم التي عاشوا بها في الناس ولهذا عقب بذكر كمال قدرته علي سلب المنافقين اسماعهم وابصارهم (أن الله علي كل شي قدير)

حيث نجد أنه سبحانه وتعالى أكد قدرته علي ذلك بالجملة الاسميه أن الله وبلطف الجلاله لبيان انه لا يعجزه شي

ان الآيات فيها بيان حاجة القلوب الي الحياه والنور فهما عناصر صلاح القلوب ومادته

وان القلوب مثل الأرض ذلك أن الأرض تموت اذا فقدت الماء ولهذا فهي بحاجة إلى الماء الذي يبعث فيها الحياه وكذلك فإن القلوب بحاجة الي النور الذي يولد النور والإضاءة في القلوب لازاله الظلام الحالك (وكذلك اوحينا اليك روحا من أمرنا ماكنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا الخ

وهنا ذكرت النصوص حاله القلوب المريضة التي لم تقدر فائده القران مصدر النور الرباني الذي يضي الطريق أمام القلوب لرؤيه الحقائق فالقلوب هي يقطع بها المسافات الفاصله بينها وبين ربها

فإذا كان محل استقبال النور مريض معلول غير صالح كي يستقر فيه نور القران فإنه لاينتفع من هذا النور ولهذا جاء التحذير من سلوك المنافقين واعطانا الله هذا المثال المضروب لنتجب تلك الأفعال ولهذا جعل الخبر عن الواحد مثلا يشمل جماعه المنافقين فذكر المستوقد الواحد وسبقها بقوله (مثلهم) فاستخدم الهاء والميم كناية علي جميع المنافقين فالمراد من الخبر ذم المنافقين والتحذير منهم فذكر أن مثل استنصاتهم بما ا اظهروا بألسنتهم بالاقرار ب لا اله الا الله وهم في الباطن كاذبون لبيان ان هذا مثال لاوصاف متعددة المنافقون وأحوالهم والمعني أن يكون المطلوب الاهتمام باللاوصاف دون الأعيان فأراد تمثل أفعال الجماعه من المنافقين بمعني واحد بفعل واحد ليكون هذا نموذجا يوصف حال المنافقين الي قيام الساعه بأنهم يرون الحق حتي إذا خرجوا من الظلمات اطفئوه بكفرهم فهم مثل رجل كان في ظلمه فاوقد نارا فاضاء له ماحوله فابصر الاذي والقذي وفيما هو كذلك إذا طفيت النار فأقبل يمشي وهو لايعرف ولايدري ما بقي من اذي

ليقول لنا أن من اوغل في النفاق والشك وظلماته لايعرف نور الصباح ولايجد المخرج فيعيش حائرا يتخبط في ظلمات الجهل والريب والشك والحيرة... لأن حياتهم كلها فساد في فساد فهم يعيشون في فساد التمويه وفساد التقليد وفساد الثقه بالطغاه والمستبدين فساد في حب الانقسام والشقاق فساد العناد ولهذا نجد ذكر فقدان الشعور لهؤلاء في موضعين ونفي العلم عنهم في موضع آخر لشد انتباه المخاطبين الي أن الإيمان لايتحقق الا ب اليقين والتحذير من خطوره النفاق وايضا التحذير من سلوك النفاق

القسم الثاني من المقطع الاول

يايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون وان كنتم في ريب مما نزلنا علي عبدنا فاتوا بسوره من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)

المقدمه

لما كان الموضوع الذي تدور حوله السوره هو اصول العلم وقواعد الدين وكيفيه بناء الدولة ومؤسساتها واقامه الخلافه بمفهومها الفردي من خلال إعداد وتربية الإنسان الفرد ليكون خليفه وكذلك اعداد المجتمع المسلم الذي يحقق الخلافه بمفهوم الجماعه والدوله ولذلك نجد أنه بعد أن تناولت النصوص في القسم الاول من المقطع أصناف الناس المومنين والكفار والمنافقون وذكرت أحوالهم واوصافهم في جمل خبريه وبعد الانتهاء من ذكر أحوالهم واوصافهم ثني الله تعالى بالجمل الطلبيه والتي تضمنت الآتي

اولا

ابتدأ بالجمله الطلبيه التي جاء الخطاب فيها موجه للناس كلهم

دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له فقال تعالى (يايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون)

ثانيا

ثم ذكر الدلائل على ذلك من فراش الأرض وبناء السماء وانزال الماء وإخراج الثمرات رزقا للعباد فقال تعالى (الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون)

ثالثا

ثم قرر الرساله فقال تعالى (وان كنتم في ريب مما نزلنا علي عبدنا فاتوا بسوره من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا...الخ

رابعا

ثم ذكر الوعد والوعيد فقال تعالى (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات...الخ

خامسا

ذكر مبدأ الفوز والضلال (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا...الخ

سادسا

أشار إلى ما بثه في العالم من انعام وماله من الخلق والأمر (كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا...الخ

ولهذا سوف نتناول المفاهيم والدروس التي يمكن استنباطها من خلال الوقوف على مدلول النصوص علي هذا

الترتيب

أولا

يايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون)

الأمر الأول

ابتداء النص كما أوضحنا بالجملة الطلبية التي جاء فيها النداء الرباني الي الناس جميعا بمناسبة ذكر أصناف الناس المومنين والكفار والمنافقون وأحوالهم بجمل خبريه جاء الخطاب موجها الانسانيه كلها (يايها الناس) فامر المومنين بطاعته وزيادة العبادة والاستقامة وأمر الكفار بالتوحيد والايمان وأمر المنافقين بالاخلاص وبالتالي فإن عموميه الخطاب الموجه الانسانيه كلها فيه نفي لمن ذهب للقول إن الخطاب في مكه كان يستعمل يايها الناس..وان الخطاب في المدينة كان يايها الذين آمنوا فهذا القول غير صائب لما سبق ذكره ولأن السوره نزلت ب المدينة المنورة وقد عرفنا من مناسبة ارتباطه بما قبله أنه موجه لجميع الناس وهذا فيه بيان عده مفاهيم نذكر منها الآتي

المفهوم الاول

ان النصوص فيها الدعوه الى جميع الناس في كل زمان ومكان فهو خطاب يجب أن نشعر أنه موجها لنا في هذا الزمان وخطاب موجه للأجيال القادمة الي قيام الساعه وفي كل مكان يدعوهم فيه الي معرفه الله ومحبتة وعبادته وتوحيده يعلمنا كيف يكون منا مخاطبة الجماهير بالحوار في الدعوه الي التوحيد ولهذا نجد أن هذه الجملة الطلبية جاءت بعد أن بيان اصناف الناس بجمل خبريه ذكرت فيه أن هنالك صنف قد احتقر نفسه والغبي عقله عندما أشرك بالله وعبد احجار واصنام ومنافقون مذبيين عطلو ادوات العلم فهؤلاء قد حرموا أنفسهم من أعظم المزايا الانسانيه وتخلوا عن صفات الإنسان فأصبحوا ادني منزله من البهائم والحيوانات لانهم الغوا عقولهم ب التقليد ووضعوا أسلافهم في التعظيم والفخر بهم بمنزله الربوبيه فجعلوها الهه تعبد من دون الله

فجاء الخطاب عاما يطلب فيه حضور الناس وعودتهم الي انسانيتهم واستعمال عقولهم والتفكير في القران ومافيه من دلائل للعودة الي الصواب مبينا أن الاهتداء بالقران فيه الارتقاء بالإنسان الي اعلي المراتب وأول هذه المراتب هو استعادة انسانيتهم التي فقدوها بعباده الأصنام والنفاق ثم يرتقي إلى إنسان أخلاقي ثم انسان رباني بما يغرس في النفوس من اداب ومشاعر يحترم فيه حقوق ربه والاخرين فالاهتداء بالقران له علامات تدل علي اثر امتثال أمر الله تعالى فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول ادبني ربي فأحسن تأديبي

فالقران فيه اداب وارشاد ينتفع بها من ترك التقليد وقام بأعمال عقله وفكره بتدبر آياته وفهم معناه وتجاوز عقبات القصور والكسل والشهوات والكبر العصبية والاستعلاء للوصول إلى الهدى وذلك يكون بالتقوي والتي يتفاوت فيها الناس وهو مايتنافس المتقون فيها

المفهوم الثاني

ان المولي سبحانه وتعالى يعلمنا اهميه الحوار والخطاب الجماهيري بانتقاء ألفاظ قادره على الوصول إلى المشاعر والأحاسيس الداخلية للإنسان ليحصل الاستجابة والاقتناع فنجد النداء يايها الناس)

يدعوهم فيها العوده الي انسانيتهم وعقولهم كما أوضحنا وفي تلك الصيغه اشعار للمدعو بالاعتناء بأمرهم والحث عليه وتكليف بالحضور لأمر يستحق الحضور والاهتمام فاستعمل (يا) وهذا فيه اشعارا أنهم هم المقصودون بالنداء وهذا فيه هز القلوب الي الاصغاء وشد الأذهان للإنتباه فاستعمل (الهاء) للتنبيه بأن النداء موجه لمن لديه ذره إنسانية بأن عليه أن يعبد الله وحده

المفهوم الثالث

ان عموميه النداء لجميع الناس ليشمل المومن والكافر والمنافق بالدعوة الي عباده الله تعالى وحده لا شريك له فيه التنبيه لنا معشر المومنين أن نحافظ على الفاعليه الإيجابية بالابتعاد عن الأفق الضيقه من العصبية وغيرها فعلينا الابتعاد عن كل المقدمات التي من شأنها تقويه العصبية مثل القوميات والمناطقية...والطبقية....فالناس سواسيه وانت مكلف بحمل الدعوة في كل مكان وايضا أن ذلك فيه اخبار لنا من الله تعالى أنه قد اعطي الناس من الشكل والتركيب والقدرات مافيه المساواه لجميع الناس دون استثناء

فجاء النداء باسم الانسانيه اي باسم العقلاء أصحاب المروه وحسن المعاملة وصدق التعامل فهذه الأوصاف لازمه لانسانيه لأن غيابها تولد وحوش مفترسه وبهائم ولهذا جاء النداء موجها الي من مازال موصوفا بالإنسانية أن يتراجع عن الغفلة ويستيقظ ويعود إلى دين الفطرة وهو التوحيد وعباده الله وحده

فالخطاب يعلمنا أن علينا استخدام أسلوب الحوار في الدعوة ولهذا نجد أنه فيه تنبيه الغافلين وتعريف الجهلاء بضرورة معرفه الله ومحبه وعبادته وتوحيده لأن الابتعاد عن التوحيد يسقط الإنسان في الحضيض ويفقده التكريم والمنزله فيكون أقل مكانه من الحيوانات

الأمر الثاني

ان مايشد الإنتباه هو أن الأمر الإلهي جاء فيه إلزام الناس بعباده الله وحده فقال تعالى (اعبدوا ربكم)

حيث ذكر اسم الربوبيه (ربكم)واضاف لذلك صفة الخالق (الذي خلقكم والذين من قبلكم)

وهذا فيه الآتي

١

ان عباده الله تعالى وحده لا شريك له تتطلب معرفه المعبود ومحبه وتوحيده وذلك لأن المشركون كانوا يقررون بربوبيه الله (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله)ولكن يشركون في الاعتقاد بربوبيته والوهيته من خلال الأصنام التي ينسبون لها النفع والضرر وايضا نجد في هذا الزمان من يعترف بربوبيه الله بل انه يصلي ويصوم...الخ لكنه يرفض القبول بمنهج الله أن يحكم الحياه ... ولهذا نجد أن النصوص قبل أن تخاطب اولئك الكفار في زمن الرسالة هي تخاطبك انت في هذه الساعه والدقيقة والثانية واللحظه التي تقرأ فيها هذه السطور تقول لك أن العباده والإقرار لله بالربوبيه ليست مقصورة على الاعتراف بها ونطق الشهادتين والصلاه والصوم و الحج والزكاة...الخ فإذا لم يكن منهج الله تعالى يحكم حياتك كلها فأنت مثل اولئك المشركين الذين جاءت الايه بعد الأمر بعبد الله تبيين لهم من هو الرب الذي يأمرهم أن يعبدوه فقال تعالى (الذي خلقكم والذين من قبلكم)فعليك أن تشعر أنك معني ومقصود بهذا التعريف لتكون هذه اول خطوه لمعرفة الله فهو الخالق الذي اوجدكم من العدم وصوركم فأحسن صوركم اي الاشاره الي نعمه الايجاد

بعد أن أستخدم لفظ الربوبيه التي من معانيها العنايه والرعايه والتربيه والتهذيب

واستخدم بعدها صفة الخلق لمنع الالتباس لأنه يطلق صفة رب العمل ورب البيت...كما قال يوسف (ارجع الي ربك)يعني سيدك ومثل قوله تعالى (أرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار)

فاراد بهذا التعريف ب الله أنه رب الارباب لتكون خطواتك كلها في هذا الطريق متوجه الى الله تعالى وحده لا شريك له

ان الخطوه الثانيه من معرفه الله تعني معرفه التي تولد الشعور والإحساس بانعام الله لتري حسنه وإحسانه ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى ذكر صفات الربوبيه والخلق نعمه الإيجاد من العدم وهي نعم انعم الله بها على الإنسان قيل أن يوجد الإنسان والمراد بهذا أن يغرس في النفوس والقلوب محبه الله تعالى لان طاعه الله عز وجل واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم يحتاج الي اراده (المحبه) وبالتالي فالله يريد منا أن نعبده باراداه رغبه ومحبه خالصه دافعه للفعل طلبا لرضا الله وهنا قد يقول قائل إننا نفهم من تعاملات العباد أنه عندما يطلب منك أحد أن تحبه لابد أن تكون علامات محبته قد سبقت قيامي بالحب ولهذا نجد أن الله تعالى يبين لنا أن حبه للإإنسان قد سبقت طلب حب الله وامارات ذلك أنه سبحانه وتعالى انعم علينا بالإيجاد من العدم وهي لنا اسباب العيش علي الارض فقال (اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم)

اي انتم ملزمون بالعباده الخالصه لله تعالي بالمحبه والشكر

ان المولي سبحانه وتعالى يريد أن يلفت انتباهه المخاطبين الي أن العباده المطلوبه هي التي تكون عن معرفه المعبود ومحبهه وتوحيده لأن العباده تعني التذلل والخشوع والخضوع الكامل وأفراده سبحانه وتعالى في كل أعمالنا واقوالنا وكل شي بالتوجه إليه سبحانه بالمحبه والاجلال والتعظيم فيكون استحضر الوقوف بين يدي الله تعالى في كل حركه وفعل نقوم به بقلب حاضر كأنك تنظر إلى الله وتراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ولهذا أمرنا أن نستعين للوصول إلى تلك المعرفة واليقين باستحضر معني الربوبيه وانعامه لنري جمال الله وجلاله وحسنه وإحسانه فانعامه لاتعد ولا تحصي

يقول لنا أن اللازم علينا أن نفهم أن عنايه الرب للناس ونعمه الخلق فيها المساواة في المواهب وأدوات العلم التي توهلكم للسعاده الحقيقيه واستعمل لفظ والذين من قبلكم.. لبيان ان الله خالق الأولين والآخرين والأجيال السابقه ولاحقه لبيان ان الله لاينظر الي انسابكم ولأصوركم ولكن ينظر إلي اعمالكم ونواياكم وقلوبكم فالتكريم إنما يكون بالإيمان والتقوى لأن المشركون كانوا يتفاخرون بالانساب واسلافهم فالنصوص فيها بيان عموم قدرته وشمولها فهو موجود وبالتالي فإن المطلوب منكم الشعور بوجوده فالجميع في قبضته وان الحاضرين والسابقين ومن سوف يأتي ليسوا مخلدون فالجميع سوف يموت كما مات الأولين فعليكم الاحساس بذلك وترك العناد والجحود و المسارعه الي عباده الله وحده فعليكم أن تدركوا أن الله تعالى هو الحي الدائم الذي لا يموت ولهذا قال (لعلكم) وهي تستعمل لمعني لكي وهي تستخدم للإعداد والتهيئة للشي والترجي ومعناها توقع حصول الشي القريب بحصول سبب الاستعداد له بعد أن لفت الإنتباه إلى الربوبيه التي الحق بها صفه الخلق لبيان انه منح العباد مواهب وقدرات متساوية توهلهم كلهم للسعاده لما غرس فيها من قابليه واستعداد لقبول الخير وايضا أن استعمل لفظ الربوبيه فيه تحفيز تلك المواهب لعلمه سبحانه لما في النفوس وحاجتهم وفقرهم الي الرب أكثر من علمهم وحاجتهم وفقرهم للإله المعبود وعلمه بقصدهم دفع حاجتهم العاجله قبل الاخره فاستعمل تذكيرهم ربوبيته لتهيئه استقبالهم لدعوته لهم الي أن خصائص الربوبيه تعني أنه لايستحق العبوديه والالوهيه الا الله وحده

الأمر الرابع

(لعلكم تتقون)

أنه للوصول إلى مرتبه المتقون الفائزون الناجحون يجب عليكم عباده الله تعالي وحده لا شريك له بإخلاص العمل والتوجه بقصد ارضاء الله واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم

فمن أراد النجاه والسلامه والنجاح والفلاح والسداد فعليه بعباده الله تعالى ليتقي بها عذاب الله وعقابه فاستعمل لعل التي كما أوضحنا سابقا بمعنى لكي اي لكي تامنوا عذاب الله عليكم بعبادته سبحانه وتعالى وهذا فيه بيان الاتي

١

أن نبيل رعاية الله وهدايته الخاصة التوفيق والنجاح والفلاح والسداد إنما يكون بالآخذ بالأسباب والدواعي التي تقربهم من الله وهذه الأسباب تكون من خلال عباده الله تعالى وحده لا شريك له في كل الأعمال والأقوال وفي جميع شؤون الحياة عن علم ومعرفة ومحبه لإرضاء الله تعالى بقطع المسافات التي بينهم وبين الله من خلال القلوب قبل الإقدام وأن سير القلب في قطع تلك المسافة إنما يكون بالاخلاص والتجرد ومعرفة الحكم الشرعي للفعل ولهذا استعمل لفظ الربوبيه لبيان أن القرآن هو من انعام الله ورعايته وعنايته بعباده

٢

أن العرفان الصحيح ب الله مهم لسلامه الاعتقاد لكن لا بد أن يقترن بصحة الإردده وسلامتها ولهذا نجد أن الله سبحانه وتعالى استعمل لفظ الربوبيه يطلب فيها اعمال العقل في النظر إلي انعام الله وأفعاله لتعرف الخالق سبحانه وتعالى فالحق بها صفة الخالق وهي صفة موضحة محدده لا تطلق الا الخالق سبحانه وتعالى لأن المشركون كانوا يقرون بربوبيه الله تعالى وأنه الخالق لهم ولكنهم يشركون في الاعتقاد فأراد أن يصحح تلك التصورات الخاطئة ليخبرهم أن الخالق سبحانه وتعالى هو ربكم الذي خلقكم وخلق من قبلكم فهو الرب الواحد الحقيقي المستحق العبوديه والالوهيه لا شريك له

ولهذا استخدام لعلكم

اي كي توطنوا أنفسكم علي امره وتتحرووا من كافة القيود وكي تحصلوا علي الطاقة والقوه التي تجعلكم قادرين على المضي قدما في تنفيذ أمر الله والاستمرار بالعمل الاسلامي والثبات والصمود في طريق الهدايه في كل عمل تقومون به ولهذا فإن الواجب عليكم عند القيام بأي عمل ان تسالوا أنفسكم وتحاسبوها لماذا فعلتم الفعل هل قصدتم به وجه الله وهل كان باتباع منهج الله وسنه رسوله صلى الله عليه وسلم ام خاضع الأهواء ففي هذا الا حتراز من عقاب الله حينها يكون خالصا لله راجين أن تحصلوا علي الهدايه الخاصة التي يكون بها الوصول الي جماعه المتقين هذه الجنسيه الممنوحه للمؤمنين باليقين الجازم والتي بتساوي فيها أهلها في الحقوق والواجبات (حقوق المواطنه) المتساوية لا تمايز ولا تفاضل الا بالتقوى فيكون التنافس على خدمه الناس فمن أراد الانتساب لجماعه المتقين التي فيها السعاده والنجاه في الدنيا والآخرة فعليه الأخذ بالاسباب ذلك لتحصلوا علي الطاقه الصبر الذي يسهل عليكم المصاعب والمشقه في طاعات الله فلا تصعب عليكم الحركه ف الله سوف يمدكم بالثبات والقدرة والطاقه

ثانيا

ذكر الله تعالى لنا بعد ذلك الدلائل الداله على انفراد الله بالالوهيه والربوبيه واستحقاقه العبوديه فقال تعالى (الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون)

يلفت أنظارهم الي مشاهده ربوبيته وعنايته ورعايته لهم

الأمر الأول

(الذي جعل لكم الأرض فراشا)

وجعل في نصوص القرآن الكريم لها معنيين حسب الاستعمال حيث أنها تستعمل بمعنى الخلق أي اليجاد وهذا المعنى يكون له مفعول به واحد أما المعنى الثاني فيكون بمعنى الصيرورة فيكون لها مفعول به أول وثاني و النصوص تلفت انتباه المخاطبين الي أن يتاملوا الي الأرض التي يعيشون عليها فإذا أردت أن تري رعاية الله وعنايته بعباده فانظر الي الأرض كيف أنه تعالي سهل ويسر للإنسان الحياه علي الارض بتهيئه الأسباب لتكون ص الحه وسكنا مريحا للإنسان كالفراش فهي ممهده ومنبسطة يسهل الانتقال والحركه عليها وتوفير أسباب ومسببات الحياه التي جعلها الله مترابطه بمايودي الي والعيش بالتسخير الإلهي التي تمكنهم من الخياه عليها برخاء ويسر

الأمر الثاني

(والسما بناءا)

يلفت انتباه المخاطبين الي نظر كيف أقام الله السماء فوقهم كأنها مظله فوق الارض اوسقفا مبني فوقها وذلك لأن السماء ذات علاقه وثيقه بحياه الإنسان علي الارض فقد جعلها الله سقفا للأرض ولا تذكر الأرض الا ذكرت السماء لبيان انعام الله تعالي علي الناس فاعلمهم أن الذي خلقهم خلق السماوات والأرض فهو المستحق العبوديه والشكر دون الأصنام والاوثنان

الأمر الثالث

(وانزل من السماء ماء) حيث أنه سبحانه وتعالى يلفت انتباه المخاطبين الي الاحساس بانعام الله تعالي ورؤية حسنه وإحسانه وحاجه الناس وافتقارهم الي الله الغني عنهم فأمرهم بالنظر إلى المطر النازل من السماء ماء الذي هو ماده الحياه في الأرض مثلما أن القرآن ماده حياه الروح فذكر الله لنا أن الماء نعمه من انعام الله التي لاتعد ولا تحصي فجاء بلفظ التنكير مبينا أنه يخرج به الثمرات (فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) فذكر الضمير (إلقاء) عائدا علي الله أن الأسباب التي أدت إلى خروج الثمرات بنزول المطر هي من الله تعالي فهو بيده الأسباب والمسببات وان ذلك نعمه من الله لحياه الأرض وكذلك فإن القران نعمه الله علي البشر الذي يخرج به الثمرات الطيبه المتقون والذي يجب علي من يريد ذلك أن يأخذ بالاسباب التي تقربه من الله ليحني التوفيق والنجاح والفلاح والسداد مثلما أن علي الإنسان رمي الحبوب في التربه وتولي رعايته بالاسباب والمسببات التي هي ادوات وضعها الله كسنتن للحياه لكن النتيجة النهائيه بيد الله فدللت النصوص أنه مخرج النبات ولم يقل فانبت الثمرات لبيان ان مساله الانتفاع بهدياه القران تحصل بالاخذ بالاسباب والدواعي وهو أفراد العبوديه والالوهيه والانخراط في جماعه المتقين فتكون التقوي ثمره الاخذ بالاسباب ان أراد الله تعالي

ولهذا قال تعالي (رزقا لكم) بصيغه التنكير لأن كل شي بيد الله فهو خالقكم وخالق من قبلكم وخالق اسلافكم وهو الذي خلق الأرض والسماء وانزال الماء وإخراج الثمرات فاللازم عليكم أفراده بالعبوديه (فلا تجعلوا لله اندادا)

والند المثل سواء بالمحبه والاستعانة أو الدعاء اوغيره فلا يوجد مثيل لله تعالي وهو لا شريك له ولاشبيهه ولامثيل فليس كمثله شي فالنصوص تضمنت إثبات ما دعاهم إليه القران الكريم من الإيمان بالغيب وان يعبدوا الله وهم كما أوضحنا يقرون بوجود الله وأنه الخالق لكن يرفضون القبول بشرعته فقالوا كيف نعبد إلهها واحدا لانراه ولذلك اتخذوا اصناما لتجسيد صوره الإله حسب تصوراتهم الباطله ولهذا يقول لنا الله أن عليكم أن تنظروا الي أفعال الله فهي تدل على الخالق سبحانه وتعالى وإبداعه وعطفه وقدرته فكل محدث لابد له من محدث والمفعولات لابد لها من فاعل وهذا أمر من الأمور التي لا يختلف عليها أحد وبالتالي فإن انتظام حركه الكون تدل أنه له اله واحد مدبر يحكمه فلا ينكر ذلك إلا جاحد معاند أو فاقد لعقله فكيف يكون ذلك منكم وانتم اهل الإدراك والفهم والذكاء فلا يليق بعاقل أن يجعل المخلوق كالخالق ولايليق بعاقل أن يعبد أصنام لاتنفع ولاتضر

فاللازم عليكم منع تسلل افكار الرياء والشرك الي الأعمال لتكون خالصه لوجه الله واحذروا من صور الشرك الجلي والخفي مثل الخوف علي فوات الرزق والتعلق بغير الله وعليكم التحرر من كافه العبوديه لغير الله وهذا يوجب عدم القبول بالاستبداد باشكاله السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والديني وعدم عباده المال أو

المصلحة فيجب تنقيح الأوعية من الشرك سواء في الاعتقاد أو السلوك ايان كان

ثالثا

لما كانت رساله الاسلام قد جعل المعجزه هي عين المنهج فقد حاول اليهود والمنافقون والمشركون يشككون في صحه الرسالة لأنها لم تنزل علي ماكان معهودا في الأمم السابقة من ارسال الرسل معهم معجزات الداله على صدقه ومعهم كتاب تهذيب وهدايه الناس لكن القران جاء فيه المعجزه وهو نفسه عين المنهج ولهذا نجد أنه جاء فيه تقرر صحه الرسالة من خلال التحدي الموجه لهؤلاء لتقرير صحه الرسالة فقال تعالي

(وان كنتم في ريب مما نزلنا علي عبدنا فاتوا بسوره من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا..الخ

الأمر الأول

أن الخطاب فيه التحدي في كل زمان ومكان بأن القرآن الكريم معجزه خالده للعصر الاول والعصر القادم وكل العصور حتي قيام الساعة وان الله سبحانه وتعالى عندما ابتعث النبي صلى الله عليه وسلم قد جعل المعجزه هي عين المنهج القرآن الكريم وتحدي المكذبين أن ياتوا بمثله فقال تعالي في موضع آخر (لئن اجتمعت الانس والجن علي ياتوا بمثله) ثم قال في سوره يونس (فاتوا بعشرسور مثله) وفي هذه السوره (فاتوا بسوره من مثله)

احدهم أن ياتوا بسوره مثل حتي اصغر السور كالكوثر فهم عاجزون عن الإتيان بمثله وفصاحته وبلاغته وما ينطوي عليه من أحكام وأوامره ونواهييه وبما يوكب الحضاره ويلائم الأزمنه في مختلف الظروف والاحوال

ولتأكيد سلامه وتنزيه القران من النقص والعيب فهو كلام الله تعالى يخبرنا الله أن الريب والشك فيهم لامن القران فهو قد ذكره في بدايه السوره بعلو شأنه وخلوه من اي نقص أو عيب وهنا يقول (فإن كنتم في ريب مما نزلنا علي عبدنا فاتوا...الخ

أن الريب من عقولهم المنحرفه ونفوسهم المريضة المنحرفه أما القران فلا ياتيه الباطل من بين بدايه ولا من خلفه ... ولذلك نجد أنه سبحانه وتعالى استعمل

*

اداه الشرط (وان)التي تعني أن الشك في فعل الشرط لا علي تحقيقه للإشارة إلى أنهم لو كانوا في شك من أمر القران فهذا يعود إلي فساد عقولهم المنحرفه ونفوسهم المريضة لا الي ذات القران فاستعمل أن اداه الشرط

*

التعبير بكان المصوره لما وقع منهم (وان كنتم)معطفوفا علي توجيه الأنظار الي مشاهده الآيات الكونية من فرش الأرض وبناء السماء وانزال الماء وإخراج الثمرات للإشارة الي أنه لا ريب في القران لذاته وانما الريب في عقولهم الفاسده فمن ينكره لا يثق بالاداله المحسوسة في الكون فهو إما جاحد مكابر أو معاند أو فاقد لعقله أما القران فلا ريب فيه لكمال وضوحه لانه منزل من عند الله فهو فوق طاقه البشر ولهذا نكر كلمه ريب للدلالة على كمال ووضوح القران الكريم فلا عيب فيه وانما العيب فيهم

الأمر الثاني

استعمل المولي سبحانه وتعالى لفظ (مما نزلنا علي عبدنا)ولم يقل أنزلنا....لأن الاخيره تعني نزول القران من اللوح المحفوظ الي السماء كما قال تعالي في سوره القدر (انا انزلناه في ليله القدر)

اما هنا فالمراد بقوله (ممازلنا علي عبدنا)

الرد على ما اثاره اليهود والمنافقون والمشركون من القول لماذا لم ينزل القران دفعه واحده وفقا لسنة الله في ما مضي من ارسال الرسل أنه ينزل معهم الكتب دفعه واحده كما حصل بنزول التوراه والإنجيل (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن

جمله واحده)

فجاء النص لبيان أسباب نزول القران منجما من السماء الدنيا الي الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه لحكمه الهيه نظرا لأن البشرية قد انتقلت من مرحلة الطفولة الي النضج البشري وان هذه الرساله عالميه تتجاوز حدود الزمان و المكان ولهذا ابتداء الخطاب يايها الناس متوجها إلى جميع البشر باسم الانسانيه سواء كانوا كفار أو يهود اونصاري أو منومنين اوغيرهم

مبيناً لهم أن العبودية لله هي الشرف والمنزله التي دعا الناس وأمرهم القيام بها فقال (اعبدوا ربكم) فهي منزله تشریف فوصف الرسول صلى الله عليه وسلم افضل الناس أنه عبد لله وان حمل الرساله لا تبعده عن مقام العبودية لله والا كيف سيكون عبدا لله

الأمر الثالث

يأتي التحدي فقال تعالي (فاتوا بسوره من مثله) مثل التحدي الموجه من ابراهيم الي الطاغية (فات بها من المغرب)

وهنا تحدهم أن ياتوا حتي بسوره وحده ولو من اصغر السور كالكوثر مثلا فهو مصوغ من نفس الحروف التي يعرفونها فلياتوا بسوره من مثله وليدعو من يشهد لهم بهذا فاستخدم إلقاء (فاتوا)ربطه بجمله الشرط لأن الجملة طلبيه لاتصلح لتكون شرطا والتحدي سواء كان بالتشكيك بالقران أو بشخص النبي صلى الله عليه وسلم فهو امي لايعرف القراءه والكتابه ولم يحظي بمعرفه اي علوم ولامخالطه الحكماء وأهل العلم ولهذا فإن احكام القرآن وفصاحته وبلاغته وجودته وايجازه دليل أنه فوق قدرت البشر فكان هذا التحدي فيه إثبات النبوه واقامه الحجه فقال تعالي (وأدعو شهداءكم أن كنتم صادقين)

ف نجد استعمال الدعاء والنداء والاستعانة كناية عن النداء الذي يلجأ إليه الناس بمن يتصورون أنهم يملكون الحل و العقد للحضور ومن يستعنون بهم ويرون فيهم القدره فيقول ادعوا الذين اتخذتموهم أولياء من دون الله والذين زعمتم أنهم شهداءكم اليوم...ولاتدعوا الله تعالي للشهاده بأن تقولوا الله تعالي شاهد وعالم بأنه مثله.... فإن ذلك علامه العجز وهو دليل على اقامه الحجه لأن الله قد شهد لعبده بالصدق في دعواه

الأمر الرابع

فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا)

نجد أن الله تعالياورد جواب التحدي بأنهم عاجزون وغير قادرين علي أن ياتوا بمثله بصيغه شملت نفي قدرتهم وإثبات عجزهم في الزمان الماضي والحاضر والمستقبل بعدم إمكانية قيامهم بذلك في المستقبل فاتي بالفاء (فإن لم تفعلوا)اي إذا بذلتم السعي والمجهود اللازم فلن تقدرؤا فكان اجتماع الماضي والحاضر والمستقبل لبيان عجزهم عن الإتيان بمثله

أنه تحدي مفتوح الي قيام الساعه فجاء بالاعتراض (ولن تفعلوا) لتأكيد أن ذلك غير متاح حتي لو بذلوا الجهود و الهمم فهم عاجزون فجاء النص الي الرد السريع ببيان عجزهم لأن الله جعله فوق قدره البشر ولو اجتمعوا كلهم

أنسهم وجنهم وهذا فيه بيان الآتي

١

اقامه الحجه بالانذار بالقران الكريم فهو سبحانه وتعالى يقول للمكذبين اعلموا أن ربيكم لا موضع له وان الشك الذي في قلوبكم هو شك في موضع اليقين فعليكم الإيمان باليقين الجازم وادخلوا الاسلام كي تتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة (فاتقوا النار التي قادها الناس والحجارة أعدت للكافرين)

٢

أن الخطاب فيه الوعيد بعد اقامه الحجه فالنصوص تتوجه إلى المكذبين أن مهمه النبي ليس اجباركم علي الإيمان وانما البلاغ الذي كلفه الله أن يدعوكم الي التصديق بالحق الذي جاءكم لتتقوا النار المحرقه التي جهزها الله لتحرق المكذبين وان حالكم بعد هذا كالحجار الصماء التي لاتسمع ولاتتكلم وان بدأت صورهم ادميه الشكل الا أنهم فقدوا انسانيتهم التي خاطبهم بها في بدايه الانذار ياايها الناس اعبدوا ربيكم)فاصبحوا كالجماذ فجاءت النصوص متناسبة مع المقدمه التي استهلته بها الجملة الطليبه ياايها الناس فهذه الصورة التي وصفهم بالمصير المشترك مع الاحجار والتي خصها الله بالذكر ليخبرهم اننا لاتنفع ولاتضر فكيف تعبدونها فهي ستكون اداة العذاب لهم في الاخره لترسم النصوص مشهد النار وهي تاكل الإنسان والأحجار في صورته مرعبه وهم يتزاحمون في النار لتلقي في القلوب حاله الفزع والخوف والعذاب ليقع في النفوس أعظم موقع

رابعاً

بعد أن تناولت النصوص في الآيه السابقه علي هذه الايات الانذار للكفار الذين رفضوا الايمان بالله و الوهيته وربوبيته وأفراده بالعبوديه وتوحيده ورفضوا التصديق بالرسول صلى الله عليه وسلم والرساله فاستعمال الترهيب لقرع اسماع الكفار المكذبين (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)

وهنا تأتي النصوص بالبشاره للمومنين الذين صدقوا بالله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحة وذلك لأن مهمه الرسول وهو الانذار للمكذبين والجاحدين والتبشير للمومنين الصادقين

(وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون)

وهذا فيه عده امور نذكر منها الآتي

الإمر الاول

أبتدأت الآيه الكريمه بقوله تعالي (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات)

بالأمر الإلهي للنبي صلى الله عليه وسلم (وبشر) وهي فعل أمر يعني اخبرهم لأن البشاره أصلها الخبر بمايسر الذي يأتي به والمبلغ به من اثار السرور مع بشارته فهو الخبر الذي يسر ولايضر ويكون أول

الخبر مايسر صاحبه ويسمي المبشر (البشير) فلما جاءه البشير القاءه علي وجهه... الخ عطفاً علي الجملة قبلها التي تضمنت الانذار والتهديد للكفار المكذبين بالله ورسوله ثني بفعل الأمر وبشر أن يخبر خلقه الذين آمنوا وعملوا الصالحات بمايسرهم لأن مهمه الرسول هو البلاغ بالانذار بالوعيد للمكذبين و الجاحدين بالنار والتبشير للمومنين الصادقين المخلصين بالجنه الوعد علي إيمانهم الصادق والعمل الصالح

فاستعمل الاسم الموصول (الذين) لبيان سبب البشاره والصله بين سبب الحكم وحيثاته ومنطوقه ومنهم الذين يستحقون هذه البشاره لأن لفظ البشاره احيانا يطلق مجازا في مقام التهديد والوعيد مثل قوله تعالي (فبشرهم بعذاب اليم) وهذا يطلق علي سبيل التهكم والسخرية كأنهم يترقبون مايسرهم

ولأن البعض يثصور أن الإيمان بالاقرار بالله بقول لا اله الا الله ووحديته وانه المستحق للعبادة وصدقوا بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالجنه والنار

.. الخ بأن ذلك توجب لهم الجنه وان لم يعملوا بحق ذلك بامتنال امره واجتناب نواهيه أو يرفضون

القبول بحكم الله أو يكون ايمان بالقول باللسان دون الايمان الصادق ولهذا يبين الله لنا منهم أهل

البشاره (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فالإيمان والعمل الصالح هما سبب ومسبب البشاره

وهو مانفهم منه أن الأمر الإلهي للرسول (ص) بإبلاغ خلقه الذين آمنوا وصدقوا بالله بوحدانيته و
الوهيته وربوبيته وأفراده بالعبودية وتوحيده وحده لا شريك له وصدقوا بالرسول صلى الله عليه وسلم
وما جاء به من ربه أي وامنوا بالرسالة وامنوا بالثواب والعقاب والقضاء والقدر والبعث والنشور والجنه و
النار... الخ

ايمان صادق واعتقاد باليقين الجازم قولاً وعملاً فقال تعالى (وعملوا الصالحات)

وهذا فيه الآتي

١

أن المولي سبحانه وتعالى يريد أن يلفت انتباه المخاطبين الي اهميه مطابقه القول (اعلان الايمان) للعمل
فجعل شرط الايمان أن يطابقه العمل فالله يقول لنا أن التوحيد ليس مجرد فكره او عقيدته داخل
النفوس فقط فلا بد أن تخرج الي العلن ويكون هناك حركه وفعل يترجم حقيقته الايمان من عدمه فمن
يقول إنه مومن ومصديق بالله واليوم الآخر والرسول والرساله... الخ ويرفض امتثال أمر الله في أي

مسألة من المسائل فهذا يكون مدعي الايمان فالله يقول (فلا وربك لا يؤمنون حتي يحكموك في ما
شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليماً) فالله سبحانه وتعالى اقسام بنفسه
وربوبيته لنفي ايمان لا يقبل الاحتكام لمنهج الله في أي شي وليس ذلك فحسب بل إنه إذا قبل الحكم
ولكنه في نفسه شي من عدم الرضي فهو لا يعد مومن وإنما ينبغي أن يكون القبول بحكم الله مصحوباً
بالقبول النفسي الذي يشعر فيه أنه هو الحق والعدل وان كان ضد مصالحه ويشعر أنه متعبد لله تعالى
في تنفيذ الحكم الشرعي الصادر من الحاكم المسلم بالاذعان والتسليم فلا يحاول التملص أو التذمر حتي
بينه وبين نفسه

وكذلك فإن الايمان يتطلب أن يتبعه حركه تترجم فكره الايمان بالعمل الذي يحقق الهدف والغاية من
الوجود الإنساني فالعلم النظري العلمي الذي استقر في النفوس والقلوب لابد أن يخرج ميادين الحياة بـ
العمل التطبيقي لذلك العمل فالله سبحانه وتعالى يقول لنا في موضع آخر (فاعلم أنه لا اله الا الله
واستغفر لذنبك) بعد العلم يكون التوجه إلى الميدان العملي فالإيمان بلا عمل كالشجره بلا ثمره لافائده
منه

والعمل بدون ايمان لامعني له فهو كالشجره بلا ثمره فأنت قد تري الكثيرون من الناس يقومون بأعمال
الخير مثل المنظمات الغربيه التي تتواجد في مناطق النازحين والتي توفر لهم الاكل والشرب فهي اعمال
طيبه وصالحه لكن أهلها محرومون من البشاره لانهم لم يؤمنوا بالله... وكذلك مثل اعمال الخير.

التي يقصد بها الرياء والشهره وهو ما تفرد له السوره عده مقاطع في نهايه السوره (مثل الذين ينفقون

أموالهم في سبيل الله كمثل حبه انبتت سبع سنابل.....الخ المقطع

فلا بد أن يجتمع فيه أمر الايمان مع العمل الصالح لاستحقاق الثواب والبشاره

٢

ان النصوص تهدف إلى لفت انتباه المخاطبين أن التوحيد هو أساس انطلاق الحركة في الحياه بحيث يكون التوحيد وهو المحرك لها ومرتبطة بها ارتباطا وثيقا ولهذا سمي لنا نوع الفعل لهذه الحركة فقال

(وعملوا الصالحات)

بأنه العمل الصالح لانه هو العمل الذي يصلح به الناس وتستقر أحوالهم فيحصل الالفه بين القلوب وارتقاء الإنسان في تعامله ليصل إلى اعلي المراتب فيسود المجتمع المسلم الرفاء والخير ويمنع الفساد في الأرض بالشعور والاحساس بالمهمه والمساهمة بفاعلية ايجابية في اصلاح أوضاع المجتمع والأرض و العمل على نشر المحبة واشاعه العدل فيها ومنع الظلم والاضطهاد والاستبداد ضد الانسان حتي وإن لم يكون مسلم من خلال المساهمة في تأسيس نظام عالمي يقوم علي احترام حقوق الإنسان وكرامته لتكون هدف دوله الموحدين هي منع الظلم عن المظلومين في العالم كله

فالمراد بذلك أن تكون الحركة لها فاعليه ايجابية تهدف إلى تحقيق الاستقرار والانسجام في المجتمعات بـ السعي إلى تقديم المصلحه العامه علي المصلحه الشخصية فلا مكان للانانية والذاتية في الأعمال الصالحة والأمر البالغ بالأهمية هنا أن تدرك أن المفسرون تناولوا طرح مفهوم الأعمال الصالحة بناء على مفهوم الارتباط بتوحيد الإنسان الفرد الخليفه تعني معرفه الحكم الشرعي المتعلق بالعمل من حيث الحلال والحرام وهذا يكون بالنظر إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم معرفه صلاحيته لتحقيق الهدف والغاية بالنظر إلى ما يترتب على الفعل من مفاصد واضرار ومقارنه ذلك بما يعود منافع لأن دفع المفاصد مقدم على جلب المصالح وهذا الشق الثاني من تلك المعرفة في الغالب تترايط بمفهوم التوحيد (الخلافه) لدوله الموحدين ولأنها غائبه نجد أن المفسرون يتناولون طرح التاويلات من مفهوم التوحيد المتعلق بالانسان الخليفه واهملوا مناقشه ذلك تجنب الاصطدام بالحكام ومن هنا نشأت فجوه كبيره في فهم مدلول النصوص لدي الناس فأصبحت نظرتهم له من زوايه خلافه الإنسان الفرد فقط دون النظر إلى دور دوله الموحدين في المساهمه والمشاركة في خدمه الانسانيه كلها بالتفاني في خدمه البشرية وبما يحقق الرفاهيه والعدل والمساواة الانسانيه ويعرف عنها الظلم لمنع الافساد في الأرض ومنع سفك الدماء والظلم فيها وإن لم يكونوا مسلمين من خلال الوقوف ضد الظلم والعدوان و الطغيان والكفاح لتأسيس نظام عالمي يقوم علي اساس العدل واحترام حقوق الإنسان وكرامته كهدف يلي تأسيس دوله الموحدين التي تحمي الظلم بين المسلمين ثم يكون الانتقال الي ذلك الهدف وان يقصد بذلك ارضاء الله ومحبه وعبادته وتوحيده

وهذا فيه بيان اهميه غرس مبدأ رواح الفريق الواحد في حركه العمل الإسلامي ومراعاة تقديم المصلحه العامه ومعرفه حكمها الشرعي والوسائل التي تحققها أن تكون مشروعته ونبيله مثلما أن الغايه نبيله

الأمر الثاني

ان الايه تذكر الوعد والبشاره التي يبشر الله بها المومنين بقوله تعالي (أن لهم جنات تجري من تحتها ا

لأنهار كلما رزقوا منها... الخ بعد أن استهلكت بالجملة الطلبيه (يايها الناس اعبدوا ربكم) اعتمد فيه الحوار مع العقل البشري يطلب منه التصديق والاذعان والتسليم بالامور الغيبه المسموعه اصول الايمان الستة ولم كان المحور الاول الذي حاورت النصوص فيه العقول متعلق بالدعوه الي الايمان معرفه الله ومحبتة وعبادته وتوحيده والايمان بالرسول والتصديق بالرسول والرسالة وأمرهم بالعمل الصالح فقال تعالي (يايها الناس اعبدوا ربكم... الخ فلا بد أن هؤلاء الناس سوف يطرحون سؤالاً مفاده ماهو الثواب الذي ينتظرنا أن نحن صدقنا وامننا وعملنا الأعمال الصالحة

فجاء الجواب

(جنات تجري من تحتها الأنهار)

والجنات جمع جنه واللفظ يطلق على الحدائق والبساتين التي تشمل ما فيها من أشجار النخيل والأعنان... الخ وما فيها من ثمار وانهار وانغام ويتصف بكتافه تلك الأشجار ولهذا تسمى جنه لأنها تستر الأرض وماتحتها

المفهوم الاول

ان المولي سبحانه وتعالى أراد بهذا شد انتباه المخاطبين واغراءهم بالثواب الذي سألوا عنه بأسلوب يقرب لهم الصورة للجنه لأن عقول البشر ليس لديها في قاموسها ألفاظا لتعبر عن ما في الجنه من نعيم فهي من أمور الغيب فكان أعطاهم صورته تقريبه لها كي يكون منهم الاستجابة والافتناع ولهذا تأتي النصوص بوصف تقريبي لها باستعمال ألفاظا يوجد لها صورته في عقل الإنسان فقال تعالي (تجري من تحتها الأنهار) بوصف ماء انهار الجنه بأنه جار تحت أشجارها وغروسها وثمارها

لا أنه جار تحت أرضها لأن الضمير يعود علي أشجارها في قوله (تحتها)

لانه لا تكون جنات بلا اشجار وجريان الماء لايري اذا كان يجري تحت الارض الا اذا كشف الستائر بينها وبينه

فأريد بالجنات أشجارها وثمارها فذكر أن الأنهار تجري فوق أرضها وتحت عروسها واشجارها لأن النصوص وصفت الأنهار أنها جاريه في غير أحاديده لتقريب الصورة للعقل البشري لأنها من أمور الغيب

المفهوم الثاني

ان النصوص تهدف إلى تقوية الارده والعزيمه والههمه المساهمه والمشاركة في بناء دولة الموحدين و

المشاركة بالعمران في الأرض بقصد طاعه الله ونيل رضاه والجنه ولهذا ترسم لنا النصوص صورته حيه تجسد حال اهل الجنه (المومنون) فيها فقال تعالي (كلما رزقوا منها من ثمره رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل)

لتنقل السامع وهو المومن باليقين الي رؤيه ماينتظره في الجنه من النعيم لتستقر البشاره في أعماق نفسه فيري بعين اليقين مشهد أهل الجنه وهم يستقبلون النعيم والثمرات لأول وهله بعد دخولهم الجنه والاستقرار فيها فهم ينظرون إلى الثمار فقال تعالي (كلما رزقوا منها من ثمره رزقا) ومن هنا للابتداء راجعه علي الجنات والمعني أشجارها ولفظ ثمره بدون نصب فهي داله علي أنه معني بها حال من أحوال دون حال فهم ينظرون إلى الثمار عند وصولهم إلى الجنه واستقروا فيها فيرون أشكالها أشكالها مثل بعض ثمار التي عرفوها بالدنيا فيقولون فيقولون هذا الذي رزقنا من قبل لأن من الثانيه (رزقنا من قبل) للتبعيض لبيان أنه يختلف عنه في الطعم والذواق

لبيان ان هذا القول لأول وهله هو لتقريب الصورة أن مقاييس الإنسان لنعيم الجنه غير متوفره وانما كان التشبيه لذلك بالثمر الذي كانو يالفونه في الدنيا لان الانسان يتعلق بالمالوف ولهذا شبه شكله بأنواع مايعرفه في الدنيا لان النفس تميل الي ماتسطييه وتطلب زياده فأراد بهذا أن يغرس في النفوس الا شتياق الي لقاء الله وتدعيم الايمان بطاقه الصبر برسم نعيم الجنه ليغرس الشوق للجنه فمن نعيمها هانت عليه المشقه وحصل الزهد عن الدنيا ولهذا أخبرنا الله أن ذلك النعيم يعيظه الله للمومنين (رزقوا) اي بدون جهد ولا تعب ولا مشقه واكده بقوله رزقا

*

فالله سبحانه وتعالى يعلمنا كيف نقطع المسافات الي الله فنحن في سفر ورحله الي الله والدار الآخرة فما أن نصل الي الجنه او النار فالله يبين لنا كيف يكون قطع المسافات والانتقال من أحكام العلم الي احكام العمل

بأن اول هذه المنازل التي يجب غرسها في النفوس هو اليقظه والشوق للقاء الله والجنه يقول لنا أن سلعته غاليه فالمطلوب منك ثمن ذلك أن تبيع نفسك ومالك لله فتكون كلك خالصا لله تعالي وهذا يحتاج إلى أردته قويه فاعطانا صورته تقريبه عن الجنه وما فيها من انعام وأخذنا في رحله الي الجنه لنعيش لحظات اللذه وما في الجنه من نعيم ونحن في الدنيا لتكون ماده يمدنا الله بالطاقه والقدره التي نتحرك بها في رحله السفر بالشوق الي الجنه وما فيها وهو يعني أنه لحصول ذلك لابد أن يبدأ المومن بتذوق طعم الجنه ولذتها من الدنيا فمن لم يذوق طمعها وهو في الدنيا لن يدخل جنه الآخرة

ويتحقق ذلك التذوق من خلال الشوق لها ونعيمها واليقين بوجودها حيث يكون الزهد عن ملذات الدنيا ويعيش المومن في طمأنينة وسعاده وقناعه بما كتب الله له بالشعور بلذه الطاعه والأعمال الصالحه فهو الوسيله للوصول إلى الجنه فتولد لديه راحه وقوه تحمل مشقه الطاعه ومقاومه الغرائز والشهوات فالدنيا لاتساوي شيئا أمام نعيم الآخرة ويكون الاستهانه بالمصائب فيعيش في جنه الدنيا قبل الآخرة ولهذا

يكون قولهم (هذا الذي رزقنا من قبل) اي هذا الذي وعدنا الله به في الدنيا مثل قوله تعالى (وقالوا

الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الأرض نتبو من الجنة حيث نشأ... الخ

الأمر الثاني

(واتوا به ماتشابهها)

ويخبرنا الله تعالى أن هذه الصورة تقريبيه عن تشابه النعم في الشكل واختلافها في الطعم والذواق و التجديد المستمر بالمزايا واللون وهذه سمه واضحه في صنعه تعالى نعرفها في الدنيا تعطينا صورته عن عظمه الله تعالى الخالق الباري سبحانه وتعالى وهذه السمه من انعام الله علينا ولهذا فإن من منازل قطع الطريق الي الله تعالى هي ملاحظه ابداع الله في النعمه لتري حسنه وإحسانه فنحن نري في الدنيا مث

لا أن الناس من حيث التركيب الشكلي متشابهون في التكوين الراس والقدم والجسد واللحم... الخ

لكن هنالك فارق وتنوع وتفاوت في الاستعداد والطبايع والصفات... وهكذا يكون التنوع بين الأجناس في الأشكال والسمات والمزايا وهو يدل على عظمه الخالق وأنه المعبود وحده لا شريك له فتنوع المخلوقات ايات من آياته سبحانه وتعالى التي تعرف بها عظمه الخالق وفيها أيضا بيان أن الحديث عن نعيم الجنة ومايكون مبادره أهل الجنة للقول أنه يشبه ما وعدهم الله به بالدنيا من نعيم هو لأن الصورة المنقولة عنها تقريبيه لكن طعم وذوق انعامها لا يدركه العقل البشري وهو فوق طاقه البشر

ثم تبين النصوص بعد ذلك لنا أن هذا التشابه في النعم مثل لذه النساء لكن هنالك اختلاف في

الصفات فقال تعالى (ولهم فيها أزواج مطهره وهم فيها خالدون) اي أن لهم في الجنة أزواج أو صافها مطهره من الدنس المعنوي الشرك والمادي فهي لاتحيز ولا فهن غائط ولاشي من ذلك فهي تختلف في الصفات عن أزواج الدنيا لبيان ان التشابه في الغرض الشكل لكن هنالك اختلاف في المزايا والسمات وهي أوصاف تفوق التصور فأريد بالإشارة الي التشابه بالشكل تقريب صورته نعيم الجنة من خلال لفت ا لإنتباه إلى التشابه بالشكل المألوف للإنسان ثم عقب أن خلاصه الكلام أنه نعيم دائم فهم فيها باقامه دائمه لا منغص ولا انقطاع عنها فقال تعالى (وهم فيها خالدون)

خامسا

ولأن النصوص استخدم فيها اسلوب التشبيه بحال أهل الجنة وما فيها من انعام من خلال التمثيل ب المحسوس المألوف للإنسان من البستان والأنهار والمياه الجارية وصولا لتمثيل مشهد اقامه المومنون فيها من لحظه وصولهم إلى الجنة ورؤيه الثمار التي تشبه ما عرفوه من ثمار الدنيا في الشكل واختلافها في الطعم والذواق مع بيان بعض مظاهر التشابه بالشكل والاختلاف في المزايا ليغرس الشوق الذي يجعلك تومن باليقين حق اليقين فتري الجنة عن يمينك والنار عن يسارك فكان هذا التصوير باستعمال ألفاظها معاني في ذهن الإنسان للتعبير عن الأمور الغيبية التي ليس في ذهن الإنسان ألفاظا للتعبير عنها فكان ذلك لغرض التقريب الذي يوصل الي اليقين فكان استخدام المثال لأجل تحقيق البيان للرد على ما أثير من اليهود والمشركون والمنافقون من السخرية والتقليل من شأن الامثله المضروبة في القران فجاءت النصوص مرتبطه بمسألة الجمل الخبرية التي تناولت أوصاف الكفار والمنافقون واليهود في كل

زمان وموقفهم من الأدله والبراهين التي يعرضها القرآن وكيف أن اختلاف الناس في استقبال القرآن يكون له دور في الوصول إلى مرتبه الكمال اليقين الذي يحصل به الانتفاع ولماذا لا ينتفع المكذبون بهدايه القرآن فذكر صورته واقعيه حصل فيها رده فعل قبيحه من الكفار والمنافقون واليهود علي ذكر الله الامثال لتعريف الناس بحقيقه الخالق بتوجيه أنظارهم الي تأمل اصغر مخلوقاته الذباب التي عجزت اصنامهم ومن يعبدون من دون الله أن يخلقوا مثلها حيث كان رده فعل المكذبين ناتجه عن ما فيهم من ضعف كما وصفهم فقد اتخذوا ذلك الأمر الذي في الأساس فيه الهدايه الي دلالة الهدايه الخاصه ماده لمحاربه الاسلام وزياده في الضلال والبعد عن الهدايه فقالوا الا يستحي محمد من أن يضرب مثالا ب الذباب والعنكبوت قالوا لماذا يذكر الاشياء الصغيره فجاءت النصوص من باب الدفاع عن الدين ومبيناً الحكمه من ضرب الامثله وتحذير الكفار من الاستدراج وحث المومنين علي مزيداً من الإيمان وتعليمهم كيف يقطعون الطريق الموصل الي الله

الأمر الأول

فقال تعالي (أن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضه فما فوقها) أن عليكم أن تدركوا أن الله تعالي هو خالق الصغير والكبير ورب جميع الخلائق أجمعين فهذه المخلوقات التي يضرب الله بها الامثله اي يذكرها لبيان ما فيها من أوصاف واسرار تعجز العقول فأراد بهذا المثل تقريب المعاني للعقول التي لا تدرك الا المحسوس فالامثله هو تشبيهه حالاً لأجل أن تدرك العقول ما غاب عنها فهي تدرك علي عظمه الخالق وإبداعه وعظمتته فهو سبحانه جعل في مخلوقاته ماشاء من الفائدة وجعل لكل مخلوق أسرار لا يعلمها الا هو

فالعبره ليست في الحجم والشكل ذلك أن الامثله ادوات تعليم وتنوير وتبصير فهي ليست فيها ما يعاب وليس فيها ما من شأنه الاستيحاء من ذكره فالمراد من المثل هو تقريب المعاني الي الذهن ليكون مصدراً الي إيقاظ العقول واعانه العبد علي الانتقال الي مرحله العمل والمسارعه الي الحركه

الأمر الثاني

بذكر الله لنا الحكمه من ضرب الامثله يعطينا اجابه عن سبب عدم انتفاع البعض بها ويربط ذلك بحكمه آخري مرتبطه بضرب المثل

(فما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً ويهدي بها كثيراً وما يضل بها إلا الفاسقين)

ان مساله الانتفاع بالامثال المضروبه تعود إلي حال القلوب عند ورد الحق المنزل عليها لأن القلب مركز الفهم والإدراك والوعي ومحل استقبال العلم وهي تتفاوت وتختلف بما فيها من قوه الإيمان والتصديق ب اليقين فقلب يزداد به إيماناً وتصديقاً لأن الإيمان يزيد وينقص بمقدار زياده العلم والعمل ولهذا فإن ذلك يوفر لهم علماً ربانياً يجعلهم يتلقون كل ما يصل إليهم من ربهم بما يليق بجلاله سبحانه يشعر أن في

ذلك عنايه وتربيته لهم فيكون الاستقبال منهم بالاهتمام والفهم والإدراك فيحظون برعايه الله والقرب منه بالاتصال بالغيب في كل أمر ليرزقون نور البصيره فهم عندما يرون اللوامع والبقايق بالعين بتأليف الامله والقياس التي يري فيها أفعال الخالق ومفعولاته بالعين ينتقل إلى تحويل تلك اللوامع والبقايق التي رآها بالعين الي سلوك من خلال الشعور برقابه الله ووجوده وقدرته وقوته وحكمته وعظمته وإبداعه فهذا العلم عرفت به الغايه فأنت مطلوب منك الوسائل التي تحقق الأهداف والغايات وهو العمل الصالح فتكون ثمره تلك الرويه الاستقامه في الأعمال وتقع أعمالهم في وجه الصواب وتجعل صاحبها في يقين ونور رباني فتلك الرؤيه تزيده إيمانا في الفكر والسلوك والحركه الي إيمانه السابق

فقال تعالى (فما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم)

كما ذكر سبحانه وتعالى في سوره ال عمران كما أوضحنا سابقا (والراسخون في العلم يقولون

امنا به.....الخ

ولهذا يقول لنا الله (وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا)

سؤال الحائر المفتون الذي هو محجوب عنه نور الله وحكمته سؤال المقطوع الصله بينهم وبين ربه

سؤال شخص غير مودب في تعامله مع الله والجاهل الضعيف في فهمه الأعمي فاقد الفهم والإدراك و الوعي لحصول اختلالا في الاعتقاد لديه فهم لايسالون ابتغاء المعرفه بل اردوا اتباع الشبهات لأجل

محاربه الاسلام فهم في زيغ (ولما زغوا ازاغ الله قلوبهم)

٢

يقول لنا الله تعالى أن الامثله مرتبطه بتحقيق البيان الانذار والبلاغ فهو مرتبط بحكمه الابتلاء والامتحان حيث يحصل الضلال والبعد والانحراف للذين كفروا ويحصل الهدايه به للمومنين الصادقين المخلصين الي

هدايه الله الخاصة فقال تعالى (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين)

لأن الناس وأن كانت أشكالهم والمواهب لديهم واحده وتكوينهم واحد ولكن يختلفون من حيث المزاي و السمات لعدة عوامل والمنهج الذي اتخذته هدفا لأنفسهم والغايه والأهداف التي يسعون في الحياه إلي تحقيقها فمن جعل لنفسه أهدافا لحياته جمع أموال أو رئاسه أو غيرها فهذا سيكون تفكيره يختلف عن تفكير من عرف وعلم أن الهدف والغايه من وجوده هو معرفه الله ومحبتة وعبادته وتوحيده فالذي عرف ربه وهدفه واخلص في عبادته الله واتبع الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا يحصل له الاهتداء لأن قلبه سليم وهو محلا صالحا لاستقبال نور الايمان

لكن الذي اتخذ لنفسه منها غير منهج الله ورسم لحياته أهدافا من ذاته فهذا دخل نفق مظلم الضلالة

لانه قد خرج عن طاعه الله فقال تعالى (وما يضل به إلا الفاسقين)

لأن الضلال عقوبه البعد عن الله ولمن أصر على الكفر فالله لا يضل المومن فالله يقول لنا في موضع

آخر (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هدهم) والفسوق يعني الخروج عن طاعة الله

٣

تاني النصوص تصف لنا هولاء الفاسقين بأوصاف تبين لنا دعائم الكفر

السمع الاولي

(الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه)

فالنصوص تلفت انتباه المخاطبين الي هنالك عهود ومواثيق مبرمه معهم يجب الحرص على الوفاء بها لا النقض يعني فك ما إبرامه ووثقه واكده باليمين ليذكر الناس بالعهد المتعدده المبرمه معهم حيث أن منها عهد الفطره أو عهد الذريه (واذ أخذ ربك من بني ادم.....الخ

والفطره تعرف ربها إذا خلت من التلوث لبيان ان القران يتفق مع الفطره التي خلق الناس عليها (فطره الله التي فطر الناس عليها) وقال تعالي (للتبديل لخلق الله) لبيان ان هذا شخص فاسد وايضا يذكرهم بـ العهد الذي قطعه الله مع ادم عهد الايمان حينما سلمه مفتاح الأرض (فما ياتينكم مني هدي)

وعهد الكتاب (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه...الخ

يقول لنا الله أن هولاء نقضوا العهد فاقدون الاحساس بالرقابة الالهيه (واوفوا بالعهد أن العهد كان مسؤ
(لا

فهم ليسوا لديهم شعور بالمسؤولية وعدم احساس بالرقابة الالهيه ولهذا فهم يشكلون خطر في الأرض ف الجدل معهم عقيم لانهم يريدون من ذلك إظهار قوه الجدل لا إظهار قوه الحق والله يقول (كان الإنسان
اكثر شي جدلا)

السمه الثانيه

(ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل)

فالنصوص تلفت الأنظار الي هنالك أسباب ومسببات توصل العباد الي الاتصال هي الالتزام بما أمر الله به وان يكون ذلك ابتغاء مرضاة الله ولهذا أخبرنا الله أن هذه الأسباب الايمان والعمل بمثابه حبل الصله التي تصل العبد بربه الذي حبال الإيمان باليقين الصادق

مبيناً لنا أن هولاء قد قطعوا حبال الصلوة بالله بالكفر وقطعوا حبال الصلوة بالاخلاق بقطع حبال التراحم والتعاطف مع غيرهم لانهم يعيشون لذواتهم وكذلك قطعوا حبال القرابة لانهم يحبون أنفسهم ويعيشون للذات وقطعوا حبال الإنسانية بالتحول من انسان آلي وحش فلا يشعر بأخيه الإنسان فهم قد انقطعوا عن حبال الموده والادمية والإنسانية فكون عرضه لسلطان الشيطان

السمة الثالثة

ويفسدون في الأرض)

الافساد في الأرض له مظاهر متعددة من فساد الاعتقاد والانحراف الي فكره عباده الذات والهوي أو الا وهام والخرافات التي يعيشون فيها واحتقار العقل والافساد بضيق الأفق بالعصبية والقوميات والافساد في الاقتصاد بالاستغلال والاحتكار والربا ومحاربه الآخرين في لقمه عيشه أو حروب الاقتصاد والتنافس الغير مشروع والافساد بشويه العقل وتلويث الفطره وطمسها والتمويه برغبه عكس الحقائق نتيجه النظر لها من منطق المصلحه فيري الاشياء معكوسه فبين أن هولاء هم الخاسرون فقال تعالي (اولئك هم

الخاسرون)

خامسا

بعد بيان خساره المكذبين لانهم خارجوا عن طاعه بالفسق الذي جعلهم يقطعون العهود والمواثيق مع الله وقطعوا الصلوة بينهم وبين الله وافسدوا في الأرض يتعجب الله من عدم انتفاع هولاء ويستنكر أن يحصل ذلك من الإنسان الذي كرمه الله وخلقته في احسن تقويم ومنحه ادوات العلم كيف اغلق منافذ الهدايه ولماذا حرم نفسه من الانتفاع بمنفعه هدايه القران الكريم ومافيه من بيان وامثال وانه سبحانه قد جعل لكل شئ أمر تكويني وسنن كونييه واجتماعية والأصل أن يأخذ مافي القران والامثله وسائل تحقيق الهدف والغاية من الوجود الإنساني وبتهذيب وتزكيه النفس والانتفاع بهدايه القران فجاء الا سنتكار والتعجب بأسلوب الحوار مع هولاء الناس

فقال تعالي ١

١) كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون)

اي ما الذي تعتمدون عليه في هذا الكفر والعناد فالله اوجدكم من العدم فهو خلقكم ولم تكونوا شيئا ف الايه مثل قوله تعالي (ربنا أمتنا اثنتين واحيانا اثنتين)

فالايه فيها توبيخ لهم علي انكارهم التوحيد والرساله فقال لهم كيف تجرؤون علي الكفر والله اوجدكم من العدم وانتم في قبضته فهو بيده امركم فهو يميتكم ثم يبعثكم وسوف يحاسبكم فلماذا لاترهبون الله في انفسكم

يلفت انتباه المخاطبين الي الانشغال بالمنعم الذي اوجدهم من العدم وأوجد لهم الأرض وجعلها صالحه للعيش لأن الكفر يكون من الجهل والغني فأخبرهم أن عليهم أن يعرفوا أنفسهم وضعفهم فهم في قبضه الله لا يستطيعون الإفلات من عقابه ثم بين افتقار الإنسان وحاجته لله فقال تعالي (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوي الي السماء فسوهن سبع سماوات وهو بكل شي عليم)

فهو سيد الأرض والسماء والكون كله فقال (جميعا) للإشارة أن الله اوجد ما في الارض ليكون الإنسان خليفه علي الارض والخلق هنا بمعني التقدير اي قدر ما في الارض ووضع السنن والنواميس الأسباب و المسببات التي تحقق المصلحه والمنفعه لمن أخذ بها

وهو تعالي يستنكر كفر هؤلاء وهم في قبضته وهو خالقهم فمن خلق له الأمر فقال تعالي (ثم استوي الي السماء فسوهن سبع سماوات) اشاره الي الهيمنة والسيطرة الالهيه علي كل شي فهو ملك الملوك وييده كل شي

وأنه يعلم كل شي في الكون فهو المالك المدبر والمهيمن والمسيطر علي الكون كله والاحاطه به علما (وهو بكل شي عليم)

قال تعالي

(واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفه قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لاتعلمون وعلم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة قال انبؤني بأسماء هولاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يادم انبهم بأسماءهم فلما انبهم بأسماءهم قال الم اقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض واعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر فكان من الكافرين وقلنا يادم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فاولهما الشيطان فاخرجهما مما كان فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستنقر ومتاعب الي حين فتافيت ادم من ربه كلمات فتاب عليه أنه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها فأما ياتينكم مني هدي فمن تبع هادي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بايتنا اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

اولا

ارتباط النصوص بما قبلها:-

حيث نجد أنها وردت معطوفة علي ما قبلها وأداه ذلك حرف الواو فقال تعالي (واذ قال ربك) وهو حرف عطف يجمع ما بعده مع معني قبله ولهذا نجد

ان النصوص جاء فيها عطف ذكر قصه نشاه البشرية من خلق ادم وتكوينه وتكريمه وتعليمه وإدخاله الجنة وإخراجه منها الي الأرض وذكر عهد الخلافة وشرطه (فما ياتينكم مني هدي)

وقاعدة ارسال الرسل والأنبياء الذين كان آخرهم الرسول صلى الله عليه وسلم

بعد الاشارة الي خلق الله السماوات والأرض التي ذكرها الله للاستدلال علي وحدنيته سبحانه وتعالى وعلي بطلان دعوي الشرك واتخاذ الانداد فذكر خلقه للأرض وامتنانه سبحانه وتعالى بما أنعم به علي الإنسان بقوله (خلق لكم مافي الارض جميعا)بالاشارة الي تقديرية سبحانه وتعالى المقادير ووضع الاسباب والمسببات والسنن الكونية التي تحكم حركة الكون وهذا فيه عرض الارتباط من عده أوجه

الوجه الاول

اعلاما منه تعالي أن حاجه الإنسان لاتقوم علي شي دون شي وانما تقوم علي الربط بين الأشياء ومعرفة السنن الإلهية التي وضعها كقوانين ونواميس تحكم الكون حينما اوجد الأرض وجعل مافيها مسخرا لخدمه الإنسان وخدمته فقال تعالي (جميعا)

بأن هذا التسخير لمافي الأرض هو للانتفاع الإنساني والأصل هو اباحه كل مافيها من اشياء نافعه والأصل في الأشياء الضارة التحريم ثم ذكر الله تعالى سلطانه وهيمنته وتدييره لكل شئ لبيان احاطته علما بكل شي وان الكون والإنسان والمخلوقات كلها في قبضته وملكه لبيان ان الأسباب والمسببات والعلل كلها تنتهي الي الله تعالي وأن الله موجودها وان الإنسان بحاجه الي أن يتحرك حركه تنسجم مع حركة الكون التي تحكمه النواميس وحاجه الإنسان لتفسير الأحداث الجارية ومعرفة السنن الإلهية التي تحكم كل شي وحسن تنزيلها وربطها بالوحي الذي هو دليل العمل والتعامل مع الحياة وتحولاتها واطرادها فهذه المعرفة تمثل مفتاح المعرفة التي تحكم البشرية منذو نشأتها لأجل الاضطلاع بالمهمه والقيام بأمر الله فالوحي بمثابة البوصله التي ترشدك الي الاتجاه الصحيح ف جاء ذلك الامتنان بتلك الآيات التي من ضمنها خلق الإنسان نفسه وأن الجميع مخلوقاته والجميع يعبد الله وعباده الكون والسماوات والأرض هو التسخير لخدمه الإنسان فهي مجبوره ولهذا فهي لاتحاسب لأنها مسلوبه الارده اما ا

لإنسان فهو محاسب علي أعماله لأنه لديه حريه الاختيار فذكر الله لنا هيمنته وقدرته وان الجميع في قبضته والا حاطه بكل شي علما للاهميه في إيقاع الجزء لان المعلوم في تعامل الناس أن تهديد المجرم بالعقوبة من شخص عاجز عن إيقاعه لان المجرم قادر علي الإفلات بالهروب أو أن لديه قوه تمنع عنه ذلك فإن ذلك يجعله لايبالي بـ التهديد بالعقوبه ولهذا نجد أن الله سبحانه وتعالى يذكر لنا سلطانه وهيمنته وتدييره لكل شئ وأن الكون ومافيه و الانسان في قبضته لبيان انه لايمكن الإفلات من العقاب فعليك الشعور بالمسؤولية عن هذا التسخير وامثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه ولأن الله عادل لايقوع الجزء الا علي من يستحقه فذكر احاطته علما بكل شي ليغرس في نفوسنا الاحساس بالمسؤولية عن كل أعمالنا لأنها في علم الله ومحسوبه عليك فأنت عاجز عن التملص باخفاء أفعالك القبيحه لبيان ان خلافه الإنسان يتبعها حساب وعقاب وهذا بناء علي مامنح الإنسان من تفاضيل وتكريم بـ العقل والعلم والارداه وان هذا مرتبط بنشاه الإنسان ادم عليه السلام

الوجه الثاني

ان عطف قصه نشاه البشرية على ايات خلقه السموات والارض وهيمنه الله وسلطانه

واخباره سبحانه وتعالى أنه خلق الأرض لتكون المكان الذي يسكن ويقيم الإنسان فيها وأوجد ما فيها لخدمه الإنسان فقال تعالى (خلق لكم ما في الارض جميعا)

فيها لفت انتباه المخاطبين الي أن النوع الإنساني هو المقصود بالذات من هذا الوجود ولذلك ذكر ايجاد ادم الذي هو آخر الموجودات وتفضيله وتكريمه بالعلم فالمراد من الخبر هو بيان أن وجود الإنسان علي الارض مخطط له ومقصود مع التأكيد على مبدأ العبره في تفسير الأحداث التاريخية فهي مفتاح قراءه نشاه البشرية والغرض من وجودها ودورها فذكر تشريف الإنسان وتعليمه له بعد ذكر ايجاد اصل النوع الإنساني هو امتنان من الله علي الإنسان فكل هذه النعم لانكار كفره وانه لا عذر له فقال تعالى (كيف تكفرون بالله... الخ بأسلوب حوار مع العقل البشري بعرض الدلائل علي وحدنيته سبحانه وتعالى ف جاء ذكر القصة واسند فيها الحوادث الي الزمان التاريخي الذي وجدت فيه ابو البشرية ادم وهذا فيه جذب النفوس والقلوب بهذا لأن الموضوع يتحدث عن بدايه وجود الإنسان وهو أمر يجد في النفوس شوقا لمعرفة لبداية وجوده ليكون هذا الاهتمام توطئه للنفوذ الي منطق المشاعر الداخلية للانسان ليحصل الاستجابة للغرض من عرض القصة وهو العظه والعبره ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى أسند خطابه في تناول قصه ادم الي صفه الربوبيه (وإذ قال ربك) والخطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم للإشارة إلى عناية الله تعالى ورعايته لتطمئن الرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بان ايجاد الإنسان الأول ادم كان محاطا بعناية الله ورعايته وانه كرمه وخلق الإنسان للقيام بالخلافة وان هذا شرف اختص به الإنسان ولهذا فإن هذا الشرف يتطلب الالتزام بالقيام بأمر الله واذا تخلي عن ذلك فإنه يفقد الشرف وان شاهدت بعض القوه و السلطة فهي قوه بلا شرف

ثانيا

ماهو الغرض والفائدة من ذكر المولي سبحانه وتعالى في الخطاب الرباني الموجه الي الملائكة أنه جاعل في الأرض خليفه فقال تعالى (وإذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفه) لأن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى منزه عن مشاوره الملائكة أو المخلوقات فهو سبحانه وتعالى قد أخبرنا أنه له ملك السموات والأرض والمخلوقات كلها وهم في قبضته وسلطانه وأنه أحاط بكل شي علما وهو اذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون فما هو المراد بماورد في النص من مخاطبه الملائكة بأنه جاعل في الأرض خليفه

الجواب

الأمر الأول

ان الله سبحانه وتعالى أراد أن يعلمنا اهميه مبدأ الشورى في اقامه الخلافه علي الارض لارتباط ذلك بواقعه اعلان نشاه الوجود الإنساني علي الارض

فالله سبحانه وتعالى يريد لفت انتباهه المخاطبين الي الاساس الذي هو اصل خلافه الإنسان أنه يقوم علي الشوري والحوار مع الالتزام بمنهج الله تعالي وأوامر الله وعدم جواز الاعتراض عليها وانه يجب الإذعان والقبول والتسليم لها فذكر الله لنا أحوال الملائكة وقلوبهم بأمر الله تعالي وذكر لنا أحوال الشيطان واستكباره

لبيان كيف يكون منا تطبيق مبدأ الشوري واهميه الحفاظ على اشعار المكونات التي سوف يكون لها دور في المستقبل المتعلق بالمسألة بالمشاركة في اتخاذ القرار وان لم يأخذ بمقترحاتها

الأمر الثاني

ان النص فيه اعلان مشيئة الله تعالي العليا عن الساكن الذي كانت المخلوقات تنتظر في شوق الي معرفه من صاحب هذا الفضل الذي طال انتظارهم لمعرفة من يكون صاحب هذا الشرف ولهذا نجد أن اخبار الله الملائكة أنه جعل في الأرض خليفه والجعل بمعني الصيروريه اي أن الله اخبرهم أن المشيئه الالهيه العليا تريد أن تخبركم أنه قد جعل خليفه في الأرض يقوم باستغلالها وإظهار المشيئه الالهيه واكتشاف مافي الارض من قوي وطاقات

وبالتالي فإن لفظ جعل خليفه كان أول الأحوال علي الارض بعد خلقها لأن لفظ الخليفه تعني الذي يخاف صاحب الشئ في التصرف في مخلوقاته والخليفه هنا ادم الذي أخبرنا الله أنه خلق مافي الارض كلها لخدمه الإنسان فذكر قصه ادم تعقيبا علي ذكر خلق السموات والأرض وهذا ما يجعلنا ندرك عدم صحه ماتناولته الخرافات والأساطير اليونانيه والفارسيه من وجود مخلوقات قبل الإنسان كانت تسكن الأرض

لأن أخبرنا أنه جهز الأرض واعدها وكلف مافيها جميعا لخدمه هذا الإنسان فقد اعد الأرض وجهزها لتكون مقاما وسكنا لهذا الانسان

ولهذا كان الارتباط بين النصوص بما قبلها لبيان أن إدراك ابعاد مهمه الاستخلاف مرتبطه بفهم السنن والنواميس الالهيه التي تحكم الارض معرفه الاسباب والمسببات والنتائج التي تنتهي إليها فتلك تمثل مفتاح معرفه قصه الإنسان منذو البشرية الي أن يرث الله الأرض ومن عليها

الأمر الثالث

ان النصوص فيها بيان اهميه معرفه الإنسان لعلاقته بمن حوله من المخلوقات وبالكون والمخلوقات التي خلقها الله التي لها ارتباط بالخلافه فأخبرنا الله عن عالم الملائكة واوصافهم بأنهم لايعصون الله ما أمرهم وأنهم مخلوقات مجبولة علي الخير وأن هنالك جن وشياطين وابلاسه وأمرنا بالتصديق باليقين الجازم بذلك

ونجد أن عرض القصه ابتداء بإعلان المشيئة الالهيه (اني جاعل في الأرض خليفه)

وهذا يدل أن الأرض خلقت قبل الإنسان وأن الله قد أخبر الملائكة أنه أعدها لتكون مسكنا ومقاما لخليفته الذي جهزت لاجله وأخبر الملائكة أنهم سوف يكونون خدما لهذا الخليفه الذي سوف يكلفه بالمهمه اي أنه سيكون له منزله اعلي من الملائكة أن اطاع الله وقام بامانه الخلافه وأما أن عصاه فهو سيكون في اسفل السافلين

وذكر لنا عالم الجن وأنه تربطني بهم علاقه حيث سيكون منهم مومنون هم اخوه لنا تربطنا بهم علاقه الايمان مثلما أنه سيكون هنالك كفارا من البشر أسماهم الله شياطين الانس وهم أعداء لنا مثل كفار الشياطين من عالم الجن فالقصه تبين لنا علاقه الإنسان مع نفسه وبني جنسه والكون والمخلوقات وجذور ذلك

ان اراده الله تعلمنا أساس اقامه الخلافة بأنها تقوم علي الشوري والحوار ومشاركه المحكومين في اتخاذ القرار المرتبط بمستقبلهم باخبارنا بإعلان المشيئة الالهيه للملائكة (اني جاعل في الأرض خليفه)وهو سبحانه وتعالى خص بالذكر الاخبار والإعلام بانه جاعل الإنسان خليفه وقد خلق العديد من المخلوقات فلم يقل اني خالق الأرض أو خالق العرش ونحو ذلك

والمراد بهذا

الأمر الأول

لفت انتباه المخاطبين الي شرف الخلافة وأنها منزله عظيمه تقتضي الاهتمام بالمساله يقول لنا أن الخلافة شرف اختص به الإنسان وجعلها لمن اراد أن ينال هذه المنزلة من الناس فهي لا تثبت للإنسان بمجرد ولادته وانما تكون لمن اراد ان يكون خليفه وقام بأمر الله وطاعته والتزام بالقيام بأعمال الخلافة بينما العبودية تثبت للإنسان سواء قبل أم لم يقبل ولهذا نجد أن المولي ربطها بمساله عنايته ورعايته فقال (واذ قال ربك)اي هذا الذي أخبركم به من عناية الله بالانسان ولذلك نجد أن المولي سبحانه وتعالى اخبر الملائكة(أني أعلم ما لاتعلمون)عندما قالو (اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك)

لأن فهم الملائكة أن خلق المخلوقات أن تكون مجبولة علي عباده الله تعالي وتنزيهه وتطهيره وتقديسه ولذلك عندما اخبرهم الله أنه سبحانه سيجعل في الأرض خليفه له حريه الاختيار أن يكون خليفه وان يطيع الله أو يعصيه وليس مجبور اي له حريه الاختيار وان لديه استعداد للخير والشر وانه سيكون من ذريته من يفسد في الأرض اذا ركبت فيهم قوه الشهوه وان فيهم قوه الغضب اذا استحمت عليهم فإنهم سوف يسفكون الدماء فهم اردوا بهذا السؤال (اتجعل فيها)

١

ليس سؤال استفهام وانما سؤال للاسترشاد عن الحكمه من ذلك لأن قولهم (سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا...الخ عندما قال تعالي لهم (إني أعلم ما لاتعلمون)

تدل أنهم قد عرفوا ذلك من الله تعالي أنه سوف يعطي للإنسان الاراده والعقل وحريه الاختيار لطريق الخير أو الشر وأعلمهم بطبيعه هذا المخلوق الجديد الذي منحه هذا الشرف أن هذا النوع اذا ركبت عليه الشهوات والأهواء لافساد في الأرض وسفك الدماء

فكان سؤالي الملائكة:-

عن الحكمه الالهيه والسر الإلهي من اختيار هكذا خليفه يفسد في الأرض ويسفك الدماء إذا غلبت عليه الشهوات و الأهواء...فقد أصيبوا بالدهشة لغياب عنهم معرفه الحكمه فسألوا رغبه معرفه الحكمه والسر الإلهي من ذلك

فالسؤال هنا عن المزايا والسمات التي اختص بها هذا المخلوق الذي جعله جديرا بهذه المكانة والمنزله ولم يحظوا بها وهم مطيعون لله ويقدمونه وينزونه من النقص والعيب علي الدوام

٢

ان الجواب منهم يدل علي أن مذكروا من الفساد في الأرض وسفك الدماء في جوابها علي ربها ليس المراد به الخليفه ادم ابو البشر وانما الجواب متعلق بفساد بعض ذريه ادم وبالتالي فإن مصدر علمهم هو الله تعالي الذي

اخبرهم بذلك فكان قولهم(سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا)

٣

ان مايوكد أن الاستفهام هو لطلب معرفه الحكمة وذكر الحق لنا ذلك يراد به تعليمنا المشاوره هو أن السياق ورد فيه بيان عدم علمهم بالحكمة وان الأمر بيد الله مثلما قال قوم بلقيس (والأمر اليك فانظري ماذا تامرين)

فهم علموا منه تعالى أن من ذريه ادم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء فجاء منهم اتهام علمهم عندما قالوا (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) اي اننا لا ندرك الحكمة لاننا مخلوقات علمنا محدود وان الأمر بيد الله سبحانه وانهم لايعلمون الحكمة من ذلك فقال تعالى لهم (إني أعلم ما لاتعلمون)

الأمر الثاني

يكشف لنا الخالق سبحانه وتعالى السر الذي اختص الله تعالى به الإنسان ليكون خليفه الله في الأرض فقال تعالى (وعلم ادم الاسماء كلها)

ذكر تعليم الله تعالى ادم الاسماء اي علمه الاشياء الاسماء والمسميات للأشياء والشخوص اسماء الله الحسنی وصفاته وأفعاله واسماء كل مايتعلق بخلافته علي الارض من جبال وصخور ومعادن وعلوم وصناعات واختراعات

واستخدم لفظ كلها تفيد الاستغراق واقتنائها بعمله ويفهم منها الشمول للدلالة على تعليمه كل ما هو متعلق بخلافته

والنص فيه بيان أن رعاية وعناية الله بالانسان فاول شيء كان بعد الخلق للإنسان وإيجاد النوع الإنساني هو التعليم الذي أودع في قلب الإنسان ونفسه وعقله المعارف كلها ليكون قادرا على القيام بأمر الله (خلق الانسان علمه البيان)

فقد علمه الله الاسماء والأشياء والقدرة علي تسميه الأشخاص والمكونات حتي اصغر الاشياء فقد أودع الله في الإنسان الاستعداد والقدرة على تلقي العلم والفهم ومعرفة الاسرار والقدرة على التعليم ونقله بما أودع الله في الإنسان من طاقات وقدرات وقابليه العلم والمعرفة بما أعطاه الله من أدوات المعرفة فقال تعالى في موضع آخر (و الله اخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة...الخ

فالعلم اول شيء اختص به الإنسان قبل وجود الدين والأوامر والنواهي وهو السر الذي أظهر الله به عجز الملائكة وبين لهم سر استحقاق ادم لهذا التفضيل والتكريم (ثم عرضهم على الملائكة قال انبؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم)

اعترفوا أن مصدر علمهم هو الله تعالى فيما تحدثوا بشأنه من فساد بعض ذريه ادم وانه سبحانه وتعالى هو العليم بالسر الذي يضع كل شيء في موضعه لامعقب لحكمه

الأمر الثالث

يكشف الله للملائكة السر الذي اختص به الإنسان بشرف الخلافه فقال تعالى (قال يا ادم أنبئهم باسماءهم فلما انباهم باسماءهم قال الم اقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض واعلم ما تبذون وماكنتم تكتمون)

فالنصوص تلفت الأنظار الي اهميه العلم والتعليم فالله سبحانه وتعالى قد علم ادم وهو أول أمر اختص الله تعالى به ادم قبل الاكل والشرب (وعلم ادم الاسماء كلها) ثم نصبه معلما علي الملائكة فقال (يا ادم أنبئهم

باسمهم)

ليبيان اهميه نقل العلم وتدريب الكوادر البشرية علي القيام بمهمه نقل العلم وتعليم الآخريين وهو ما ذكره المولي سبحانه وتعالى في أول سورة نزلت في القران(اقرا باسم ربك الذي خلق... الخ فهذه أول نعم انعم الله بها على الإ نسان بعد الخلق

٢

جاء بعد ذلك بيان الحكمة من الخلافة فقال تعالى (الم اقل لكم إنني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)

فيه الاخبار عن الحكمة والسر الإلهي من اختيار الإنسان خليفه في الأرض يقول الله تعالى للملائكة أن ايجاد هذا المخلوق له حكمه أريد به الظهور باسمائي وصفاتي الذي لم يكمل بخلقكم فاني اعلم ما لاتعلمون من استعدادتكم و النقصان والقابليه فانتم لاتصلحون لظهور جميع الاسماء فكان هذا المخلوق الذي خلقته لاطهار اسمائي وصفاتي ومن ثم أودعت فيه الاستعداد والقدرة والقابليه لاطهار قدرتي وابداعي لأن قوله (واعلم ادم الاسماء كلها)أنه علمه اسماء المادة وخالق المادة اي عرفه بأسماء الله وصفاته فهي اهم العلم النافع يليها العلم بالاشياء واصوالها ومستلزماته

٣

فأظهر الله تعالى علمه لعباده والملائكة أنه سيكون من خواص خلقه ورسله وانبيائه واوليائه من يتقربون الي الله ويبذلون أنفسهم وأموالهم في محبه الله ومرضاته مع مجاهدته الشهوات والغرائز والأهواء فيترك كل ما أودع الله فيها من غرائز وسنوات تقربا لله ويضحى بنفسه في سبيله يعبد الله مع معارضه الشهوات والهوى والنفس والعدو فتبين للملائكة أنهم مخلوقات لا ارده لهم ولاشهوهم ولهذا فإن هذا الإنسان يكون افضل من الملائكة عندما يعبد الله ويخلص في عبادته وظهر لهم السر الذي اخبرهم به الله عندما قال لهم(اني اعلم ما لا تعلمون)أنه لم يخلق شيئا عبثا ولا يجعل خليفه عبثا فهو يعلم كل ما يظهر اثاره من النفوس وما يختفي ولاتظهر اثاره فقال (واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)أنهم لم يقصدوا بذلك السؤال الاعتراض لا بالسر ولا بالعلن وانما اردوا معرفه السر و الحكمة اي سؤال استرشاد لبيان جواز مثل تلك الأسئلة التي لا يكون طرحها التعنت لأن النصوص سوف تعرض لنا في هذه السوره نوعان من الأسئلة الاول لليهود عن البقره ولونها... لأجل التعنت وهو المنبوذ والثاني اسئله لغرض الاسترشاد ويسلون ماذا ينفقون..وعن القتال ..والخمر والميسر... الخ لبيان وجود فرق في الاسئله

الأمر الرابع

وولما كانت النصوص قد بينت علم الله سلامه القصد من الملائكة عندما طرحوا السؤال بمسألة طلب معرفه الحكمة فقال تعالى (واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)علمه أنهم اردوا معرفه الحكمة والسر اي سؤال استرشاد لهذا نجد ربط ذلك العلم بالتوجيه للملائكة بالسجود لادم اي التكريم (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابي واستكبر فكان من الكافرين) وهذا فيه بيان الآتي

المساله الاولى

ان الجدير ذكره في هذا المقام أن نلفت انتباه القارئ الي مسألة في غاية الأهمية وهي أن تفهم أن السجود هو للتعبير عن التكريم والتفضيل لاسجود العباده لأن سجود العباده لاتحوز إلا لله تعالى وحده لا شريك له

المسالة الثانية

ان الأمر بالتكريم لادم قد كان بعد بيان ثلاثة أشياء تميز بها الإنسان علي سائر المخلوقات

١

التسوية بيد الخالق سبحانه وتعالى

٢

بما أودع الله فيه من العقل والقوي الروحانية

٣

العلم الذي منحه الله للإنسان مع حرية الاراده والقدرة على الاختيار ليحمل امانه الخلافه ..وحمل امانه الاسماء فكان الامر للملائكة بالسجود لادم بعد بيان فضله ومكانته

المسالة الثالثة

ان الأمر بالسجود لادم تكريما له لاعبادته وهذا الأمر فيه ابتلاء واختبار ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى يبين لنا مسارعه الملائكة لتنفيذ الأمر بالسجود لبيان ما ذكره في الايه الكريمه قبلها أنه يعلم ما يظهرون منهم وما يخفون اي يدرك سلامه قصدهم في طرحهم السؤال وأنهم لم يقصدوا به الاعتراض على اختيار الله للإنسان أن يكون خليفه ولهذا استخدام حرف (إلقاء) في قوله (فسجدوا) لترسم في ذهن السامع صورته السرعه في استجابة الملائكة لتنفيذ أمر الله تعالى وذكر استثناء ابليس الذي رفض وهو لم يكن من جنس الملائكة لأن الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم وانما كان معهم وقد أخبرنا الله أنه كان من الجن

المسالة الرابعه

نجد أن النصوص تبين لنا صور الأفعال ابليس الذي ذكر الاستثناء الوحيد من الحاضرين من تنفيذ الأمر واسبابه فقال تعالى (الا إبليس ابي واستكبر فكان من الكافرين)والايه فيها

١

بيان كيف قابل ابليس الأمر الإلهي بالسجود تكريما لادم والاعتراف بفضله الذي هو سر اختياره خليفه في الأرض فذكر الله أنه رفض الاعتراف بذلك وعبر عنها بفعل الآباء اي أن فعله جاء فيه تعبير الرفض للأمر من قبل ابليس

٢

أوضحت الايه الكريمه سبب ذلك الرفض وعلته وهو الاستكبار والإصرار على الموقف والعناد والقياس تحت شعار (انا خير منه)بالعناد والكبر والافتخار بالنسب والاعجاب بالنفس للتحذير من ذلك السلوك

٣

تبين النصوص أن الاستكبار والعناد والافتخار بالنسب والاعجاب بالنفس يعود في أصله الي الكفر فاستخدم (فكان من الكافرين)فالفاء تفصح لنا عن النتيجة النهائيه لتلك الأفعال وأمراض الشبهات بأن العصيان وعدم الإنذعان وعدم النظر إلي مصدر الأمر له بالسجود بأنه من الله وغير قابل للنقاش إنما يعود إلي الكفر الذي يكون نتيجته

امراض الشبهات وليس لتترك الواجب كما ذهب الخوارج بل لأنه اعتراض على أمر الله وكان منه الدعوه الى القياس والاستعلاء بالنسب والكبر والعناد فاستعملت إلقاء المفصحة لبيان اصل الكفر

الأمر الخامس

(وقلنا يادم اسكن انت وزوجك الجنه وكلا منها رغدا حيث شتما ولا تقربا هذه الشجره فتكونا من الظالمين)

قبل أن نخوض في تأويل النصوص لابد من الوقوف على مدلول ماورد في مقدمه المقطع وهو أن الله تعالى أخبر الملائكة أنه جاعل الإنسان خليفه في الأرض وهذا قبل وجوده فالجنه ليست المكان الذي سيكون اقامه الإنسان فيها وعرفنا أن الملائكة كانت تتمني لو انها هي التي اختصت بالخلافه علي الارض وذلك لأن الله تعالى اخبرهم أن الأرض أعدت لهذا الانسان قبل وجوده واخبرهم بطبيعه هذا المخلوق الجديد وما سيكون من بعض ذريته من الا فساد في الأرض وما سيكون من خواص خلقه ورسله وانبيائه واوليائه والصالحين من طاعه الله فالعبوديه شرف عظيم ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى ذكره في موطن التحدي (مما نزلنا علي عبدنا) فالملائكة أعلمت أن هذا المومن سوف يعيش فتره زمنييه محدده في الأرض ليقوم بأمر الله ومن ثم سيعود لتكون الجنه منزلته والملائكة خدم له فروا هذا التكريم العظيم فالدنيا قصيره جدا وما ينتظرهم من ثواب علي هذه الفتره الزمنييه القصيره عظيم لا مثيل لها فتمنوا لو أنهم كانوا مكان هذا الإنسان فأخبرهم الله أنهم خلقوا لوظائف محدده وان الإنسان له وظيفه مختلفه ولهذا أودع في الإنسان طاقات وقدرات وإمكانيات تتفق والوظيفة التي خلقوا لأجلها فالإنسان سوف يعيش في الأرض ويطلب منه الايمان لما غاب عنه ويطلب منه القيام بالأعمال الصالحة مع ماودع الله فيه من غرائز وشهوات ولهذا زوده بالعلم لانه يحتاج إلى اليقين الذي يعلم به حقيقه الامر والنهي والثواب والعقاب وهو بحاجة إلى القوه التي تدفعه إلى تنفيذ أمر الله ويتغلب علي رغائب النفس عما نهى الله عنه يحتاج الي قوه اقدام وقوه احجام الاقدام نحو ما يحبه الله والأحجام عما يبغضه الله ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يعرض علينا قصه ادم في الجنه لبيان حاجه الإنسان الي الصبر والعزيمة والثبات لتنفيذ أمر الله فالخلافه تقوم علي أمرين العلم والعدل وهو ما يتطلب التخلص من الجهل والظلم

ولهذا يخبرنا الله

١

أنه أمر ادم أن يسكن الجنه ويقيم فيها هو وزوجته حواء ولكن أنبت مع دخولهما شجره المحنه (وقلنا يادم اسكن انت وزوجك الجنه) والسكن مشتق من السكون لأنها نوع من اللبت والاستقرار والهمزه لتأكيد الاستقرار وان جميع ما فيها مباح فقال وكلا بالعطف (منها) اي من الجنه (رغدا اي واسعا واستخدام الظرف (حيث) الذي يستخدم للمكان المبهم بمعنى اي مكان شتما وأطلق لهما الاكل من الجنه علي وجه التوسعه البالغه المزليه للعله

٢

فلم يحظر عليهما عدا شجرة واحده فيجب عليهما عدم الاكل منها وأشار إليها (هذه الشجره) وعبر عنها بعباره المبالغة فقال (ولاتقربا هذه الشجره)

وعدم الاقتراب منها يعني الابتعاد عن المقدمات التي تؤدي الي الاكل منها فالمراد عدم الاكل لكن النهي جاء بصيغه المبالغة لتغرس في النفوس والقلوب الشعور بالمسؤولية بالابتعاد عن المقدمات التي توصل الي الشر فيجب تطهير الأفكار والخواطر من الوسوس التي فيها دعوه الي الشر فلم يقل ولا تاكلا لاخبارنا ان البواعث و الدوافع يجب قطعها عن كل ما حرم الله فيجب محاربه الخواطر والهواجس التي توصل الي اقتراف الخطيئه ف المنع عن حماها منع من مجرد الاقتراب منها ليكون ذلك اشد من النهي وأنه سبحانه وتعالى

حذرهما من المخالفة بأنهما سيكونان من الظالمين والظلم يعني فقدان شرف الخلافة التي تقوم علي التخلص من الجهل والظلم

رابعاً

فاللّٰه أراد بهذه التجربة أن يجعل ادم يخوض تجربته العزيمه وقوه الارده فكان المنع من الاقتراب من الشجره اشاره الي ضروره المحافظه على قوةالعزيمه والارده بعد العلم وعدم فتح المجال أمام الخواطر التي تضعف الا رده التي تقتل العزيمه لأن ذلك يودي الي فعل المنهي عنه في نهاية المطاف وهو الاكل من الشجره التي هي رمز المحظور في حياه الانسان علي الارض فقد بدأت المعركه بين الحق والباطل بإعلان ابليس العدوان للإنسان وانه سوف يغويهم فكانت مدرسه الشر التي أسسها ابليس تحت شعار انا خير منه)هي مدرسه لكل من يلتحق بابليس وأعوانه... وان مدرسه الخير هي مدرسه الايمان وأهله الذين يلتزمون بأمر اللّٰه ويحافظون علي قوهم بالعلم بأمر والأرده القويه التي يكون بها تنفيذ أمر اللّٰه

ذكر اللّٰه تعالى لنا النتيجة النهائية للتجربه فقال تعالي (فازلهما الشيطان فاخرجهما مما كانا فيه)

اي اوقعهما في الزله بالسوسه والغوايه فابعدهما عن النعيم الذي كانوا فيه ونسب أسباب ارتكاب ادم وحواء للخطيئه هو وسوسه الشيطان وسماه الشيطان لما في معني الشيطنه من البعد والتمرد والسرعه ولم يقل ابليس لا نه ارد أن يلفت انتباه المخاطبين الي مفهوم صفه الشيطنه ليغرس في النفوس والقلوب أنه جعلها مدرسه ترمز للشر وأهله والتي سوف ينتمي إليها كل من كفر وتمرد سؤاء من أبناء ابليس أو من ذريه ادم فسوف تجمعهم صفه الشيطانه فاخرجهما مما كانا فيه من النعيم والتكريم اي أن الشيطان أخرج ادم وحواء مما كان فيه من رغد العيش وسعه الانعام الذي كان فيه فاستخدام (مما كانا فيه)بعد أضافه أخرجهما من الجنه بفعل الشيطان وان كان اللّٰه هو المخرج لهما لأن خرجهما كان عن سبب من الشيطان واضاف ذلك لتتبه العباد

ثم بين لنا الأمر الإلهي الذي صدر بحق كلا من ادم وحواء وإبليس فقال تعالي (وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع الي حين)

والهبوط يعني النزول والتدحرج الي مكان أسفل منه الي الأرض ليستقر عليها الي حين اي اليوم المقدر لانقراض العالم فهذا الوقت المحدد وهو وقت قيام القيامة

حيث بالوقوف على مدلولات النصوص نجد مايؤكد ماذكرنا بشأن أن دخول ادم الجنه هو تجربته لتربيته ادم وتأهيله لمواجهة المعركه مع الباطل ويتضح ذلك من خلال مدلولات ومفاهيم النصوص باختلاف اراء المفسرون لمفردات ومفاهيم الايه الكريمه والتي نذكر منها الآتي

الأمر الأول

ان المولي سبحانه وتعالى ابتداء النص بالأخبار أنه اسكن ادم وحواء الجنه وأنه تزامن مع ذلك اثباته دخول شجرة المحنه الي الجنه وهذا فيه

*

الاشاره الي أن ذلك لسبق تقدير الهي وإلا فإنه بيده سبحانه وتعالى أن يبديل الشجره بالنظاره ذبولا وبالخضره

يبسا وبالوجود عدما ولمنع ادم من الاقتراب منها ولما مكن ابليس من خديعه ادم فهو البشر وهو أشد البشرية
عزيمه وقوه ولكن حكمه الله اقتضت ذلك وقد كان تقدير ذلك في اللوح المحفوظ

*

ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى عطف القصة علي مساله تقديره خلق السموات والأرض وهيمنتته وتدبيره لكل شئ
واحاطته علما بكل شي فقال (وهو الذي خلق لكم مافي الارض جميعا ثم استوى الي السماء فسوهن سبع
سموات... الخ

*

ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى اخبر الملائكة من البداية أن مكان إقامة ادم هي الارض فقال تعالى (اني جاعل في
الأرض خليفه)وجاعل كما أوضحنا سابقا هو اسم فاعل يعني الصيروره تتعدي لمفعولان الاول الأرض والثاني
الخليفة وبالتالي فلا يمكن بقاءه في الجنه والخلود فيها

وهنا قد يقول قائل فما فائدة ادخال ادم وحواء الجنه ومن ثم اخراجهما منها اذا كان التقدير الإلهي قد كتب في
اللوحة المحفوظ أن محل إقامة ادم هي الارض الجواب كما أوضحنا سابقا أنه تجرته لتربيته ادم وتأهيله لمواجهة
التحديات في المعركة مع الباطل وسوف نبين توضيح ذلك باكثر وأدق من خلال الوقوف على مدلول النصوص
في المسائل الآتية

المساله الاولى

أنه سبحانه وتعالى أراد بهذه التجربة تحذير العباد من الانحراف وارتكاب المعاصي لأن العقوبه سوف تكون
الحرمان من الجنه بل وادخالهم النار والتنبيه علي عقوبه مخالفه أمر الله أنه يكون به كشف العوره

ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى ذكر مساله الخروج من الجنه من بعد أن أصبح ادم محمودا في الملائكة فقد سجد
له كافة الملائكة وأعلن اسمه المولي جلا جلاله في الملاء الاعلا فسمع به الجميع فهو لا يوجد احد فوقه في الرتبه
فقد أصبحت جميع الملائكة تهتف باسمه فتقول ادم ادم ادم ودخل الجنه فلم يمسي حتي نزع عنه لباسه وسلبت
رتبته وكشفت عورته وفضح فقد تم دفعه منها دفعا وإخراج من الرتبه والدرجه قهرا لانه اساء الادب ووقع في
مصيده الشيطان

والزلل من التزحلق اي تزحلق الشئ عن المكان أو المكانه ولهذا نجد التعبير عن هذا التزحلق رسمته الايه الكريمه
بصوره قادره على خلق الشعور بخطوره الموقف في النفوس فقال تعالى (مما كانا فيه) فكلمه في) تقتضي وعاء
كان فيه مكان او مكانه لبيان ان شرف الخلافه يكون بامتثال المنهج الرباني الذي فيه الحلال والحرام فإذا خالفت
المنهج الرباني فإنك تكون مطيه للشيطان ولهذا نسب الذنب الي الشيطان لافهام العباد أن الشيطنه صفه مدرسه
الشر وان اهداف مدرسه الشر الذي قائدها ابليس هو السعي لفضح بني ادم وكشف عورته وان يحط من منزلته
ومكانته لما في نفس الشيطان من شبهه العداواه والكبر العصبيه ولهذا عاقبه الله بالطرد واللعن أما ادم فقد كانت
مخالفته نتيجة عارض من قبل عدوا ولذلك منح التوبه عن الذنب العارض

المساله الثانيه

أنه سبحانه وتعالى خلق آدم وذريته ليستخلفهم في الأرض فقال تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض)وقال
تعالى (ومستخلفكم في الأرض) وان الأمر مخطط له ومقصود من قبل خالق ادم فهو تعالى قال للملائكة اني
جاعل في الأرض خليفه)

وأنه سبحانه وتعالى أخبره أنه سوف ينقله وذريته من هذا الاستخلاف فقال (ولكم في الأرض مستقر ومتاع الي حين) كي يورثهم جنة الخلد لمن اطاعة منهم وقد علم الله لسبق علمه بضعف الإنسان وقصور نظره فألحق بالنفس محبه وشوق للجنة والايمان بالغيب لتكون باعثا للطاعة

ولهذا اقتضت حكمته سبحانه أن ادخله الجنة ليعرف النعيم الذي أعده له عيانا فيكون ذلك العلم مغروسا في اعماق نفس كل انسان من بني ادم يتولد عنه الشوق للجنة فتقوي المحبه للطاعة والزهد عن الدنيا وكان إخراجهم من الجنة بسبب الخطيئة ليكون كارها للخطيئة والشيطان

ذلك أن الإنسان بحاجة الي المحافظه على قوه المحبه وقوه الغضب من الانحراف لأن محبه الشئ وطلبه والشوق إليه من لوزام تصوره ولهذا يخبرهم الله بما صار لوالدهم فالسوره ابتدأت بذكر إن الغايات لاتنال الا بأسبابها وبينت أن تلك الأسباب أنه لاتقاء العذاب والألم والعقاب والحرمان في الاخره لابد من التزود بسلاح التقوي والأخذ بالاسباب التي توصلك الي التقرب من الله لتنال عطفه وتوفيقه وأنه لاتقاء الفشل والخذلان يجب أن تتزود بالمعرفه في كل مجال وفن وإتقان الأخذ بالاسباب الماديه والمعنويه التي تودي الي السلامه

وان هذا الأمر يحتاج إلى المجاهده في دار الدنيا التي ينالون بها أسباب الوصول والعوده الي الجنة التي اخرجوا منها

فذكر الله لنا أن ذلك يحتاج الي الصبر واليقين والعلم والجهاد لمنع فساد الارده والقوي العقلية

فالله سبحانه وتعالى خلق الجنة لادم وبعض ذريته وجعل الملائكة خدما لهم واقتضت حكمته أن خلق لهم دار يورثه وان الدار التي خلقت لهم لا ينالونها الا بالاسباب فقال تعالي (وتحمل اثقالكم الي بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس) فإذا كان شأن الانتقال في الدنيا من بلد الي اخر فيه المشقه والتعب فكيف بالانتقال من الدنيا الي دار القرار ولهذا جعل الله الزاد التقوي (وتزودوا فإن خير الزاد التقوي)

فجعل بيع الإنسان لنفسه وماله لله تعالي هو الثمن مقابل الجنة والفوز فقال تعالي (أن الله اشترى من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة)

فالله سبحانه وتعالى اخرج ادم من الجنة الا انه سبحانه وتعالى يريد إعادته فيها وقد شمل إعادته إليها امره ان ينزل الي دار الحرائه والعمل ليبرد ويزرع ليكون ثمره الحصاد والوصول إلى الجنة لمن اطاع وان موعد الحصاد هو يوم القيامه ولهذا ورد ذكر القصة في أعقاب قوله تعالي (كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا... الخ

الأمر الثاني

ان النصوص ترسم لنا مشهد كراهيه سبب الزله وسبب الخروج من الجنة من خلال عوده الضمير في قوله (فازلهما) الي الشجره عند بعض المفسرون فالمراد بيان سبب الزله وسبب الخروج فقال تعالي (فاخرجهما مما كانا فيه) فلو لم يعود الضمير عليها لخلت القصة من بيان ذكر سبب الخروج

ولهذا فالمراد بالاهباط من الجنة الاشاره الي الكراهيه اي مكرهين كمن يزل عن موقعه فيهبط ويسقط

ولايعارض ذلك ماذهب إليه البعض الآخر من القول إن النص فيه تقديم المفصل علي المجرم وأنه استعمل إلقاء فاخرجهما لأن الازاله الابعاد فيكون الضمير عائدا علي الجنة لا الشجره لأن كلاهما يهدف الي غرس كراهيه سبب الزله وسبب الخروج وتقوية محبه العوده والشوق للجنة لانه يشعر انه في الأرض في غربه فالأمر فيه عده مسائل

المساله الاولى

ان الخروج من الجنة كان خروجاً مما كان فيه من النعيم والمراد بهذا أن يشد انتباه السامعين الي استحضار هذه الخساره العظيمة وكي ترسخ في الأذهان الالم الناتجه عن المخالفه وكي يفهم العبد أنه لا يكون سعاده الابالتزام وإلا فإن مخالفه المنهج تورث الفضيحه والخسارة والهلاك

المساله الثانيه

ان الغرض من ذلك أثاره مواطن الاحساس والمشاعر لدى المخاطبين لايقاع الحسره في نفس أبناء ادم بما أصاب أبيهم جزاء عدم امتثال أمر الله كي يكون ذلك الاحساس من البواعث التي تغرس في النفوس قوه العزيمه و الشوق للجنه فتودي الي الثبات وعدم الانهزام وعدم السقوط في الطريق بما تولد قوه الشوق من طاقه باعته تقوي الصبر الذي هو من دعائم الايمان ومن أهم عناصره فتقوي الهمم للسعي الي الأخذ بالاسباب التي توصلك الي الجنه التي كانت لابونا ادم

المساله الثالثه

ان النصوص تهدف إلى غرس مبدأ العدواه بين الإنسان وبين الشيطان باخبارنا أن الشيطان عدو الإنسان والعدو لا يريد الخير لعدوه فالعدو يسعى الي مافيه المصائب والشر لعدوه فالنصوص ترسم لنا مشهد عدوه الشيطان للتحذير مما حصل لابونا ادم كما قال تعالى في موضع آخر (يا بني ادم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج ابويكم من الجنه)

المساله الرابعه

ان قوله (بعضكم لبعض عدوا)لمن ذهب أن المراد به ادم وحواء فقط يعني أنه اريد به تربيته واعداد الناس من خلا ل ماترسم الآيات لهم طبيعه المعركه والصراع بين الحق والباطل بين الخير والشر علي الارض ولهذا نجد أن النصوص ذكرت لنا قصه ادم وكيف أنه خسر اول معركه مع الشر الذي قائدها ابليس الشيطان الذي أعلن عدوته للإنسان من اول وهله وترسم الآيات لنا السلاح الذي استخدم ضدنا في معركه الاغواء

كما يفعل الآباء لتربيته أبناءهم من خلال نقل تجاربهم لهم وذلك برؤية القصص والسوابق التي غلبوا فيها في الحروب والصراعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية ليكون أخذ العبر بتجنب أسباب وموطن الضعف التي تمنح العدو ثغره للنفوذ ومن جهه ثانيه لأجل أن تكون القصة باعثاً لأخذ الثار

ولهذا عطف سبحانه بالواو(وقلنا اهبطوا..الخ ولم يستعمل إلقاء لانه ليس متفرعا عن الاخراج بل هو متقدم عليه ولكن ذكر الاخراج جاء في سياق بيان مافعله الشيطان واغواؤه لادم ولهذا قدم قوله (فازلهما الشيطان)فهو اهباط لادم وحواء ويقتضي اهباط نسلهم فكان الجمع

المساله الخامسه

هذه المسألة متعلقه برأي من قال إن الاهباط كان لادم وحواء وإبليس وأنه لغرس العدواه معه كما أوضحنا سابقا وهنا قال المخالفين لهم كيف يكون اهباطه وقد ورد في سوره الاعراف قوله تعالى (فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها)

وقبل الرد على هذا القول نقول لهم كيف كان له اغواء ادم وقد اخرج منها اصلا اي من الجنه اذا اخذنا بما قلتهم لا نه ذكر سبحانه وتعالى في الأعراف أيضا فاخرج منها فإنك رجيم) فكيف ازالهما وكيف وصلت وسوسه بعد ما قال الله له ذلك

فالجواب هو

ان المنع من دخول ابليس الجنه هو علي جهه التكريم والتقريب لدخول الملائكة ولا يمنع من أن يدخل علي جهه الوسوسة والابتلاء

اي أن الابطاط الاول منع من الكرامه مع تمكينه من الدخول والوسوسه لأن ال التعريف للجنه (اسكن انت وزوجك الجنه)ال العهدية اي المعهوده في عقول المخاطبين بأنها الجنه التي وعد بها المتقون

الأمر الثالث

ان النصوص تخبرنا أنه سيكون هنالك عدواه بين أفراد نوع البشر باعتبار أن ذلك اعلانا لهم اثر ماقترفوه من خطيئه بأنها سوف تورث بين أبناء ادم وحواء وذلك بظهور اثار الاختلاف في تكوين خلقتهم بأن كان عصيانهما مورث في ابناهم

لأن الاكل من الشجره التي هي رمز الخطيئه ومخالفه امر الله كانت بسبب الطمع والحرص علي جلب المنافع للنفس بالخلود بالجنه والاستئثار بالخير مع سوء الظن فكذلك سيكون سببا لانتشار العدواه بين أفراد البشرية مع ماجعلوا عليه من الاجتماع والالفه والانس والاتحاد لكن هذه الخصال القبيحه (الطمع والحرص)سوف تولد في النفس مشاعر الانانيه وحب الذات والسعي للحصول علي المصالح الشخصية ولو علي حساب الآخرين وهذا سوف يؤدي بطبيعته الي تنميه الفاعلية السلبيه لحركه اغلبيه الناس التي تتصف بالافساد في الأرض وسفك الدماء وهو ما أخبر الله تعالى به الملائكة بما سيكون من شأن بعض ذريه ادم ولهذا نجد أن التركيز في النصوص علي التحذير من صفه الشيطنة لبيان أنها مدرسه الشر وسوف يكون من أبناء ادم من ينتسب إليها بالتمرد والعصيان ورفع شعار هذه المدرسه الانونيه انا خير منه (اي الانانيه وحب الذات

فالنصوص تنقل لنا صورته تحكي لنا أطوار الإنسان في خلافته علي الارض سواء كانوا أفراد أو جماعه أو منظمات أو دول فأخبرنا الله أنه خلق آدم خاليا من الشرور والخواطر والهواجس والأفكار القبيحه فقال تعالى (لقد خلقنا الا نسان في أحسن تقويم)

ثم جعله قادرا علي النطق والعلم ومعرفه الاسماء والأشياء لتلبيه احتياجاتهم الي المعرفة والاستعداد للتعلم والا ستقبال بالفهم والإدراك فأخبرنا بمبدأ حركه الفكر الإنساني وبين لنا أن هذا المبدأ العظيم يستعمل في الخير والشر وان استعمله في الشر يكون اذا استعمل الإنسان قواه بالتمويه والكذب والاحتيال ثم ذكر لنا أن هدايه الإنسان بـ الشرائع فقال تعالى (فما ياتينكم مني هدي) ولهذا فإن هذه التجربة هي لإعداد الإنسان وتأهيله ليكون صالحا الخ لافه فذكرت النصوص أطوار ومراحل نشاه البشرية وتكوين نظام الخلافة

(تأويل ومفاهيم الابيه)

(فتلقي ادم من ربه كلمات فتاب عليه أنه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا فما ياتينكم مني هدي فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بايتنا اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

الأمر الأول

فتلقي ادم)

ابتدأت بالفاء إيذانا بمناداه ادم لطلب العفو عندما قالاً (ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكون من الخاسرين)

والتلقي تستخدم بمعني اخذو وهي إستقبال إكرام ومسرره وهو مانفهم معه أن ماتلقاه ادم من كلمات نافعه علمه الله كيف تكون التوبه من الذنوب وفيها تنبيه المخاطبين بعد أن قال لهم (كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا... الخ بأن باب التوبه مفتوح ليعودوا الي الله والنص يوحي أن ماتلقاه ادم هي كلمات نافعه اي ليست كلمات زجر وتوبيخ ولم يذكر ماهي الكلمات ولكن يفهم من السياق أنه ارشدهما الي مافيه التوبه ولم يذكر ذلك لان النصوص جري فيها الابتداء بتكريم الإنسان وأنه جعله خليفه في الأرض فكان الاعتناء بذكر تقلياته وأحواله وهذا هو الغرض ولهذا نجد أنه لم يذكر

تلقي حواء للكلمات لكن أشار لادم بالتلقي لبيان ان الرجل هو المسؤول في تعليم أهل بيته ماينفعهم فذكر ادم باعتبار أنه سوف ينقل لحواء تلك الكلمات

الأمر الثاني

ان النصوص تبين لنا مكونات التوبه بأنها علم وحال وعمل فالعلم بمعرفه الذنب والحال الندم والعمل الترك لللاثم ليكون الندم باعثا للعمل ولهذا نجد أن الله سبحانه وتعالى ذكر التوبه بصيغه المبالغه (أنه هو التواب الرحيم) لأخبار المخاطبين أنه يقبل توبه الكثيرون ورحمته واسعه وسبقت غضبه لأن المخاطبين المذنبين كثيرون فاستخدم صيغه المبالغه

الأمر الثالث

ان النص يدلنا أن ادخال ادم الجنة إنما كان تجربه لإعداد وتربيته الإنسان ليكون قادرا على القيام بدوره في حمل امانه الخلافه فهو سبحانه وتعالى قد أخبر الملائكة أنه سوف يجعله خليفه في الأرض قبل ادخاله الجنة وان العالم لم يكن عالم تكليف بالمعني المتعارف عليه عند أهل الشرائع بل عالم تربيته واعداد فقط فحصل من ادم وحواء سواء اداب بارتكاب الخطيئه بالمخالفة فكان الجزء فيها من ماهو جاريا علي طريقه العقوبه التاديبية بـ الحرمان من الجنة كجزء علي المعصية فنجد النصوص ورد فيها إطلاق المعصية والتوبه وظلم النفس علي جميع ذلك وهي بالمعني الشرعي المعروف معصيه كبيره فاعلمه الله كيف يتوب فقال تعالي (فتاب عليه)بمعني الرضا وليس الغفران وظلم النفس بمعني التسبب في صرفها عماكانت فيه من لذه النعيم بسبب لذه قليله والشاهد على ذلك قوله تعالي (فما ياتينكم مني هدي... الخ

فالعقوبه وردت في هذه الايه الكريمه بأن من يخالف سيكون مصيره الي نار جهنم فهذا بمثابة درس في البداية فكان التأديب كما يفعل المعلم مع التلميذ فهو يقوم بتاديبه علي خطئه اذا لم يكن هناك تكاليف لكن بعد التكليف يوقع العقوبه أما ابليس فقد كفرنا امتناع عن السجود في مواطن المشاهده الحسيه لصفات الله فكان التغليظ لما حصل من إنكار لمقتضي تلك الصفات وأعلن التمرد عن الانصياع لامر الله وكان اقامه الحكم عليه بعد الحوار و النقاش فقال تعالي (مامنعك الا تسجد لما أمرتك) فاستحق ذلك

الأمر الرابع

ان اعاده ذكر الامر بالهبوط دليل قبول توبه ادم لأن بيان تقليات اطوار الانسانيه هو المراد من اخبار الملائكة أنه جاعل في الأرض خليفه

ولأن العفو عن التائب إنما يحقق اثار سلبيه اذا لم يقترن بالعقوبه التاديبية لأنه في مثل هذه الأحوال يكون إفساد العامل للمخالفه اذا لم يرا الآثار السلبيه الناجمه عن فعله اذا لم يتداب في المستقبل فالتسامح في مثل هذه

الظروف والاحوال يودي الي تفويت مقتضى الدرس وأهدافه فكان اعاده ذكر الهبوط فقال تعالى (اهبطوا منها جميعا)

فيه اشعارا بالزجر ولكي يحس المخاطبين بالألم الناتج عن الابتعاد عن الله فيكون هدف العوده الى الجنه والقرب من الله تعالى هي أهم الأهداف التي يسعى إليها لزاله الم البعد عن الله وهنا تبين لنا النصوص شروط الاستخلاف بأنها ترتبط بالعهد الذي أخبر الله به ادم حينما سلمه مفتاح الأرض بأن المفتاح لها هو التوحيد واتباع منهج الله تعالى الذي سوف يحمله الرسل فقال تعالى (فمن تبع هداي) فذكر لفظ هداي بالتنكير لبيان تعداد انواع الهدايه واذاف لها الضمير العائد الي الله لبيان انه لا هدايه الا بما يحمله الرسل الي الناس من منهج الله الذي يأتي به الوحي فهو الوسيلة الوحيدة للحصول على هدايه الله الخاصة التي يحصل بها الامان والسلامة فقال تعالى (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فالخلافه شرف لمن سعي إليها وعمل بأمر الله وطاعته وأشار إلي أنه سوف يكون هنالك استخلاف كوني قدرتي بقيام دول وحضارات ماديه لاهل الكفر لكن هولاء لاشرف لهم وسوف يكون عودتهم إلى الله ومصيرهم الي النار والخلود فيها

المقطع الثالث من سوره البقره

ابتدأت النصوص بالخطاب الإلهي الجليل (يابني إسرائيل)

واسرائيل هو يعقوب عليه السلام ابن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام وقيل إن معني ذلك عبد الله وصفوته من خلقه فقالوا إن أسر يعني العبد و(ايل) يعني الله فيكون معناها عبد الله فهي كقولك يا عبد الله

والخطاب جاء بالنداء الي بني إسرائيل وهم اليهود سواء كانوا الذين كفروا في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم أو السابقين أو من يأتي بعد زمن الرسالة حيث أن افتتاح هذا المقطع بهذا النداء الذي لحقه تناول تصوير بني إسرائيل في رحله متانيه تعرض لنا جوانب متعددة من حياه بني إسرائيل وأحوالهم مع الرسل تطلعتنا فيه علي تاريخ بني إسرائيل ابتداءً من انعام الله عليهم وذلك بالاصطفاء والاختيار لهم لحمل رايه الهدايه لمرحله طويلة من حياه البشرية وانقاذهم من عبودية الفراعنه وصولاً إلى إعلان انتقال القيادة الي امه الاسلام

حيث نجد أن النصوص وردت بعد عرض قصه نشاه البشرية وما كان من إخضاع الكون لخدمه ادم والرمز لذلك بـ السجود من جميع الملائكة إيذاناً بإعلان خلافته علي الارض وبينت لنا ما حصل من العدو بين ابليس وادم وما ترتب على ذلك من أبعاد ادم وإخراجه من الجنه الي الأرض وذكرت النصوص أن الله سبحانه وتعالى اخبر ادم بشرط الخلافة الذي جاء متصلًا بالتوحيد وهذا الشرط هو (فما ياتينكم مني هدي فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون... الخ

فقد جعل قاعده السعاده والنجاه والفلاح والنجاح في الدارين باتباع الرسل الذين يحملون المنهج الرباني الي الناس فجعل الله طريق وسبيل الهدايه هو الوحي وجعل دليل العمل والتعامل مع الحياة وتحولاتها واطرادها هو الوحي فأخبرنا أن استدعاء معرفه الوحي هو بوصله المعرفه لطريق الهدايه وهو وسيله لمعرفة السنن الإلهية التي تحكم الكون فالخلافه تحتاج إلى معرفة السنن والنواميس والأسباب والمسببات والنتائج والفهم للتحويلات و القدرة على التحليل ومواجهات الازمات لتحمل أعباء الخلافه ولا وسيله لها إلا باستدعاء الوحي الذي يعيطننا نماذج لمسيره البشرية توضح لنا السنن الاجتماعية والنفسية والكونيه للنهوض والتقدم والتخلص من الواقع في محنه العجز والتخلف عن الاضطلاع بالمهمه فمن شرط التأهيل الاستخلاف والاحاطه الواعية السنن الكونية و التاريخية المساعدة علي إنجاح المهمه من خلال التوغل في دراسة تاريخ الشعوب

فالله سبحانه وتعالى قد حدد سنته جلا جلاله في البيان والإرشاد لطريق الهدايه فقال تعالي (فما ياتينكم مني هدي)

بأنه سوف يرسل الرسل والأنبياء الذين يحملون المنهج الذي هو بوصله ودليل العمل والتعامل في البناء والتنمية المستدامة والتقدم والازدهار والارتقاء بمستوى البشرية بالقيام باعباء العمران علي الارض بما يحقق التحسين والا استقرار مثلما هو سبيل الهدايه الي معرفه الحق سبحانه وتعالى والتكاليف التي تبين الحلال والحرام والأحكام الشرعية التي فيها علاج لامراض المجتمعات باختلافها وناسب استخدام (ياتينكم) الذي فيه فعل مضارع للدلالة على تكرره في كل زمان ومكان وفيه وأنه أمر سوف يتم رغم استبعاد الكثيرون لذلك وانكارهم لأن اتي تستخدم بمعني البعد المكاني والزماني والنفسي فناسب ذلك بيان سنته تعالي في البيان والإرشاد أن مهمه جميع الرسل وا لأنبياء عليهم السلام واحده باختلاف الازمنه المتباعدة والأمكنه وان المعركه مع الباطل واحده حيث يكون انقسام الناس الي فريقين في عملية الاستخلاف علي الارض

استخلاف خاص وهم الذين يقومون بطاعه الله وتطبيق منهج الله وحسن انزال أحكامه علي الواقع سواء في حياه الأفراد أو الدول للحصول علي مافيهما التقدم والازدهار والارتقاء من خلال الأخذ بأسباب التمكين والعز في الدنيا والآخرة

فهو لاء وعدهم الله بالفوز والنجاح والفلاح أن أقاموا عهده الذي قطعه مع ادم فهو عهد مع كل البشر

وهنالك استخلاف كوني قدرني عام حيث قد يكون لهم فيه سلطان وقوه ماديه في الأرض لكن هذا النوع فاقد الشرف لأن شرف الخلافة تكون بطاعه الله وتطبيق منهج الله تعالى فقال تعالي (والذين كفروا وكذبوا بايتنا اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

فهو لاء استخلافهم في الأرض بلا شرف لاتحضي بالرعاية الربانية وان بدأت لهم مظاهر القوه لأن اولياءهم عاجزون فهم مثل العنكبوت التي بيوت ضعيفة لاتصمد أمام قوه الله وقدرته وفي الاخير سوف يكون مصيرهم الي نار جهنم والخلود فيها وسماهم أصحاب النار بمعنى أنهم ملازمون لها كما يلزم صاحب صاحبه لايفارقه لبيان القرب النفسي والذهني للكفار المكذبين وان حصل بينهم البعد الزمني والمكاني لبيان ان الاسلام هو الورايت لجميع الأديان السماوية مثلما أن الكفر تجمع في قالب واحد

وقد بين الله قبل ذلك المنتفعون بهدايه الكتب السماوية عموما فقال (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ومايضل بها إلا الفاسقين)

حيث نجد أنه تعالي ذكر أنه يهدي به كثيرا مع أن المهتدين قلّه كما ذكر في أغلب السور وهذا فيه لفت انتباه المخاطبين الي أنهم كثيرون بما يمتلكون من الحقيقه ف الله قد وصف ابراهيم بأنه امه وهو فرد فأراد بهذا اظهار شرف وعلو منزله المهتدون بأن الواحد منهم يعادل امه اي دوله بنظامها وجيوشها للحث علي الثبات والصمود علي الحق والايمان بعيد عن الأفق الضيقه وعدم التأثر بقله الاعداد ف الله قد أخبرنا بأن الحكمه من الخلافه هو ا لابتلاء والامتحان فقال تعالي (وكذلك جعلناكم فئات من بعدهم لننظر كيف تعملون)

فهذه هي سنه الله في نقل القياده من امن لآخري بأن الخلافه ابتلاء فمن قام بأمر الله واطاعه حقق له ماوعده ب التمكين بالدنيا والآخرة ومن خالف وفشل في المهمه سلبت منه ولهذا نجد أن النصوص تعرض لنا قصه بني إسرائيل يعطينا الله تعالي نموذج وصوره ومظهر من مظاهر ونماذج الفاسدين المنحرفين لمن ابتلاءهم الله بنعمه الاستخلاف وفشلوا في المهمه لتحذيرنا من هذا الطريق الذي فيه البعد عن الحق والسير في طريق مظلم

فقال تعالي

يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون

وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون واقيموا الصلاة واتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين اتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وانتم تتلون الكتاب افلاتعقلون واستعينوا بالصبر والصلاة وأنها لكبيره الا علي الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وانهم إليه راجعون

وبالوقوف علي آيات القسم الاول من هذا المقطع نجد أنها تضمنت عده امور

اولا

الايه (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون)

ان اول مايشد الإنتباه هو أن النداء الإلهي جاء موجه الي اليهود (يا بني إسرائيل)

يأمرهم أن يتذكروا انعامه سبحانه وتعالى عليهم أنه سبحانه اصطفاه الرسل منهم وحقق لهم العز والتمكين بعد الضعف وخصهم بحمل رايه الهدايه وقياده البشرية لمدّه طويله استمرت من يعقوب عليه السلام وصولا إلى

عيسي عليه السلام

يخاطبهم الله أن عليهم أن يتفكروا في انعام الله عليهم وكيف أن الله انقذهم من استبعاد الفراغنة ليروا كيف كان حالهم من الذل والضعف ثم كيف صاروا ملوكا أهل عز وتمكين بعد أن أرسل الله لهم موسي وكيف أن انعم الله عليهم بالإيمان والهداية وصاروا قادة العالم وأهل علم ومعرفة بعد الجهل والذل والمهانة فالنص قد احتوي علي عده امور نذكر منها الآتي

الأمر الأول

يلفت أنظار المخاطبين سواء اليهود أو المسلمين بأن وسيله الخروج من الازمات والألم تكون من خلال النظر واله لاحظه لانعام الله بالتدبير والتفكير في كيفية انقاذ الله تعالى المومنين عندما أمنوا وصدقوا فعليك قراءة الظواهر التاريخية القراءة الصحيحة التي تجعلك قادرا على تفسير الأحداث الجارية للخروج من العجز والتخلف والخزي ف الاسباب التي هي وسيلة التخلص من ذلك اول خطوه تبدها بها تكون بالتفكير بالانعام التي انعم الله بها عليك لتري حسن الله واحسانه ورعايته من خلال النظر إلي أسبابها ومقدماتها لتري العواقب في مجال الخير أو الشر وتكون قادرا على تفسير الأحداث التاريخية من خلال معرفه السنن الإلهية العز والتمكين وأسباب النصر أو الخذلا ن والفشل ولهذا نجد أن النصوص ورد فيها الآتي

١

ان النعمه جاء لفظها بالتنكير (نعمتي)..... وهذا لأن انعام الله لاتعد ولا تحصي....ومن جهه اخرى نجد اضافه النعمه إليه سبحانه وتعالى فقال (نعمتي) وهذا فيه تقيدها بأنها منه تعالى فهو وحده المنعم فان المولي سبحانه وتعالى يريد أن يبين لنا أن أفضل النعم هي نعمه الايمان ... ليغرس في نفوسنا الاحساس بعظم نعمه الايمان ب الله بانك حينما توفق لذلك فان ذلك نعمه من الله عليك وليس تفضلا من البشر وليس منا منهم وليس فيه مساومه أو أخذ أو عطاء فالله غني لايزيد في ملكه شي ايمان من امن ولاينقص من ملكه كفر من كفر...ولهذا فإن إيمان العبد فيه نفع للإنسان وهو منه ونعمه من الله تعالى علي عباده فقد قال تعالى في موضع آخر (قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان)

٢

كما أن إضافة النعمه إليه سبحانه وتعالى فيها تشريف النعمه بإضافته له سبحانه وتعالى لبيان ان الايمان أعظم النعم التي تودي الي الرقي والتقدم والنجاح والفلاح والسداد وأن الله هو المنعم بالإيمان ومعرفة الوحي الذي يعطي عباداه ادوات المعرفة والقدرة على التقدم والازدهار والرقي والهدف من غرس ذلك في النفوس والقلوب للتحذير من العصبية والسلاله والتباهي بالانساب بأنها ليست هي اداه النجاح وانما الايمان هو الشرف الذي يكون الوصول إلى العز والتمكين ولهذا نجد أنه ذكر قبلها (يا بني إسرائيل)

تهدف إلى الترغيب وحثهم على الإيمان ومن جهه اخرى التوبيخ ذلك أن النفوس تميل إلى ماكان عليه الاباء وان كانوا علي خطأ فيقول لهم فما بلكم وانتم ابناء الرجل الصالح يعقوب عليه السلام فلماذا تقفون محاربين لدعوه ا لاسلام ومنهج الله

يقول لهم أن الإيمان هو الذي رفع مكانتكم وليس النسب والسلاله ولهذا نجد أن الخطاب الجماهيري يابني إسرائيل مع أن هنالك فارق زمني طويل بينهم وبين أبيهم يعقوب عليه السلام لشدة انتباههم الي النظر والتأمل في الماضي الذي عاشه أجدادهم بفصوله بصيغه كانهم كانوا أطرافا فيه لبيان ان ذلك هو أساس الانتفاع من دراسته الماضي وتفسير الأحداث الجارية ومعرفة السنن والأسباب والمسببات التي كانت سببا للنجاح والفوز ومعرفة الأ سباب التي كانت وراء الخذلان لتأخذ بما كان سببا للنجاح والفوز والحذر من من ما كان سببا للهلاك فالله سبحانه

وتعالى يقول لهؤلاء ولنا أنظروا كيف أن الإيمان رفع مكانتكم فالأمر والتذكير يعني التدبر والتفكير في أسباب و المقدمات والسنن الكونية والاجتماعية في الاستخلاف فلا يغطي العناد أعينكم فقد اختار الله امه الاسلام لحمل رايه الهدايه وهذا إنما يعود إلى السنه الإلهية في ارسال الرسل (الله اعلم حيث يجعل رسالته) فعليكم المسارعه لالاتحاق لجماعه الايمان الذي فيه النجاح والوصول إلى العز والتمكين وفقا لوعده الله لمن اتبع الهدى المقطوع مع ادم فعليكم ملاحظه النعم لمعرفة عطف الله ورعايته بدل الانشغال بالنعم والتباهي بنعمه الانتساب الي يعقوب ف الواجب عليكم الخضوع لله بالشكر فهي نعمه انعم الله بها عليكم توجب رؤية جمال الله وجلالة وحسنه وإحسانه والتوجيه هو للمسلمين بالحدز من سلوك اليهود الذين تركوا واجب الشكر لنعمه الله باختيارهم حمل رايه الهدايه حيث كان الواجب أن تحملهم النعمه علي الشكر لله وطاعته وترك الحسد والحقد علي الناس وأن يسارعوا الي اتباع رايه الايمان التي حملها إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم

الأمر الثاني

بعد هذا التذكير بانعام الله علي بني إسرائيل يأمرهم الله بالوفاء بالعهد مقابل أن يوفي بوعده أن يدخلهم الجنه فقال تعالى (واوفوا بعهدي اوف بعهدكم)

والنص فيه اسلوب شرط (واوفوا بعهدي)وجواب الشرط (اوف بعهدكم)

لبيان الآتي

١

ان علينا أن نفهم أنه سبحانه وتعالى جعل لكل شئ سنن وأسباب للوصول إلى الفوز والنجاح فهو سبحانه وتعالى قد قال (فما ياتينكم مني هدي فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

بأن أتباع الرسل يكون فيه السلامه والنجاه والفلاح والنجاح والفوز فهذا هو العهد والشرط الذي قطعه الله مع ادم كشرط الاستخلاف وقد ورد مطلق

ولهذا فقد يقول قائل أنني مومن بالله والملائكة واليوم الآخر والغيب والجنه والنار وذلك بما حملة موسي في التواره وبالتالي فليس علي حجه إن لم أومن بما جاء في القرآن الكريم والذي حملة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لأن الله قال ان سبيل السعاده في اتباع ما يحمله الرسل بلفظ الاطلاق

ولهذا نجد أن النصوص تأتي بالقاعدة المقيده المبينه والموضحه للقاعده الاولي لأن المطلق يحمل علي المقيده فقال تعالى (واوفوا بعهدي اوف بعهدكم)

بأن عقيدته الإيمان لاتتجزا فالإيمان بالله يقتضي الايمان برسوله ولهذا نجد أن الله تعالى قال في موضع آخر أنه أخذ العهد من أهل الكتاب (وإذ اخذنا ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبينونه...الخ وانه تعالى أخذ ميثاق النبيين (واذا اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمه ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرونه...الخ

ولهذا ابتداء النص بالخطاب يابني إسرائيل... لتذكيرهم أنه تعالى قد أخذ العهد من جدكم يعقوب اذا جاء النبي صلى الله عليه وسلم فهو ملزم بالإيمان به وتصديقه وأتباعه وبالتالي فمن غير اللائق بكم أن ترفضوا انتم اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وماحملة لكم من القرآن الكريم فدخل في عموم العهد العهد المأخوذ من البشر عهد الايمان بالتدبير والتفكير ووزن كل مايعرض عليهم بميزان الله تعالى الذي لايفش ولايضل وهو ماحملة الرسل الناس ليحصلوا علي السعاده التي يدخلون به الجنه

فجاءت النصوص لبيان كيفية تحقيق شرط الخلافة بأن الايمان بالله يقتضي الايمان بجميع رسله وجميع اصول

الايمان الستة ولايكون التجزئة وان الرسول صلى الله عليه وسلم هو للناس كافة فعليهم أن يؤمنوا به ويتبعوه كما قال تعالى في موضع آخر (فساكتها للذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة الذين هم باياتنا يؤمنون والذين يتبعون الرسول النبي الامي الخ

الأمر الثالث

حذرهم وارهبهم من المخالفه فقال تعالى (واياي فارهبون)

الرهبه هي الخوف والفرع والله يدعو بني إسرائيل الي الوفاء بالعهد وان يخافوه سبحانه وتعالى وحده وقد أفصحت إلقاء النبي اقترنت بفعل الأمر (فارهبون) عن شرط مقدر مفاده فإن كان مما ترهبونه فارهبوني وحدي اي أفراد الخوف والخشييه من الله وحده لاشريك له وهذا فيه تصوير يرسم حال اليهود أنه توجد لديهم مخاوف تمنعهم من الالتحاق بجماعه المومنين فالنصوص تبين لنا الآتي

المساله الاولى

ان الحاله النفسيه لليهود كانت خاضعه لخوف شديد من قادتهم ورؤساءهم وخوفهم علي فقدان المنزله الدينيه التي كان الناس ينظرون إليهم انها خاصه بهم وخوفهم من فقدان قياده العالم

وان هذه المخاوف قد أحدثت فيهم خللا نفسيا جعلهم يفقدون قدره على التركيز والتفكر والتدبر في حكمه نعمه الاستخلاف وانغام الله تعالى عليهم

حيث كان ظهور الإسلام في امه العرب وهم بحاله نفسيه مريضه جعلهم ينظرون لرساله الاسلام نظريه مغايره تماما للحقيقه وما يجب عليهم من المبادرة الي القبول بها فهي رساله رحمه للعالمين العرب واليهود والعجم

فالنصوص تبين لنا اهميه صيانه النفس من أن تتوغل فيها اوهام الخوف لأنها تؤدي الي سوء الفهم والإدراك المعلومه وان وصلت صحيحه حيث يكون القراءه لها خاطئه فتري الاشياء بصوره مغايره للحقيقه

ولهذا نجد التحذير من الخوف من فقدان المصالح أو اي شي لان ذلك فيه شرك بالله فاستخدم المولي لفظ (واياي)الداله على التحذير وقدمها في النص تقديم اختصاص والحققها بذكر الفاء المفصحه عن شرط جوابه تقديرا فإن كان مما ترهبونه فارهبوني وحدي اي لا يصح الخوف إلا من الله وحده لا شريك له

المساله الثانيه

لبيان ان الخلل الفكري الذي أصاب اليهود كان بسبب المخاوف التي لدي علماء اليهود وقادتهم من فقدان المنزله و المكانه فكان ذلك باعنا لقطع العهد الذي أخذه الله من أهل الكتاب أن يبينوه ولايكتمنونه وشرط الخلافه الذي أبرم مع ادم حين تسلّم مفاتيح الأرض فهم أصيبوا بخلل عدم إدراك قيمه الدليل فتصوروا أن قيامهم باخفاء الاعتراف بصدق نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم يسقط عليهم الالتزام بالعهد الذي أخبر الله به أهل الكتاب اذا جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم وعرفو إمارته أن يؤمنوا به ويتبعوه

ف الله سبحانه وتعالى يريد أن يلفت انتباه المومنون الي الحذر من هذا السلوك القبيح ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى يحذر اليهود من فقدان الإدراك لمقاصد العهد ويحذرهم من مغبه عدم المحافظه علي الآثار المترتبة على مخالفه العهد

فيقول لهم أن اتخاذهم العلماء الفاسدون والخوف علي المصالح والخوف من القاده والتباهي بالانساب فيه اتخاذهم أولياء من دون الله وانهم بذلك يهدرون قانون الخلافه بالخروج عن طاعه الله وهو خروج عن شرف الخلافه

وعدم ادراك قيمه دليل انعام الله عليهم فالاصل أن الانتساب الي يعقوب أن يكونوا مثلا يقتدي بهم في سرعه التسليم والاذعان والإقبال علي الخير لكنهم اتخذوا النسب وسيله للتباهي كانه قلاده يتفاخرون بها وهم ينقضون العهد فالاصل أن النسب لببت الصلاح سببا باعثا للعمل الصالح واتباع الايمان وليس سببا للحرص علي المصالح وحب الرئاسة والقيادة فهذا فساد تصور من قبيل البيع والشراء بيع الايمان بالكفر وخلط الحق بالباطل وهذا يكون عابد المصالح والانتساب وليس عابدا لله لأن الخوف من غير الله شرك ف الله يعطينا هذا النموذج الانسانيه الذين اختصهم الله بالانعام والالاء وقياده البشرية لتحذيرنا من أن تسلك طريقهم التي سلبوا فيها القيادة وحرموا من الا لتحاق بجماعه المومنين عقوبه لهم فهذا النموذج استولي عليهم الشيطان وجعلهم مطايا للشر وهم من حذرنا الله منهم (غير المغضوب عليهم) ف الله سبحانه وتعالى يقول لنا أن اللازم علينا أنه لكي تدوام علينا انعامه علينا اليقظه الدائمه وعدم الغفلة من خلال ملاحظه انعام الله فنري جماله وإحسانه وهذه اليقظه تتحقق من خلال محاسبه النفس ومنعها من الغفلة ومنع القلب أن ينام بأن يتحرر الإنسان من كافه الاوهام فلا يخاف إلا من الله عز وجل وأن بدايه الغفلة تكون بفقدان الفكر لملاحظه انعام الله عليه وما ينتج عن ذلك من فقدان الشعور بالمسؤولية وما يتوجب عليه من واجب الشكر والوفاء بالعهد ولهذا يحذرنا الله من أن يصبح انتسابنا الي امه العرب التي اختارها الله لحمل رايه الهدايه سببا الي قطع العهد كما فعل اليهود فالانتساب والانتفاء الي الصالحين من حيث النسب والدم لا ينبغي أن تورث الغفله التي وقع بها هولاء فلا يكون النسب مدعا له لفقدان الخوف من الله بالركون الي الانتساب الي الصالحين فأخبرنا الله أن هذه الوشيجه لاتنفع ولاتضر فلا تغتروا بالانتساب كما تصور هولاء أن انتسابهم الي النبي الصالح يعقوب لن يلحق بهم العقاب وانهم لن يحاسبوا

ثانيا

تأتي سياق النصوص تبين أمر الله تعالى لليهود بالإيمان بالقران الكريم لأن ذلك من ضمن العهد المقطوع معهم فقال تعالى (وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا واي اي فاتقون)

لما كانت الايه الكريمه قبلها قد أوضحت أن الخطوه الاولى لقطع المسافه الي الله انها تكون ملاحظه انعام الله تعالى لتري عطف الله وإحسانه وجماله وجلاله والتي توجب الشكر كما أوضحنا

فإن هذه الايه تخبرنا أن الخطوه الثانيه في قطع المسافه الي الله تكون بالاذعان والتسليم الايمان اي التصديق عن تبصر وتفكر فبدايه الطريق تكون بالنظر الي الفكره والمنهج الرباني الذي يحمله الرسول فقال تعالى (وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم)

ولم يذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك لأن القرآن الكريم هو المعجزه الدامغه الداله على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وفيها أيضا الحث على الابتعاد عن العصبية وان عليك أن تنظر إلى قوه الحجه والمعجزه دون الشخصوس لأن مسأله اختيار الرسل يعود إلي الله (الله يصطفي من الملائكة ومن الناس رسلا.... الخ) الله اعلم حيث يجعل رسالته)

فالنسب الذي ينتمي إليه أهل الخير هو الايمان ومدرسه الايمان فذكر قوله (مصدقا لما معكم)

اي أنه جاء موافقا في تشريعاته وأحكامه ودعوته لما هو في التوراه وهو أيضا مصدقا لما اخبركم الله في التوراه من الامارات والعلامات الخاصة بالرسول الخاتم وآياته فهو معروف لديهم ووجب علي من علم الايمان التصديق فذكر اخذ الحجه عليهم ابتداء بالقران لأن الايمان بالقران يعني الايمان بالرسول (ص)

*

ولما كان الله قد أمرهم بالتصديق بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالقران وقال (مصدقا لما معكم)

فلا بد من الوقوف على مدلولات الايه لأن ظاهر النص أن التوراه لم يعترها تحريف ولا تبديل ولا تغير مع أن الله تعالى يقول في مواضع أخرى كثيرة (بحرفون الكلم عن موضعه)

ولهذا فإن اللازم علينا أن نفهم أن معني الايه (مصدقا لما معكم) تعني اي ماتبقي معكم من التوراة لم يحرف بعد وان أصل الرسالات واحد وهو الدعوه الى التوحيد وأفراد الله بالربوبيه والالوهيه والعبودية

*

تمضي سياق النصوص بحث أهل الكتاب علي المسارعه والمبادرة الي الالتحاق بجماعه المومنين لما لديهم من المعرفة والعلم وبنهاهم عن الكفر والجحود والعصيان فهذا أمر لا يلبق بهم لانهم أهل علم ودرية بصدق الرسول صلى الله عليه فقال تعالى (ولاتكونوا اول كافر به)

واستعمل لفظ الفرد لخطاب موجه لجماعه لا واحد وهذا فيه بيان الآتي

١

أنه تقديم المعني علي الفريق اي ولاتكونوا اول فريق يكفر به وذلك لما هو معروف من شأنهم أنهم يجتمعون في آرائهم كأنهم فريق واحد لما لديهم من عوامل الاتحاد بالفكر والغاية واتحاد الرؤي فهم ينطلقون من منظور ما يزعمون أنها التوراه ف الله يخاطبهم أن ذلك لا يصلح منهم فهم أولي بالانتفاع بدعوه الايمان لانهم أهل دين

٢ ان النصوص جاء فيها الخطاب للعلماء من بني إسرائيل لأن الخلل الفكري كان مصدره خوف العلماء علي أن تسلب منهم الامتيازات ولهذا نجد أنه قال تعالى (واياي فاتقون) بينما ذكر في الاولي (فارهبون)

لأن الرهبه دون التقوى فعندما خاطب الكافه العالم والعوام والمقلدون وحثهم على ذكر النعم التي يشركون بها أمرهم بالرهبه التي تورث في النفس الذل والخوف من الهلاك وعندما خاطب العلماء وحثهم على الإيمان و المسارعه بالتصديق بالرسول أمرهم بالتقوي لأن العالم لا يكون عالما اذا لم يكن تقيا ويخشي الله فذكر اعلي مراتب الرهبه وهي التقوي

ولهذا قال قبلها) ولاتشتروا باياتي ثمنا قليلا)

النهى عن التعلق بالمصالح والمكاسب العاجله التي قد تدفع صاحبها الي استبدال الايمان بالكفر فاستعمل صيغه الشرء الثمن واصفا إياه بأنه قليل لبيان ان المصالح كلها حقيقه بالنسبة لنعمه الايمان فلا يوجد مايساوي الحق في قيمه ولا توجد مقارنه به بكل ما في الدنيا فهي تافهه وحقيقه مقارنه بنعمه الحق الذي لايساويه مال ولاجاه والسلطان ولاشي فلا قياس بين ايات الله وبين مصالح الدنيا

ف الله سبحانه وتعالى يقول للعلماء أن معرفتكم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم وإظهاره للناس نعمه لاتقارن باي مصلحة فلا تخفوها عن الناس مخافه انتقال القيادة الي امه الاسلام وخوفكم فقدان المزايا والمصالح أن دفعكم الي اخفاء ايات الله التي المذكوره في التوراه والداله علي صدق الرسول صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن تكون ثمن ذو قيمه بالقياس إلى ماينتظركم عند الله فاحذروا من ذلك واتقوا اليوم الآخر ومافيه من العذاب ينتظر المخالفون فجاء السياق بصيغه الانذار الشديد (واياي فاتقون) فالخوف هنا خوف إجلال يقصد به أهل العلم فلا يكون عالما اذا لم يخشي الله وهو مانفهم منه أن الخطاب للعلماء من بني إسرائيل واللوم للجميع لان اتباعهم رضوان بما يفعلون وهم لم ينكروا المنكر وهو عيب قديم فيهم من أسلافهم فصح في حقهم جميعا ولأن هذا العيب يعود إلى ضعف الوازع الديني وحب الدنيا والتعلق بها ولهذا الحق سبحانه وتعالى (واياي فاتقون) اي كيف لايتقي العالم ولماذا يرضي التابع بتقليد من يتبع دون وجود دليل

فجاءت النصوص لتأكيد اهمية اليقظه في الفكر والتجرد عند التأمل والتفكير في الاداله من اي مصالح للوصول إلى معرفة الحقيقة لأن مختلطه النفس المصالح الشخصية تحجب الرؤية ولذلك نجد أن النصوص جاءت تحتهم علي الالتحاق بجماعه المومنين وكان التركيز بتوجيه الخطاب الي من له التأثير على الناس لأن فساد الناس يكون من فساد السلطه الدينيه أو السلطه القدرية وبهم أيضا يكون الخير أن صلحوا

٣

والخطاب فيه اخبار الله لنا نحن المومنون أن الواجب علينا المسارعه والمبادرة إلى اتباع الحق عندما تراه والا بتعاد عن العصبية فانت أحق الناس باتباع الحق

وهنا قد يقول قائل إن النص موجه لبني إسرائيل وليس لنا فلماذا يستدل به علينا

الجواب

ان الله سبحانه وتعالى قد أخبرنا في سوره الفاتحه أن ندعوه أن يوفقنا الي الصراط المستقيم وان هذا الصراط الذي نطلب من الله أن يهدينا إليه هو غير الطريق الذي سار فيه المغضوب عليهم فقال تعالي (غير المغضوب عليهم)اي أن الصراط الذي نطلبه هو صراط الذين أنعم الله عليهم وفي هذا إشارة إلى أن الله قد انعم علي بني إسرائيل ولكنهم لم يلتزموا الطريق فغضب الله عليهم فسلبوا القيادة والخلافه وعاشوا في ذلك وهوان

وبالتالي فنحن معنيين بالخطاب ولسنا بموقف المشاهد للقصة بل نحن طرفا فيها ويجب علينا أن نعيش كل حدث ولحظه من القصة والخطاب الرباني فهو سبحانه يعطينا نموذجا لسلوك فاسد لحضاره دينيه قديمه خرجت عن شرط الخلافه فادي ذلك الي سقوط هذه الحضارة لتكون اخطاء الأمم السابقة وتجاربهم الفاسده ادوات دراسه ومراجعته لنا لتتجنب الوقوع في مواطن التقصير وان يكون منا الابتعاد عن أسباب ومسببات الازمه فالوحي فيه اختصار الطريق وتوفير الجهد والوقت وهذا الأمر من أهم أهداف الوحي

ولأن الاسلام دين عالمي يتجاوز حدود الأزمنة والأمكنة فقد جعل الله علي رأس كل مائة عام مجددا لازاله الغبار الذي يحدث تحول وانحراف عن مسار الحركة فيكون اعاده الناس الي المسار الصحيح بواسطه هذا المجدد فالله يلهم هذا المجدد استنباط الأحكام التي فيها الدواء للأمراض المستجده الظهور في المجتمعات واعاده الامه الي الطريق المستقيم الذي سار عليه السلف الصالح... ولهذا فإن تعدد المجددين أمر صحي في تاريخ الامه نتيجته تعدد الازمه والأمكنة ومن الطبيعي أن يواكب ذلك تعدد الجماعات التي تحمل رايه العمل الإسلامي وهو ما يفهم منه حاله الخلاف الواسع النطاق بين جماعات العمل الإسلامي لتعدد ها حيث نراي أن الجماعه التي حملت علي عاتقها رايه التجديد لعقود ترفض القبول بالمجدد الجديد لأنها تري احتكار ذلك عليها وحدها وتري انها صاحبه الرايه الحق باحتكار رفع رايه الهدايه ولا تقبل أن تحملها جماعه جديده وغالبا ما يظهر العداء الديني والتعصب للفكره وغياب الوعي رغم أن الكثيرون يعلمون أن ماتحملها الجماعه الجديدة من روح التجديد في الأساليب مع الحفاظ على مراعاة التفاصيل الذي ينسجم مع الأهداف والغايات التي تحملها الجماعه الراضه من حيث الأفكار ولكن خوفها علي فقدان قياده العمل الإسلامي يجعلها ترفض القبول به مع أن الواجب عليها المسارعه للالتحاق لجماعه الايمان التي تواكب تطورات الحياه ولهذا نجد أن الله تعالي يخاطب أهل العلم بتقوي الله والابتعاد عن التعصب وان الواجب عليهم أن يتبعوا الحق اينما وجد وان يكون ذلك عن تفكر وتبصر وفهم للمرحله لأن التجديد يكون لمعالجة أمراض معينه تظهر في ازمته وامكنه محده ولا يمكن أن نجعل منها فكره مستدامة دون مراعاة حاله التطور في حركه العمل الإسلامي وتجاوز تلك الأمراض التي حملها المحدد السابق لأن الخطر الذي تحمله امراض المجتمعات الحديثه تحتاج إلى وسائل وأساليب جديدة لمعالجة تلك الأوضاع مع التمسك بالثوابت و التأصيل الاساليب والوسائل فلا يكون الجمود مبررا لقتل موهبة الفكر والفهم والإدراك وهو مايجب الحذر منه

ولأن اليهود اعتادوا الخداع والتمويه والكذب والتضليل علي الناس وهو طبع كل من يتعصب للفكرة خوفا على فقدان المصالح التي يحصدها من التعصب لها فهؤلاء يحاولون تحميل النصوص ما لاتحتمل قاصدين بذلك تطويع الشريعة لاهواهم فقد قال تعالي محذرا من ذلك (ولاتلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون)

واللبس في اللغة الخلط والمراد من هذا النهي عن الجدل الذي يهدف إلى تغطية الحق حتي ينتهي به الحال الي الخلط الفاقد للتمييز بارداه منع وضوح الحق علي العوام واحاطته بالريب والشك وذلك يكون من خلال التحريف للنصوص وهو أمر لايمكن أن يلحق بالقران لأن الله بحفظه فقال تعالي (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)

لكن يندرج ضمن مفهوم اللبس والخلط تحريف التفسير للمعاني فالله وصف اليهود في القران بانهم (بالون بأستنتهم) اي قصد تحريف المعاني لا النصوص

ونحن نري الكثيرون في المجتمع المسلم من الذين يحسبون الي امه الاسلام ويدعون أنهم يحملون أعباء حمل رايه الهدايه يقومون بتحريف تفاسير النصوص القرآنية ليجعلها اداه منع وضوح الحق ولأجل تسخير النصوص لا هدفه الخاصة وإظهار أنهم علي الصواب وان كانت الحقيقة غير ذلك وهم يجعلون شريعه الله ونصوص القران اداه لدعم أفكارهم وان كانت باطله أو تحميل النصوص ما لاتحتمل من المعاني لظهار قوه الجدل ومحاولة إصاق التهم بالآخرين بخلط الحق بالباطل علي وجهه يفقد المستمع التمييز بين الحق والباطل...والأمر الثاني الذي يدخل ضمن مفهوم الجرائم المرتكبة من اليهود ويحذرنا الله تعالي منها هو كتمان الحق مع العلم به خوفا من إظهار ذلك لأن فيه حجه عليك بظهوره فهذا الأمر في غايه الخطورة لانه فيه رغبه باخفاء الحقيقة لأجل المصالح وفيه عدم القبول بالحق

الأمر الثاني

الدعوه الي الاندماج في صفوف أهل الحق

فقال تعالي (واقموا الصلاة واتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين)

فقد ذكرت النصوص الصلاة التي هي فيها القيام بحق الله والذي يكون بالتعظيم والاحلال لله والزكاة التي فيها القيام بحق الناس بالاحسان إليهم ووالصلاه أمر بها المسلمون كعباده بدنيه لتهديب الروح وفيها الانتظام بالصف و المساواة بالوقوف أمام الرب تعظيما لله وفيها اتباع الامام فإن صلي جالسا وجب علي الجميع الصلاة وهم جلوسا كماورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث انما جعل الامام ليوتنم به فإن صلي قائما فصلوا قياما وان صلي جالسا فصلوا جلوسا...الخ وفيها أيضا بيان أنه قد نسخ احكام التواره والطقوس التي كانت تودي كصلاه لله واردف ذلك بحق الاجتماع والعباد كما أوضحنا وهو الزكاه العباده الماليه فربط تهديب الروح برابط التعاون والا رتباط الاجتماعي فلا طبقات في ظل الدوله الاسلاميه فلا بد من مراعاة مبدأ الاخوه والعمل بروح الفريق الواحد ولكن ليس كما ذكر في ذم اجتماعهم علي الكفر

ولهذا قال تعالي (واركعوا مع الراكعين)

اي اندمجوا والتحقوا لجماعه الايمان واعقب ذلك بإنكار السلوك المشين المخالف لاداب معرفه الوحي فقال تعالي

(اتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وانتم تتلون الكتاب افلاتعقلون)فالنصوص فيها استنكار ذلك السلوك من عده أوجه

الوجه الاول

أنه من المعيب مخالفه القول للعمل حيث أن الله يستنكر حالهم وحال كل من يتناقض أقوله وأفعاله كما سرد في بدايه السوره حال المنافقين ولما كان حال اليهود والمنافقون متشابه في هذا الشأن فقد كان اليهود يدعون الناس الي مكارم الاخلاق قبل الاسلام ويظهرون أمام الناس أنفسهم أنهم دعاه الي الخير فقال تعالي مستنكرا واقع هولاء كيف يدعون الناس الي البر الذي هو اسم جامع لكل معاني الخير اذا أطلق بالكسره أما إذا جاء بالفتحه فهو يكون متعلق باليابسه من الأرض وإذا جاء بالضمه فيقصد به القمح وهنا يستنكر واقع هولاء كيف يدعون الناس الي الخير وعندما يأتي الخير لايقبلونه فالاصل أن الواعظ عندما يوعظ الآخرين أن يكن أكثر التزاما منهم

الوجه الثاني

يتوجه الخطاب موجها بالتوبيخ الي من يحرص أن يصل الخير للآخرين ويعمل نفسه فقال تعالي (وتنسون أنفسكم)

أنه كيف يكون ترك الإنسان المصلحه عن نفسه وهو يامر به الاخرين فكيف تتركون أنفسكم ولا تفكرون بالعواقب لمخالفة احكام الله وكيف لاتهتمون من فوات الخير عن أنفسكم في حين تحرصون أن تحثوا الناس علي الاهتمام بالخير

الوجه الثالث

ان استعمال الامر بالحرص علي الخير للنفس قبل الأمر به الاخرين للحث علي محاسبة النفس حتى لا تقع في المعصية واستعمل لفظ النسيان في إيقاع تصوير لحاله هذا الشخص القبيح كانت لم يذكر نفسه للتنبيه علي قبح الفعل والحث علي ضرورة الذكر الدائم والمستمر للنفس وحاجتها الي التزكية وأمرها بالخير حتي لا لاتقع في المعصية

الوجه الرابع

ان الاستنكار جاء بصيغه الجمع اتمرون...وتنسون....ترسم لنا حال اجتمع حوله مجتمع بكامله ليس سلوك فردي بل هي ظاهره منتشره لدي علماء بني إسرائيل...وهي ظاهرة منتشرة في سلوك الفلاسفة الذين يتطاولون في الخوض بالقضايا ومن يضعون انفسهم موضع القدوه دون استشعار المهمه والتزام مطابقيه القول للعمل ..أو المعلم الذي يعلم التلاميذ لأجل الراتب الشهري الذي يتقاضاه وهو غير ملتزم ..فالتحذير من هذه الظاهرة لأن الواعظ ينبغي أن يحاسب نفسه اشد الحساب لانه من يدعوا الناس الي الصلاح ينبغي أن يسبقهم إليه ... خاصة اذا كان عالماً فقال تعالي (وانتم تتلون الكتاب)

لأن ارتكاب المعاصي من العالم ينزل عليه يوم القيامة اشد العذاب فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال

ال يغفر للجاهل سبعين حين يغفر للعالم مره واحده فليس من يعلم كمن يعلم

ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى قال (أفلا تعقلون)

فالاستفهام بالهمزه (أفلا)إنكار هذا الحال فجاء الحكم عليهم بأنهم لا عقول لهم ولا إدراك والخطاب موجّه الي العلماء من بني إسرائيل واللوم للجميع مع إثباته (وانتم تتلون الكتاب) وذلك لأن العوام رضوا بما يفعله أسلافهم وعلماهم فصح في حقهم جميعا أنهم لاعقول لهم

رابعاً

تأتي النصوص مبينه للناس دعائم الايمان لمواجهة النفس وقمعها لتكسر مافيها من أنفه وعصبيه مانعه من الاتحاق بجماعه المومنين فالمسألة تحتاج إلى قوه شجاعه ولا يكون ذلك إلا بالتححرر من الأوهام والخوف وهدم

تلك الأصنام وان يغرس في النفوس خوف الله والشعور بالرقابة الالهيه علي الدوام ومحاسبة النفس بالشعور والا حساس بالمسؤولية وانك مسافر إلي الله والدار الآخرة وتذكير النفس بذلك علي الدوام فقال تعالي (واستعينوا بـ الصبر والصلاة وأنها لكبيره الا علي الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وانهم إليه راجعون)

ان النصوص ترشد المخاطبين كيف يواجهون الصعوبات والتحديات والعوائق التي تقف مانعا من القبول بالدعوه الي الاعتراف بالحق والالتحاق بموكب المومنين فالمسألة صعبة وشاقه علي النفس وهي تحتاج إلى العون الإلهي كما قال تعالي (اياك نستعين) اي الهدايه الخاصة التوفيق والنجاح والفلاح فاستعمل ضمير الشأن (أنها) لبيان ان لهذه الهدايه ابواب ومفاتيح ذلك أن الاستعانة طلب المساعدة والعون ف الله يقول لنا استعينوا علي تربيته أنفسكم لتكون مطيعه فهي بحاجة إلى تربية مثل الطفل ولأجل أن تحظوا بالعون الإلهي واهلا صالحا لاستقبال نور الله ف النصوص تبين لنا دعائم الايمان التي يكون الاستعانه بها

الامر الاول

الصبر

ان اللازم علينا أن ندرك أن الخطاب ليس مراد به اختصاص اليهود به بل انت ايه المسلم عنصر اساسي يراد بـ الخطاب أن يصل إلى أعماقك فأنت بحاجة إلي الانتفاع بما تخبرك الايه الكريمه هل تريد ان تلحق بموكب المومنين الذي جذوره تبدأ من نوح ومن آمن معه وتنتهي باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم

ف الله يقول لنا أن المسألة تحتاج إلى ارده قويه اراده قادره على قمع الهوي والشهوات والكبر العصبيه لانه اذا انقمعت النفس حصل استقرار الأرده تحصل الاستقامه حينها تكون هنالك قدره سيطره العقل علي الشهوات واستقرار قوه التصور والفكر في القيادة للعقل فيكون الصبر استعادة القوي العقلية التي ذم فيها اليهود في الايه قبلها (افلا تعقلون)

فالصبر طاقه روحيه تقوم علي اساس اربعة امور لتحصل على طاقه الصبر لأن العوائق والصعوبات تعود كما قلنا الي حب الدنيا والتعلق بها والشهوات والملذات وهذا يكون نتيجة عندما يغفل المرء محاسبه نفسه لفقدان الشعور بالمسؤولية والرقابة ولأنه ينظر إلي الدنيا نظره ماديه ولهذا فإن النصوص جاءت بذكر الصبر بعد أن تناولت بيان دعائم الصبر حيث نجد أن المولي سبحانه وتعالى ابتداء بالتحذير من العقوبه فقال تعالي (واياي فارهبون) اي خافوا عذابي فهنالك حساب وعقاب وهذا فيه غرس قوه الاشفاق علي النفس من عذاب النار وهذا يولد طاقه تحمل مشقه الطاعه ومقاومه الغرائز والشهوات وذكر اهميه الحرص على محاسبة النفس حتي تقع في المعصية اي أن تعيش في ترقب الموت الذي سوف يفاءك في أي وقت فيكون المبادرة الي الطاعه والامتثال والمولي سبحانه وتعالى قد أخبرنا أن الوفاء بالعهد يقابله استحقاق الجنه (واوفوا بعهدي اوف بعهدكم) وهذا فيه تقويه طاقه الزهد عن ملذات الدنيا فتسلا النفس عن الشهوات وكان قد خاطبهم (اذكروا نعمتي) بإضافتها الي الله ليغرس في النفوس الشوق الي الله فكان الخطاب مناسباً بعد تناول قصه ادم والعهد وبأن الالم الحقيقي هو الم البعد عن الله وهو ينسجم مع قوله تعالي في وصف المومنون (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وانهم إليه راجعون) أنهم صدقوا باليقين الجازم وانك مسافر إلي الله والدار الآخرة وسوف يكون الحساب علي اعمالك وهذا يولد قوه تحمل المشاق لانك تدرك أن الدنيا لاتساوي شيئاً

الأمر الثاني

واستعينوا بالصبر والصلاة)

المراد هنا الاتصال بالله في جميع الأحوال والظروف فتكون عابدا لله وفي صلاه في كل حركة وحال لاتنسي انك مكلف بحمل الدعوه الى الله والقيام بأمر الله تعالى فأراد بهذا شد الإنتباه إلى معاني الصلاه التي هي الدعاء وتعني الشعور بالمسؤولية والحاجه والضعف والافتقار الي الله علي الدوام وهو مايجعلك تعرف نفسك بضعفك وحاجتك وحينها تقع رغبات النفس فمن عرف نفسه عرف ربه عندها يكون الاتصال بالله فيكون هذا القلب محلا صالحا لاستقبال نور الله وعونه وتوفيقه فيرزقه الحكمه والبصيرة فيري الحقائق دون غطاء اوستائر تحجب الرؤية

الأمر الثالث

تبين النصوص اهميه استحضار عظمه الله والاحساس بالوقوف في حضره المولي جلا جلاله والشعور انك في موقف العبودية لأن النفس بحاجه الى التزكية ومجاهدتها وان قوتها في الصبر فهو طريق السيطرة على النفس ولهذا أمرنا الله بالاستعانة فقدم الدليل على معناها بعوده الضمير المفهوم من قوله (واستعينوا) حيث حصر قوه الاستعانة علي أمر الدعوه باداه الحصر (الا) اي لايقدر عليها إلا الخاشعين

لأن الخشوع تعني الذل والخضوع والانعان والتسليم باستحضار عظمه الله وتقديره حق قدره برؤية جماله وإحسانه وجلاله وعطفه عندما تري ضعف نفسك وافتقارك لله وحاجتك فالصبر والصلاه هما السلم الذي يكون صعود النفس فيه الي الكمال النفسي والذهني والانسجام بين الأقوال والأعمال وهذا لا يكون إلا بالشعور والا حساس بالمسؤولية وانك تقف في حضره الله وانك مسافر إلي الله والدار الآخرة وسوف تقف بين يدي الله للحساب علي أفعالك تشعر بالرقابة الالهيه

ولهذا نجد أن النصوص تبين لنا أن اللازم عليك أن تنتفع بالعلم الذي لديك لتصل به الي العلم باليقين الجازم (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون) فأراد بالظن هنا العلم باليقين فقد كانت العرب تطلق لفظ الظن علي اليقين لا الشك وهو يفهم من النصوص أما استعماله بمعني الشك فهو يكون في مواضع أخرى (أن الظن لا يغني عن الحق شيئا) ولهذا قلنا إنه تفهم معناها من السياق معنا للالتباس

ولما كانت النصوص تتحدث عن دعائم الصبر والعلم فالمراد بهذا هنا اليقين والتصديق اي انك متأكد من لقاء الله بإيمان صادق وانه تعالي هو المهيمن والمسيطر علي كل شي وانك سوف تعود إلي الله لتحاسب علي اعمالك فاللازم أن تحاسب نفسك قبل أن تحاسب فالمراد هنا اجعلوا من إيمانكم اليقين ماترون به الغيب فإن لم تراه فإن الله يراكم

والصبر مناط النفوس وهو مناط الاحتمال وهو مناط الاحساس والشعور بالمسؤولية وهو الذي يصمد العبد ويقوي عزمته وهمته ويكون ثابتا علي الحق لايتزعزع فاستعمل ربهم للإشارة إلى أن الله جعل الصبر تربيته المومنين للوصول إلى الكمال

القسم الثاني

يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واني فضلتكم علي العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا تقبل منها شفاعه ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون

اولا

ان النصوص ابتدأت بالخطاب الموجه لبني إسرائيل باسم أبيهم يعقوب عليه السلام الذي ينتسبون إليه وتكرار ذكر النعم مثلما ذكر في مقدمه المقطع حيث نجد أن التذكير الاول جاء مقرونا بالوفاء بالعهد والوعد بالجزء والأمر بـ الرهبة والخوف من الله وما تلاها الأمر بالإيمان والتصديق بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالقران وعدم الخلط

بين الحق والباطل والنهي عن الكتمان والنهي عن فساد التصور لمن يخالف أقواله وأفعاله مبينا لهم الطريق التي فيها النجاه من الانحراف عن الاتحاق بموكب الجماعه المومنه

أما في هنا فنجد أن التذكير بالنعم جاء مقرونا بالعطف (واني فضلتكم علي العالمين)وعطف ذلك بالتحذير من الحساب والوعيد والجزاء والحققا بسرد تفاصيل انعام الله علي بني إسرائيل

فما هو المقصود بالترفضيل علي العالمين.....ولماذا عطف بجملة التحذير واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا تقبل منها شفاعه ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون)

لماذا كرر الخطاب يابني إسرائيل كل هذه المفاهيم سوف نتناولها من خلال الآتي

الامر الاول

ان المراد بالترفضيل هنا لبني إسرائيل هو تفضيل موقوت بزمان ارسال الله انبياءهم واصطفاهم لحمل الدعوه الي الله وقياده البشرية في حمل رأيه التوحيد ولهذا نجد تخصيص التفضيل علي عالم زمانهم لان (ال)التعريف (العالمين)أنها للعهد لا الجنس اي أن التفضيل المعهود لديكم والمراد به في زمن الاصطفاء والاختيار حينما أرسل إليهم الرسل وحينما اختار المكان الذي باركه الله(الأرض التي باركنا فيها للعالمين)وليس لجميع الأزمنة وهذا فيه عده مفاهيم نذكر منها الآتي

المساله الاولى

ان التفضيل والتكريم ليس لذواتهم علي غيرهم كما توهموا فزعموا أنهم ابناء الله وأحباؤه فاكلوا حقوق الناس وفرطوا

وفرطوا في الدين وتعاملوا بعدم مراعاة حقوق الناس فقالوا ليس علينا في الأميين سبيل

ولهذا فالله يقول لهؤلاء أن التفضيل ليس لذواتهم وانما الفضل الذي اختصهم الله به في زمان الانبياء الذين ارسلهم الله لمواجهه عبده الأوثان والفراعنه مع اختيارهم ليكونوا أهل التوحيد والقيام بحمل أعباء الدعوه فهذا التفضيل يستوجب الشكر لله فهو نعمه منه تعالي

فالنص فيه التحذير لهم من الاغترار بالترفضيل الذي اختصهم الله به في زمانهم ويقول لهم ولنا انتبهوا من الغرور بـ التطاول واتخاذ نعمه الله بالترفضيل اذاه لرفض الحق فعليكم التذكر أن الله شديد العقاب فقال تعالي (واتقوا)اي انتبهوا واحذروا يوم القيامه واهواله الشديده فلن ينفعكم الا الأعمال الصالحه التي هي الرصيد النافع وهي الزاد في اليوم الآخر

المساله الثاني

ان المولي سبحانه وتعالى يخبرهم بقاعده اختيار الرسل والأنبياء واصطفاء الأمم لحمل رايه الهدايه فيذكرهم الله بحالهم كيف كانوا قبل ارسال الله إليهم موسي فقد كانوا عبيد لدي الفراعنه وفي ذلك وهوان فاخترهم الله لحمل رايه الهدايه وانعم عليهم بأن جعل منهم الرسل وفضلهم علي أهل زمانهم

ليخبرهم أن الله تعالي الذي انعم عليكم بالترفضيل علي أهل زمانكم واغدقة عليكم بالعز والتمكين هو الذي اختار محمد صلى الله عليه وسلم رسولا من العرب وفضل امه الاسلام لتحمل رايه الهدايه في هذه الفتره الزمنيه تحديدا ليكون رحمه للعالمين

ومثلما تفضل عليكم بانعامه قد تفضل وانعم علي امه العرب فهذا فضل يختص الله به من يشأ من عباده فاللازم

القبول باختيار الله تعالى وعدم الاعتراض فاحذروا المخالفه وعليكم المسارعه والمبادرة للالتحاق لجماعه الايمان واعترفوا بفضل الله الذي اختص به الرسول صلى الله عليه وسلم ولا تكونوا مثل ابليس الذي رفض الاعتراف بفضل ادم فاستحق الطرد من رحمته الله فالله امركم بالإيمان بالقران واتبعوا رساله الاسلام فقد أخبركم الله و الزمكم بهذا فقال (اوفوا بعهدي اوف بعهدكم) فاحذروا من الاعتراض لأن التفضل أمر ينعم الله به علي من يشأ و لا يجوز الاعتراض على اختيار الله فجاء ذكر التفضيل بالعطف علي النعم فهو عطف عام علي خاص

المساله الثالثه

ان النصوص تبين لنا أن التفضيل إنما يكون بالاخذ بالفضائل والابتعاد عن الرذائل ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يقول لبني إسرائيل أن عليهم أن يتذكروا أن الذي فضلهم له أن يفضل غيرهم باختيار النبي صلى الله عليه وسلم وامته يقول لهم انتبهوا فلا تصابوا بالذهول من اختيار امه العرب لحمل رايه الهدايه لأنهم لا يعرفون القراءة والكتابة فتصوروا أنهم لن يستطيعوا أن يحملوا الامانه فانتم كنتم في ضعف وهوان فانعم الله عليكم ثم إن الواجب عليكم الإنتباه فلا ياخذكم حب الرئاسة والغرور بالانساب والعلم والقوه والتاريخ الطويل في حمل رايه الهدايه علي الرفض وعدم القبول باختيار الله فحذرهم الله فقال تعالي (واتقوا يوما....) انتبهوا فلن ينفعمكم النسب والسلاله ولا تقبل الفديه ولا يوجد من يقاوم الله وعذابه في ذلك اليوم

المساله الرابعه

ان من ضمن مايفهم من اسلوب الخطاب أهمية انتقاء الألفاظ والعبارات القادره علي الوصول إلى أعماق مشاعر واحساسيس النفس لاستجلاب الاقتناع فالله سبحانه وتعالى يحث هولاء بالالتحاق بموكب المومنين من خلال النداء باسم أبيهم يعقوب الذي يستمدون منه الشرف والمنزله فذكر الآباء بالفضل شرف للابناء فقال تعالي (يا بني إسرائيل) فهذا الأسلوب يهدف إلى إحياء مشاعر الايمان في قلوبهم وأحياء مشاعر الكرامه في نفوسهم فقال تعالي (واني فضلتم علي العالمين) فأراد بتذكيرهم بالماضي أن يحدث في النفوس يقظه وصحوه يحفزهم علي النهوض والمسارعه الي الالتحاق بجماعه المومنين ليحافظوا علي سمعه ابيهم وعلي مكانه أنفسهم يقول لهم لا عز ولا كرامه الا بالإيمان والسير في طريق الهدايه فاستخدم ما فيها تأثير علي النفوس لإيقاظ الاحساسيس فهي وسيله تقويه العزيمه الصادقة وآثاره منطقه الاحساس من أهم وسائل تثبيت الهمم والعزائم وتنقيه الاوعيه من الأوساخ لتكون جاهزة وصالحه لاستقبال نور الايمان

الأمر الثاني

ان المولي سبحانه وتعالى يقول إن التفضيل إنما كان مرتبطا بحمل رايه الهدايه والتوحيد وليس لذوات بني إسرائيل وان انحرافهم وقتلهم الانبياء وعنادهم وجحودهم النعم قد كان سببا في سلب الفضل عنهم وكان انتقال القيادة الي امه الاسلام وهذه هي سنه الله في نقل القيادة من الي أخري وان ذلك كله يعود إلي فضل الله ورحمته يختص بها من يشأ

فيقول الله لهم هل تريدون المساهمه في حمل رايه التوحيد والحفاظ على مكانتكم وهل تريدون استرداد الفاعليه الإيجابية والنهوض بحمل المهمه فإذا اردتم ذلك فعليكم الالتحاق بجماعه المومنين لأن الخروج من الازمه التي تعيشونها مرهون باستدعاء معرفه الوحي فهو سبيل الهدايه ودليل العمل والتعامل مع الحياة وتحولاتها واطرادها والله قد أنزل كتابه علي أمه الاسلام فاللازم عليكم المبادرة الي الالتحاق بموكب المومنين

والنص فيه التوجيه الي اهميه إعادة ترتيب الاحساسيس وتنقيه الاوعيه من الأوساخ والأهواء والشهوات لتكون صالحا للمساهمه في إعادة اخراج الامه من حاله العجز والتخلف والخزي ولتاخذ دورها في عمليه الانطلاق والا ضطلاع بمهمه الاستخلاف حمل الامانه

ولو نقف نحن معشر المسلمين اليوم لنرى كيف اننا اصبحنا في حاله من التخلف والعجز وقد سلب الدور القيادي عن الامه فإن هذا الحال لا يختلف كثيرا عن حاله اليهود الذين تركوا واجب حمل رأيه الهدايه واصيبوا بالعجز و التخلف والخزي ولهذا فنحن بحاجة الى الانتفاع بما ورد في النص من توجيهات رباني لهم يخبرهم بضروره معرفه اسباب الازمه وان ذلك باستدعاء الوحي الإلهي القران واستصحابه كدليل عمل وتعامل لاستعادة الامه دورها وفعاليتها وأن بدايه تلك المعرفة تكمن بالاعتراف بالتقصير والشعور بالمسؤولية والتبعية الفردية عن الأ عمال والتصرفات فقال تعالي (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا تقبل منها شفاعه ولا يؤخذ منها عدل و لاهم ينصرون)

لأن فقدان الإحساس والمشاعر ومحاولة إلقاء التبعية علي الآخرين مرض أصاب اليهود وهو مرض أصاب المجتمعات الإسلامية اليوم وتحول ذلك المرض الي ثقافة تتورث من جيل لآخر انتقل نتيجته العدوي بسرعه فائقه كانه وباء أصاب الأفراد والأحزاب والجماعات فصار كل طرف يلقي اللوم على الآخر اصبحنا نتباهي ونتفاخر بالماضي في حين أصابنا الخمول والتقصير واكتفينا بالتغني بماضي الأسلاف بعد أن تخلينا عن حمل مشروع الدعوه الى الله ف الله سبحانه وتعالى يحذرنا من مغبه السير في طريق المغضوب عليهم لأنها مقدمه لسلب القيادة عنا وهو ما حصل فعلا

ثانيا

أنالمولي سبحانه وتعالى أمر وحث اليهود علي الاندماج في صفوف أهل الإيمان واخبرهم أن الفرصه متاحه للعوده الى موكب الايمان والي عهد الله وشكر الله علي انعامه فالمجال متاحه للعوده الي مقام التكريم الذي يناله المومنون ويخبرهم أن موجبات التكريم هو الايمان (وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم) ولا اليهود فقدوا الاحساس بالكرامه وقلوبهم قاسيه ف جاء التحذير من يوم القيامه فقال تعالي (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس.... الخ وهذا فيه الآتي

ان النصوص جاء فيها رسم مشهد التهويل الكبير ليوم القيامة ابتداء من تنكير (يوما) بقصد المبالغه في التهديد لليهود نظرا لأنهم لا يستجيبون الا بالسوط والعذاب فكان التنكير لبيان شدة الأهوال ليتترك للنفس أن تاخذ لها من صور الأهوال مايوقع في النفس الحذر فيقول الله لهم احذروا يوما عظيما امامكم سيكون فيه الجزء والعقاب وهذا التهويل فيه إيذانا بانقطاع المطامع في النجاه بالانتساب بصله القرابه والدم للصالحين أو الاغترار بالمال أو الجاه والسلطان والقوه فأخبرهم الله المبادئ الآتية

المبدأ الأول

اهميه استشعار المسؤولية الفردية عن الأعمال أمام الخالق سبحانه وتعالى ف الله يقول لنا أنه أعطى الإنسان العقل والارده ورتب علي ذلك المسؤولييه والحساب والعقاب وان كل واحد سوف يسأل عن أعماله فلا يجزئ والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده

والجزاء في لغه العرب تعني القضاء والتعويض فيقال جزيته قرضته وقضيته دينه فيقول الله لهم أن عليكم أن تدركوا أن يوم القيامه يختلف عن الدنيا فأنتم في الدنيا يمكن للاب أن يقضي دين ابنه والعكس أما في يوم القيامه فهذا غير مسموح به فلا تقضي نفس عن نفس حقا لزمها ولا تقبل وساطه ولا يؤخذ فديه والخطاب لبني إسرائيل لانهم كانوا يقولون انهم ابناء الله وأحباءه وقالوا نحن ابناء انبياءه وانهم سوف يسعون لنا فأراد بهذانفي كل تلك المسائل ولهذا افان اقامه النظام الإسلامي علي مبدأ التبعية الفرديه عن الأعمال (المسؤولية الشخصية) من أهم المبادئ التي يكون بناء الشخصية المسلمة الايمانيه العابده التقيه المسؤله فعندما يشعر المسلم أنه خليفه الله في أرضه وأنه مسؤؤل عن أفعاله وأنه لا يبوخذ بجرم غيره ف الله يقول (ولا تزورا وزره وزر أخرى) فإنه يحس أن لحياته قيمه وانه لم يخلق عبثا وأنه سوف يحاسب علي أفعاله وهذا يجعله يعيش في يقظه دائمه يفرغ القلب من

الغفلة وبخاف أن تصيبه الخمول والكسل فالنظرية الاسلاميه تقوم علي قاعده التقوى التي فيها التفاضل فهذا هو الميزان الإلهي وليس الانساب سببا الفضل فالله قد أخبر اليهود أن انتسابهم للصالحين لن ينفعهم وعليهم الا لتحاق بجماعه المومنين

المبدأ الثاني

فيه اشعارا المخاطبين أن الله عدل وهو لا يقبل وساطه وأنه لاتنفع عنده وشيجه القرابه والنسب للصالحين ف التفضيل الذي منحه لهم عندما حملوا رايه الهدايه لن يكون سببا يمنع عنهم العذاب والله لا يقبل وساطه أحد فمن ارتكب معصية وعليه حقا فالله سوف يعاقبه فالرصيد هناك هو الحسنات والجزاء يقوم علي الحسنات والسئيات فالله يقول في موضع آخر (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وكفي بنا حاسبين)

ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى ذكر الآتي

الامر الاول

ان يوم القيامة لاتوجد وساطه ولا محسوبيه فقال تعالى (ولاتقبل منها شفاعه) لبيان ان النفس البشرية لاينفعها الا نتساب الي الصالحين إن لم يعملوا الأعمال الصالحة فهم مسؤولون عن أعمالهم ولن ينفعهم الا التوبه من كفرهم وا لالتحاق بموكب المومنين

الأمر الثاني

ولا يؤخذ منها عدل

والعدل هنا جاء بالتنكير وهو يقال للبدل والفديه أنه عدل والله قد أخبرنا أنه لو جاء المذنب بكل ما في الأرض من ذهب أو مال فلن يؤخذ منه بدل ممن جاء مجرما فلا بد أن يعذب وقد ورد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قيل له يارسول الله ما العدل قال العدل الفديه ... ولهذا قيل للفديه من الشي البدل منه عدل لمعادلته إياه كما تقول لمن تتزوج انت وهو أختان عديل اي مساوي له

الأمر الثالث

(ولا هم ينصرون)

يخبرهم الله تعالى أن هذا اليوم لاتوجد قوه تقف أمام قوه الله فهو الملك لهذا اليوم (مالك يوم الدين) وهو الواحد القهار فهم مقهورن فلا يوجد من يقوم بمساندتهم ولا توجد قوه لأنها ترفع عن الناس التعاون والتناصر وهم خاضعون كلهم (وقفوهم أنهم مسؤولون مالكم لاتنصرون بل هم اليوم مستسلمون)

ثالثا

ان النصوص تهدف من الأخبار أنه الوساطه ولا فديه ولا شفاعه وان الحكم لله الواحد القهار في هذا اليوم وكل واحد مسؤول عن فعله الي أنه في يوم القيامة تنقطع الأسباب وتبطل العلاقات والانساب فلا توجد وسائل للهروب من عقاب الله إلا العمل الصالح

فمن كفر في الدنيا فلا ينتظر أن يتوسط له أسلافه الذين كانوا صالحين فلا محاباه لأن هذا إنما متاخا في الدنيا أن البعض قد ينجوا من العقاب العادل الذي يكون مستحقا لأحد العباد محاباه من الذين ينفذون الأحكام في الأ رض لتاريخ أسلافه ونضال أجداده قد ينجو نتيجة تدخل ذوي النفوذ أو لرشوه أو تسليم بدليه ماليه وقد بنجو لوجود أنصار يمنعون عنه العقوبه

أما في الآخرة فالأسباب مقطوعة فلا محاباه ولا ساطه ولا رشاوي ولا قوه تقف أمام قوه الله العدل القوي الجبار الواحد القهار فجاء النص ليسد علي المتمسك بما يراه من مصادر القوه والجاه والنصره في الدنيا بأن هذا اليوم هذه الأسباب معدومه والسبيل الوحيد للنجاه هو الايمان والعمل الصالح ولهذا استعمل الجمله معطوفة الآخيره (و لاهم ينصرون) اسميه مع أن الجمل قبلها فعليه للمبالغه والدلاله علي الثبات والديمومه أي أنهم غير منصورون وانهم مهزومون وبلغت انتباهك أنه لا عبره لما يصادفون من نجاح مؤقت في الدنيا بما يلجأون إليه فالأمر مختلف فالله سبحانه وتعالى مالك يوم القيامة وهو العدل وهو لا يظلم احد

والخطاب موجه لجميع الناس وليس اليهود وحدهم ولهذا نجد أن النص ابتداء بالمخاطب (يا بني إسرائيل) ثم انتقل الى الغيبه (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا.... الخ وانتهي بالتعميم (ولاهم ينصرون)

لبيان ان هذا الخطاب هو لجميع الناس وهذه المبادئ لجميع الناس فالمراد أن تشعر انك معني ومقصود بهذا الخطاب فلا تتصور أن ذلك متعلق ببني إسرائيل لا فأنت مطلوب منك المشاركه الشعوريه لتحصل الفائدة تشعر بـ المسؤولية بما أنعم الله علينا من نعمه الايمان وانعام علي شاكله ما أنعم به علي بني إسرائيل فنحذر أن نقع في ما وقعوا فيه من المحاذير

الفصل الثاني من المقطع الثالث

تمضي سياق النصوص بعرض انعام الله علي بني إسرائيل والاءه علي وجه التفصيل الذي فيه تصوير العطاء الرباني وترسم لنا صورته لمشهد استقبال بني إسرائيل لها فيها مشاهد قبيحة لمظاهر الجحود للنعم والتكذيب للافبياء والكفر والزيغ والتعننت لبيان فساد تصورهم وسوء معاملتهم سواء مع الحق سبحانه وتعالى أو مع أنبيائه أو مع سائر الناس ليغرس في نفوسنا النفور والكرهية لأعمالهم بما تنقل لنا الآيات من صورته تبين لنا أن انحرافهم جاء كثمره من ثمرات سوء أعمالهم وفساد تصوراتهم وأفكارهم ونواياهم والطباع القبيحة ووقوعهم بمصيده الشيطان لتحذيرنا من ذلك السلوك ...

القسم الاول

(وإذ نجينكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم

وإذ فرقنا بكم البحر فأنجينكم فإغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون)

أبتداءت النصوص بامتنان الله علي بني إسرائيل بالعطف (وإذ نجينكم من آل فرعون) يخبرهم الله تعالى أن عليهم أن يتذكروا الوقت الذي انجاهم الله من واقع مأساوي عاشوه في مصر فذكر الصورة المقابلة (يسومونكم سوء العذاب) أي يذيقونكم ألوانا من العذاب يفوق التصور فهو عذاب شديد وفظيع نفسي وجسدي ومادي فقال (يذبحون أبناءكم) يقتلون الذكور قاصدين افناءهم وكسر شوكتهم (ويستحيون نساءكم) أنهم يبقوا النساء لأجل استرقاقهن والتمتع بجمالهن بما يخل بالحياء وان ذلك فيه ابتلاء واختبار من الله عظيم الخ

وهذا فيه الآتي أمور نذكر منها الآتي

اولا

ان الحق سبحانه وتعالى يريد أن يلفت انتباه المخاطبين الي تأمل وتذكر الحدث التاريخي الذي كان فيه انقاذ اليهود بإرسال موسى عليه السلام من بطش الفراعنة فقال تعالي مخاطبا اليهود (وإذ نجينكم من آل فرعون) أي

تذكروا ذلك الحدث في الخير والشر من أحوال بني إسرائيل والفراعنة لتحذروا أن تكونوا مثل الفراعنة الذين رفضوا اتباع موسى تفكروا في تفاوت حال الفراعنة وحال بني إسرائيل في ذلك الوقت والظروف لتعرفوا السبب الذي حصل به العز لبني إسرائيل وكيف أزاح الله أعداءهم برغم ما كانوا عليه من القوة لتعرفوا ماهو حبل الكرامة الذي كان النجاه والسلامه فيه لبني إسرائيل بواسطته لتعرفوا ماهو سبيل النجاه والسلامه وماهو سبيل الهلاك

ولهذا نجد أن النصوص تخبرنا بأطراف المثال والنموذج التاريخي لحياه بني إسرائيل في مرحلة تاريخية معينة وأحوالهم وظروفهم اوضاعهم لإيصال الفكره ولغرس الاستعلاء بالحق لا الجاه والسلطان والقوه والمال ويتضح ذلك من الآتي

الأمر الأول

فذكر أن التنجيه كانت من طرف استبدادي طاغيه فقال تعالي (من آل فرعون) لشد الإنتباه الي خطوره الموقف وان المسأله تحتاج إلي اهتمام خاص لتذكر الموقف

فلم يقل من فرعون فاراد بهذا

*المساله الاولى

أن يبين أن الاستبداد كان من نظام دوله استبداد سياسي منظم له اركان وسلم وبناء وقواعد وجوانب وقمه ف النص يرسم لنا الطرف المستبد من حيث أفراده ومنظومته وأفكاره وتصورته وأهدافه وسياسته

فدلت الايه الكريمه (من ال فرعون)أنهم كانوا في هرميه استبدادية شكلت كيانا حاكما استبدادي راس الهرم ورب تلك الأسرة هو فرعون الكبير الذي يستمدون منه القوه فهو الرأس الذي يصدر الأمر منه وهو يمثل قمه الهرم ...ونحن نعلم أن اليد اليميني لفرعون هو هامان والذي يمكن اعتباره في الوقت المعاصر الكيان المدني السياسي الذي يكون الضلع الأيمن من أضلاع الهرم الاستبدادي مثل قاده الأحزاب التي تشتبك مع الانظمه الا ستبداديه العسكريه والملوك والأمراء والرؤساء ومن ضمن مايمكن اعتبارهم بهراميه هامان كبار الشخصيات من الوجهاء والمشايخ الذين لهم سلطه علي القبائل أو مثل رجال الدين الذين اتخذوا الدين وسيله هيمنه للمساهمه في تكريس ثقافة الاستبداد والقمع باسم الدين بالاشتراك مع السلطة التي تمنحهم جزء من الامتيازات

وأما الضلع الثاني للهراميه هو رأس المال الذي يعد عنصر أساسي لتكريس الاستبداد وهو ما اشار إليه القران الكريم في القصص بقارون ويكون الرابطه بين المال ورأس الهرم والاضلاع الأخرى ناتج عن التزواج بين المال و السلطة ولهذا نجد أن النصوص ذكرت في القران ارتباط مصير فرعون وهامان وقارون فقرن الله هلاك فرعون وقارون وهامان بالهلاك في القصص برغم أن قارون من قوم موسي وأدخله الله ضمن ال فرعون فقال (ادخلوا ال فرعون اشد العذاب) وهو يشبه أصحاب رأس المال الذين يكون لهم دور كبير في المنظومه الاستبدادية ..وقد ذكر الشنقيطي أن لتلك الهراميه قاعده شعبيه هم السحره تشبيه الاعلاميين في الوقت المعاصر الذين يقومون بـ الترويج للأنظمة الاستبدادية وتزييف الوعي لدي العوام واخفاء الحقائق عن أعين الناس وقلبيها راسا علي عقب ونحن نعلم كيف أن فرعون طلب من السحره القيام بالمهمه لمواجهه موسي وهولاء ماجورون يريدون مبالغ مالية مقابل اي فعل مهما كان فهم ليس لديهم ضمير هم أبواق وهذا هو حال وسائل الإعلام الاستبدادية اليوم (انا لنا لا جر أن كنا نحن الغالبون ...الخ والي جانب هولاء نجد أن القاعده الأخرى لمنظومه الاستبداد هي الجنود الذين يقومون بتنفيذ التوجيهات وإرهاب الناس والاستخبارات وهم مثل الاعلاميين ياخذون أجور زهيده وهم معا محل استخفاف راس الهرم واضلاعه قال تعالي (فاستخف قومه فاطعوه)

المساله الثانيه

ان النصوص تهدف من رسم مشهد الهرميه الاستبدادية هو استحضر خطوره الموقف فلفظ (من ال فرعون)توحي لنا بأن الوضع كان في غاية الصعوبة وأنه وفقا للمعطيات الماديه استحاله الخروج من هذا الوضع لولا تدخل الا رداه الالهيه

لأن الانظمه الاستبدادية لها اركان نظام متماسك كما أوضحنا يترابط بحلقات مصالح يصعب فكها لهم سياسيات وافكار ومنظرون يضعون الخطط والبرامج التي تزيد من تماسك منظومه الاستبداد وهي له غايات واهداف يسعون للوصول إليها فرعون لم يكن يتمكن من السيطرة والظلم لولا تلك المنظومه ولهذا نجد أن النصوص ذكرت التنجيه من بطش الفراعنه وذكرت المقابل يسومونكم سوء العذاب...الخ لتبين لنا الآتي

١

ان لأي نظام استبدادي افكار وتصورات وأهداف وسياسيات ولهذا نجد أن النصوص ترسم لنا كيف استطاع الفراعنه احكام الاستبداد فدلت النصوص أن المنظومه الاستبدادية الفرعونية كانت قد صورت للناس أن بني إسرائيل جنس حقير لا كرامه لهم باعتبارهم اجانب مقيمون في مصر من عهد يوسف وان يوسف قد مات ولن يبعث رسولا من بني إسرائيل (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات حتي إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) فوجد ذلك روجا في نفوس الأقباط

كما ذهبوا إلى الترويج لفكره أن فرعون من سلالة الالهيه نظرا لأهمية البعد الديني لدى الناس حتي تغلقت في نفوسهم وحدثت خلافا في الوعي والفهم والإدراك وصاروا ينظرون إليها أنها حقيقة فخضعوا للنظام الاستبدادي

٢

كما أن اذا امعنا النظر في دراسه الهرمية الفرعونية نجد أنها كانت تتحرك وفق خطط وبرامج لها أناس يعدون النظريات والخطط والبرامج المستقبلية لأجل اطاله عمر النظام الاستبدادي حيث نجد أن المولي سبحانه وتعالى ينقل لنا جانبا من قيام النظام بأشغال بني إسرائيل بالهموم ومشقه الأعباء التي جعلوها دائمة عليهم دون انقطاع فقد وضعوا خطه لكسر شوكة بني إسرائيل وتقليل أعدادهم من خلال قتل أبناءهم وابقوا علي النساء استرقاق لهم ولهذا قال تعالى (يسومونكم سوء العذاب) اي يذيقونكم أصناف العذاب لتصوير حاله القهر والانهازم النفسي و الذهني لبني إسرائيل بعمل تنفيذي منظم له خطط وبرامج جعلت من العذاب غذاء لبني إسرائيل فقد كان طعامهم الذي يتجرعوه هو الذل والخوف والقهر بصفه دائمه فأراد بهذا التصوير الذي ترسم الايه مراره العذاب أن تبين لنا خطوره الموقف وصعوبة الخروج من الوضع لولا اراده الله بماتنقلة لنا أن غذاء اروحهم عصاره الذل والقهر والمهانة فجاء التشبيه لذلك بالاعشاب السامة (يسومونكم سوء.. الخ التي اذااكلت منها الإبل كان من الصعوبة شفاوها واستعمل الفعل المضارع لبيان استمرار ذلك مده طويله قيل أنها أكثر من ٤٠٠عام فحصل لهم الذل الطويل

٣

ان النصوص تبين لنا أن المنظومه الاستبدادية اهداف وان

الهدف إرغام بني إسرائيل علي التخلي عن هدف حمل رأيه الهدايه والتوحيد فقال تعالى (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) تعقيبا علي ذكر جوانب من الخطط والبرامج التي قام أهل الفكر الفرعوني بإعدادها لتحقيق الهدف فذكر أمرين

الاول

ان مضمون تلك الخطه والاستراتيجيه البشعه هو العمل علي افناء الذكور من بني إسرائيل بشكل متدرج ومنع وصولهم الي اي مراكز في الدوله ووضعهم في موضع الذل والهوان بالعمل سخرية صنف يبني وصنف يزرع وصنف يخدم في البيوت ومن يجني الثمرات الفراعنه لمنع وصولهم إلى أي مواقع حساسة في الدوله

ولهذا استعمل لفظ الذبح والتي تعني القتل لغه والمراد بها هنا ابعد من مجرد القتل فهي تعني الفناء لتشمل قتل إزهاق الروح وقتل همه الرجال ومشاعرهم بالقوه الذكورية وذلك باذلالهم بالأعمال الشاقة والقبيحة فعاشوا في دائرة من الأفكار المرهقه التي افقدتهم قدره علي التفكير فأصبحوا غير قادرين على التعاطي مع دعوه يعقوب لهم ووصيته لابناءه (ماتعبدون من بعدي قالوا الهك واله اباك... الخ

فقد قبلوا بالاستعباد وتخلوا عن دورهم في القيادة والتفضيل وعاشوا عقود من الذل ف الله يقول لهم اذكروا كيف أن الله انقذكم بإرسال موسي من هذا الذل

الثاني

ويستحيون نساءكم)

ان الهدف من تلك الخطه الظالمه واضح من خلال الوقوف على الصورة التي تنقلها الايه الكريمة من سبب إبقاء النساء التي استعملت بالفعل يستحيون السين والتاء وهذا يستعمل للدلالة على الطلب والمعني أن الفراعنة طلبوا بقاء النساء لغايات في نفوسهم وهو لأجل خدمتهم والتمتع بجمالهن لأن الاستحياء مأخوذ من الحياء وهو مايفهم

منه أنهم اردوا أن يمارسوا معهم ما فيه الاخلاق بالحياء والأخلاق

فدلت النصوص أن رغباتهم بابقاءهن لأجل التمتع بهن كان ايضا مرتبط بهدف إذلال بني إسرائيل ولهذا ورد ذكر أن عدم قتلهن وا بقاءهن هو نوع من العذاب الشديد الذي يفوق القتل لأن المراد من البقاء للنساء هو إذلال بني إسرائيل فالعرب كانت تقوم بoud البنات لخوفهم من الذل الذي هو بنظرهم أعظم وأشد من ذبح الأبناء وقدم الذبح لانه أخص الأمور واشدها

الامر الثالث

ان الله سبحانه وتعالى يقول لهؤلاء وهو خطاب لكل الناس أنظروا إلى حالكم فتاملوا ما هو حبال العز والتمكين و الكرامه وكيف يكون حال الأمم عندما ينقطع عنها حبال العز والكرامه يقول لليهود أن الكرامه ليس الانساب حبالها ف الله قد فضلكم علي العالمين في زمان يعقوب ويوسف لكن ما الذي حدث عندما تخليتم عن المبادئ والقيم التي اوصي بها يعقوب أولاده وهو يحتضر عندما حصل التخلي عن هدف حمل رأيه الهدايه والايمان بعد موت يوسف وتنازلوا عن الشريعة ولم يقاوموا الاستبداد ابتلاهم الله بالفراعنه حينها سلمت السلطه السياسيه الي نظام استبدادي انقلب على الواقع السياسي الذي كان سائدا ايام يوسف عليه السلام نتيجته ابتعاد بني إسرائيل عن منهج الله لانهم اصابهم الغرور بالنسب وتخلوا عن القيام بدور الرسل في مقاومه الاستبداد فقد أدى ذلك إلي تشكيل نظام الهرمية الفرعونية وأصبح بني إسرائيل عبيد بلا حقوق وتجرعوا مراره الذل والهوان والخطاب موجه لمن لم يدرك فرعون ولا الناجون من العذاب لبيان ان العقاب العام للامه يكون سببه سكوتها عن العلم فهذه سنن لما في في الظلم من اثار نفسية مؤثره علي السلوك وان العدوان علي الناس يقتل المواهب والطموحات فلا بد لأي نظام استبدادي من مواجهه صيانه للحقوق ومنعه ولهذا ذكر المولي سبحانه وتعالى النجاه ..والذبح والاستحياء وعقب علي ذلك بقوله (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) أن فيه بلاء وامتحان من الرب عظيم واستعمل اسم الا شاره ذلك للدلالة على شدته لبيان عظم شر فرعون وضعف حالهم ليقول لهم كان في مقدوركم الخروج من ذلك الوضع وان ذلك كان تربيته لكم لانكم تخليتم عن مقاومه الاستبداد فاستخدام اسم الرب ووصفه بأنه عظيم ليغرس في النفوس أمتنا ن الله عليهم بالنحاه من هذا البلاء الذي يفوق التصور ولأجل أن يغرس في النفوس الشعور والإحساس بانعام الله وان اعلي تلك النعم التي كلف بها الرسل هو نعمه تخليص الوجود واستنقاذهم من الفراعنه والاستبداد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والفكري ولهذا ذكر شر الفراعنه كصفه من ال فرعون

لبيان ان هذا السلوك يجتمع حوله ويلجأ إليه الظالمون من الحكام وأعوانهم في كل زمان ومكان لاستغلال وإذلال المحكومين وأحكام القبضه الحديديه كلا من موقعه لدرجه يصح معها بالمنطق البشري استحاله إنقاذ الفته المغلوبه علي أمرها لانها لا تملك فقدت كل مصادر القوه فلا جاه ولا سلطان ولا مال ولانفوذ لديها ولهذا استعمل المولي سبحانه وتعالى الفعل الماضي وإذ نجينكم.. الخ اي اذكروا الوقت الذي كنتم فيه بضعف وذل وهوان فأراد استحضار تلك الأوضاع والظروف ليروا كيف أن الله تعالي قدر لهم النجاه عندما أرسل إليهم موسي عليه السلام يقول لهم أن هذه هي سنه الله أن ينصر اوليائه وكما نصر موسي سوف ينصر النبي صلى الله عليه وسلم وأن الضعف والابتلاء يكون مقدمه للتمكين فهو لإعداد وتربيته النفوس والتهيئة لتكون صالحه للقيادة من خلال تقويه قدره علي التحمل فكان لابد من تربيتها علي الصبر والشكر الصبر عند الابتلاء والشكر عند النعم يقول لهم إذا أردتم استعادة دوركم فعليكم الالتحاق بجماعه المومنين فالنصر قادم لامحاله فانتم أصحاب تجربه في هذا المجال ولا تفوتكم الفرصة وعليكم أن تتخذوا من تذكر الماضي من قصه موسي مع فرعون مصدر إلهام تمدكم بقوه ايمان تدفعكم لقبول الحق لأن العاقبة للمتقين ولهذا عليكم تذكر الماضي باستمرار للحفاظ على القيم و المبادئ وعدم التخلي عنها مقابل المصالح

ثانيا ترسم لنا النصوص مشهد حيا تخاطب فيه الناس بصيغه تدعوهم الي تذكر الوقت الذي أوجد شقا طويلا في

البحر من ساحل مصر الي سيناء في وقت كان متصل الأجزاء فحصل الأشقاق فسار موسي وقومه وسلخوا البحر طريقا يابسا انقسم فيه اصحاب موسي اثني عشر وبعد ذلك حصل اجتماع الفراعنه فدخلوا البحر بعدهم وهنا كانت المعجزه التي شاهدها بني إسرائيل عندما غرق الفراعنه وحصل لهم النجاه فقال تعالي (واذ فرقنا بكم البحر فانجينكم واغرقنا ال فرعون وانتم تنظرون)

وفرقتنا تعني أنه فصل بينهم وبين الماء... فالله يقول أنظروا الي حبال الكرامه كيف كتب الله النجاه بالمعجزه لأوليائه فقد شاهدتم كيف اغرق الله فرعون وأعوانه بعد أن كنتم بالأمس ترونهم ملوكا لمصر التي تجري من تحتها الأنهار فقد غرف بالماء شاهدتم قدره الله تعالي ومعجزاته والخطاب موجه لمن لم يكن حاضرا المواقف فهم لم يكونوا في زمن فرعون فاراد بهذا المشاركه الشعوريه حين قراءه القصص كانك وأحد منهم لتحصل على الفائده

القسم الثاني

يخبرنا الله بماضي بني إسرائيل الذي يعيطنا صورته كامله عن فساد تصورهم يقول لا تتصوروا أن يوقظ عقولهم تذكيرهم بالماضي الذي يفترض أن يجعلهم يسارعون للاتصال بحبال الكرامه وهو الايمان واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم لا لأن طبائع قلوبهم قاسيه والعناد وفساد التصور لديهم داء قديم ولهذا يقول لنا الله أن هولاء وبرغم رويتهم الآيات الحسيه الباهره والتي لم يمضي عليها وقت من مشاهدتهم كيف انجاهم الله من الغرق واهلك فرعون وهم ينظرون فما الذي حدث منهم مباشره فقال تعالي (واذ وعدنا موسي أربعين ليله ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون)

فقد عبدوا العجل من غير حجه ولا دليل ولابرهان لبيان خطوره الوثنيه السياسييه في النفوس والقلوب وضروره هدم هذه الوثنيه فالله يقول لنا أنه قد هدم الوثنيه الفراعنه ماديا رأسا على عقب عندما اهلك فرعون في البحر لكن ظلت آثارها في النفوس لها سيطره علي أحوالهم فأخبرنا الله أنه تعالي أوحى الي موسي وهو في مصر أنه سوف ينزل عليه التواره بعد الخروج من مصر فقال تعالي (واذ وعدنا موسي)والموعده تعني الوحي من الله الذي تضمن وعده لموسي انه بعد الخروج من مصر سوف ينزل عليه التواره فالموعده هنا لاتعني المفاعله بين طرفين لا نه لايليق ذلك بالمولي وانما تعني التلقي وهو الوحي وحدها بأربعين ليله لأن العرب تحسب الايام بالليالي عند رويه الهلال فأخبرنا الله أن الوعد كان في مصر لبيان اثار الوثنيه انهم برغم مشاهدتهم الآيات الباهره من انفلاق البحر الذي لم يمضي طويلا فانهم عبدوا العجل لانهم قلدوا المصريين وصنعوا لأنفسهم عجل وعبدوه مثل المصريين فهم لم يتخلصوا من الآثار السلبيه التي غرستها الوثنيه السياسييه في أعماق نفوسهم بما الفوه من حياه الذل والهوان فقد سيطرت عليهم تلك الآثار التي هدم الله أصلها المادي باغرق فرعون لكنها لم تزول من نفوسهم ولهذا قال تعالي (وانتم ظالمون)لبيان ضروره هدم وازاله اثار الوثنيه السياسييه

الامر الثاني

تأتي سياق النصوص مبينه أن العفو نعمه توجب الشكر لبيان ان هولاء لاينفع معهم إلا العقوبه فقال تعالي (ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون)

فالعفو كان من جريمه كبيره وهي الشرك بالله ولهذا عبر عنها بالعفو ولم يقل الغفر أن وقبول التوبه لأن ذلك كان ناتج عن التأثير بالماضي الذي استمر طويلا ولهذا استخدام اسم الاشاره البعيد ذلكم لبيان ان ذلك يوجب الكفر لكن التوبه تجب ما قبلها ولهذا جاء الخطاب للجميع مع ان البعض هم من عبدوا العجل وهذا لبيان ان الآخرين سكتوا فهم مثلهم بالاثم ولهذا جاء التعقيب

لعلكم تشكرون

ولعل تعني الرجاء من العبد لا من الله والمعني عفونا عنكم رجا أن تعترفوا بالجميل وتشكرونني علي حسن صنعي

معكم فالله يدعوهم إلى الشكر علي العفو عنهم مع عظيم مارتكبوه فهي نعمه عظيمه من الله

الأمر الثالث

وإذ اتينا موسي الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون)

النص فيه توبيخ لهؤلاء القوم فالله يذكرهم بنعمه انزال التوراه علي موسي وما فيها من أحكام وتفصيل لكل شئ وما فيها من توجيهات لمقاومة المستبد وما فيها من بيان قواعد وأسس وطرق الهدايه وما فيها من غذاء روحاني النفوس يجعلها كريمه لا تخاف الا الله والفرقان يطلق علي الكتب السماوية عموما فهو نفسه التوراه مثلما يطلق على القرآن لانه يفرق بين الحق وبين الباطل وبين حكم الله وبين حكم الفراعنه مبينا أن هذا هو سبيل الهدايه فقال تعالي (لعلكم تهتدون) فالرجا تعني لكي تهتدوا الي الطريق فتسلخوا طريق الحق وابتعدوا عن طريق الباطل

الامر الرابع

وإذ قال موسي يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم أنه هو التواب الرحيم)

أبتدأت النصوص بالنداء المتضمن عتاب من موسي لبني إسرائيل لما حصل منهم من عباده العجل فقال (يا قوم) لإشارة إلى صله القرابه التي تربطه بهم كما قال تعالي (ولقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما انتم حريص عليكم... الخ فأراد موسي استجلاب القبول بما يطرح عليهم واستعمل لفظ اتخذتم العجل فلم يقل عبدتم العجل لأن ن ما حصل منهم لا يمكن إطلاق لفظ العباده فهم صنعوا عجل بأيديهم لا ينفذ ولا يضر بعد عرفوا الله. وقدرته وقوته عندهم جعلهم يشاهدون غرق الفراعنه وحصل لهم النجاه ولذلك وصف فعلهم أنه ظلم لأنفسهم (انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) لبيان انه ما كان يليق بهم فعل ذلك فهم قد اضلوا عن الحق ونوره الساطع والبراهين القاطعه التي قد رواها عند غرق الفراعنه ويقول لهم أن هذه الجريمة لا يكفرها الا قتل كلا منكم نفسه ومساله قتل النفس هنا ورد بشأنها اراء مختلفه فمن المفسرون من قال إن ذلك كان بأن يقتل التائب المذنب وان كان يحبه أو أن يقتل الرجل نفسه ليثبت صدقة توبته ومن المفسرون من قال إن قتل النفس يكون بكبح شهواتها وقتل الرغائب لديها بالانخلاع عن. المعاصي وذلك بالتوبة النصوحا فاستعمل الفاء المفصحه عن شرط قبول التوبه أي إذا كنتم قد ضلتم هذا الضلال وضمتم أنفسكم هذا الظلم فتوبوا الي بارئكم الله الذي ابداع وانشاء وجودكم والتوبه ب الرجوع إلى الحق ولتأكيد ذلك أستخدام لفظ بارئكم لبيان ان الخالق المصور هو الله وليس ما صنعهوا بأيديهم مما لا يضر ولا ينفذ ولهذا فالمراد بقتل النفس قمع ما فيها من التعلق بالدنيا والشهوات والملذات لأن قتل النفس الشريره يكون بقمع ما فيها من شهوات لانه يحل محلها النفس الطاهره وهي النفس اللؤمه التي تقهر الشهوات قهرا وتقهر الشرور والأهواء فيكون تحريرها من أن تكون مطبخ للشيطان وهذا فيه بيان أن التوبه النصوحا التي تصل إلى الله ويحصل العقول عن المذنب توجب قمع الشهوات والأهواء وقتل منابعها من النفس ولهذا استعمل لفظ (ذلكم خير لكم) لبيان ان باب التوبه يكون بقمع الشهوات والأهواء ومحبه الدنيا ونوزاع الشر لأن حصول ذلك يعني تقويه الاراده والعزيمه والهمه بالصبر فتكون هنالك ارده قويه تسيطر على الموقف ولذلك ذكر قبول الله للتوبه تعقيبا علي ذلك فقال تعالي (فتاب عليكم أنه هو التواب الرحيم) لبيان انه قد طهرت نفوسهم وزكت قلوبهم بقمع الشهوات وانتفعت النفوس بالعفه وان كل ذلك من انعام الله ورحمته فقرن التوبه بالرحمه علي وجه المبالغه (أنه هو التواب الرحيم)

رابعاً

بعد أن كشفت لنا النصوص صورته لفساد التصورات لبني إسرائيل فذكرت أنهم نكثوا العهد في العقيدة وعبدوا العجل ثم بينت كيف قابلوا نعمه الله عليهم بالعفو وقبول التوبة عنهم فقد كان منهم التعتت وكفران النعم و الجحود رغم الآيات الواضحة والخوراق والمعجزات وهنا تأتي النصوص لبيان أسباب هذا الجحود للنعم والتكذيب فقال تعالى

وإذا قلتم يا موسى لن نُؤمن لك حتي نري الله جهره فاخذتكم الصاعقه وانتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوي كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)

يعطينا الله تعالى هذه القصص التي تحكي لنا جوانب من واقع حياه بني إسرائيل فيما مضى وكيف كان منهم مقابلتهم للنعم بأنه يعود إلي طبيعته الفكر المادي وغلاظه الحس والتعتت لديهم مع وجود الآيات والخوراق و المعجزات فقال تعالى (وإذ قلتم يا موسى لن نُؤمن لك حتي نري الله جهره الخ

حيث وردت روايات متعددة عن مضمون هذه الواقعة في حياه بني إسرائيل فالقصه متعلقه بواقعه ما حصل منهم من عباده العجل فقد أمرهم الله موسى أن يختار سبعين رجلا من بني إسرائيل من خيره القوم اي الخواص و النخبه الصالحه منهم ليكون منهم مناجاه الله وطلب المغفرة والتوبه لما حصل منهم من عباده العجل عنهم وعن بقيه بني إسرائيل وانهم لما وصلوا إلى المكان المحدد للمناجاه وأنه لما بدا موسى عليه السلام بمناجاه ربه وسمعوه وهو يتلقي الأوامر افعل كذا وكذا.. فلما فرغ من امره و اقبل عليهم موسى قالوا يا موسى لن نصدقك فيما أخبرتنا به من حديثك مع الله حتي نري الله جهره عيانا فأرسل الله عليهم الصاعقه وهي نار إصابتهم بالاغماء او الموت فجعل موسى يدعوا ربه كما ورد في سوره الاعراف(واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفه قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اهلكنا بما فعل السفهاء منا أن هي إلا فتنتك تضل من تشأ وتهدي من تشأ.... الخ

فذكرت الايه أن الله احياءهم بعد ذلك..... وهذه الايه فيها بيان عده امور نذكر منها الآتي

الامر الاول

ان اول ما يشد الإنتباه هو ان المولي سبحانه وتعالى يخاطب اليهود الذين في زمن الرسالة أي عصر النبوة في المدينة المنورة بقوله تعالى (وإذ قلتم يا موسى لن نُؤمن لك حتي نري الله جهره... الخ

وهذا يعني ان الله يقول لليهود في زمان عصر النبوة اذكروا ما فعلتموه إذ قلتم يا موسى لن نصدقك ولن نقر بما جئتنا به حتي نري الله بوضوح وعلانيه برفع الستائر والأعطية بيننا وبين الله وكشف الغطاء حتى نري بالعيان مع أن المخاطبين لم يصدر منهم هذا القول ولم يعيشوا تلك الفترة الزمنية

وهذا لبيان الآتي

الوجه الاول

لبيان ان هولاء يسيرون في الطريق الذي سار فيه أسلافهم فيذكرهم بأخلاق آباءهم وسوء استقامه أسلافهم مع كثرة معابنتهم لآيات الله الباهرة والبيانات الواضحه التي تطمئن معها النفوس فهم تاره كانوا يطلبون أن يجعل لهم الها من أصنام وتاره يعبدون العجل وهنا يشترطون رويه الله عيانا وإذا دعوا إلى القتال قالوا اذهب أنت وربك فقاتلا أنا ههنا قاعدون)..

أفالنص فيه تسليته للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين الذين كانوا يأملون أن يكون علم التوراه دافعا قويا لهؤلاء اللاتحاق بموكب الايمان لكن وجدوا منهم التكذيب والجحود والتعنت فالله سبحانه وتعالى يقول لنا أن تكذيب هؤلاء لنبوه الرسول صلى الله عليه وسلم والتعنت ليس غريبا عنهم هذا السلوك فهم يسيرون على طريق أسلافهم الذين كان منهم التعنت مع موسي وهو منهم و قالوا لموسي لن نؤمن لك حتي نري الله جهره... الخ

٢

يقول لنا أن هذا الطريق الذي ترون فيه خيبه الامل من الذين بنظركم أهل علم ومعرفه بالاديان هو طريق سلكه أسلافهم فكيف لا تتوقعون منهم نكت عهد الكتاب الذي يقتضي الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وجحودهم لنبوته وتركهم الإقرار بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم مع علمهم ومعرفتهم بحقيقة امره وهم مثل أسلافهم الذين قص الله عليكم وقائع ارتدادهم عن دينهم بعد ملاحظه انعام الله عليهم وهذا القول صدر من النخبه الذين اختارهم موسي للمناجاه فمن نكت عهد العقيدته وكان منهم عدم التأديب مع الله فكيف لا ينكتون عهد الكتاب فهذا أمر ليس غريبا عنهم

٣

يقول لنا لاتحزنوا من سوء اداب هؤلاء مع الرسول صلى الله عليه وسلم وتعنتهم فهم لم يحترموا موسي وهو منهم فقد توجهوا بالقول إليه(ياموسي) نادوه باسمه ولم ينظروا الي ما أكرمه الله عليهم فلم يقول يارسول الله وقد ورد في بعض الروايات أن هذه القصة منفصله عن قصه العجل وان بني إسرائيل لما اختص الله موسي بكلامه قالوا إن هذه نعمه انعمها الله علي شعب اسرائيل لأجل أبيهم يعقوب فقالوا ياموسي لست افضل منا فلا يحق لك ان تختص بهذه النعمه وحدك ونحن شعب الله المختار فطلبوا رؤية الله جهرها فاخذتهم الصاعقه

الوجه الثاني

يخبرنا الله بهذه القصة لبيان القرب النفسي والذهني لدي بني إسرائيل وان ذلك يعود إلي تلاقي قلوبهم ونفوسهم علي التعنت والتكذيب فهذه الأمور أدت إلى تجاوز البعد الزماني والمكاني لحصول القرب النفسي والذهني من غلاظه القلوب والبالاده وطبيعته الفكر المادي الحسي فاذا كان النخبه والخواص منهم لم يتادبوا مع الله في موقف الاعتذار وطالبوا بالمستحيل وتصوروا أنهم يمكنهم رؤية الله في الدنيا جهرها نهارا وهذا يعود إلي فساد اعتقادهم فهم يعتقدون بعقيده التجسيم في حق الخالق سبحانه وتعالى واليهود الذين كانوا في المدينة المنورة في عصر النبوة رساله الاسلام كانوا قد حرفوا التوراه وكان اعتقادهم بتلك العقيدته الفاسده وهذا الاعتقاد قديم فيهم فهو من اثار الوثنية السياسية الفراعنه التي هدمها الله بإغراق الفراعنه وهم يشاهدون لكن آثارها ظلت في أعماق نفوسهم وحدثت خلافا فكري فيهم نتيجة الاستعباد الطويل فقد ادي الي جمود العقل وبلادتها ف الفكر المادي سيطر على عقولهم فهم بلا ادب ويغلب عليهم كثافه الحس المادي والعجرفه وعدم الاكتراث بالنعم فذكر الله القصة هنا لبيان تلاقي قلوبهم ونفوسهم وعقولهم علي التعنت وسوء الاداب وان ذلك من الطبائع الداله علي القرب النفسي والذهني فالسؤال منهم لم يكن لغرض الاسترشاد وانما كان من باب التعنت والتعجيز وإلا فإن السؤال مسموح إذا قصد به وجه الاسترشاد فنحن نعلم أن المسلمون سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا انري ربنا... الخ ونعلم أن موسي سال الله فقال (رب انري انظر اليك... الخ

ولم يكن عليهم العقاب ولم يذم سؤال المسلمون وذلك لأنه سؤال استرشاد ام هولاء فهو سؤال تعنت وتعجيز فذكر الله القصة كدليل على تعنت بني إسرائيل وفساد طباعهم واليهود بالمدينة عندما جاء إليهم المشركون طالبين منهم أن يخبرهم بوسائل لمواجهه الاسلام قاموا بتعليم المشركين وسائل تعجيزيه فقالوا (لن نؤمن لك حتي تفجر لنا من الأرض ينبوعا) وان هذا القرب النفسي والذهني مع أسلافهم جعل عدم وجود اهميه للبعد المكاني والزماني بينهم وبين أسلافهم فصح ان يقول الله لهم وإذ قلتهم ياموسي...مع أن المخاطبين لم يصدر منهم هذا القول ولم

يعشيو تلك الفترة الزمنية بالقرب النفسي والذهني واضح فقد كان جحود وتكذيب يهود المدينة بنبوه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن عرفوه صدقه وعرفوا أماراته وبعد طول إنتظار منهم لمجيئه وهنا يقول لنا الله أن الجحود من أسلافهم بعد ملاحظه انعام الله عليهم وان ذلك كان من النخبه والخواص الذين اختارهم موسى في زمان رسالته فمابلكم في هذا التاريخ بدليل قوله تعالى (لن نؤمن) فاللام تدل على أنهم سبق لهم الايمان فقالوا لن نصدقك بما جئت تصديق أذهان وتسليم وقبول فدلّت اللام علي إعلانهم التوقف عن الإيمان بأمر حتي يروا الله عين ومشاهده فقالوا (جهره) بالتفخيم لبيان ان المراد رؤية بالعيان النظر المحسوس لأن العرب تجعل العلم بالقلب رؤية واستعمل حتي وهي تأتي مرتبطه بغايه تحقق تجعل الحكم الذي قبلها متعلقا بالرويه لنفي الالتباس ولأجل أن يفهم أن المراد هو رؤية من غير خفاء ولا لبس افصاحا منهم بترك الحرمة بالتعرض للذات الإلهية لبيان القرب النفسي والذهني الذي فيه التلاقي علي مافيه الشقاوه والبعد وسوء الاداب الناتج عن الغباء والبلاده والجهل فقد طلبوا رؤية الباري بالحس المادي علي مافيه من صفات الكمال التي تاتي الابتذال ناسين كل الخوراق والمعجزات والنعم التي انعم الله بها عليهم فهم مسرعين الي الكفر وترك الايمان فهذه هي طباع اليهود في كل زمان

الأمر الثاني

ان المولي سبحانه وتعالى يقول لنا أن طبيعة اليهود واحده بالقرب النفسي والذهني بينهم واضح رغم البعد الزماني والمكاني ولهذا تأتي النصوص بالخطاب الإلهي الذي تضمن الإفصاح عن العقوبه التي حلت بالذين طلبوا رؤية الله جهرا نهارا (فاخذتكم الصاعقه وانتم تنظرون)موجها لليهود الذين كانوا في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم مع انهم لم يكونوا هم الذين حلت عليهم العقوبه وذلك لبيان تلاقي قلوبهم ونفوسهم وعقولهم التنتع وسوء الاداب فهم لا يستجيبون الا بالسوط والعذاب فالاستعباد الطويل أفسد فطرتهم وحطم فضائل البشرية فيهم والعبد لا يستجيب الا تحت وطاه السوط ومن بطر النعمه لابد أن يردع بالعقاب

والصاعقة نار وأصلها كل أمر هائل

فاستعمل لفظ أخذتهم اشاره الي أنهم فيهم قساوه القلوب فلم يتدبرون بالعوقب وهم ليسوا فاقدين البصر بل يشاهدون الموقف لكن الصاعقه اذهلتهم لأن الصاعقه نار وأصلها كل أمر هائل رآه أو عاينه أو اصابه حتي يصير في هوله وعظيم شأنه الي هلاك وعطب وذهاب العقل والفكر والاحساس والمشاعر من شده الهول فمن اثاره أنه يفقد الاحساس ويغمي عليه فيكون كالميت فاقد العقل والاحساس والمشاعر والمصعوق قد يوصف في غير موت كما قال تعالى عن موسي (وخرموسي صاعقا)اي مغميا عليه ولم يمت ولهذا قال تعالى (فلما أفاق..الخ فأراد بالاخذ هنا أنها اذهلتهم وذهبت بمشاعرهم من شده الأهوال وان كان ذلك وهم يشاهدون فهي تري وكل واحد منهم يري الآخر وهو ايضا يمكن إطلاقه علي صاعقه الموت التي تكون فيها مفاجاه ومبغته تصيب العبد بالذهول لأنها فيها المفاجاه الغير متوقعه لبيان أنهم اغبياء لم يتوقعوا أن بطر النعم توجب العقاب لأن فيهم الامبالاه لأن قوله تعالى (ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون)تحمل كلا المعنيين للاتي

١

البعث هو اثاره الشئ من محله فيقال بعث فلان رحلته اذا آثارها من مبركها للسير ويستعمل اللفظ اذا أقمت شخص من مكانه الذي هو فيه للتوجه الي جهه اخرى ولهذا يقال لمن يسال عن شخص بعثته الي مكان فلان ويقال عن يوم القيامة يوم البعث لانه يوم يثار الناس فيه من قبورهم للحساب

ولهذا فإن اصل البعث اثاره الشئ وتوجيهه والموت من مظاهره فقدان الوعي والاحساس وسلب القدره والشعور و الحركة ولهذا يطلق ذلك علي النوم لانه يشبه في مظاهره مظاهر الموت فقال تعالى في موضع آخر (الله يتوفي الأ نفس حين موتها والتي لم تمت في منامها)

ولهذا نجد أن الترجيح لدى المفسرون أن المراد ثم بعثناكم .. هو أنه تعالى أعادهم الي الحياه بعد الموت حقيقه وليس النوم بدليل أنه تعالى قال (من بعد موتكم) ولم يقل من بعد الوفاه واستخدام (ثم) للإشارة الي فقدان الحياه وفقدان الحركه وانهم كانوا في حكم الموتى

أما اثاره الاحساس فالمراد أنه أعادهم الي الحياه لتكملة بقيه حياتهم ووصولاً الي أجلمهم اي أنه تعالى أعطاهم فرصه ليحصل لهم التذكير بهذه التجربة التي عاشوا فيها الموت فمن عاد للحياه بعد الموت يفترض أن يشكر الله الذي منحه فرصه للتوبه والطاعه فهذه نعمه عظيمه وهي تجربه تجعله يدرك أن الموت بيد الله لكن ما الذي كان من بني إسرائيل

لقد أمرهم الله أن يسيروا الي الأرض المقدسة فكان منهم الرفض وقالوا اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) فغضب موسى فدعا عليهم فقال (رب اني لا املك الا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) فاستجاب الله لدعاء موسى فقال تعالى (فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتهيئون في الأرض.. الخ

حيث أصيبوا بالتيه في الصحراء فقد كانوا عرضة للشمس وحرارتها والجوع والعطش الشديد في الصحراء بلا طعام ولا ماء ولهذا نجد أن الله سبحانه وتعالى يخبرنا الله برعايته وعنايته وانعامه عليهم في سنين التيه فقال تعالى (وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوي كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) وهذا فيه ثلاثة أشياء تتحدث عنها النصوص

المحور الاول

تعرض لنا النصوص انعام الله ورعايته عليهم في سنين التيه بما يغرس في النفوس إحسانه وعطفه عليهم برغم ما كان منهم لأجل اثاره الاحساس لديهم وإعادة تشكيل عقولهم ونفوسهم وازاله اثار الوثنية السياسية الفراعنه التي كانت متغلله في أعماق نفوسهم فذكر الله لنا أنه تعالى

المساله الاولى

أنه جعل الغمام تتحرك طيله سنوات التيه لتمنع عنهم حرارة الشمس (وظللنا عليكم الغمام) والنصوص ترسم لنا صوره الغمام التي جعلها فوقهم وهي بمنزله السحاب البيضاء والمراد بها هنا الكثيفة التي استمرت معهم فهي كثيفه لتمنع حر الشمس ووجهها وقال تعالى (عليكم) ليغرس في النفوس أنه لولا نعمه الله عليهم حتي صارت كظله تظلمهم تسير معهم اينما ساروا فلا يحسون بالوهج الخار وإلا كانت احرقتهم الشمس بحر ها فهذه نعمه عظيمه

المساله الثانيه

ذكر انعامه عليهم بانزال المن والسلوي (وانزلنا عليكم المن والسلوي) أنه انعم عليهم بشراب مثل العسل وطعام مثل طائر السمان واستعمل لفظ أنزال لبيان انه بأمر الله ورحمته لأن الصحراء تنعدم فيها تلك المظاهر وأنه منحهم الشراب فقال (فاضرب بعضك الحجر فانجست منه اثنتا عشر.. الخ وانه لم يكن لديهم طعام غير المن والسلوي اي صنف واحد فقط بدليل قوله تعالى (وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد) ولا تعارض أن يطلق على المن و السلوي طعام واحد لأن العرب تطلق على المجعول علي المائده طعام واحد وإن اختلفت أصنافها والمراد بهذا أنه طعام واحد لا يتغير ولا يتبدل كل يوم نفس الصنف

المحور الثاني

ترسم النصوص للسامع مدي هو عطف الله ورعايته وإحسانه عليهم لتربيته هؤلاء الناس من خلال بيان الأمر الإلهي الذي صدر إليهم من ربهم بعد أن جعل الغمام تتحرك معهم وانزال عليهم الاطعمه والاشربه فقال تعالى (كلوا من

طيبات مارزقناكم)

بأن الله انعم عليهم بالطعام الذي يفوق حاجتهم فقال تعالي (كلوا) وان هذا الطعام كان (من طيبات) اي من الحلال المبارك النافع للجسم والروح فهو لا يوجد فيه منغصات وقال تعالي (ممارزقناكم) للإشارة أنه رزق من الله بلا تعب ولا عناء ولا مجهود

المحور الثالث

يخبرنا الله تعالي بهذه القصة والتجربه عن حياة بني إسرائيل لبيان فساد تصورهم وموت إحساسهم وعدم انتفاعهم فقد أراد الله تربيتهم باثاره الاحساس لديهم لما صدر منهم من الرفض القتال مع موسى فكان العقاب لهم بالتيه وانه تعالي قد رعاهم بالصحراء لتكون انعامه لهم حاضره في اعاده تشكيل عقولهم ونفوسهم وازاله اثار الوثنية السياسية الفراعنه وماحدثت فيهم من ضعف في الاستقبال وخلل في التلقي والفهم للآيات فأريد بانعامه تعالي والطعام والشراب بلا عناء ولا تعب ازاله الظلم والجهل من نفوسهم ليكونوا اهلا للخلافه والتي تحتاج إلى التخلص من الظلم لكن هولاء قابلوا ذلك بظلم أنفسهم فقال تعالي (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) وهذا فيه بيان الآتي

١

أنهم ظلموا أنفسهم بالضرر من نعمه المن والسلوي عندما قالوا (يا موسى لن نصبر على طعام واحد) وقد وقع منهم اختيار البديل السي بدل الطعام المفيد وان هذا دليل على البلاده والغباء لبيان ان حالهم تشبه حال الجاهل الذي يفعل بنفسه افعالا ضاره لايفعلها العدو بعدوه فهم الحقوا الضرر بأنفسهم

٢

تخاطب النصوص هولاء أن من مظاهر الغباء والبلاده التي تلاقت عليه طبيعتهم واضحه في سوء اختيارهم العديم الفائده بدل الطعام المفيد للجسم والروح ليقول لنا أن هذا دليل علي غباء هولاء لانه لايمكن لعاقل أن يقابل احسان الله وانعامه بالكفر و الجحود فشبه وقوع ظلمهم لأنفسهم بكفران انعام الله وإحسانه كأنهم يأتون الظلم جراء النعمه لما يعلمه السامع من ان الظلم لا يكون مقابل الانعام فتقول احسنت لفلان ولكنه ناكرا الجميل لانه عاملني بالاساءه

١٣ اشارة الي أن مخالفه أمر الله وعصيان هولاء لربهم ورسوله فيه وضع أنفسهم بما فيه مضره عليهم لأن الظلم وضع الشئ في غير موضعه فهم يستعملون النعم في عصيان المنعم ولأن الله سبحانه وتعالى لاتضره معصيه العاصي ولاتنفعه طاعه المطيع ولاينقص ملكه عصيان العصاه ولا يزيد ملكه طاعه المطيعين وعدل العادل بل إن الظالم يظلم نفسه وحظها أن ينقص من نفسه وأن المطيع ينفع نفسه وحظها أن يرفع نفسه ولهذا قال تعالي (وما ظلمونا) بكفرهم ومعاصيهم (ولكن) لبيان أنهم الحقوا الضرر بأنفسهم واستخدم (كانوا) لبيان استمرارهم بالحاق الضرر بأنفسهم وانتقل فيه من المخاطب قبلها (وظللنا عليكم... وانزالنا عليكم ..كلوا.. الخ الي لفظ الغيبه وماظلمونا فيه لفت انتباه المومنون أن يحذروا من سلوك اليهود فالغرض من القصة العظه والعبره فعليكم الحذر من هذا السلوك القبيح

خامسا

تمضي سياق النصوص في مخاطبة اليهود بعرض صوره حيه فيها حوار ومواجهه لترسم لنا واقع حال بني إسرائيل وتصوير ماكان منهم من الجحود للنعم في المواقف المتعددة ومحاولات موسى عليه السلام ازاله اثار

الوثنية السياسية الفرعونية التي تغللت في نفوسهم لسنوات طويلة فحدثت فيهم الذل والمهانة وافسدت عقولهم ولوثت فطرتهم فقال تعالي (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطه نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا علي الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون)

المبحث الأول

ان اول مايلفت الإنتباه هو أن النص جاء مبهما فلم يبين ماهي القرية التي ذكر أنه أمرهم أن يدخلوها ولا مكانها و لا عامل حطه ولا مفعوله واجملت الايه ذكر الذين الذين بدلوا القول ولم تبين ماهو القول الذي قيل لهم

ولهذا نجد أن الروايات المنقولة بشأن هذه القرية متعددة فمنهم من قال إنها اريحاء واستدلوا استخدام اسم الا شاره هذه فهي تستخدم القريب لأن اريحاء قريبه من سيناء وان ذلك في عهد موسي عليه السلام لأن الأمر لا محالة أنه بلسان موسي الذي استقبل الأمر من الله ليبلغه لقومه (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية)وهو متفق عليه أنه علي لسان موسي

ومنهم من قال إن القرية هي بيت المقدس حيث أمرهم الله بدخولها لإخراج العمالقه منها لقوله تعالي في موضع آخر (ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم...الخ وانهم لما رفضوا الأمر وقالواالموسي(انذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون)دعا عليهم موسي فاصيبوا بالتيه اربعين سنة يتيهون في الأرض وحكمه الاربعين السنه أن ينشأ جيل جديد يتربي علي العز والكرامه ويتخلص من اثار الذل والجبن الذي تغل في أعماق نفوسهم من حياه العبودية في مصر..وان ذلك حصل بعد وفاه موسي عليه السلام حيث قادهم يوشع بن نون ودخلوها ولكن حصلت منهم مخالفه في الصفه التي اومروا بها للدخول فاستحقوا العقاب

ولهذا فإنه يفهم ان عدم ذكر التفاصيل المتعلقة بالقرية وماورد فيها من إبهام بالخطاب الرباني هو أمر مقصود للا تي

الامر الاول

ان الأسلوب فيه تذكير المخاطبين بواقعه وحادثه معروفه لديهم تمام المعرفة والهدف من ذلك إيقاظ المشاعر والأ حاسيس ولفت الإنتباه إلى عواقب المخالفه لأمر الله بتحذيرهم من العقوبه التي حلت باسلافهم فالمراد هو التذكير بدليل أن النص افتتح (وإذ قلنا)حيث قدم ذكر المنعم كان لابد من ذكر النعم ولهذا يذكرهم الله بانعامه عليهم وعطائه بدليل الآتي

١

أنه سبحانه وتعالى استعمل فعل الأمر(ادخلوا)

والدخول يعني الانتقال من العوره الي الحصن ونقيضه الخروج فالأمر جاء فيه الترغيب بالدخول الي القرية التي أمروا بدخولها وبأسلوب فيه تهوين قوه العدو عليهم لتقويه العزائم لديهم فهو سبحانه وتعالى يريد أن يلفت انتباه المخاطبين الي حالهم قبل ذلك وقولهم أنهم لا يستطيعون الدخول إليها لمافي القرية من قوم جبارين

٢

ان الأمر بالدخول جاء علي وجه الاقامه والسكن فقال تعالي (فكلوا منها حيث شئتم رغدا)فدلالة رغدا أنه مرخص لهم بالاكل أكلا هنئا جميلا سهلا بلا عناء ولا مشقه في طلبه وهو وعد لهم بكثره المحصولات وعدم العناء والمشقه في تحصيلها

الأمر الثاني

ان من ضمن المفاهيم والدروس التي يتم استخلاصها هو أن الله يعطينا هذه الصورة المجمله التي فيها ذكر بيان انعام الله علي بني إسرائيل وتصوير حالهم بذكر بيان اضاعه بني إسرائيل للفرص التمكين التي انعم الله عليهم بها نتيجة فساد تصورهم وسوء تفكيرهم لتحذرينا من السير في طريق هولاء فالغرض من القصة هو العظة والعبره

ولهذا نجد أن النصوص تبين لنا أن عدم ايمان هولاء القوم الايمان الصحيح بالله كان هو السبب وراء الخذلان لهم فيقول لنا الله أن هذه القصة تبين لكم قبح هولاء وغباءهم فالله أمرهم أن يقتحموا القريبه والولوج فيها(ادخلوا هذه القريبه) وهو سبحانه وتعالى قد وعدهم بالنصر والتمكين

فقال تعالي (فكلوا منها حيث شئتم رغدا)

فاستخدم إلقاء (فكلوا)وهي تفيد الوعد بالنصر والتمكين والترغيب بالدخول بأن عليكم الدخول ولن تجدوا صعوبة في فتحها فهي مثل الحصن الذي يدخل إليه الشخص ليحصل على العز والشرف والكرامة والحرية ويتحصن من العدو فالمعركه سهله وأكد ذلك بذكر ظرف المكان. حيث شئتم اي حريه التنقل من مكان لآخر دون عناء ولا تعب ولا مشقه فذكر رغد لكثيره المحصولات فهي مثلما أخبر الله ادم أن يسكن هو وزوجته الجنه وياكلا منها رغد فالمراد سهوله ويسر العيش وهنا وردت متاخره (رغدا)عن الظرف وفي قصه ادم متقدمه وهذا مراعاة للفواصل

الأمر الثالث

ان المولي سبحانه وتعالى يلفت انتباه العباد الي تأمل احوال بني إسرائيل ليأخذوا منها الدروس والعبر وليحذروا من أن يكون منهم السير في طريق هولاء

ولهذا تنقل لنا النصوص مشاهد فيها صورته تحكي لنا كيف أن الله سبحانه وتعالى هيا لهم أسباب العز والتمكين واغدق عليهم بالنعم الكثيره... في مقابل تكاليف قليله فالله سبحانه وتعالى أمرهم عند الدخول بامرین يسيران

الاول

أن يدخلوا بهيئة محددة فقال تعالي (ادخلوا الباب سجدا) ولما كان الأمر بالسجود جاء مع الأمر بالدخول والسجود فيه السكون بينما الدخول يتطلب الحركه ولايمكن الجمع بين الحركه والسكون في وقت واحد ولهذا فإن المراد با لأمر بالسجود عن الدخول هو التواضع والخضوع والاذعان والخشوع لله تعالي عند الدخول والاعتراف لله بـ الفضل وهذه الهيئة تتفق مع صورته السجود فالغرض استحضار النفس للانعام بأنها من الله والشكر لله علي نعمة وتذكر قدره الله وعدم التفاخر بالنصر ونسبه للنفس لأن ذلك يكون مدخلا للشيطان وبه يحصل الظلم والفسوق ولهذا نجد أن الأمر

الثاني

ان يقولوا عند الدخول (وقولوا حطه)اي التكلم بألفاظ طلب التوبه وغفران الذنوب ولفظ حطه جاء مرفوع مع أن الأصل أن يكون نصبا والمراد بالرفع بيان المدوامه والثبات بطلب الغفران والتوبه الي الله تعالي دون انقطاع والا رتباط أن ذلك يكون فيه منع النفس الامره بالسوء من السيطرة على ملكات الإنسان فالاستغفار مهم لمنع تسلل الشيطان الي النفس الذي يحصل به الظلم والفسوق

ولهذا نجد ان الله وعدهم مقابل ذلك بالغفران ومحو الذنوب وزيادة في الحسنات والتجاوز عن الخطايا والعز و التمكين اي الرعايه والعنايه بالاحتماء بعبوديه الله ووعدهم بزياده الاجر لتحفيزهم علي القيام بأمر الله فقال

تعالى (وسنزيد المحسنين) والمحسن هو الذي يحسن اتقان العمل المأمور به بالأتیان به على اكمل وجه والإحسان أيضا يكون بعباده الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك

وقد وعد الله الذي ينفذ الامر بغفران الخطايا ومحو الذنوب ووعد المحسن بزيادة الاجر وهذا فيه ارشاد باهميه الحوافز في التربية واهميه وضع حوافز متفاوتة فمن نفذ الأمر بشكل مقبول يكون له ثواب أقل ممن نفذه بمستوي جيد وهكذا فمن نفذه بشكل ممتاز واتفق الفعل أتقانا سليما يستحق إكرام واهتمام وتفضيل لأن الحوافز تفرز لنا المبدعين وتنمي المواهب ليكون التنافس على الاستفادة من الفرص

ومع ذلك أضع بني إسرائيل هذه الفرص العظيمة بتبديل ما أمروا به من القول رغم سهولته فحصل منهم الظلم الذي يكون بوضع الشئ في غير موضعه فذكر حصول المغايره (فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم) والمراد بذكر المغايرة وانقسام بني إسرائيل الي ظالم وغير ظالم فمنهم من نفذ الأمر فقال يارب حط عنا ذنوبنا واغفر لنا تقصيرنا واخطاءنا

وان منهم من بدل ما أمروا به فقالوا حنطه وهي من الأشياء المادية لبيان ان عقول هؤلاء ماديه ومنشغله يحب المادة وتقليد أوضاع المصريين الذين كانوا يستعبدونهم فذكر الله أن ذلك كان ظلما منهم لأنفسهم فكان سببا لإنزال العذاب عليهم فقال تعالى (فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء)

واستعمل لفظ السماء ليغرس في النفوس أن الله تعالى هو الذي يملك انزال العذاب وان ذلك بأمره حتى لا يتصور البعض أن الأنبياء لهم تلك السلطه

واستعمل الفعل الماضي (علي الذين ظلموا) لتصوير حال هؤلاء القوم ليستحضر السامع الصورة الكامله في ذهنه عن سوء طبائع هؤلاء من خلال تصوير الموقف في الذهن والتي قد ابتدأها بقوله (واذقلنا ادخلوا) فقد كان استعمال صيغه الماضي لرسم الصورة كامله فذكر العله لبيان أسباب الخذلان لتحذيرنا من ذلك السلوك فقال (بما كانوا يفسقون) للإشارة الي أن هذه الأسباب توجب العقاب على كل من يسلك طريق هؤلاء

المبحث الثاني

يذكرهم الله تعالى بحالهم وهم في الصحراء أثناء فترة التيه التي استمرت أربعين سنة حيث طلبوا من موسى أن يدعوا الله أن بمنحهم الماء في تلك الصحراء فدعا موسى الله فأمره المولي سبحانه وتعالى أن يضرب الحجر فخرج منها الماء من اثنتا عشر عينا بعد اسباط اليهود فقال تعالى (وإذ استسقي موسى لقومه فقلنا اضرب بعصك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشر عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعنوا في الأرض مفسدين)

وهذا فيه الآتي

الامر الاول

ان الله سبحانه وتعالى يذكرهم بنعمه عظيمه وكيري هي اكبر من نعمه الاكل المن والسلوي لأن الشرب كان من عطش شديد فهم كانوا محتاجون للماء ولذلك طلبوا من موسى أن يدعوا الله وان موسى هو الذي قام بالدعاء وحده فكانت الاستجابة معجزه ايد الله بها موسى وكرامه لقومه فهي نعمه وخارقه في ذات الوقت وهي توجب الشكر لأن السقي إنما يكون مظنه عدم تحصيله

فالله سبحانه وتعالى يمتن عليهم بذلك ولهذا يذكر أن من ضمن إحسانه وعطفه عليهم أنه سبحانه وتعالى جعل العيون اثنا عشر عينا بعدد اسباط بني إسرائيل ليكون سهل الوصول إليه وعدم التضاحم على الماء فالأمر كان فيه تربيتهم على الانتظام بالصف وازاله آثار الماضي بتربيتهم على النظام وإخراجهم من الفوضى التي اعتادوا عليها

في مصر ولهذا يأتي الجواب لبيان سبب التقسيم فقال تعالى (قد علم كل أناس مشربهم) وفيها بيان اهميه التقسيم لتسهيل اداره المؤسسات ولهذا كان التقسيم لتخفيف اداره الجماعات علي موسى لانه قال (رب اني لا املك الا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين)

فكان التقسيم مهما لتسهيل اداره هولاء بأن جعل لكل قبيله تنظيم حالها خاصه مع حاله الضجر والتحسر منهم علي ترك مصر فهم في كل خطوه يتقدمون بها باقدامهم كانوا يتراجعون في قلوبهم خطوه إلي الورا لما اعتادوا من حياه الذل والمهانة والفضي فكان هذا جزء من تربيتهم وآثاره الاحساس لديهم وإعادة تشكيل عقولهم ونفوسهم وازاله اثار الماضي

الأمر الثاني

يذكر لنا المولي سبحانه وتعالى أنه عندما انعم عليهم بالطعام والشراب أمرهم بالاكل والشرب علي سبيل الاباحه فقال تعالى (كلوا واشربوا من رزق الله) فهي انعام الله عليهم التي أعطاهم إياها فهو الرزق

وأمرهم في المقابل بعدم الاعتداء والافساد فقال تعالى (ولاتعنوا في الأرض مفسدين)

والعني من الفساد وهو للمبالغه في التحذير من الافساد وذلك لغرض ايقاف حاله الضجر والتحسر علي ما كانوا عليه في مصر التي اعتادوا الاكل والشرب من بقايا طعام الفراعنه الذين كانوا يستعدونهم لترسم لنا الايه الكريمه صورته قبيحه عن هولاء الذين كانوا ينظرون إلى حاجه البطون بدون جهد أنه راحه وان كان فيه إذلاله والانتقال من إنسانيته فالايه تبين لنا أن هولاء قد فسدت فطرتهم واصيبت عقولهم بالشلل فلا يضعون الشئ في موضعه فقد افقدتهم حياه الذل صفات الرجوله فهم عندما طلب منهم دخول القريه رفضوا وقالو اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون)

وقد عقابهم الله بالتيه ثم انعم عليهم بالطعام والشراب وأمرهم أن ياكلوا ويشربوا بدون عناء ولا تعب فهو من انعام الله عليهم وأمرهم أن يتوفقوا عن سلوك الافساد لان الغمه قد تنسي العبد ما فيها الفأده فينهر بالنعمة فيستعملها في المعاصي فجعل النهي للتحذير من ذلك الحاله وكما أن ذكر القصة دون مراعاة للترتيب الزمني للواقع والأحداث فذكر ضرب الحجر بعد الأمر بدخول القريه لبيان ان المراد العده والعبه ببيان الوقائع باسبابها فكان هذا ابلغ في التذكير وادعي للاتعاظ

المبحث الثالث

بعد ذكر مساله تحريف الأمر الإلهي من قبل بني إسرائيل في الايه (فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم..الخ

ينقل لنا الله تعالى صورته أخري من فساد تصور بني إسرائيل ورفضهم اختيار الله وتأصيل اختيارهم فقال تعالى (وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج مما تنبت الأرض من بقلها وقتائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذي هو ادني بالذي هو خير اهبطوا مصر فإن لكم ماسالتم وضربت عليهم الذله والمسكنه وبأوء بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)

ان النصوص جاء ت بأسلوب حوار ومواجهه مع بني إسرائيل تذكرهم بالمناقشه والتنفيذ لسوء طباع هولاء من خلال تذكرهم بواقعه طلبهم من موسى ان يأتيهم بطعام آخر غير المن والسلوي معللين ذلك أنهم قد ملوا هذا النوع من الطعام ولايقدر ان يخبسوا أنفسهم علي نوع واحد من الطعام فقالوا (ادع انت ربك)اي سله ان يخرج

لنا من نبات الأرض البقل والثوم والبصل والعدس والقثاء.. الخ

ولو نظرنا الي ماتعقب ذلك من ذكر العقوبه بأنهم ضربت عليهم المهانه والحقاره كما تضرب البناءللقبه التي تحيط بـ الشخص ليكون اسير بداخلها لايستطيع الخروج منها لعدم وجود منفذ أو باب يخرج منه يفهم منه أن طلبهم من موسي لم يكن مجرد تملل من نوع واحد من الطعام لانه لاعقوبه علي ذلك وهو ما يعني ان النص فيه مفاهيم ومدلولات ابعده من مجرد التملل من نوع واحد من الطعام و التي نذكر منها الآتي

الأمر الأول

ان النصوص فيها تصوير القبيح لهولاء وأحوالهم حيث نجد أنها تدم تلقيهم القبيح لانعام الله عليهم فترسم لنا الا به صورته الاستخفاف وعدم الاهتمام منهم بانعام الله عليهم فيخبرنا الله أن سبب ضرب الذله والمسكنه عليهم يعود إلي أنهم كانوا يكفرون بآيات الله علي إلدوام فهم لم يقدروانعمه العز والتمكين باهلاك عدوهم وحصول النجاه لهم فتمنوا العوده الى مصر وتقاوسوا عن دخول القريه التي أمروا بدخولها ولم يشكروا الله علي انغامه وها هم يطلبون من موسي أن يسأل الله أن يعيظهم الطعام الردي الذي اعتادوا عليه والفوه في مصرفأراد الله تعالى بهذا أن يغرس في نفوسنا النفور من تلك التصرفات من خلال الاشاره الي خطوره الوقوع في أسر العاده فلا بد أن تكسر ذلك فلا تكون اسير المألوف لأن ذلك يفسد التصورات والأفكار ويشل الارده فيقول الله لنا أنظروا الي حال هولاء كيف انهم وقعوا أسري لما الفوه من الذل والمهانة في مصر ولذلك لم يقدروا النعمه وطلبوا العوده لما كانوا عليه من الذل والمهانة والاستعباد يقول لنا احذورا من أن تسيروا في طريق هولاء فهم لم يقدروانعمه الحريه والا نقاذ من استعباد الفراعنه لهم فهم لا يفكرون الا في بطونهم وشهواتهم فهم لم يطلبوا الهدايه ولم يفكروا بالإيمان والغذاء الروحاني فكل همهم هو الطعام ولهذا لم تؤثر فيهم الخوراق والمعجزات وكثره الانعام فهم كالبهايم لا يفكرون الا في بطونهم وفروجهم ولهذا نجد أن النصوص ترسم لنا صورته الصفات البهيميه فيهم فاستعمل اداه النفى (لن نصبر.. الخ

لنفى استطاعهم القدره على التحمل ورتبوا علي ذلك النفى الموكد طلب (ادع لنا ربك)فتركوا الافضل وطلبوا النوع الردي ولهذا نجد استنكار موسي فساد تصورهم وخبث وخسه ودناءه تفكيرهم بصيغه الاستفهام (اتستبدلون الذي هو ادني بالذي هو خير)متضمن حكم تقريري وهو إنكار ذلك السلوك الذي لا يصدر عن عاقل

الأمر الثاني

تبين لنا النصوص اهميه الثقه بالقياده لنيل وعد الله بالعز والتمكين ولهذا تبين لنا النصوص أن من أسباب ماحل بـ اليهود من الخذلان والذل والمهانة هو أن الحامل علي طلبهم من موسي أن يطلب من الله طعام البصل و الثوم... الخ هو ظنهم أن موسي قد خدعهم باخراجهم من مصر فهم لا يحترمون ولايثقون بالقياده ولايقدرن نعمه الله بإرسال موسي إليهم ولانعمه الحريه التي صاروا فيها وغير مؤهلين للانتقال والعبور الي مرحلتهاالتغيير التي فيها العز والتمكين الذي يبدأ من داخل النفس ولهذا قالوا (لن نصبر)

اي لا أمل لك أن نبقي معك علي هذه الحاله من التزام نوع واحد من الطعام المن والسلوي

يتحدثون بقله اداب مع قائدهم الذي أيده الله بالمعجزات والخوراق فهم يتوجهون إليه بالخطاب (ادع لنا ربك)اي أن كان لك منزله عند ربك كما تزعم فادعوه يخرج لنا من هذه الصحراء ممانتبت الأرض من البصل... الخ ولم يقولوا ادع ربنا فهم لم يحسوا برعاية الله وعنايته وانعامه عليهم لبيان انهم فاقدوا الاحساس فلم تثمر الانعام في اثاره الاحساس لديهم أنهم يعلمون أنهم في صحراء ويستحيل وجود تلك الأصناف وانهم في فتره تربيه لهم ليتخلصوا من اثار الوثنية السياسية الفرعونية ولكنهم يظهرون عدم احترام المعلم الذي أرسله الله إليهم موسي عليه السلام وفيهم بطر النعم وسوء الظن بالله فلم ينتفعوا بالخوراق والمعجزات التي كان آخرها اخراج الماء من

الصحراء ولهذا استنكر موسي تلك الطبائع القبيحة منهم متعجبا من حالهم كيف يطلبون النوع الردي والخبيث بدل الطيب فقال لهم أن هذه الحالة التي انتم فيها من التيه هو عقوبه من الله عليكم ولن تستطيعوا الخروج منها إلا عندما يحل الأجل المحدد لذلك يقول لهم أن عقاب الله وحكمه عليكم عائدا الي سبب الجبن والذل منكم في اقتحام الأرض المقدسة وضعف العزيمه لديكم حتي صرتم الحركه لديكم من الخوف فقال (المسكنه) من السكون وفقدان الحركه واستعملت للتعبير عن آثار الجبن والمذله في قلوبهم قائلا لهم أن كرهتم الطعام الواحد فلاسبيل لكم الا اقتحام الأرض المقدسة وعليكم أن تقوموا بمحاربه

القوم الذين يلوناكم من تلك المدينة فقال تعالي (اهبطوا مصر فإن لكم ماساتم) فلفظ مصر هنا يقصد بها المدينة التي أمروا بدخولها وهي بيت المقدس وليس مصر المعروفه التي كانوا فيها لانه لم يذكر أنهم عادوا إليها مره اخرى وقوله (اهبطوا)..يراد به الاشاره الي أن الجبن هو الذي منعهم من دخولها وهي سهله الدخول لانه لامشقه في دخولها فشبه ذلك بالهبوط لأن النازل من مكان مرتفع الي مكان أسفل يكون اسهل بعكس الصاعد من أسفل إلى أعلى يجد مشقه مبينا أن سبب الجبن والقبول بحياه الذل يعود إلى أن هولاء يعيشون من أجل الاكل والشرب وهو ما انعكس على سلوكهم لانهم قبلوا العيش بلا كرامة فهم في هيئة المسكنه لأن نفوسهم فقيره بمحبه الدنيا وملذاتها والتعلق بها ولذلك هم جبناء وضاغرون مثل البهائم التي لاتستطيع مغادره اسطبل سيدها رغم الضرب واستغلالها في الأعمال الشاقة والقذره وكذلك حال الذين يقبلون العيش في الذل والمهانة والقهر ولسنوات طويله مثل اليهود فهم يعيشون في دائره مغلقه من القهر والاستعباد والإذلال فهم يتحركون في إطار وإبعاد تلك الدائرة وهم قد فقدوا ادميتهم ورجولتهم فاستحقوا غضب الله وطرده في الدنيا والآخرة مبينا أن السبب كفرهم لأن الآيات العديده الداله على صدق موسي كافيهِ للتصديق ولكن كفرهم واستمرارهم بالجحود الآيات (يكفرون بآيات الله) فهذا هو سلوكهم لأن تأثرهم إن وجد فهو انفعالي يزول بسرعه فذكر المولي السبب الثاني (ويقتلون النبيين بغير الحق) وليس معني ذلك أن دماء الانبياء يمكن أن تصبح مستباحه لانه قال بغير الحق فهم لايمكن أن يخالفوا منهج الله تعالى فهم معصومون ولكن المراد بهذا تبشيع جرائم اليهود واستمرارها علي الدوام وان السبب في فعلهم إثم كبير وشنع غير مبرر ((ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) اي أن السبب هو استمرارهم بالعصيان والاعتداء

الأمر الثالث

تبين النصوص لنا أن الجبن مرض خبيث اذا استحکم علي القلب فإنه يولد السقوط والانهازم بالعيش في ضعف لدرجه الخمول والسكون فتضعف حركه الجبان ويذهب نشاطه فيكون هو والجماد سواء لا حركه لديه فمن أصيب بالذل وضعفت عزيمته فهذا يكون في دائرة تحييط به وتلتف به بالهوان والذل من كل مكان فلا يستطيع الخروج منها فهو واقعا في غضب الله فهذه عقوبه دنيويه وان اليهود استحقوا ذلك بكفرهم ونسيانهم آيات الله فلم تؤثر في قلوبهم ولأنهم عصوا الله ولم يحترموا اختيار الله لهم فقد ضعفت فيهم مشاعر الهيئه لله ومنهجه فاتخذوا أوامر الله هزوا فبدلوا أمر الله بقولهم حنطه بدل حطه فهولاء استحقوا غضب الله والتيه والحيره وهي أوصاف اليهود في كل زمان وهي عقوبه لكل من لم يقدر نعمه الحريه وآيات الله ولم يشكر انعام الله فعليكم الحذر لانه سوف يكون لديكم يهود سلوك ينتسبون الي الاسلام وهم الذين يسلكون طريق اليهود والله امرنا أن ندعوه (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

الأمر الرابع

ان النصوص تلفت انتباه المومنون أن علينا أثناء التجديد للوسائل والأساليب في الحياه النظر إلي البدائل المطروحة التي تسعي إلي استبدالها لتكون ناجحه النظر في قضية خدمتها للاهداف والغاية دون إحداث تغيير في أصل الفكره الاولي أو أساسها

يقول لنا المولي سبحانه وتعالى أن اللازم ربط التغيير والتجديد والتحديث الوسائل والأساليب بالتاصيل الشرعي ومراعاة المطلب الرباني لأن عدم مراعاة التاصيل يعني اننا نخضع البدائل للاهواء والغرائز الحيوانيه وهو ماينتج

عنه البدائل المنحرفة والتي أسماها الله (ادني) اي البديل السي القبيح وذكرت النصوص لنا أن اليهود فشلت في تحديث الوسائل كما فشلت في التاصيل الشرعي فقال لهم موسي (اهبطوا مصر فإن لكم ماسالتم وضربت عليهم الذلة والمسكنه وباؤء بغضب من الله.. الخ

فالانحدار عن الغايه والفكره الأساسية يولد البلاده والغباء ودخول صاحبها نفق مظلم وتصبح اهدافه ووسائله دنيويه تورث الذل والمهانة والمسكنه وفقدان القدره على التميز بين النافع والضرار فاللازم الحذر عند التحديث الوسائل والأساليب وتبديلها فهي مسألة في غاية الخطورة فاللازم عرضها علي الحكم الشرعي ومعرفه حكمها و المطلب الرباني اولا ثم عرضها على العلوم الانسانيه لمعرفة حسن الاختيار لها حتي لا يخلص الانحراف الذي وقع لليهود فاستحقوا العقاب

(ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين من امن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

تأتي النصوص بهذه الجملة لبيان أن الانتماء إلى مدرسة الايمان فيه طريق السعادة والنجاه والفلاح مبينا لنا أن مدرسه الايمان هو النسب الذي يجمع الأديان في قالب واحد فذكرت النصوص (أن الذين آمنوا)

يقصد بهم المسلمين... (والذين هادوا) يعني اليهود أو المتدينين خاصة لان هذا الاسم أطلق علي من أخذ بأحكام التوراه (هادوا) اي عادوا إلى الله من قوله تعالي (انا هدنا اليك)

ثم عطف بقوله (والنصارى) هم اتباع عيسى عليه السلام وسموا بهذا الاسم نسبة إلى قرية الناصره التي نزل بها عيسى أو لقوله (من انصاري إلي الله)

والصابئين): تعددت الاراء المنقولة بشأنهم فمنهم من قال إنهم كانوا يعبدون النجوم ومنهم من قال إنهم الاحناف علي دين إبراهيم ومنهم من قال إنهم كانوا يقولون لا اله الا الله ولادين ولا عمل لهم ومنهم من قال إنهم كانوا علي دين وانحرفوا.. والعرب تطلق لفظ صبا علي كل من خرج عن دينه ودين ابائه

وتقرر الايه أن هولاء جميعاً منهم من آمن بالله واليوم الآخر وعمل الأعمال الصالحة بأن هولاء لهم الأجر والثواب عند الله في الاخره ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

وهنا تثار عده مسائل متعلقه بالمقصود من الإيمان فهل يراد به العموم الي ما بعد البعثة ام أنه مقيد ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى قد قال (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه)

وهذا يفهم منه حسم المساله في الايه الكريمة بأن ذلك الايمان متعلق بالفترة ما قبل البعثة أما بعد بعثة الرسول (ص) فمن لم يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد مجيئه كافراً فالإسلام هو الدين المقبول عند الله تعالى

وهنا قد يقول قائل:-

كيف يكون ايمان المومن اذا كان المقصود بالخطاب أنه متعلق بالفترة ما قبل البعثة باعتبار أن ايمان الكتابي يكون بالانتقال إلى دين الإسلام فكيف يكون ايمان المسلم المومن

الجواب

ان المقصود ليس انتقال المسلم من دينه الي دين آخر مثل انتقال اليهودي والنصراني الي دين الإسلام ولهذا ذهب البعض للقول إن الذين عنوا بذلك أهل الكتاب علي إيمانهم بعيسى وما جاء به بعد إدراكه وإيمانه وتصديقه بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد مجيئه

لكن الواضح أن المقصود والمعنى أن ايمان المومن في هذا الموضوع هو الثبات علي الإيمان وتركه تبديله اما ايمان اليهود والنصارى والصابئين فيكون بالتصديق بالرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله والإيمان بـ اليوم الآخر وعمل الأعمال الصالحة ولم يتغير ولم يتبدل حتي جاءه الموت وهو ثابت علي إيمانه الصادق فهذا يوعده الله بالاجر في الجنه فقال تعالي (عند ربهم) فالعنديه تعني المكان وهو في الاخره بعدم الخوف من العقاب الذي ينتظر الكفار وعدم الحزن علي ما فات من أعمارهم

وهنا قد يقول قائل

لماذا لم يذكر الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ومافائده جمع للأمم في ذلك

ان المعلوم أن الإيمان بالله يعني الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم لأن الايمان لايتجزء ومن كذب برسول من رسل الله فقد كفر وجمع الأمم تتناول بيان أن الإسلام هو الوراثة لجميع الأديان السماوية وهذا هو المقصود بالذات من هذه الايه الكريمه كما هو ثابت من خلال الوقوف على الآتي

الوجه الاول

ان المولي سبحانه وتعالى وصف لنا في هذه الايه احوال اهل السعاده من الأولين والآخرين بعد أن بين الله لنا سنته في الهلاك الأمم وإسقاط الحضارات والشعوب بما ذكر سبحانه من الحكم الإلهي علي اليهود بالذل والمسكنه والغضب الإلهي عليهم مبينا أن السبب لتلك العقوبه يعود إلي كفرهم وعصيانهم واعتداءهم علي شرع الله سبحانه وتعالى ليخبرنا الله أن أحكامه وسنته ثابتة لا تتغير ولا تتبدل في خلقه وان أحكامه العادل فيهم ثابتة ولهذا السبب قال (أن الذين) فهي بمنزله الاستثناء من الحكم السابق وذكر الاستثناء بأسلوب الجمع للمومنين من جميع الملل والفرق والطوائف والأديان من المسلمين واليهود والنصارى والصائبين لبيان الآتي

١

دفع التوهم الذي قد يتبادر إلى الذهن أن الغضب الإلهي قد لحق ببني إسرائيل كلهم دون استثناء فذكر هنا أن هنالك منهم صالحين لهم فضل وكانوا صادقين في التدين فقال (والذين هادوا) فذكرهم بالصلاح الصادق

٢

ان هذا الاستثناء لتحذيرنا من السير في طريق المغضوب عليهم فالله يخبرنا أن الجزء الذي أصاب بني إسرائيل لم يكن إلا لجريمه انتهاك حدود الله وحرماته فكل من اجرام مثلما اجرموا سوف يحل عليه غضب الله وعذابه وسخطه ويسلب العز والتمكين فأراد المولي سبحانه وتعالى اخبارنا أنه لم يأخذ هؤلاء لانهم شعب اسرائيل أو لا نهم يهود لا بل لانهم عصوا أوامر الله وكانوا يعتدون علي حرماته ولا يحترمون الرسل وان هذا لا يمنع ان يوجد بينهم صادقون في الإيمان ولم يصيبهم العذاب لبيان ان في كل امه فيها الصالح والطالح فيها الصادق والكاذب ف النص فيه اخبارنا أنه سيكون في أمتنا من يسلك طريق اليهود والنصارى في الضلال ولهذا قدم ذكر المومنين لتحذيرنا من ذلك لانه لا يذكر الخير الا كانوا في المقدمة

٣

يخبرنا الله تعالى أنه العادل لا يظلم احد فهو يجزئ كل انسان بعمله وان انتساب الشعوب الي طائفه أو قومية أو دين أو جنس لم يكن حاملا علي انزال العذاب فلا محاباه وان الانتساب الي دين او نسب ليس عله رضاء الله ولا غضبه ولا تتعلق مساله رفعه الشعوب وعزتها ولا سقوطها بالنسب والانتماء الي دين معين حتي ولو كان الإسلام اذا لم يكن هذا الانتماء دافعا لتحمل تبعات ذلك بامثال أمر الله تعالى فبين لنا سنته التي يحصل بها الوصول إلي السعاده (فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يقول لنا أنه تعالي لا يحابي احد فحكمه العدل وبيبين لنا السنن التي أن اخذنا بتلك السنن نصل الي النجاه والسلامه ولهذا فالله يقول لنا أن غضبه وسخطه علي امه أو شعب إنما يكون للعصيان والعدوان ومخالفه امره فهو سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر (واتقوا فتنه لاتصبن الذين ظلموا منكم خاصه) وان رضاء الله انما يكون بالإيمان الصادق والاعتقاد السليم بلا تشبيه ولا تمثيل ايمان باليقين واستعلاء بالحق وحده والسعي الي رضاء الله فالإيمان المرضي عند الله تعالي هو الذي يحصل به تهذيب النفوس وبناء الأمم والانطلاق نحو الأهداف والغايات في حركه وعمل صالح فليس الايمان قول المنافقون (قالوا امنا بالله باليوم الآخر وما هم بمومنين) فاللازم مطابقة القول للعمل

الوجه الثاني

ان المولي سبحانه وتعالى يلفت انتباه المومنون الي اهميه استشعار حقيقه ان سنه الله واحده في معامله الأمم و الشعوب ولهذا يخبرهم الله أن الفوز والنجاح والفلاح والسداد يقوم علي قاعده الايمان مع العمل الصالح الخالص الصادق فليس دخول الجنه بالاماني كما يتوهم أهل الكتاب وبعض المسلمون (ليس بامانيكم ولا امانى أهل الكتاب... الخ فالله سبحانه وتعالى يقول لنا (من امن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

ان الفوز لا يكون بالجنسية العرقية ولا القوميه ولا الدينيه ولا الاماني بل قائم على الإيمان الصادق الذي له سلطان علي النفس والعمل الصالح المصدق له وهذا فيه الآتي

١

التحذير للمسلمين من الاغترار بالانتساب الي الاسلام بأن يتصور أن حمل جنسيه ديانه الاسلام وحدها فيها النجاح والجنه والأمان دون العمل اي تاركا العمل يقول لنا أن هذا الطريق هو سبب دمار الأمم قبلكم وهو سنه الله لكل امه تسلك هذا الطريق لأن الاغترار أن تسلل إلى القلب فهو يقتل العزيمه ويصرفه عن العمل ويجعل الطريق الموصل الي الفوز هو مجرد الانتساب الي الدين تاركا العمل وهذا في الحقيقة يكون من اسباب العجز والتخلف وهلاك الأمم ونزول غضب الله عليهم وسخطه فاللازم الحذر من هكذا سلوك والاستيقاظ من تلك الغفلة بإدراك أن طريق الخير هو بالإيمان والعمل الصالح ومعرفة السنن الإلهية في نشوء وتطور الحضارات وسقوطها وحسن قراءه التاريخ وتنزيل الأحكام علي الواقع

٢

ان تقديم ذكر الذين آمنوا لأنه لا يذكر الخير الا كانوا في المقدمة والمراد بهذا أن يغرس في نفوسنا الاحساس والإدراك بأن اصل الديانات واحد وهو التوحيد وان النسب الذي ينتسب له المومنون هو الايمان الصادق وتلك هي الجنسية للمومنون منذو ادم عليه السلام الي أن يرث الله الأرض ومن عليها وأن نسب الكفار الجاحدون هو الكفر ومنهجهم هو منهج الشيطان انا خير منه

ولهذا لما ذكر الله ماكان من جحود وتكذيب بني إسرائيل وما لحق بهم من عقاب وورد حثهم علي الالتحاق بموكب المومنين واخبرهم أن باب التوبه مفتوح فابتداء النص (أن) للاهتمام بالخبر ولدفع ماقد يتوهم البعض أن ماسبق من المذمات حصل لجميع بني إسرائيل فذكرت النصوص أن هنالك اخوه لنا صالحون هم أسلافنا لأننا نتمي واياهم الي مدرسه الايمان وهؤلاء الذين ماتوا قبل البعثة وأن هنالك من عاصر نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم والتحق لجماعه المسلمون مثل عبدالله بن سلام فهؤلاء قد وعدهم الله بالفوز والنجاح والفلاح في الآخرة

سابعاً

تعود النصوص الي استعراض موقف من سجل تاريخ اليهود وشقاوتهم لتحذيرنا من السير في طريق هؤلاء فقال تعالى

(وإذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتينكم بقوه واذكروا ما فيها لعلكم تتقون ثم توليتهم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين)

ان المولي سبحانه وتعالى يذكرهم بأخذ الميثاق بصيغه مجمله وهو ما يفهم أنه تعالي أخذ العهد منهم علي الإيمان فقد عاهدوا موسي علي ذلك ونصوص القران الكريم ذكرت عده عهود ومواثيق اخذت منهم من ذلك ما ذكر في هذه السوره (وإذ اخذنا ميثاق بني إسرائيل لاتعبدون الا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى.... الخ

وكذلك نعرف أنه تعالي قد أمر موسى بأخذ العهد عليهم بالإيمان والطاعة لله واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الميثاق يندرج ضمن ميثاق الكتاب (لتبينه للناس) والنص جاء التذكير فيه بواقعه رفع الجبل فوقهم كأنه ظله عندما طلبوا من موسى رؤية الله جهرا فالمولي سبحانه وتعالى يأمرهم

الأمر الأول

باستحضار المشهد في النفوس فيقول لهم أن المكابرة منكم والعناد عن الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم و المطالبة بمطالب تعجيزية مثل ما حصل منكم عندما طلبتم رؤية الله جهرا عندها حصلت خارقه اقتلاع الجبل حتي صار فوقكم عقوبه لكم فتلك هي نهاية العناد والجحود والعصيان والمطالب التعجيزية فانتم لاتفهمون الا بسوط فأراد الله بهذا بيان فساد عقول هؤلاء فهم لم يؤمنوا بالتوراه الا بالمعجزات الحسيه ومع ذلك نسوا العهد واعرضوا عن الإيمان فلا تتعجبوا أن يرفضوا الايمان بالقران الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم

الأمر الثاني

ان المولي سبحانه وتعالى يلفت انتباه المومنون الي أن عليهم إدراك أن الأيدي المرتعشة لاتقدر علي النهوض وحمل الامانه فهؤلاء القوم خير مثال لكم كيف أن الخوف عندما سكن قلوبهم قضي علي الطاقات لديهم فلا عزائم لهم نتيجة الذل الذي عاشوه في مصر ولهذا كان اقتران أخذ الميثاق منهم بخارقه رفع الجبل فوقهم كوسيله لا عادته تشكيل عقولهم وأثاره الاحساس لديهم لأجل استجماع القوي من خلال تلك العملية التربوية كي يكونوا قادرين على استقبال مايعيظهم الله لأن قوله تعالي (خذوا ما آتيناكم) ارتباط بالآتيان الذي هو العطاء فالمهمه حمل الدعوه والمنهج التوراه وهي مساله تحتاج إلى قوه في التلقي الاستقبال تحتاج ايادي ثابتة لا ترتعش وقلوب صامده ونفوس مطمئنة

ومن هنا يجب أن أن نفهم أن حركه العمل الإسلامي تحتاج إلي شجاعه واقدام فمن كان متردد او مصاب بالخجل أو الخوف من المساهمه في القيام بحمل الدعوه والمنهج الرباني فهذا يفتقد الي القوه والطاقه لايمكن أن يكون قادرا على الإنتاج فهو غير قادر علي استقبال العطاء ولايصلح أن يكون خليفه

لهذا يجب علينا أن ندرك أنه لا بد من استجماع القوي العقلية والنفسية وتنقيه الاوعيه من الأوساخ للاضطلاع ب المهمة واستقبال الحق

فالمراد بالآخذ هنا التلقي السليم للمعلومه بمعرفه المهمه وأحكامها وحدودها باليقين الجازم فيه التصديق والا ذعان والتسليم لامجرد انفعالات تزول بزوال أثره

فالمسألة يجب أن تستقر في أعماق النفس لتمدك بالطاقة فهي ليس الغرض منها إفراغ الحماس المتأثر بالانفعالات كما نري في حياتنا اليومية امثله لذلك الضعف في التصور مثل مانشاهد من قيام البعض بالخروج بالمظاهرات لنصره الاقصى أو أي قضيه تخص المسلمين ثم يعود إلي منزله فيقول قد اديت ما هو عليا فهذا يعود إلي قصور فهم معني حمل عهد الايمان حيث يجب استمرار مشاعر الاحساس بالواجب حتي يزول هم المسلمين فمن حسن التلقي أن يستقر في القلب فهم المعاني التي تحملها النصوص لتدرك الواجب عليك القيام به ووسائله وغاياته دون توقف فهو ليس انفعالي يزول بزوال أثره

ولهذا نجد أن الله سبحانه وتعالى يصف التلقي أنه يكون بقوه

وهذه القوه تكون قوه الفهم المعلومات لأن سوء الفهم يولد انحراف المدرك وانحراف السلوك حتي وان وصلت المعلومه صحيحه ويندرج ضمن الفهم الحاله النفسيه وهو العزيمه علي القيام بالمهمه بقدر الاستطاعة لأن الرغبة لامعني لها اذا لم تصل إلى الأرده الباعته علي القيام بالمهمه فالقوه تتطلب العلم والقدرة وهو ما يتطلب أن يكون

جادا في الأخذ بالاسباب ومجتهدا في التلقي علي الوجه المطلوب ولهذا يندرج ضمن مفهوم التلقي الاتقان وحسن الفهم لأن العمل مرتبط بحسن التلقي والجد والاجتهاد والإتقان وهذا يتطلب الوعي السليم والحفاظ عليه من السقوط في مصائد الأعداء والضجيج الاعلامي لهم...وهو ما يتطلب أن يكون مغروسا في اعماق القلب عنصر محبه العمل والسعي لتنفيذه بعزيمه قويه وهمه عاليه ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى عطف علي الأمر بـ التلقي بقوة أنه قال (واذكروا مافيه لعلكم تتقون)مبيننا لنا الغرض من دراسته الكتب السماوية عموما وكيفيه التعاطي مع أحكامه يقول لنا ليس الغرض مجرد التلاوه لها بل المطلوب الفهم والاستنباط وربط الجزئيات بـ الكليات فالشريعة ليست أفكارا مبعثرة بل هي مترابطة مع بعضها البعض

فحسن التلقي (الأخذ للشئ)أمر يقتضيه صحه العمل وإتقان تنفيذه علي الوجه المطلوب

وسوء التلقي للشئ يولد الانحراف في العمل ولهذا فإن قوه التلقي تقتضي سلامه الحاله النفسيه والثقافية ليكون فهم الشئ وفقا لصوره التي تحملها النصوص فلا بد من الوعي السليم والإدراك القادر على التحليل للمعلومه وفقا للمعطيات والحقائق من خلال الاحاطه بالشئ من جميع جوانبه وامتلاك ادوات الفهم السليم لتلك المعلومات كي يكون الحكم الناتج عن الاستنباط صحيح ف الله ذم الكفار فقال (بل كذبوا بما لم يخيطو بعلمه ولما يأتهم تأويله) لانهم أطلقوا الأحكام دون علم ولا فهم

الأمر الثالث

يخبرنا الله أن أسباب ازمه اليهود وسقوط حضارتهم تعود إلي الاخذ السطحي للمنهج بعدم فهم النصوص واغراضها لسوء الفهم الناتج عن الحاله النفسيه التي تري الاشياء مغايره للحقيقه وعدم ادراك الدليل ومقاصده وعدم وضوح الأهداف نتيجته ما اعتادوا عليه في مصر ولهذا يخبرنا الله الطريقه التي أخذ بها العهد منهم بأنه كان موثقا وموكدا فقد عهدوا موسي علي القيام بطاعه الله وحمل التوراه عن فهم ودرايه وكان ذلك مرتبطا بخارقه رفع الطور فوقهم والأصل أن ذلك يعيظهم قوه وعزيمه وأخذه علي الوصف الأمور به فهذا العهد متين وقوي لا ينقطع لكن هولاء لم يوظبوا علي تذكر العهد الذي أمروا بالمدوامه والمواظبه علي تذكره بأن يجعلوه في الذاكرة ف لا ينسوه ليخافوا الله ويحصل اتقان العمل الأمور به وإحسانه والمواظبه علي طاعه الله كي يلتحقوا بجماعه المتقون الذين ذكرهم الله في مقدمه السوره انهم المنتفعون بالكتب السماوية والمهتدون الي الطريق المستقيم فهولاء هم الذين يخافون الله علي الدوام يشعرون بوجوده في كل أحوالهم فهم الذين يصلون الي مرتبه الاحسان بالشعور ان الله يراهم في كل حركه فهم يومنون ب الله حقيقه لامجرد انفعالات تزول بزوال أثرها وهذا يتطلب المواظبه على الشعور برقابة الله تعالى وهو يعني قوه الجديه بالقيام بالعهد دون انقطاع ولهذا نجد أن الله تعالى يقول لنا أن هولاء حصل منهم فتور وعدم اهتمام بالفكره لانشغالهم بملذات الدنيا ونسيان المهمه في حركه جمع المال فقال تعالي (ثم توليتهم من بعد ذلك)

والتوالي جاء ذكره بعد اداه العطف (ثم)والتي تفيد التراخي للإشارة أنهم قبلوا أمر الله في البدايه ولكنهم بعد ذلك اعراضوا وتركوا التوراه فسلكوا طريقا معاكسا لاتجاه التوراه فاستعمل التوالي الذي هو محسوس للدلاله على مخالفتهم احكام التوراه وانسحابهم من حركه العمل الايماني للتحذير من ذلك السلوك ولهذا تبين لنا النصوص أن هولاء خالفوا مع تلك الخوراق والمعجزات فهم يستحقون الهلاك لكن فضل الله ورحمته انقذهم من الخساره والهلا ك فقال تعالي (فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين)ف الله بحثهم علي ترك المكابره والعناد وان يسارعوا الي الالتحاق بموكب المومنين ويقول لنا احذروا أن تفعلوا مثل هولاء واللازم أن تكون الفكرة حمل الا مانه الخلافه قائم بعلم في القلب والعقل علي الدوام بوعي واهتمام ورغبه وارده قويه وعزيمه وهمه عاليه تمده بـ الطاقات والقوه للاستمرار والمدومه دون انقطاع ولانسيان

سابعاً

بعد أن تناولت النصوص عرض وقائع من حياه بني إسرائيل وتذكيرهم بما كان منهم من نقض العهود والكفر ؛ الرسول صلى الله عليه وسلم تأتي النصوص لتحذيرهم من ذلك السلوك القبيح من خلال لفت انتباههم الي قصه معروفه لديهم فقال تعالي (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وماخلفها وموعظه للمتقين) حيث يفهم من القصة أنها ذكرت التحذير ولهذا لم يخبرنا لا مكان ولا زمان الواقعة لأن المراد التحذير من الوقوع في ما وقعوا فيه من الانحراف خاصه وأنه سبحانه وتعالى ذكرهم في الايه قبلها بنعمه العفو عنها ورعايته وإحسانه وفضله بأن عفا عنهم ولم يحل بهم الخسران الذي كانوا يستحقونه فجي بالقصه

الامر الاول

للتحذير من المخالفه اي احذروا أن يصيبكم جراء اعتدكم علي العهود التي تلزمكم باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم العقوبه التي حلت باسلافكم من اهل القريه المعروفه لديكم فهي جزء من تاريخ بني إسرائيل حيث ذكرت الروايات أن بني إسرائيل خالفوا أمر الله وتجاوز الحد بالاعتداء في يوم السبت الذي جعل راحه لبني إسرائيل حيث أنهم طلبوا من موسى أن يجعل لهم يوم راحه يتفرغون فيه لعباده الله بعدما سمعوا موسى يتحدث عن فضل الجمعه فقالوا إن السبت هو افضل ايام الاسبوع فجعل لهم هذا اليوم ليتفرغوا العباده والمراد بتحديد هذا اليوم تديريهم علي النظام والانضباط وغرس مبدأ الاجتماع بين الجماعه للتواصي بالحق والصبر وغرس مبدأ المساواة بين الجماعه المومنه والارتقاء بالنفس بالشعور والاحساس بالمسؤولية والشعور أن حياتك كلها لله ولأجل الحصول على الغذاء الروحاني الذي يجعل النفوس صالحه لاستقبال نور الله ولهذا فقد كان من وسائل تحقيق تلك الأهداف هو تحريم الصيد يوم السبت وقد ابتلاهم الله لتنقيه الاوعيه القلبية والنفسية والعقلية لديهم من الأوساخ بأن جعلهم يشاهدون أن الأسماك تكون كثيره في هذا اليوم علي سائر الايام ولأن قلوبهم تابي الانضباط لما اعتادوا من حياه الفوضي والعشوائية في مصر فقد دفعهم ذلك التلوث الذي في أعماق نفوسهم الي اراده الصيد ولكن كانوا يخافون من العقاب الذي اخبرهم به موسى

وذكر أن أحدهم قام بالاصطياد فوضع خيط ربطه في السمك وشده الي وتر فإذا كان يوم الاحد اصطاد واكل فلم يجد العقوبه فأخبر غيره وصاروا يمارسون تلك الحيل سرا لفته فظنوا أن العقوبه لن تنزل بهم وشكوا في ما اخبرهم به موسى حتي اصبح ذلك السلوك ظاهره لديهم انتشرت وقد انقسم الناس الي ثلاثه اقسام الصنف الأول المنتهكون لأمر الله اصطادوا واكلوا ...الصنف الثاني لم ياكلوا ولم يصطادوا ولكنهم لم ينهوا عن المنكر أما الصنف الثالث هم الذين امتنعوا ونفذوا أمر الله ونهوا عن المنكر كماورد في الأعراف

وقد أخبرنا الله في سوره الاعراف أنه حصل النجاه للمومنين الذين امتنعوا عن الصيد ونهوا عن المنكر وسكت عن ذكر مصير الذين آمنوا وامتنعوا ولكن لم ينهوا عن المنكر وذكر نزول العقاب بالمذنبين يتحويلهم الي قردة وخنازير وقد

ذكرت الروايات أن الصنف المومن الذي نهى عن المنكر تفاجئ بغياب المذنبون فذهبوا يتفقدونهم لمعرفة اسباب غيابهم فوجدهم في منازلهم قد صاروا قردة وخنازير وهذا الرأي لمن قال إن المراد من (كونوا) أمر تكويني اي حولهم الي قردة وخنازير في الصورة مع بقاء العقول والافهام فكانوا يعرفون كل واحد منهم وقالوا إنهم عاشوا ثلاثه أيام وماتوا فهم لم يتناسلوا فليست القرده الحاليه من نسل اولئك الذين حولهم الله

أما مجاهد ومن إليه فقد ذهبوا إلي أن التحويل كان بأن جعل قلوبهم مثل قلوب القردة والخنازير لاتعي ولا تفهم مع بقاء الصورة الادميه

الأمر الثاني

ان المتأمل للنصوص يجد أنها جاءت خاليه من ذكر الزمان والمكان الذي دارت فيه أحداث القصة وان الله سبحانه وتعالى ذكرهم بالايه قبلها بنعمه العفو لهم لما كان منهم من مخالفه العهد التي توجب الخسارة ومنهم فرصه تانيه للتوبه فضلا منه تعالي ورحمه فقال تعالي (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين) وهذا فيه

المفهوم الاول

فالمولي يلفت انتباههم أن العفو عن المخالفه للعهد إنما كان وسيله لإصلاح شأنهم لكن لايعني ذلك أن يترك المخالفون بلا عقوبه فعندما لا ينفذ العفو فإن الله سبحانه وتعالى ينزل العقوبه التي تحقق الردع والزجر يقول لا تركنوا أن العفو عنكم سيكون في كل الأحوال فعليكم الحذر من الوقوع في ما وقع فيه أسلافكم من الانحراف فجي بهذه القصة للتحذير من المخالفه بأن يكون عقابهم مثل العقاب الذي حل بأهل تلك القريه التي كانت جزء من تاريخ بني إسرائيل والنص ابتداء (ولقد علمتم)

اللام للتأكيد و(قد) تفيد التحقيق واستعمل لفظ العلم ولم يقل عرفتم وذلك لأن المعرفه المقصوده هنا معرفه باحوالهم وأوضاعهم لامجرد معرفه سطحية.. لانك اذا سالك شخص هل تعرف فلان... فأنت اذا كنت تعرفه معرفه عاديه سوف تقول اعرفه وتسكت لكن إذا قلت اعرفه بعلم أحواله واوضاعه فإن هذا يعني أن العلم به بالاحاطه به من جميع النواحي فأنت لديك المعلومه الكامله عنه لأن هذه المعرفة متواتره لحصول تناقل الكتب السماويه و الرسل لديهم لهذه الواقعه جيلا بعد جيل وانهم ويفهمون تلك المعلومات بإدراك سليم لأسباب العقوبه التي حلت بهم اي أن العلم الذي يلفت الله انتباه المخاطبين هو العلم بالسنن الالهيه بأن الذين يرفضون اتباع الحق ويتحايلون علي الشرائع ويحصل منهم الاستخفاف باحكامها ولا يحترمون شرع الله فهو لاء يسلكون سلوك البهائم والحيوانات فالله سبحانه وتعالى أن من يفعل ذلك تكون عقوبته (كونوا قرده خاسئين) اي أنهم مطردين مبعدين من رحمه الله تعالي عقوبه لهم علي ما حصل منهم من مخالفه شرع الله فكانت أعمالهم القبيحه التحايل والاستخفاف بشرع الله كانت عامل وسبب مسخ أسلافهم والمراد علي راي مجاهد أنه كان مسخ العقول وتعطيل الحواس والحرمان من التوفيق ولهذا نقول فلان ثعلب لأننا نري هذا الشخص في وجهه تعابير المكر والخداع وكالقرد في الخفه والفساد والانحطاط والحقاره والنذله فيكون منبوذ عند الله تعالي

المفهوم الثاني

ان المولي سبحانه وتعالى يحذر المخالفين بالعقوبه التي جعلها سنته التي يعامل بها كل من قام بالتحايل والا ستخفاف بشرع الله تعالي يقول لليهود والمسلمين احذروا من الوقوع في الأسباب التي توجب المسخ التي يكون عقوبه من يأتي تلك الأسباب الخذلان في أفعاله ويصير كالقرود المستذل المطرود في حضره الناس وهو مسخ معنوي وان ذهب الجمهور للقول أنه مسخ حقيقي بدلاله النص لكن المسخ المعنوي لأن النصوص ذكرت أنه جعلها عبره وعظه وهو لوقلنا أنه مسخ حقيقي لايتحقق للعصاه لانهم يعلمون بالمشاهده أن الله لايمسح كل عاص فيخرجه عن نوع الإنسانية إذ أن ذلك ليس من سنته في خلقه وانما العبره الكبرى في العلم انها من سنن الله في الذين خلوا من قبل أن من يفسق عن أمر ربه وينحرف ينزل من مرتبه الإنسان ويلتحق بالحيوان وان سنه الله واحده في التعامل مع القرود الحاضره بمثل ماتعامل مع القرود الخاليه كما ذكر صاحب المنار

الأمر الثالث

ان النصوص فيها تحذير لنا نحن المسلمون من الانحراف عن الصراط المستقيم بأن سنه الله تعالي في التوفيق و النجاح والفلاح إنما تكون للمتقين وان الله تعالي قد جعل لكل امه يوم يميزها عن غيرها وانه تعالي قد اختص المسلمين بيوم الجمعه ليكون اجتماعهم وازاله الفوراق وأوجه الانقسام والتدرب علي النظام والانضباط والعمل الجماعي للقيام بأمر الله ف الله يلفت انتباه المسلمون الي استشعار خصوصيه الامه

حيث أن ذكر الاعتداء لحرمة السبت فيه اشاره الي العهد الذي أخذ من اليهود خاصة وان الايه الكريمه قبلها تناولت اخبارنا بما كان منهم من نقض العهد...وبينت أن العهد يحتاج الي قوه وقبول وعزم في الأخذ وعزم على التنفيذ

ف الله سبحانه وتعالى يقول لنا أنه عفا عنهم واعطاءهم فرصه لاعاده تشكيل عقولهم ونفوسهم وآثاره الاحساس من خلال التريبيه التي جعل فيها حرمة السبت لارتباط ذلك بالعهد الذي اذا نجحت الامه وكان صلح هذا العهد صلحت المراتب والمناصب فالقياده للأمم موقوفه علي ذلك ونحن جعل لنا الجمعه.... ولهذا فإن الأخذ للعهد مع الشعور أن سلامه الأخذ والقبول والعزم فيه العز والتمكين والكرامه يجعل المومن حريصا على الفهم للعهد ومعرفه أحكامه ومفاهيمه بامعان النظر بمراد الخالق والمالك لهذا الانسان فيعمل جاهدا على تنقيه او عينته وملكاته من الأوساخ والعوائق وتصحيح مسار الحركه والتصورات وتوطين النفس علي امتثال أمر الله لتكون طاهره وشريفه فهي أن وجدت تتولد فيها عظيمه وهمه عاليه وعزه وعندها يبرزها الله نور تري بها الاشياء وقلب يعي الحقائق واذن تسمع عندها يسلكون الطريق المستقيم لأنهم يرون الطريق فلا يخافون ولا يحزنون فالحاله النفسية لها دور في ازاحه الازمات ومواجهه التحديات والصعوبات ولهذا يقول لنا الله تعالى أن أصحاب النفوس القذره فهم يرون الاشياء بصوره مغايره للحقيقه لانهم اذا أخذوا العهد فهم اما يأخذونه بدون مبالاه ولاهمه ولا يتفكرون في أحكامه ولا يدركون الحكمه منه فهم يحرمون النور الذي يوجب الخساره التي هدهم الله بها في الايه قبلها وأنه عفا عنهم لأن ذلك يعني أنهم أخذوه وهم مكتفون بنار الشهوات والأهواء والملذات وقبوع العادات لأنها استقبلت العهد بدون تصديق واما ان يكون قد قبل به وفهم معناه لكن احاطه بالعادات التي استحكمت عليه وبالعصبيه و النفس القذره التي تحوم حول القاذورات لضعف البصر وضعف الهمه وعدم الرغبه اعتادت على العيش في القاذرت فهي خسيسه ودنئيه ولهذا كان اختيارها الذي ادني

ولهذا يخبرنا الله أن الحكمه من تحريم الصيد يوم السبت هو لإجراء عملية جراحية لإزالة آثار الوثنية الفرعونية من نفوسهم للارتقاء بهم الي الكمال الإنساني بالتحول من الحيوانيه الي الإنسان الادمي ثم الاخلاقي ثم الإنسان الرباني

لكن هذا الصنف رفض إجراء العملية التربوية والجراحية التي توهله للقياده والكمال فاستحقوا المسخ فهم سلكوا طريق البهائم رفضوا الانضباط وفضلوا أن يعيشوا حياه القرود التي تعبت بكل شي ولم يتادبوا مع الله وتجاهلوا قدره الالهيه المطلقه فهو أن أراد وشاء أن يجعلهم قردة وخنازير في الصوره والهيكل فلا معقب لحكمه فذكر الأمر التكويني (كونوا قردة خاسئين)

فذكر أنه جعل قلوبهم مثل القرد لأن كل ما يههم هو البطون والشهوات فهم فكر وا في اكل الأسماك ولم يفكروا في العقوبه التي تنتظرهم فهم بلا عقول ولا اذن ولا أعين فقد هبطوا الي مرتبه أقل من البهائم

لبيان ان من ارتكب تلك المخالفات ولم يلتزم بالمبادئ التي تقوم عليها الدول لأن اليوم السبت يشير إلى رمزيه الاجتماع الذي يكون فيه غرس القيم والمبادئ التي ترتبط بخلافه الدوله وليس الفرد فيها أمور تتعلق بالاجتماع وقواعد الانضباط التي تنظيم أحوال وأوضاع الجماعه مثل مبدأ المساواة والشوري والاخوه.....فنحن لدينا الجمعه....فيقول الله لنا أن من ارتكب المخالفات في عصرهم أو في القرون القادمه الي قيام الساعه سوف يمسخ في فكره وتتعتل حواسه وتسلب منه القياده ويكون مثالا للعجز والتخلف والخزي وأنه لاتنفع معه موعظه (أن الذين كفروا سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله علي...الخ

فالنصوص تنقل لنا مشهد هولاء لكي ندرك أن هذه العقوبه سوف تكون قيذا تمنع صاحبها من التوفيق والهداية سواء كان من اليهود أو من عمل عملهم مثل ما يحصل حاليا من ظاهره الربا لدي المسلمين الذين يحتالون علي الشرع بالربويات التي فيها العبت بقواعد الدين فهولاء صاروا قردا لأن العبت والفوضى هو سلوك القرد وهو يرفضون الانصياع للحق والانضباط فأنت لو نظرت للمتعاملين بالربا تري أنهم صاروا مسلوبين الفهم والكرامه و

القيم والمبادئ وانهم يعيشون في انحطاط أقل من الحيوان فلا اخلاق لهم

ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يخبرنا أن الذي ينتفع بهذه القصص هم المتقون فذكر اعلي مراتب الكمال الإ
نساني التقوي التي أن سكنت قلب الإنسان فإنها ترتقي به من حاله الهمجييه الحيوانية الي انسان انساني يشعر
بالم الآخرين ثم ينتقل الي إنسان أخلاقي مهذب في تعامله ثم الي انسان رباني يتخلق بأخلاق الرب في العفو و
التسامح.والرحمه وغيرها من الأخلاق لانه يعرف ماله وماعليه فهذا هو الذي يرزقه الله التوفيق والانتفاع بالقصه
بالسير بالطريق المستقيم

القسم الرابع من المقطع الثالث

بعد أن تناولت النصوص مشاهد متعدده معبره عن واقع حال بني إسرائيل من جحود النعم والنكوث العهود و
المواثيق والجبن والذل والامبالاه بالعهود والتحايل علي أوامر الله بالحيل والخداع والاستخفاف بشرع الله يقص
الله تعالى علينا قصه من واقع تاريخ بني إسرائيل بأسلوب قصصي فريد فيه التشويق والإثارة ويحكى القصة
كامله لامجرد إشارات فقال تعالي (وإذ قال موسى لقومه أن الله يامرکم أن تذبحوا بقره قالوا آتخذونا هزوا قال
أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي قال إنه يقول انها بقره لا فارض ولا بكر عوان
بين ذلك فافعلوا ماتومرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال إنه يقول انها بقره صفراء فاقع لونها تسر
الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي أن البقر تشابه علينا وانا أن شاء الله لمهتدون قال إنه يقول انها بقره لا
ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمه لاشيه فيها قالوا الان جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون وإذ قلتم
نفس فادارتم فيها والله مخرج ماكنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم
تعقلون ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو شد قساوه وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها
لما بشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشيه الله وما الله بغافل عما تعملون)

فالمراد من هذا لفت انتباه المخاطبين الي أسباب حلول غضب الله ونقمته وسلب القيادة من بني إسرائيل لمعرفه
سنه الله في العز والتمكين وسنته تعالي في الإذلال والسقوط للحضارات ليحصل الاعتبار والاتعاظ واتقاء الوقوع
في اخطائهم وذلك الاعتبار والاتعاظ من عده أوجه

الوجه الاول

يخبرنا الله تعالي عن أسباب الازمه التي تقف مانعا لليهود من القبول للحق فنجد أن الايه افتحتت بالتوبيخ
المخاطبين من بني إسرائيل الذين كذبوا بنبوه الرسول صلى الله عليه وسلم رغم علمهم بصدقه وحاولوا اثاره
الشبهات حول ذلك يذكرهم بما كان من أسلافهم من نقض الميثاق الذي أخذه الله منهم بالطاعه له واتباع انبياءه

لتحذيرنا من أن نقع في اسباب الازمه التي وقع فيها هولاء الذين استحقوا عقوبه الغضب والإذلال بأن جعلهم الله
محكومين لاعز لهم ولا تمكين لهم وأن سلب القيادة منهم بسبب انحرافهم وفسوقهم وقساوه قلوبهم في استقبال
العهد ويعيطننا الله الادله

الأمر الأول

يقول لنا الله أن من أسباب ما حل باليهود هو أنهم كانوا يتعاملون مع القيادة بأسلوب اللف والدوران فهم لم يقبلوا
الانتظام في الصفوف ولم يرغبوا بتطبيق القانون والنظام في حياتهم واردوا التملص من تطبيق المنهج ويعيطننا
الله مثلا لذلك مرتبط بواقعه قتييل منهم لم يعرف قاتله وحصل النزاع نتيجه التمالوا المجتمعي حيث كان الاخفاء
والتستر عن القاتل ولم يوجد شهود فطلبوا من موسى أن يخبرهم من هو القاتل فجاء الجواب من موسى (أن

اللّٰه يامرکم أن تذبحوا بقره) فالنصوص تبين لنا أن المتكلم هو موسى عليه السلام وهو نبي الله وأخبارهم أن الأمر صادر من الله تعالى .

فكيف كان استقبال هؤلاء لأمر الله أن يذبحوا بقره إذا اردوا معرفه القتال وكيف تعاملوا مع القائد الذي هو نبي الله.....(قالوا آتخذونا هزوا)

ان الجواب يوحي لنا أنهم تعاملوا مع موسى بأسلوب لا يليق أن يتعاملوا به مع قياده خاصه وأنه نبي الله فهم قوالوا بأسلوب فيه التعجب فاستعملوا الهمزه الاستفهام التي تستخدم للتعبير عن الإنكار والتعجب اي نحن نسلك عن تجربنا عن قاتل المقتول من هو وانت تقول لنا نذبح بقره واستخدموا التعجب قاصدين بذلك التملص من الأمر حتي لا تحصل لهم فضيحة ويعرف القاتل الذي تستروا علي فعله فاردوا استثمار الموقف بإظهار الغضب الشديد بأن موسى عاملهم بقله احترام في موقف الجد فاستعملوا التعجب للتعبير عن الغضب اي هل تسخر منا وتلعب تهذا بعقولنا ولهذا وردت الهمزه ممدوده لترسم لنا شدة الغضب الذي حاولوا إظهاره لبيان ان هذا السلوك القبيح كان من النخبه الذين سيكون بناء الدولة بهم فلم يحترموا القياده ولم ينظروا أن موسى نبي وانه اخبرهم أن الأمر صادر من الله ف الله سبحانه وتعالى يريد أن يلفت انتباه المسلمون الي الالتزام بالآتي

المفهوم الاول

ان اللازم علي الناس الثقة بالقياده ليحصل لهم العز والتمكين والكرامه والرفعه فانعدام الثقة بالقياده وغياب الاستعداد للتصديق بما حمله الرسل والأنبياء بالذات في المسائل الغيبية والمطالبة بمعرفه الحكمة التي قد تكون غائبه في زمن ما أمر يكون من اسباب ومقدمات السقوط

وان غياب الثقة بالقياده الرشيدة التي تقوم بإدارة الموسسه تعني الفوضى والعشوائية وهذا فيه أسباب سقوط وانهايار الحضارات

ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يوبخ بني إسرائيل بهذه القصة والتجربه التي تبين لنا الرد القبيح منهم علي أمر الله فلم ينظروا الي منزله موسى عليه السلام وأنه نبي الله فكانت تلك الاخلاق السلبيه مقدمه لسقوط قلوبهم في القساواه ومن ثم سلبهم القياده

المفهوم الثاني

ان التلكوء في تنفيذ أمر الله وان غابت عنا الحكمة يدل على عدم فهم معني الإيمان الحقيقي بالله وهو سببا رئيسيا يكون به قطع صله القلوب بربها

فاللازم مقابلة أمر الله بالجد والامتثال والاحترام وان لم تظهر حكمته فليس العبد المطالبه بمعرفه الحكمة لما غاب عنه من أمر الله فالاصل مقابله ذلك بالامتثال لأن عدم الامتثال بحجه عدم معرفه الحكمة يدل على فساد العقول وقساوة القلوب وسوء الظن بالله

ف الله سبحانه وتعالى يقول لنا أن من أسباب ما حل باليهود من الخذلان والذل والمهانة والغضب الإلهي هو التلكوء وعدم الاستجابة رغم أن الصيغه التي اخبرهم بها موسى واضحة

المفهوم الثالث

ان التلكوء في تنفيذ الأمر إنما يعود إلى غياب الارده وعدم الرغبة في الطاعه وهذا من مقدمات السقوط في وحل الازمات وعدم القدرة علي مواجهه التحديات والصعوبات وبالتالي انهايار الحضارات وسقوطها وانسحابها من حركه العمل السليم لأنها تسلبك ادوات الابداع والتميز ومعرفه الحقائق حتي وان وصلت المعلومه صحيحه فتكون

عاجزا عن التحليل والتقدير السليم لما تكون النهايه لأن الخاله النفسيه تجعل صاحبها يري الاشياء بالمغايره
لحقيقتها حيث أن الأمر الإلهي وصل الي بني إسرائيل واضحا (أن الله يامرکم أن تذبحوا بقره)

لكن عدم رغبتهم بالطاعه وارتدتهم التستر على القاتل جعلهم يقولون (آتخذونا هزوا)

ولأن الارده قمه من قمم العلم وهي شعور ينبع من القلب فهي عنصر مهم لتنفيذ الأمر وتوجيه الجوراح الحركه
وتنفيذ الأمر ف الله يقول لنا في موضع آخر (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وبالتالي فإن غياب
عنصر الارده يولد غلاظه وتمرد وعصيان ولهذا نفهم أن من أسباب قساوه قلوب بني إسرائيل انهم لم يتذوقوا حلا
وه الايمان لغياب قوه الاراده والحب لإرضاء الله لديهم

المفهوم الرابع

ان المولي سبحانه وتعالى يلفت انتباه المخاطبين الي اهميه استشعار القيادة دورها وفاعليتها الذي يستوجب توفر
الجد والعلم والحلم ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يعطينا رده فعل موسي أنه التجاء الي الله فقال (اعوذ ب
الله أن أكون من الجاهلين) عندما لاحظ سوء الأدب من قومه والمرواغه والجفاوه وقله الاحترام فالتجاء الي الله
يذكرهم أنه معصوم من الجهل والحمق ف الله قد أدبه فأحسن تأديبه فهو نبي ولايتصور أن يكون هازلا ولا عيبا و
لا يتصور أن يكون من السفهاء الذين يقولون عن الله الاكاذيب والاباطيل

الأمر الثاني

ان المولي سبحانه وتعالى ذكر القصة بأسلوب فريد ومختلف عما سبق ذكره من مخالفه انعامه ثم ذكر العقوبه ثم
يذكر وسيله الخلاص

لكن في هذه القصة قدم ذكر وسيله الخلاص وهي الأمر بذبح البقره وهذا الأسلوب فيه شد انتباه السامع وجذبه
لمعرفه القصة بما تغرس فيه من الشوق والاهتمام لمعرفة ما وراء القصة فلم يسبق الكلام مايدل علي قول موسي
لقومه أن يذبحوا بقره فابتدات النصوص بعنصر المفاجاه بذكر الامر بالذبح وتوجيه الأنظار الي تأمل الجدل الذي
اثاره بني إسرائيل في مواجهة أمر الله لهم بذبح البقره ليغرس في النفوس الشوق الي معرفه ماتحملها النصوص
من مفاهيم فجعل الحكمة من ذبح البقره خفيا ليجعل السامع حريصا على معرفة مدلولات القصة ويشد انتباؤهم
الي المفاهيم التي يراد غرسها في النفوس والأفكار واثباتها في العقول ليحصل بها الاعتبار

المفهوم الاول

ان من أوجه الاعتبار والاتعاظ الابتعاد عن سلوك بني إسرائيل وطبايعهم النفسية الملثيه بالأمراض الخبيثه والقدره
فالنص يحذر من التنطع في الاسئله التي يراد بها التملص من تنفيذ الأمر يحذر من الجفاء في التعامل الذي يقابل
به التوجيهات ويحذر من عدم احترام الهيكل التنظيمي للموسسه الدينيه أو الدنيويه يقول لنا ابتعدوا عن أساليب
اللف والدوران لأجل التملص من تنفيذ المهام الموكلة إليكم من قياده سواء كانت موكله للفرد أو الجماعة في
المنظومه أو الموسسه أو الجماعه أو الدوله ... لأن ذلك يكون من اسباب ومقدمات السقوط والانتهزام النفسي و
العقوبه التي تحل علي النفس ف الله يقول (يايها الذين آمنوا لاتسالوا عن أشياء أن تبدوا لكم تسؤاكم وان تسألوا
عنها حين ينزل القران تبدوا لكم عفا الله عنها والله غفور حلیم قد سأها قوم من قبلكم فأصبحوا بها كافرين)

وهنا يخبرنا الله كيف أن بني إسرائيل تلكوا في التنفيذ وحصل منهم تنطع في طرح الأسئلة فاستحقوا عقوبه
التشديد على أنفسهم وأنه عندما زجرهم موسي وانفعل من قولهم فقال (اعوذ ب الله أن أكون من
الجاهلين) عندها حاولوا اختلاق الأعذار بالتلكو وإظهار أن اسئلتهم بقصد الاسترشاد فقالوا(ادع لنا ربك يبين لنا
ماهي) ورغم وضوح الأمر الإلهي بأن يذبحوا بقره دون تحديد نوعها فاللفظ مطلق فقد ذهبوا إلي استخدم السؤال

عن الماهيه والمقصود به السؤال عن الصفات لأن ما تكون اداه سؤال عن الصفات التي تميزها عن غيرها لا الماهيه وهو سوال إنكار واستهزاء يعود لعدم رغبتهم بالامتثال

المفهوم الثاني

فاللّٰه سبحانه وتعالى يحذرنا من مغبه السير في طريق هولاء يقول لنا أن التكلف منهم بالبحث عن صفات معينه عما كانوا قد أمروا به من ذبح البقره فلم يكلفوا بذبح بقره معينه وكان يجزي ذبح اي بقره و إنما كان ذلك تعنتا منهم علي نبيهم موسي بعد الذي أظهروا من سوء الظن بالله تعالى فيما اخبرهم به نبيهم فقال آتخذونا هزوا...لهذا استحقوا العقوبه بتشديد الذبح بوصف ذبح معين من البقر من حيث السن لانهم شددوا علي أنفسهم فلو أنهم ذبحوا اي بقره من اي نوع في العمر لجزي عنهم ولكنهم قالو ماهي صفاتها وعمرها فشدد الله عليهم عقوبه لهم فقال(قال إنه يقول انها بقره لافارض ولابكر عوان بين ذلك فافعلوا ماتومرون)

اي لامسنه هرمه (لافارض) ولا صغيره لم تلد بعد(ولابكر)وأنها وسط لاصغيره ولا كبيره(عوان بين ذلك) واستعمل لفظ عوان بين ذلك والمراد به أن تكون بين الشباب والهرم فجمع بين الشباب والهرم وهذا انما يكون مع اسماء الأفعال دون اسماء الاشخاص

فاللّٰه سبحانه وتعالى يقول لنا أن التكلف منهم قد كان سببا في حصر البقره بنوع معين من الأنواع عقوبه لهم علي تعنتهم بالأسئلة فحصرها الله في نوع دون سائر الأنواع ولهذا نجد أن موسي سارع للقول (فافعلوا ماتومرون)اي اذبحوا البقره التي امركم الله ولاتكثرها بالأسئلة وعليكم التوقف عن ذلك

الأمر الثالث

تنقل لنا الابيه الكريمه صورته التلكوء واختلاق المعاذير من بني إسرائيل حتي بعد أن جاء الخطاب من موسي بأسلوب فيه الشده عليهم فقال (فافعلوا ماتومرون)فهو يقول لهم عليكم الاكتفاء بهذا المستوى من الأسئلة وعليكم التوقف عن ذلك فلا تشددوا علي أنفسكم فبادورا الي التنفيذ نجد أنهم قالوا(ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها)

ان المولي سبحانه وتعالى يقول لنا أنظروا إلى وضع الإنسان إذا سقط الوعي منه كيف يكون حاله وتعامله مع المعلومه التي تصل إليه واضحه لكنه يحاول تشويه المعلومه لأنها لا تتناسب مع رغباته ولهذا يلجأ إلى اثاره الأ سئله بدون داعي لذلك بقصد ايجاد الذرائع التي تبرر له عدم التنفيذ ف الله لم يحصرهم علي لون معين فما الداعي للسؤال عن لونها فالمسأله ليست نتيجه لغياب المعلومه ونقص البيان المحقق العلم بها لا ولكن عدم قبول تنفيذ الأمر كما وصل ناتج عن قساوه القلوب ومحاوله التملص وادعاء عدم الفهم ومحاوله التمويه بأن المعلومه وصلت إليه غامضه فلم يفهم المراد من الأمر وهذا فيه تكليف أنفسهم مشقه اللون تحت ارده التعنت فقالوا م الونها فقيل لهم علي سبيل العقوبه (أنه يقول انها بقره صفراء فاقع لونها تسر الناظرين)

فقد كان حصر اللون عقوبه لهم بأنها شديده الصفرة صافي لونها وأنها تعجب الناظرين من حسن خلقها ومنظرها لدرجه ان الناظر إليها يتخيل أن شعاع الشمس يخرج من جلدها

الأمر الرابع

تنقلنا النصوص من مشهد لآخر ترسم لنا تفاصيل القصة حرفيا لتعرض علينا أوجه تلكو وتعنت بني إسرائيل عندما تتعارض مصالحهم وأهدافهم مع أهداف الشرع ترسم لنا كيف أنهم يحاولون صناعه العراويل التي تهدف إلى رفع حكم الأمر الواجب عليهم عندما يتعارض مع مصالحهم (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي أن البقر تشابه علينا وانا أن شاء الله لمهتدون)

فقد طلبوا معرفه هئيه محدده تعرف بها هذه البقره التي أمروا بذبحها حدود تفصل بينها وبين بقيه الأبقار شددوا علي أنفسهم بكنره الاسئله فحصلت العقوبه لهم (قال انه يقول انها بقره لاذلول تثير الأرض) اي بقره لم يذلها العمل في اثاره الأرض (ولاتسقي الحرث) اي لم تستعمل في السقي عليها الماء

(مسلمه) خاليه من العيوب وقد ورد انها كانت قبل ذلك بقره وحشي فوصفت بذلك (لاشيه فيها)اي خاليه من اي لون غير الاصفر الفاقع لأن العرب كانت تضع خطوط في الثواب ويسمي شيه

والملاحظ أنهم قالوا(وانا أنشأ الله لمهتدون)فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أنه لولا هذا الاستثناء لما هدوا إليه ابدأ

المهم أن النصوص تنقل لنا صورته لمشهد ترسم لنا حاله الشقاء الذي تسببوا به علي أنفسهم حيث أن البقره أصبحت لها أوصاف محدده مميزه عن سائر البهائم وبعد أن عجزوا وافحموا عن الجدل قالوا(الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون)فتنقل لنا النصوص صورته سوء الأدب فهم لايعترفون بالخطأ حتي بعد أن افحموا وعجزت حيلتهم يقولون أن موسي جاء بالحق في هذا الوقت وكان ماقبله لم يكن حقا فهم يخافون من الفضيحة وانكشاف أمرهم

الوجه الثاني

يكشف لنا الله أوجه قدرته تعالى ببيان ان الحكمة من الأمر بذبح البقره والقصه ليعرفوا قدره الله تعالى فيقدره حق قدره ويعظموه تعظيماً يليق بجلاله فقال تعالى (وإذ قتلتم نفسا فادارتم فيها والله مخرج ماكنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون) حيث نجد أن النصوص تتناول بيان عده امور نذكر منها الآتي

١

ان المولي سبحانه وتعالى يقول لنا أن التمالوا والتستر علي المجرم يجعل من الناس الذين يتسترون مشاركين في الجريمة مع المجرم ولهذا نجد أن النصوص فيها اسناد الفعل الي الامه مع أن الفاعل واحد فقال تعالى (وإذ قتلتم نفسا فادارتم فيها) باعتبار أن ما سبق ذكره من التلكوء يدل أنهم يريدون التستر علي المجرم ولذلك فهم مشاركون بالجريمة معه وعبر عن ذلك بقوله (فادارتم فيها) للتحذير من ذلك السلوك

٢

ان المولي سبحانه وتعالى يخبرنا أن تلكوء اليهود عن الالتحاق بموكب المومنين واتباع الرسول صلى الله عليه ليس لان البيان ناقص أو أنهم لم يعرفوا حقيقه الرسول صلى الله عليه وسلم لكن هذا السلوك القبيح منهم هو رغبه واراده اخفاء الحقيقه فليس غريبا عنهم أن يكتموا ما علموه من صدق نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا سلوك تمتد جذوره الي أجدادهم الذين اخبرنكم بالقصه كيف أنهم تلكوء عن تنفيذ أمر الله أن يذبحوا بقره فسبب التلكوء هو الرغبه في التستر على القاتل اخفاء الحقيقه وهؤلاء تلكوء عن تنفيذ أمر الله باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم رغبه في منع وصول الحقيقه للناس فاردوا أن يكتموا عن الناس ولهذا استعمل بعدها التهديد (والله مخرج ماكنتم تكتمون) فالله سبحانه وتعالى يهدد هؤلاء أن يفضحهم كما فضح أجدادهم فالأخراج بمعني الاظهار والاعلان لأمر خفيه مستوره فيحصل بظهورها كشف المستور كما قال تعالى (الابسجدوا لله الذي يخرج الخب من السموات والأرض)

اي ليظهره ويطلععه من مخبئه بعد خفائه والذي كانوا يكتمونوه هو الفاعل الذي قتل القاتل فقد قصدوا اخفاء الحقيقه بعدما علموها

يقول لهم عليكم المبادرة الي نشر حقيقه نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم فهم مهما فعلوا لن يستطيعوا إطفاء نور الله

٣

تنتقل النصوص الي بيان الوسيلة التي كان بها اخراج الحقيقه (فقلنا اضربوه ببعضها) ليكشف الله لنا عن أوجه قدرته تعالى ولهذا ذكر الأمر بالضرب ولم يذكر الجواب لأن الكشف عن قدرته في احياء الموتى بقوله (كذلك يحيي الله الموتى) تدل أنه حصل ضرب الميت فحصلت له الحياه

ولهذا جاء الخطاب فيه أقامه الحجه علي من ينكر البعث والنشور فأمرهم بالاعتبار بالقصه فيقول لهم أن هذه القصه تدل ان الله قادر على أن يحيي الموتى باي وسيلة

وان نقل الرسول صلى الله عليه هذه القصه لكم دليل علي صدق نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم لانه لا يقرا ولا يكتب ولم يجلس أهل العلم ويستحيل أن يعلم بهذا لو لم يكن القران من عند الله فهي آيات وحجج تدل على صدق نبوته(ص)

٤

ان المولي سبحانه وتعالى يريد أن يلفت انتباه المخاطبين الي أن إدراك الكيفية والماهيه حول اعاده الحياه بعد الموت هو سر من أسرار الله تعالى لا سبيل إلي معرفته في عالم الفناء

وان دور العقل البشري محدود بإدراك الدلاله والعظه من هذه القصه ليعود إلى الصواب فهي الفائدة الماخوذه من القصه

الوجه الثالث

تمضي سياق النصوص بسرد اثار الامراض والعلل التي أصابت قلوبهم من التعنت والتعجيز واخفاء الحقائق والا يات بعد رؤيتها بأنها اوصلتهم الي قساوه القلوب

فقال تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو شد قساوه وان من الحجاره لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشبه الله وما الله بغافل عما تعملون)

وبالوقوف علي الايه الكريمه نجد أن تطرح لنا قضيه قساوه قلوب هولاء من خلال الآتي

الأمر الاول

أنه طرأ عليهم بعد رؤية الايات والبراهين من أحياء الله الموتى ومعاينتهم الحجر يتفجر منه الماء ومشاهدتهم الجبل يندك حينما تجلي عليه الله فالاصل أن يحصل بها تاثير القلوب واناره للعقول لكن هولاء حصل لهم انفعالات وقتيه فلم يستمر التأثير فيهم ولهذا استخدام (ثم) التراخي اي ثم حصل ضعف من بعد ذلك وزال الأثر الذي شاهده وان زواله كان تدريجياً وحصل لهم ضعف في الرؤية لأن القلوب فقدت الحياه وصارت ميتة قاسيه جذباء قلوب صحراوية لا حياه فيها أصابها قسوه أعمتها وقلوب متحجره اشد من صلابه الحجار الصماء

الأمر الثاني

يخبرنا الله أن القلوب كلما ابتعدت عن الإيمان ازدت قساوه ولهذا ذكرت النصوص لنان الفرق بين هذه القلوب يكون بلانتقال القلوب من الصلابه الناتجه عن القساوه الي اشد صلابه لبيان ان القلوب تبتعد تدريجيا عن الإيمان

لتكون في مرحله من المراحل كالأحجار في صلابتها وبعدها تصير أشد صلابه من الأحجار فحصرت النصوص قساوه القلوب في هذه الصفات فاستعمل المولي سبحانه وتعالى (أو) وهذا ليس كما يتوهم البعض أن الله ذكره في خبر الشك فالله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك ولا يجوز القول علي الله ذلك وإنما ذكرت النصوص القلوب القاسية بأن أصحابها الذين كذبوا بالحق بعد ما شاهدوا الآيات هم كالأحجار في قساوه قلوبهم أو أشد قساوه فأراد أخبرنا أنها لا تخرج عن هذه الامثله بأنهم مثل الأحجار في القساوه والصلابة والجفاء أو أشد قساوه

الأمر الثالث

ان النصوص فيها لفت انتباه المومنون الي اهميه الوقوف علي انعام الله وعطفه وإحسانه وآياته برؤية قدره الله وعظمته وإبداعه وجماله وجلاله والشعور بوجوده لتزداد القلوب إيماناً ويحدث له الفاعلية الإيجابية في الحياه و الكمال ولهذا يحذرنا الله من سلوك اليهود في مقابله الآيات والنعم بالامبالاه أو الإهمال وعدم الجديه أو التبعث والتكذيب وجحود النعم والتكوء عن القبول بالحق والتحليل علي أوامر الله بهدف عدم تنفيذها كما حصل من اليهود لأن هذا السلوك القبيح يفقد فيه الإنسان إنسانيته فالله أخبرنا أنه عاقب الذين خالفوا أمره بأن جعلهم قرده وخنازير اي صاروا بهائم واخبرنا أنهم عندما تماردوا في سلوكهم فإنهم فقدوا الحياه فصاروا جمادا كالحجارة أو شد قساوه منها لبيان فقدان فاعليتها وان الحجاره قد يكون لها عذر لأنها جماد أما قلوب هولاء الناس فلا عذر لعدم فاعليتهم فالاصل أنها تتأثر بما تري وما تسمع من المواعظ لكن هولاء قد هبطوا إلي مستوي أقل مرتبه من الحيوان فصاروا جمادا ثم هبطوا الي مرتبه أقل من الجماد فقال تعالي (وان من الحجاره لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشيه الله)

والمعني أن من الحجاره مع صلابتها وقسوتها تتأثر بالماء الرقيق اللطيف فيشققها ويزيل ما بها من صلابه وقساوه وأما هذه القلوب فهي لا تتنفع بالماء النازل من السماء والآيات التي في الحياه فهو لا اقل من الجماد لانهم اغتروا بما لديهم وكأنه لم يأتيهم الحق لما في قلوبهم من غلاظه الإفهام والمروغه والجدل بالباطل

الأمر الرابع

كما أن التشبيه لقلوبهم أنها أقل منزله من الحجارة الجماد هو كما قلنا لبيان ان الجماد لها عذر أما هولاء لا عذر لهم من الاستجابة والتفاعل مع البراهين والحجج ولبيان أن فاعليته وحركته سلبيه لا يأتي بخير تمهيدا لقطع طمع المومنون بالتحاقهم بجماعه المومنين فالله يقول إن الحجاره يكون فيها فائده رغم قساوتها أما هولاء فلا فائدة ترجي منهم ولهذا يذكرهم الله بثلاثه أمور شاهدوا فيها كيف أن الأحجار استجابت لما أمرت فذكر المتفجر منها الأنهار... والمتشقق بالماء وا لهابط من خشيه الله

والمفجر مشتق من فجر الماء إذا ترك فارق من منبعه فالله يذكرهم كيف أن الله أمر موسى بضرب الحجر فانفجرت منه اثنتا عشر عينا والمتشقق يذكرهم بواقعه وحادثه معروفه لديهم كيف أن الجيل اندك عندما تجلي الله عليه وخر موسى صاعقا لكن قلوبهم قاسيه لاتلين قلوب مصابه باليبس وانقطاع الصله بينهم وبين الله فصورت النصوص لنا أن الجماد له ارده فهو يخضع لأمر الله مثل قوله تعالي (فوجدا جدار يريد أن ينقض)

لبيان ان مصدر الضعف لدي هو الارده وفقدان العزيمه والهمله وأنها هي التي تسببت بقساواه القلوب لانه فقد الطاقه التي تدفعه نحو القيام بأمر الله والسبب هو عدم محاسبه النفس وتربيتها ولأنقطاع الصله بينهم وبين الله فقال تعالي (وما الله بغافل عما تعملون)

واصل الغفله من السهي والنسيان فالله يهدد هولاء بأنه مطلع علي أعمالهم الظاهره والخفيه وهو محصى وحافظ وسوف يحاسبهم علي أعمالهم فاصل الشر يعود إلي الجهل والغفله والغني لأن الجهل يصيب القوه النظرية

العلمية...بينما الغفله تصيب القوه الارديه الطلبيه وان اشد قساوه تصيب القلوب هو النظره الماديه للحياه فهذا وان كان عالما فإنه لاينتفع بعلمه لانه ينظر للأشياء من زوايه الشهوات والملذات ويحاول الحصول عليها باي شكل فالعلم اذا لم يتصف بخشيه الله فلا يكون علما ومن لم يراقب الله ويحاسب نفسه بالشعور برقابه الله وأنه سوف يحاسب علي أفعاله فهناك يوم القيامه فهذا لا يكون مومنا ولاتطمع في إيمانه أو أن يلتحق بموكب المومنين لأن المومنين كانوا ينظرون إلي مساله أن اليهود يومنون ب الله وبالبيوم الاخر فكان ذكر الايات توطئة لقطع تلك المطامع عنهم كما سنري في المقطع القادم

المقطع الرابع من الجزء الأول من سورة البقرة

ابتداء هذا المقطع بقوله تعالى (افتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون* وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون* أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون* ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب إلا امانى وان هم إلا يظنون* فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون* وقالوا لن تمسنا النار إلا اياماً معدودة قل اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده ام يقولون على الله مالا يعلمون* بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون* والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون)

إن المتأمل للسباق يجد أنه يتوجه إلى المؤمنين والرسول (ص) بعد ان ذكر الله سبحانه وتعالى احوال بني إسرائيل مع موسى عطفاً على قصة آدم وتكريمه بالعلم وإسجاد الملائكة تكريماً وتشريفاً لآدم بالعلم وما قض علينا من ان الأرض ستكون ساحة المعركة والعداوة والصراع بين الحق والباطل بين الخير والشر بين آدم وإبليس.

وختم الله هذه القصة بقوله (فما ياتيكم من هدى)..إخ فذكر الطريق الناجح والفائز الذي يأخذ منهج الله ودينه وذكر اصحاب النار الفريق الخاسر.

فالنص هنا لتقرير عدة امور اولها لتقرير جنس ما يعن به الرسول (ص) من الهدى ودين الحق... ولبيان المعركة بين الحق والباطل واطرافها.. المؤمنون المهتدون وفريق الكفار المكذبون.. وان للخير مدرسة واهداف وغايات وأفكار وتصورات وهي عبادة الله ومحبته ومعرفته والقيام بالخلافه.. وهذه المدرسة تسمى مدرسة الإيمان.

وان الاطباء الذين يقومون بإستصال الامراض من الأمم هم مرسلون يرسلهم الله وهم الانبياء.

وان الشر له افكار واهداف وغايات واعوان وجنود زعيمهم الشيطان والمعلم في هذه المدرسه هو ابليس اللعين ان صدقته

وعطف عليها بذكر قصة بني اسرائيل وأحوالهم مع نبي الله موسى عليه السلام فتناول أباطيلهم وإنحرافهم وفساد عقائدهم وتصوراتهم وجحودهم لنعم الله وعصيانهم وكيدهم وتحايلهم على شرع الله والجهالة والجدل والخبث واللؤم والطفغان. وجفاوة القلوب وقسوتها

برغم ان هنالك فتره زمنية طويله بين آدم وبعثة موسى عليه السلام فقد تخلل تلك الفتره الاف الاجيال ثم عطف بقوله (افتطمعون) وهذا لبيان الاتي:

1- إن هذه الصورة من حياة البشريه على الأرض نموذج متكامل لمن ينتمون إلى مدرسة الشيطان الذين فقدوا الا حاسيس والمشاعر وانحرفوا عن طريق المؤمنين فهؤلاء تسلط عليهم الشيطان واصبحوا عبيد له فلا تؤثر فيهم الا يات وقلوبهم قاسيه اشد من جفاء وقساوة الأحجار.

2- ان الإسلام هو الوريث للاديان من آدم إلى بعثة الرسول (ص) ولهذا فقد خاطبهم الله بهذه النصوص ليضع لهم قواعد الانفتاح على العالم وبين لهم الاساس والاهداف التي ينبغى تحقيقها وماهي الوسائل المستخدمه لتحقيق المراد منهم..

المحور الأول:

ابتدأت بالخطاب الموجه الى الرسول (ص) والمؤمنون (أفتمتعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون)

فلاستفهام الذي استهلته به النصوص الهمزه اتت لتقرير حكم وهو النهي عن الطمع في اقناع اليهود بالالتحاق بجماعة الايمان مع تبين العله (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله)

فالنصوص ترسم لنا واقع المسلمين والرسول (ص) في تلك الفتره الزمنيه من حيث انهم قد حملوا على عاتقهم الدعوه وتطلعوا إلى نشرها فالنصوص تبين الاتي:

1- ان المسلمون كانوا يطمعون باقناع اهل الكتاب بدعوة الإسلام ويطمعون ان يصدق هؤلاء بدعوة الرسول (ص)

2- ان المسلمون تعلقوا بذلك فأرادوا حصول ذلك بصيغة الطمع التي هي اشد من الرجاء والرغبه

3- ان ذلك الطمع كان مبرراً وقائماً على وجهه نضر معقوله باعتبار ان اهل الكتاب بنظر المؤمنون اقرب الناس الى ا لإيمان لأنهم يعترفون بالبعث والوحي .. وان هذه الرابطة الروحيه تجعلهم اقرب الناس إلى المؤمنين لأنهم ينتمون إلى اديان عريقه ولهم كتب سماويه.

فجاء التحذير للمؤمنين من ذلك الطمع لتحذيرهم من هذا التعلق بإيمان هؤلاء السفله العصاة القاسية قلوبهم بالا لا تحاق في جماعه المؤمنين فهؤلاء مئوس منهم فهم قد سمعوا كلام الله التوراة كما سمعها موسى وشاهدوا الايات الحيه والخوارق ولكنهم لم يصدقوا بموسى ولم يؤمنوا فكيف لهم أن يؤمنوا برسالة الإسلام الذي فيه الاخبار عن الغيب من ان جحودهم كان بعد فهم وتدبر التوراة والعلم بأحكامه وليس عن جهل او خطأ بالفهم اي ارتكبوا ذلك عن علم ودرايه وبالرجوع إلى النصوص ومدلولاتها نجد انها اتت بالعديد من القواعد وبينت العديد من المسائل الهامه في بناء الدوله والاشاره لها كالتالي:

الأمر الأول: واقعية الرساله وانسانية الرسول (ص)

ان التحذير الإلهي "افتمتعون" موجه للرسول (ص) وللمؤمنين.. فيه عدة مسائل:

الأولى: بيان ان الرسول (ص) والمؤمنون يطمعون في اقناع اليهود بالإيمان والتصديق بالرسول (ص).. يطمعون لذلك بشغف وتعلقت انفسهم بادراك هذا الأمر بقوه شديده تفوق الرغبه والرجاء وهذا فيه:

1- تمتع الرسول (ص) بخصائصه الانسانيه فهو بشر لديه احساس ومشاعر واحلام ورغبات وتطلع فهو ليس ملك ولا يدعي ذلك وانما الفرق بينه وبين البشر انه يوحى إليه.

2- ان اهمية بقاء خصائص انسانيه وبشرية الرسول في غاية الأهميه لأن الرساله لا يمكن ادراكها الا من خلال شخصية الرسول (ص)

الثانيه: ان اهمية الحفاظ على المشاعر والانفعالات النفسيه من الانحراف امر متعلق بنجاح الدعوه وانتشارها.. لا ينطوي ذلك بمسأله واقعيه الرساله فهي كلما كانت واقعيه كتب لها النجاح.

ولهذا نجد ان الخطاب يغوص في اعماق النفوس ويطهرها من الانحراف في المسالك الخياليه البعيده عن الواقع فخروج النفس والعقل للداعيه عن الواقع يجعل منه غير صالحاً للقياده ومنعزلاً عن الحقيقه والواقع فقال تعالى (أفتمتعون ان يؤمنوا لكم) فاراد بذلك التهديد

الثالثه: يحذر من مسأله الطمع من اقناع اليهود بالايمان لأن هذه المسأله غير واقعيه من جهه.. فهؤلاء اي اليهود ليسوا اهلاً لاستقبال نور الإيمان.

فالنص جاء لازالة وجه النظر لدى المسلمين التي بنوا عليها تطلّعهم اي إيمان اليهود لأنهم يؤمنون بالبعث وبالوحي بانه لا مطعم من إيمان هؤلاء من الاساس لان للإيمان طبيعته أخرى وهؤلاء يفتقرون لطبيعة الإيمان فهم كانوا يسمعون التوراة ويفهمون احكامها يقصد الاحبار والعلماء ثم يحرفون كلام الله ويغيرونه.. فكيف يتصوروا ان يلتحق هؤلاء بجماعه المؤمنين ويؤمنون بالقرآن وهم قد حرفوا كتابهم التوراة فالنصوص ترسم اوضاع اليهود بأنهم:

1: لا يتأثرون بالأديان ولا يتفاعلون معها ولا يقبلون بها فهم مجتمعات منغلقة على نفسها ويستحيل الاستجابة منهم

2- ان هؤلاء قد عطلوا وظيفة الدين الاساسيه في التغيير فهم لا يتأثرون بايات الله الحسيه الظاهره ولم تحدث فيهم اهتزاز وان حدثت فهي مثل تلك الاهتزازات على السطح فهذا النوع اهتزاز للاجزاء دون الانتقال الى الاعمق عماق النفس الذي يهز جميع الاجزاء رغم ضخامة الايات الحسيه فكيف تتصورون ان يطراء على هؤلاء تغييراً في الفكر و الدين لديهم ويقبلون بدعوى الاسلام والايات القرآنيه التي سمعونها مع جفاوة وقساوة قلوب هؤلاء وطبيعة الانغلاق لديهم فقال تعالى (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) ذلك ان عوامل تكوين الفكر و الدين وما يطراء عليه من تغييرات انما تعود إلى فهم الدين وتنفيذ أحكامه.. وهؤلاء قد فهموا التوراة ولكنهم لم ينتقلوا الى التنفيذ المطلوب منهم بل تعمدوا المخالفه لاحكام ايات الله ومنهجه.

المسأله الرابعه:

ان الإسلام يخبرنا ان العوظف والمشاعر النفسيه لها أهميه كبيره في اداء الدين لوظيفته.. وان عدم الاهتمام او الاهمال برعايه الانفعالات ووضعها في اطارها السليم ستشكل خطوره على جماعة الإسلام إذا لم يتم الإنتباه لها. فالإسلام يريد بناء الشخصيه والأمه القادره على احداث التغيير لا امه منفصله عن الواقع.

فوظيفة الدين الهامه في التغيير تكمن في قوة الدفع عن المجتمعات اسباب الانهيار.. وتوجيه المجتمعات إلى حسن استخدام القوه التي تحافظ على كيان الأمه وتحصل الجماعه الإنسانيه فيها علي الحيويه بأن تخضع النزعات الغريزيه لأحكامه لتكون قويه ومستقيمه لكي تكون الحياه مستقيمه ولهذا فلا بد من إخضاع الغرائز لقانون الله الذي يتوافق مع الطفره البشريه والمنطق ولهذا تتولاها بالرقابه.. فإذا كان علماء وأحبار اليهود الذين هم النخبه ينبغي أن يؤثر فيهم العلم بالتوراة مما يحدث فيهم من الخشيه والرهبه من الله لم يتأثروا فكيف ب العوام.

ولهذا يخاطب الله المؤمنون أنه يجب عليهم مراعات الأمور المتعلقة بقوة التطلع والانفتاح على العالم ما يلازم الاهتمام بالمشاعر والعواطف والحفاظ على هذه القوى على الدوام لان هبوطها تعني فقدان الحيويه وتبديد الافكار.

فالتطلع لاحداث التغيير امر مطلوب ومهم ولكن هذه القوى تحتاج إلى مقاييس ومراعاة للعوامل المؤثره على مكوناتها فهي ترجع إلى الإنفعالات والعواطف والمشاعر والأحاسيس المؤثره.. وهذه الأمور إذا لم تكن واقعيه فإنها تفسد الحاله النفسيه للمرء بما تحدث من إنعكاسات جوهرية مؤثره تأثيراً سلبياً في إحداث التغيير إذا لم يتم المراعات فيها فالتطلع المحض يكون لها تأثيرات معاكسه على الجانب النفسي للمجتمعات وعلى أهداف الأمه وقدرتها على إدارة الصراعات مع الاعداء.. فالتطلع يتطلب الإهتمام بالمقاومه المانع من إحداث تأثيرات معاكسه لفكرة التطلع.. ولهذا فإن الطمع والتطلع المحض الذي لا يستند الي مقدمات ومؤشرات واقعيه يشكل ازمه عاصفه بالأمه ينتج عنها الإغترار بالقوه وسوء التقدير للحقائق ويعطل الإبداع ويشل الحيويه والقوه النفسيه بتكوين صورة خاطئة في الذهن تقود إلى الفشل الذريع في الخطط والبرامج لأنها وضعت بناء على تقديرات خاطئة.

ولهذا نجد أن الله تعالى بين لنا العله المانع من إيمان هؤلاء لأجل ضبط إنفعالات النفس وعواطفنا (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله)

المسأله الخامسه:

ان الله يخبرنا أن التطلع إلى التقدم والمضي والإنفتاح مع الآخرين مطلوب ولكن ينبغي الحذر من الآثار السلبيه بإفراط في إستخدام هذه القوه في غير محلها وإن اللازم ضبط الإنفعالات والعواطف لتكون منسجمه مع الواقع وبعيداً عن الخيال.

ذلك أن الله سبحانه قال في شأن أسباب ذم الشعراء أنهم يخلقون لأنفسهم واقعاً من الخيال ولا يوجهون الحقائق فهذا هروب وهم يفقدون قواهم الصبر وقوة التحمل.

فجاء الإستثنا من سورة الشعراء الا الذين صبروا) لبيان أهميه مواجهه الواقع وإستشعارالتحدي وتحمل المسئوليه.

ذلك أن الإنفعالات الغير واقعيه تؤدي إلى تكوين صوره مغايره للحقيقه والثقه بمن ليسوا أهلا لها وتظهر المؤمنون بمظهر السذج الغير قادرين على مواجهه التحديات فيقعون في الافخاخ التي وضعها الأعداء قال تعالى (لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يلوونكم خبالاً)

فالإندفاع الغير مدروس تحت شعار الإنتقال من العمل المحصور إلى الفضاء الفسيح تكون له آثار وخيمه على الأفراد والمجتمعات والدوله.

فلابد من فهم الواقع وأحوال المستهدفين لوضع النقط على الحروف وإستخدام الوسائل المتاحة بما ينسجم مع الواقع لتحقيق الغايات والأهداف.

الأمر الثاني:

ان الله تعالى ما حذر المؤمنين من طمعهم ذلك الا بعد ان قص عليهم احوال بني إسرائيل وما كان معهم مع موسى من الجحود والمكابره ونقض العهود لبيان الحذر من هذا السلوك فهذا طريق المغضوب عليهم فقال تعالى " أفطمعون " جاء عطفاً على ما قبله من جمل كان آخرها (ثم قست قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجاره) وإستنكار الله الطمع لأنه طمع من غير مطمع.

والفاء جاءت متأخره عن متقدم وهو الإستفهام لأن المراد ذلك انكار للواقع.

ولأن الفاء مفصحه عن شرط متضمن ما كان من هؤلاء من الجحود والكفر..

فالله يخبرنا أن هذا المجتمع منغلق على ذاته وان حياتهم تشكلت على الاخلاق السلبيه فهي تستند إلى فكرة السلاله فهم لا يريدون التطور وحركتهم حركه دائريه لا تخرج عن نطاق دائرتها وتحرك في مكانها لأن الغرائز اصبح لديهم أهداف غايه تسيطر على أحوالهم .. وأخلاق هؤلاء غير قابله للتقدم لأن المذهبيه الفكرية التي كونت أفكارهم تعود جذورها إلى الذل والمهانة التي عاشوها في مصر ايام الفراعنه فكل ما لديهم مرتبط بتاريخهم القديم ذلك فهم لا تؤثر فيهم الإنفعالات وإن حصلت سرعان ما تزول لأن هؤلاء وضعوا لأنفسهم أهدافاً تنبع من طبيعه الافاق الضيقه لديهم.. فهم لا تؤثر فيهم شعلة الإنفعالات فكيف يستعيد هؤلاء الحياة المتوهجه وهم قد قتلوا (الانبياء والصالحين) الذين كانوا بمثابة المحرك الذي يغير الانفعال لاستعارة الحياة وقابلهم بالتعصب والقتل كما ذكر الله في القرآن

فقال الله تعالى (أفنتطمعون أن يؤمنوا لكم) بأن هؤلاء السفلة لا مطمع في إيمانهم.

الأمر الثاني:

ان الله تعالى ما حذر المؤمنين إلا بعد أن قص عليهم احوال بني إسرائيل وافكارهم والبيئته التي نشاوا فيها ووضح عوامل تكوين الفكر لديهم.

وبين لنا كيف أن المجتمع الإسرائيلي منغلِق على ذاتها في الاخلاق السلبيه التي شكلت حياتهم وأن الحركه الاخلاقيه لهم تستند إلى فكره السلاله فهؤلاء لا يرغبون بالتطور وحركه هذا المجتمع هي حركه دائريه لا تخرج عن نطاق دائرتها وتتحرك في مكانها لأن الغرائز أصبحت لديهم مسيطره على أحوالهم.

فاخلاق هؤلاء اخلاق سكون تستند إلى ذهنيه فكريه موقعه أفكار مدعيه منذ حياتهم في مصر واي ثوره من حياة الذل والمهانه فهي بكل مالمديهم مرتبط بتأريخهم القديم فهم لا تؤثر فيهم الانفعالات.

وإن حصلت مسوغات ما تزول.. لأن هؤلاء الافق لديهم ضيق فهم متقبلون النيه الذي هي غايه المحرك الذي تثير نار الانفعال حتى تستعيد الحياه والتوهم وهؤلاء هم الأنبياء والصالحين وقد قابلوا بالتعصب والفسق كما ذكر الله في القرآن وقتهم وأحوالهم.

فأخبرنا الله ما كان منهم من الجحود والتكبر والغي في ذكر قوله تعالى " أفنتطمعون "

عطفاً على ما قبلها من جمل كان آخرها " ثم قست قلوبهم " فاستنكار الله الطمع في إقناع هؤلاء بالاتحاق بموكب المؤمنين لأنه طمع في غير مطمع.

فأجاءت متأخره في متقدم وهو الاستفهام لأن المراد في ذلك انكار الواقع ولأن الفاء مفصحه عن شرط متضمن ماكان من هؤلاء من الجحود والمكابره والكفر ولهذا نجد ان النصوص تبين أن أسباب تفكيك اخلاق الطاعه والقيمه لديهم انما تعود الى الاتي:

السبب الأول:

انحراف العلماء والاحبار والرهبان ومن يمتلكون القرار السياسي حيث يتامل نصوص القران في تحذير المؤمنين من الطمع في اقتناع اليهود ذكرت أنه لا مطمع في هؤلاء وبينت العله " وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه "

فالنص بين ان من ارتكب الجريمه هم الذي نظر إليهم انهم مستودع الاخلاق.. من ينظر إليهم انهم المحرك و الباعث لاثاره احاسيس الامه كي تعود إلى الحياه اذا ما تعرضت لغفله او موت.

فما هي البواعث التي جعلت هؤلاء العلماء يرتكبون الجريمه؟

1- انه بالنظر إلى النظام السياسي الذي نشاء بعد موسى عليه السلام والمجتمع الذي تكونت منه الطبقات لدى بني إسرائيل نجد انه تكونت طبقة العلماء والاحبار واصحاب الرياسه وطبقة العوام

2- ان هؤلاء العلماء قدموا المصلحه الخاصه على المصلحه العامه فأساس هؤلاء نظاماً عنصري طبقي كانت مادته هي التقسيم لطبقات المجتمع

3- ان هذا النظام قد ادى إلى سعي الطبقة العليا إلى تكريس الاستبداد بأسم الدين وتكوين قداسيه للنظام الطبقي وابناء العقليه التي ترى ان هؤلاء يستمدون القوه من الله والسيطره والحكم والرياسه بانواعه من الله تعالى

ليجعلوا لهذا النظام قداسه من التفوس.

4- ان مشاهدة الافكار التي طغت على عقلية بني إسرائيل تعود إلى ما غرس في نفوسهم من الجبن والذل وكتافه الحس المادي وغلظه القلوب كما ذكرنا في المقطع السابق لحصول تسرب تلك الاخلاق الفاسده إلى المناطق الداخليه لنفوس بني إسرائيل الوثنيه الفرعونية على حساب القيم التي جاء بها يوسف عليه السلام.

حيث أنه بعد موت يوسف سلبت أمة اليهود مكانتها وجردت من كل الحقوق واصيبت بالهزيمة أمام الوثنيه وقبلت بالانسحاب من حركة العمل وتخلت عن الدور الذي طالما لعبه يوسف عليه السلام من اشاعة الحريه و الدعوه إلى القيم الدينيه التي تودي الى دور التكامل بين تحقيق المطالب الدنيويه والاخرويه.

وغرس مبداء اختيار الاكفاء والامناء في المناصب والمساهمه في بناء الامه من خلال النضال والكفاح في سبيل سيادة الشرع والقانون ونيل الحريه وغرس مبداء العدل والمساواه والحقوق في كيان الأمة ووجدانها.

فقد ناضل يوسف عليه السلام ودخل السجن ولم يتنازل عن ادمياته وقيم الايمان فعندما وقع في مازق الاختيار بين ارتكاب الجريمة او السجن اختار السجن فقال "رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه"

فالكفاح والنضال وتحمل الاذى في سبيل الله والثبات على المبادئ والقيم اغلى واعظم من العيش في الرفاهيه بحياة الذل والمهانة لأن التراجع عن القيم والتفريط فيها تحمل في حقيقته لامر الموت والضعف القاتل.

لكن الصمود والثبات تصنع الرجال ولهذا نجد أن سيدنا يوسف بالثبات والصمود استطاع الوصول إلى ما وصل إليه وصار عنصر فاعل وساهم في صناعة الخلاص ومشارك في القرار السياسي في مصر.

لكن الوضع تغير بعد موت يوسف عليه السلام :

حيث أن بني إسرائيل وقعوا في مازق الاختيار بين الثبات والصمود على المبادئ والقيم والنضال والكفاح لا سترداد الحقوق مثلما كان كفاح يوسف وبين الخضوع للقهر السياسي والاقتصادي والاجتماعي والاندثار في جحور الظلام والذل والمهانه.

فقد اختار هؤلاء حياه الابدان على حياه الارواح.. اختاروا الخضوع والقهر السياسي مقابل البقاء والعيش في ذل واهانه.

وقد ترتب على ذلك الاتي:

المسأله الأولى:

ضعف روح الدين لديهم.. وسكوت العلماء وقعودهم عن القيام بدورهم في مواجهة المستبدين.

حيث كان التضحية منهم بالشريعة الدستوريه وسيادة الأمة التي استطاع يوسف عليه السلام وضع اساسها وقواعدها في الدوله العميقه المصريه ووصل إلى منصب عزيز مصر لأجل ان يكون اتاحة المجال له لنشر التوحيد والإيمان والاخلاق وقيم الامه وقد استدعاء اخوانه واهله ليعيشوا في مصر لأجل أن يستعين بهم في خوض معركه استكمال مشروع التحرر والتغيير الذي كانت حركة يوسف عليه السلام فيه بالتوازن بين مشروع الدعوه إلى عبادة الله وقيم المساواة والحريه والعدل وسيادة الأمة وحفظ الحقوق والوحده والشورى وبين الحضاره و العمران والتحسين في بناء الأرض باستخدام الوسائل المتاحة للبناء والصناعه والزراعه.

وتقديم المشاريع العمرانيه بصوره علميه بالاستفاده من طاقات الشعوب للمساهمه في النهضه والتقدم فقال يوسف " اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليهم"

فهو جعل معيار التعيين والاستعمال في المناصب الامناء الذي لديهم الكفاءة.. ونجد انه طلب السلطه مع انه لا يجوز في ظل النظام الاسلامي ان يطلب الانسان لنفسه السلطه.

لكن الحاله هنا تختلف لأن النظام الذي انطلقت منه حركة التغيير التي قادها يوسف عليه السلام لم تكن تخضع لشريعة الله فقال الله "وكذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك" فالنظام كان له قانون ارض وليس شريعة بني إسرائيل بناء على ما ذكرت الايه.

ولهذا كانت نقطة الانطلاق الاساسيه التي ابتداء بها يوسف النضال السياسي هي إزالة العصبية السياسيه التي تحول دون تحقيقها.. ولكن بني إسرائيل ضحوا بكل المكاسب التي حققها يوسف وتخلوا عن الاهداف وتراجعت ثقافته لديهم إلى الوراء لدرجة أنهم صاروا في قطيعه تامه من حيث العلاقه التي تربطهم بالرساله والكتب السماويه والانتماء إلى يعقوب عليه السلام.

فقال تعالى " حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا" فقد تصور الفراعنه انه لن يبعث رسول من بعد يوسف عليه السلام ولهذا اقبلوا يمارسون كل أصناف العذاب والبطش ضد بني إسرائيل.

وقد قابل اليهود ذلك بالرضوخ والتضحيه بالشريعته الدستوريه وبالعداله والحريه وتنازلوا عن الحقوق وقبلوا القهر السياسي.

واخبرنا الله في المقطع السابع أن بني إسرائيل كانوا بحاجة إلى إعادة تشكيل العقول وصياغة النفوس لتكون الأمه قادره على تجاوز آثار الاستعباد الطويل في مصر فكانت مهمه موسى إلى فرعون هي دعوته إلى التوحيد وان يرسل معه بني إسرائيل.

المسأله الثانيه:

ان العيش في الذل طويلا ً في مصر قد افقدهم قيم التوحيد والمساواة والحريه حيث ادى الاستعباد الطويل وا لاذلال إلى قتل مركز الإحساس لدى هؤلاء فأصيبوا بالبلاده والغباء وعدم التأثر بالأيات الظاهره ولذلك عبدوا العجل ورفضوا دخول المدينه كما امرهم موسى

السبب الثاني:

انتقال ثقافته الوثنيه الاستبداديه المصريه إلى العقليه الإسرائيليه حيث ان حالة المعاناه والاستبداد التي عاشوها في مصر شكلت قيوداً واغلالاً ً مورثه لدى اليهود.. لأنهم لم يتحررو من مسألة الذل والمخاوف على المستقبل و التعلق بالحياة والحرص عليها فهم وقعوا في العبوديه والذل لأنهم فضلوا الحياة والعيش على مقاومة الاستبداد.

وهذه الامراض استمرت مغروسه في قلوبهم ووجدانهم وعقولهم.. ولهذا يخبرنا الله تعالى ان سبب اختيار هؤلاء لما هو ادنى من الطعام انما يعود إلى فساد النفوس والعقول التي اعتادت والفت حياة الذل والهوان " وضربت لهم الذلة والمسكنه".

ولهذا فإن هؤلاء لا يرغبون في قيم الحريه والمساواة فهم أن منحوا الحريه افسدوا وتمردوا ويقتلون الانبياء و المصلحين لأن نفوسهم اعتادت حياة العبوديه فلا تخضع الا بالقوه.. وعقليه الحقراء الذين اعتادوا حياة الذل.. تلجاء على الدوام الى فلسفة التبرير وتعيش بتلك العقليه.. فذكر الله تعالى اختيار هؤلاء وتفضيلهم الطعام الأدنى على الذي فيه الخير شاهداً على وجود عاملاً ً في داخل هؤلاء يمنع القوه الروحانيه الدافعه الساعيه إلى الخروج من ازمات الجبن والذل.. ويجعلها تنصف بالجمود وتتعتل ادواتها عن أداء دورها وتجعلها تتخلى عن القيم العلياء لأن حب الحياة العاجله يدفعها إلى الاستمرار في حياة الذل والعبوديه فروح الحياة قد اصابها الموت نتيجة الاستعباد الطويل فلا إرادته ولا عزمه لدى هؤلاء لمقاومة الاستبداد بل صاروا كأنهم مجبورين على الا

انحناء والخضوع.. وهم يسعون إلى تكريس ثقافة الانهزام والانسحاب من معركة الحياة وجذور هذه الثقافة تعود إلى ما غرستها ثقافته الوثنيه السياسييه المصريه في نفوس هؤلاء اثناء الاقامه في مصر لهذا استحقوا البغض الإلهي.

ولعل التاريخ المعاصر شاهد على ما احدث الاستعمار باشكاله في المجتمعات المسلمه وكيف نشاء لدينا اجيالا * ومجتمعات اصابها الضعف القاتل في المعتقدات الدينيه نتيجة ثقافة الاستعمار

وان من خطوره اثار حياة الذل والعيش في ظل الاستعمار هو أن يحدث اصابه العلماء والمتقون بعدوي ثقافة الاستعمار فعندما يصبح اصحاب القرار السياسي مصابون بذلك المرض فانه وإن حدث التحرير فإن المرض ينتقل إلى المجتمع ما بعد التحرير والله يخبرنا ان هذا الانحراف قد كان من فريق العلماء والاحبار (وقد كان فريق منهم) وفساد العلماء يترتب عليه هلاك الرعيه.. وهنا تكمن المصيبه.. لان نظر الناس إلى الرهبان والاحبار بأنهم مستودع الأخلاق والمعرفه والفهم لما جاءت به الكتب السماويه وكان هؤلاء يدعون الناس إلى التسامح والرافه وتبادل العون.. ولكنهم لا يامرون انفسهم بتلك الأخلاق ولهذا قال تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم).

فقد احتكروا فلسفة التغيير الديني والفلسفه الفكرية بأيديهم في كافة المجالات في السياسييه والاقتصاد والحكم والشئون الأسريه والاجتماعيه والتاريخيه ولهذا فان جذور تفكيك أخلاق العامه لدى اليهود وتقليل القيم الدينيه تعود إلى الأتي:

ان الإنحراف لديهم تعود جذوره إلى فساد ادوات التلقي لديهم للمعلومه والمساعده على تحريك البواعث للحركه فالله يخبرنا أن هؤلاء كانوا يسمعون كلام الله وهم اهل علم فتخبرنا الآيات ان الاستماع والتلقي لم يكن من مؤه لا لاستقبال الوحي فهم لم يكون يتلقون كلام الله بالاستعظام لله تعالى ولم ينظروا انه منزل من عند الله.. وان ذلك التلقي لم يحظي بالجد والاجتهاد والقبول.

فأشار الله تعالى ان ذلك منهم كان "من بعد ما عقلوه" إلى البعد المعنوي بين ما سمعوه وعقلوه وتدبروا وفهموا وعرفوا الغايه وهذا يدل على فساد قلوبهم وعدم تعظيمها لكلام الله تعالى والا لما اتوا بالعصيان بعد توكيد الحجه عليهم بالإيمان والتوثيق والبرهان ولهذا قطع الله على المؤمنين ان يطمعوا في إيمان بقايا نسلهم بما اتاهم الله من البشارات بالنبى (ص) والعلامات في التوره.

فالنص فيه ان هؤلاء قد جاءهم موسى بالمعجزات الحسيه الباهره فلم يتأثروا فكيف تطمعون في تصديقهم اياكم وانتم تخبرونهم بآيات القرآن عن غيب لم يشاهدوه ولم يعاينوه.

فإذا كان هذا هو شأن النخبه من بني إسرائيل الذي سمعوا من الله كلامه واوامره ونواهييه مثلما سمعها موسى اشارة إلى الفريق الذي اختارهم موسى لمناجاة الله بالمقيات السبعين رجلا والذين قالوا لموسى ارنا الله جهره فيقول وكيف تتصورون حالهم وهم يسمعون القرآن سمع منكم وذلك لأن الرسول (ص) دعاهم إلى الهدى وهي دعوة جميع الرسل التي قررتها الآيه (فما ياتيكم من هدى)

والله يقول لنا أنظروا إلى ماضي هؤلاء تجدون:

1- انهم لم يقبلوا بدعوة موسى عليه السلام فيقول للمؤمنين كيف لكن أن تطمعوا بإيمان هؤلاء وقد اخبرتكم ماضي إسلافهم الذي يتمسك به إلحاضرون.

فهؤلاء قد كذبوا موسى وتعننوا ولم يؤمنوا ولم يصدقوا موسى عليه السلام الذي كان منهم من بني إسرائيل ورغم الآيات الواضحه والباهره الحسيه التي جاء بها موسى من العصاء واليد البيضاء وقلق البحر وإخراج الماء من الحجر...

2- ان هؤلاء يستحيل الاستجابة منهم لدعوة الاسلام فقال تعالى (ان يؤمنوا لكم) واللام في لكم للتحدي لأنها تتضمن نفي الاستجابة منهم والمعنى لا تطمعون أن يستجيب لكم هؤلاء السفله الجفاه القاسيه قلوبهم فهم ميئوس من ايمانهم لأن ما كان منهم في الماضي من الجحود وهو مواقف الحاضرين وما سيكون منهم.

3- يخبرنا الله إستحالة إيمان هؤلاء والتصديق بالقرآن وبرسالة الإسلام وينهى المؤمنون عن الطمع في إيمان هؤلاء بالقرآن عن طريق النظر والاستدلال بالآيات الكونيه والتدبر لآيات القرآن فيقول لنا كيف تطمعون في إيمان ناس قد حرفوا التوراة بعد ما شاهدوا الآيات الحسيه وسمعوها كما سمعها موسى عليه السلام وقالوا "ارنا الله جهرة" وعقلوا التوراة وفهموا احكامها ومع ذلك حرفوها "وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون" فهؤلاء كان التحريف منهم لتشويه ما سمعوه وإفساد الحقائق بعد الفهم والظبط والعلم وهذا فيه الأتي:

المسأله الأولى:

ان هؤلاء اتصفوا بالشقوة والحسد والذل فشكلت هذه المسأله قوه مانعه من التأثر وتحريك الإحساس لديهم بآيات الله فهم ينقضون العهود ويكابرون حتى صارت مع الزمان نفوسهم مطبوعه على ذلك فأدى ذلك إلى تغلل اوصاف الحقاره والدناءه والجحود والكذب والنفور والتبس الحق بالباطل ومخالفة القول للعمل صارت غريزه في نفوسهم ولهذا فكيف يصح بعد هذا أن تطمعوا بإيمانهم.

المسأله الثانيه:

مخاطباً الله ان هذا الانحراف منهم كان من بعد "ما عقلوه" لبيان سوء القصد لدى هؤلاء لأن الضمير عائد على العلماء بقيامهم بالتحريف من بعد ما عرفوه فالتزيف كان من قبل شخص مدرك وفاهم لا بطلال المعاذير من حصول سوء الفهم للمعلومه لان الحكم يحتاج الى معلومه واحاطه بالمسأله من جميع جوانبها ويحتاج حسن الفهم والا دراك للمعلومه.

ف الله يخبرنا ان إقدام هؤلاء على التحريف كان من اناس عارفين مقاصد النصوص والغايات منها.

فالتحريف كان مقصوداً منهم لتضليل و صرف الفريق الآخر من الناس عن الحقائق حتى لا يدركوها.

المسأله الثالثه:

يخاطبنا الله بفظاعة الجريمه وشناعة الفعل باستعمال الضمير "وهم يعلمون" لتأكيد سوء النوايا لدى العلماء والا حبار وسوء المقاصد باقدامهم علي التحريف.

فهم يفعلون اعمالهم السئيه في حالة العلم بالصواب واستحضاره لا انهم كانوا في زهول او نسيان والنص ينفي العذر والخطاء والنسيان ويؤكد علمهم ورغباتهم وادراكهم الفسوق والعصيان.

المسأله الرابعه:

ان النصوص عن التحريف تضمنت بيان حقيقه وإن القائمين بالتحريف هم علماء بني إسرائيل فهم الذين غيروا وبدلوا والنص ابتداء بذكر اللؤم على جميع بني إسرائيل بمن فيهم الذين لم يشاركوا في الجريمه ولم يسمعوا..

فقد يقول قائل كيف يكون اليأس من إيمان اهل الكتاب كلهم؟

الجواب ان الفريق الذي لم يسمع ولم يقوم بالتحريف قد قبلوا من العلماء التحريف ورضوا به وصدقوا ما اخبرهم المحرفون.

حيث انهم صنعوا من الاحبار والرهبان اصناماً تعبد من دون الله عندما نظروا اليهم انهم مستودع الاخلاق والفهم لما تحتوي الكتب السماويه وقبول الخضوع والذل فأدى ذلك إلى تكوين طبقات في المجتمع قسمت امة اليهود إلى طبقة العلماء والرؤساء والاحبار والرهبان الذين صاروا محتكرون سلطة التعبير عن الدين ووضع الفلسفه للا مه بايدهم.

السبب الثاني:

ان تلك الحاله قد اعطت طبقة العلماء والاحبار والرهبان واهل الرياسه والمال والسلطه التشريعيه وصناعة القوانين والافكار والمعتقدات للمجتمع وصاروا يسيطون سلطانهم في إستغلال الشعوب وتوهموا انفسهم عظماء ونقلوا تجربه الوثنيه والسلايه والعنصريه التي كانت سائده في مصر والقائمه على تقسيم المجتمعات إلى طبقات متفاوتة في الامتيازات إلى ادبيات التوراة وتاصيلها كي تمتلك قوه القاعده الربانيه المنزله في التوراة ولهذا نجد ان القرآن بين:

ازدهار ثقافة الرياء والمراوغه واضطراب الافكار والمبادئ وتناقضها ومحاولة الالتفاف على الشعارات التي طالما رفعوها على انها تعبر عن الهويه ولهذا يعطينا الله صورة حيه معبره عن تلك الثقافه التي تغللت في حياة اليهود فقال تعالى(واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم عند ربكم افلا تعقلون اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون)

الاية قال تعالى (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلت بعضهم إلى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم عند ربكم افلا تعقلون)

لما كان مطمع الرسول (ص) والمؤمنون في اقناع اليهود بالالتحاق بجماعة الإيمان فهم اولى به ويطمعون في المبادره إلى التصديق بالوحي والرسول (ص) وهذا يعود إلى وجه نظر معقوله تقوم على عدة اعتبارات:

1- ان هؤلاء اهل ديانه عريقه يؤمنون بالله وباليوم الآخر وبالوحي .

2- ان هؤلاء اهل علم ومعرفه لانهم نشأوا في مجتمع له كتاب سماوي.

3- ان هؤلاء لديهم بواعث ودافع بمثابة المحرك الذي يهز الاراده لديهم لانهم انما جاءوا من اطراف الأرض إلى المدينه المنوره لاجل انتظار بعثة الرسول الخاتم المذكور في كتبهم " ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد" وقد كانوا يهددون القبائل العربيه بقرب خروج الرسول الخاتم وبأنهم سوف يتبعونه وينصرونه ويقاثلونهم معه وان خروج هذا الرسول بمثابة فتح لأن الفتح يكون من النصر.. وعندما جاء الرسول (ص) من امة العرب ماذا كان موقفهم لقد اعلنوا الحرب عليه وعلى دين الله.

ولهذا فقد جاءت النصوص لازاحة وجه النظر تلك.. بذكر فساد احوال هؤلاء القوم وابتداء بذكر العلماء والاحبار لا نحرافهم في التحريف والتبديل للتوراة ثم عطف بتوجيه الانظار نحو صورته تشمل اقسام اليهود العوام والعلماء لا زاحة وجه النظر لتلك من عقول المسلمين "وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون"

فالنص بين الامور الاتيه:

1-انهم انقسموا إلى فريقين فريق كان إذا التقى باصحاب الرسول (ص) قالوا لهم ان الرسول (ص) هو الذي بشرت به التوراة باوصافه وانهم على الحق.

2- وتبين انه عندما يجتمع الفريق الاول الذين قالوا "أنا" مع الفريق الثاني فيحذر هذا الفريق اخوانهم من الفريق الثاني نهايه هذا الاعتراف لانهم يعتبرون ان الحديث عن ما جاء في التوراة من الامارات المؤكده صدق النبي (ص).. "ليحاجوكم" اقامة الحجه عليهم عند الله ولزوم اتباع الرسول (ص) ولقرآنه وفق للعهد الماخوذ من اهل الكتاب.

3- تبين النصوص فساد تصورات هؤلاء القوم فهم يتصورون ان الله لا يؤاخذهم اذا كتموا الإيمان ولم يظهروا ما في منهم اي كتمان الحقيقه واخفاء ما ذكر في التوراة عن الرسول (ص) يسقط عنهم اتباع الرسول والإيمان به فيقولون لو اخبرونهم سيترتب على ذلك للمؤمن حقاً عليكم بالاحتجاج عليكم بهذا الاعتراف والاقرار امام الله.

4- يعتبرون ان الذي يتحدث ويتكلم بما ورد في التوراة منبوذ " افلا تعقلون".

فما هو العقل عند هؤلاء.. وما هو العقل بنظر هؤلاء.. فيقول لنا الله ان احترام العقل يوجب على هؤلاء ادراك علم الله بالعين والشهادة وما يسرون وما يخفون وما يعلنون ولهذا جاء النص ليبين الاستنكار.

والنصوص فيها الاتي:

الأمر الأول:

اخبار المؤمنون بأن الرابطه الروحانيه التي تعلق نفوسكم بها وجعلتكم تطمعون في إيمان هؤلاء لوجود رابطه الإيمان الروحانيه بينكم وبين موسى والتوراة.. لأن اصل الاديان واحد.. فإن هذه الرابطه منقطعه مع هؤلاء للاتي:

1- ان إيمان هؤلاء مثل إيمان المنافقون لديكم حيث وأن المنافقون "قالوا أنا" عندما يلقون المؤمنون وعندما يكون الاختلاء بينهم وبين اعداء الله يظهرون ما ابطنوه من الكفر.

2- وهؤلاء اليهود قد سلكوا مسالك المنافقين وبالتالي فإن الرابطه الإيمانيه منقطعه معهم فهم ليسوا بمؤمنين فذكر الله فريقين منهم فريق اعترف بما في التوراة من الامارات والعلامات المؤكده صدق النبي (ص) وهم ربيما العوام والذين اظهروا الاعتراف وابطنوا الكفر وذكر الفريق الثاني الذين حصل منهم اللؤم للفريق الاول على إظهار الاعتراف وطلبوا منهم اظهار الكفر واخفاء الحقيقه.. وهو ما يوحي ان الفريق الثاني هم اهل علم لدى هؤلاء القوم.. لانهم كما يظهر جعلوا انفسهم موضع القدوه الذي له امكانيه فهم النصوص التي تحرف من التوراة وليس للعوام فيها مكان وذلك اللؤم مظهراً من مظاهر التحريف والتبديل للتوراة.

3- وكذلك اننا اذا نظرنا إلى محتوى النصوص بإعتبارها مرتبطه عما قبلها وباعتبار ان الفريقين كلاهما من اهل العلم فاننا نجد فساد التصور تعود جذوره إلى الطبيعه القبيحه لهؤلاء اليهود الذين يلجأون إلى طريق اللف والدوران على محتوى النصوص باراده ورغبه تطويع احكام الله لرغباتهم وشهواتهم.. فيكون محتوى النص بناء على هذا القول هو:

- ان الفريق الاول حاول الالتفاف من العهد المقطوع عليهم في الكتاب بانه اذا جاء الرسول الخاتم آمنوا به واتبعوه وتحروه لم يكتموا وبشروه للناس.

فتصوروا انهم اذا اعلنوا صدق ما جاء به النبي (ص) وقالوا ان أنا بأنه الحق من عند الله وان ما جاء به الحق فنكون بهذا قد حصل لنا النجاة من الملامه والعاقبه عندما نقف امام الله ويسالنا عن عهدنا.. فهم حفظوا المظهر باظهاره وعدم اخفاءه وحفظوا الكفر فلم يقبلوه ولم يلتحقوا بصفوف الاسلام بل استمرت احوالهم على ما هو عليه من الجحود والكفر والعناد.

- الفريق الثاني كتموا الحق ورفضوا اظهاره للناس فاظهروا ما لم يبطنوه وهؤلاء الذين لم يلحقوا الرسول ولا

المؤمنون وقد حصل من هؤلاء الملامه فقالوا " اتحدثونهم بما فتح الله عليكم" والفتح هو القضاء والحكم.

فاظهار حالة التعجب والاستغراب من حال الفريق الاول فقالوا كيف يخبرون الناس بما حكم الله عليكم من انتقال القيادة إلى امة الاسلام وبالعهد الذي اخذه الله منكم بالتصديق بالرسول (ص) وانه هو الموصوف بالتوراة الذي طالما اخبرتهم انه قد حان وقت ظهوره.

4- فقالوا ان ذلك الاعتراف يوجب عليكم الحجه "ليحاجوكم عند ربكم" فاستعمل اللام للعاقبه والصيروره والمعنى ليكون الاعتراف حجة عليكم عند الوقوف امام الله في الاخره وفي الدنيا حيث سوف يحتجون انهم قد بلغوكم ببعثة الرسول (ص) وعندها سوف يكونون شهدا عليكم "افلا تعقلون" اين عقولكم الم تفكروا.

الأمر الثاني:

ان ما سبق يبين لنا أن فساد التصور لدى هؤلاء انما يعود إلى فقدان هؤلاء للعلم واليقين وضعف الاراده فحالة التذبذب والاضطراب وتخلق هؤلاء باخلاق المنافقون وعدم استعظام اوامر الله عز وجل ومحاولة تطويع الاحكام للرغبات والاهواء له باعث جعله بذلك الشكل لانه عندما يجعل المرء عقيدته محلا للمتاجره والبيع والشري بالمصالح والامتيازات سواء الجاه والسلطان او الملك وغيره.

وهكذا هو حال اي دعوة لاصلاح اوضاع البشريه حيث يجد من كان يحمل لقب المصلح في الماضي او المتدين نفسه واقفا امام هذه الدعوه محتار عند ظهور دعوه الاصلاح الجديده فهو ينظر إلى المصلحه التي سوف تعود عليه ان انتصرت الجماعه الجديده ووصلت إلى العز والتمكين وبنفس الوقت ينظر إلى جذور وعمق وقوة الجماعه القديمه واركائها وقوتها فيقف في حيره يخاف ان انتصرت الجماعه الجديده ويحرم امتيازات السبق في الاعتراف بها.. فيحرم من المصلح..

وبنفس الوقت يخاف ان يكون مصير الجماعه الجديده السقوط فيفقد منزلته في صفوف الجماعه القديمه وربما يحرم الامتيازات فيكون في حالة تذبذب وحيره من مقاومة المنافع والمصالح التي ستعود عليه وذلك بناء على الاستنتاجات التي تجعله في حاله اضطراب لحصول اضطرابات في الاستنتاج.

وهذا الصنف من الناس يرى نفسه ذكي لان هدفه وتمنياته هو المصلحه فالدين عنده بضاعه للمتاجره والبيع والشري..

فالمحرك الذي يهز ادراته هو المصلحه ولذلك يلجأ إلى محاولة خداع كلا الجماعتين فيحاول ان يجعل لنفسه موطا قدم لدى الجماعه الجديده من خلال اظهار التعاطف ويوهم اهل الدعوه الجديده انه مصدق لافكارهم وأن هذه الافكار لها مكانه في قلبه وكيانه وعقله.. ويبقى يحافظ على علاقته بالجماعه القديمه فان حصل النصر و التمكين للجماعه الجديده كان له موطى قدم ويجعل نفسه صاحب فضل في تأسيس الجماعه وأن حصل لها إنهزام كان له الامان من غضب الجماعه القديمه.

وهذه الاشكال والنماذج موجوده في واقعنا المعاصر بشكل فضيع حيث ترى التلون والتنقل من البعض في الاحزاب والتيارات وبشكل يظهر الابداع في القدره على التفوق لدرجه انك تصاب بالغثيان.. بل وترى البعض يوزع ابناؤه في كافة الجماعات والاحزاب كي يكون له منقذاً ينقذه في صفوف من ينتصر فهؤلاء الانتهازيون جذورهم تعود الى صنف من اصناف اليهود الذين غضب الله عليهم

2- كما نجد ان النصوص ترسم لنا جوانب من الملامه والتهديد الذي يطلقه من يعتبرون انفسهم الحرس القديم لاي تيار قديم فالنصوص توحى ان هذا الفريق الذي لم يلتقي المؤمنون يسأل الفريق الذي التقى المؤمنون واعترف بصدق ما جاء به الرسول (ص) فقالوا لهم لماذا تفعلون ذلك هل تركتم ديانتمم والتحقتهم بالمسلمين؟ وهنا ربما

لجأوا إلى التهديد بسلب الامتيازات الممنوحة لهم وهو ما يحصل في عصرنا من التهديد بالنفس وفي الوظيفة وغيرها.

ولأن الانتهازيون الذين تكون اعينهم على المصالح يعتبرون أنفسهم اهل دهاء وعقول وذكاء فسرعان ما يجدون المبرر.

فهؤلاء اليهود قالوا للفريق الثاني نحن لم نتبع الاسلام ولكن اعترفنا هو نوع من الذكاء في الالتواء والخروج من ازمه ومشكله ما سبق واخبرنا به هؤلاء من قرب خروج نبي آخر الزمان.. فالاعتراف سابق فهل اصابكم النسيان باننا كنا نخبر هؤلاء انه اذا جاء نبي آخر الزمان سوف نقتلهم قتل عاد وارام.. وانتم تعلمون ان اقامتنا في المدينه كانت انتظارا لظهور هذا النبي.

فما الفرق بين اعترافنا واعترافكم الذي قد سبق.. ولجل اظهار المهاره والابداع والخبره الموروثه عن الاسلاف في اخفاء الحق والالتواء على اليهود والاحتتيال على الاوامر كما حدث يوم السبت بشأن صيد الاسماك.

يخبرونهم ان الغايه من الاعتراف هو الالتواء على العهد المأخوذ منهم بالإيمان بالرسول عندما يظهر فقالوا انا هذا الاعتراف بالظاهر يجعلنا غير مسئولين عن الوفاء بالعهد باتباع الرسول لاننا قد اظهرنا اعلان صدق النبي محمد اما م الناس ولم نكتف الامارات والعلامات وبهذا حصل الوفاء بعهد الكتاب للناس "ولا تكتموناه".

وهنا نجد ان النصوص ترسم لنا ملامح وجوه الفريق الثاني وهي تظهر التعجب من حال الفريق الاول " اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون" بالاستفهام ترسم الوجوه التي تظهر التعالي في اللؤم والتوبيخ والسخرية من الفريق الاول.

فهم يظهر ان الفريق الثاني الذي يلوم الذين التقوا بالمؤمنين يظهر ان الذكاء ويظهرون سخافة لفريق الاول وردة آرائهم بمنطقة هؤلاء الفاسدون فاستخدموا "ليحاجوكم" لام العاقبه مفادها انتم لم تنظروا إلى ما ستؤول اليه عاقبتكم والنهيه لتحقير الراي الذي اتخذه الفريق الاول فاتوا بالحيثيات وفق نظرهم الفاسده انتم بهذا اسأتم التقدير للامور فلم تدركوا ان الاعتراف يلزمكم الحجه بالاتباع لان الاعتراف يتبعه النصرة والاتباع.. و لان القياده انتقلت إلى امة الاسلام فهم امة الشاهدين وعندها سوف تقام عليكم الحجه بانهم قد بلغوكم برسالتهم.. وعندها سوف يحق عليكم العذاب تربية لكم لانكم خالفتم امر الله "عند ربكم" والعقوبه يوم القيامه.

ولهذا ومبالغة للتوبيخ قالوا "افلا تعقلون" انتم بلا عقول لانكم لم تنظروا للامور من جميع جوانبها فاعتبروا الاعتراف بصدق الرسول (ص) جنون واعتبروا ان اظهار الانكار والجحود بالرساله واخفاء ذلك لا يلزمهم الحجه عند الله سبحانه وتعالى فالمراد من ذلك:

المفهوم الأول: ان هؤلاء منحرفون فقدوا العلم والاراده لديهم لانهم ارادوا تطويع الدين لمصالحهم فاذا كان من يمكن اعتبارهم المحرك الذي ينيير الحياه في القلوب بعد الأنبياء وهم العلماء قد حرفوا التوراة وحالهم انهم تخلقوا باخلاق المنافقون فكيف يكون الطمع بالالتحاقهم بجماعة الإيمان.

المفهوم الثاني:

يخبرنا الله ان نحذر من سلوك هؤلاء بالمتاجره بالدين على بيان استحالة التحاق هؤلاء بجماعة المؤمنين لأنه لا ع لاقه لهم بالإيمان.. فلا تنضروا إلى مسأله ما جاء في التوراة من الإيمان بالبعث والإيمان بالله والإيمان بالوحي وبالعهد المأخوذ منهم وتطمعون ان يكون بينكم الرابطة الباعته لهم للالتحاق بجماعه الإيمان.

فهؤلاء من حيث الوحي:

لم يستقبلوه بالاستعظام ولم يقدره حق قدره رغم الايات الظاهر الواضحه.. وتجروا على التحريف والتبديل لايات الله وتطويع الاحكام لاهوائهم وان العوام لم يمنعوهم من ذلك.. فقد جعلوا من عدم الاعتراف برسالة الرسول(ص) وكتمان ما في التوراة وسيله لاستمرار فاعليه التوراة بنظرهم واستمرار قيادتهم الدينيه "بما فتح الله عليكم" وسيله لعدم تنفيذ ايمانهم الماخوذه عن عدم الوفاء منهم بالعهد بالايمان بالرسول واشاعة حيلة كتمان ما وجد في التوراة وعدم التحدث به وسيله وحيله للهروب من العهد بنظرهم "وافوا بعهدي اوف بعهدكم" ويريدون من الناس ان يتخلوا عن مداركهم وان يخضعوا لما يخبرونهم متجاهلين أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون
ومن حيث البعث والحساب:

اعتبروا ان عدم الاعتراف برسالة الرسول حجه لهم عند الوقوف اما الله عز وجل لمزاعم انه لم يحصل البلاغ لهم من المؤمنين.. فهم بذلك يتخلصون من الادله والشهود التي سيكون اقامه الحكم والقضاء والحساب الالهي "عند ربكم" يوم القيامه باعتبار ان امة الاسلام هي الامه الشاهده "واجعلنا من الشاهدين" فهم لم يريدوا الالتحاق بهذه الجماعة وسعوا إلى استمرار فاعلية التوراة واستمرار دورهم في الساحه.. وبالتالي كيف يكون لديهم إيمان بـ البعث.

ومن حيث الايمان بالله:

يخبرهم الله كيف يكون منهم ذلك القول اذا كانوا يؤمنون بالتوراة فعلا ً فالإيمان لو كان ضعيفاً ما غاب عنهم ان الله لا يخفى عليه شيء فهو يعلم السر والعلن يعلم ما في صدورهم وما يظهرون وما يعلنون فهو عالم الغيب والشهادة فمن كان تفكيره انه بمقدوره اخفاء الاقرار والاعتراف عن الله فكيف يكون بنظركم مؤمناً وتطمعون بـ التحاقه بجماعة المؤمنين.

فالإيمان يتطلب الاخلاص ومحبة الله ورسوله اكثر من اي شيء فطريق هؤلاء ليس هو طريق الإيمان بل طريقهم مختلف تماما ً فهم لا ينظرون أن رحلتهم إلى الله والدار الاخره وبانهم سوف يصلون إلى الله والدار الاخره.. فعليكم عدم الطمع في إيمانهم فهم سقله عصاه.

السبب الثالث:

يخبرنا الله تعالى ان تلك الثقافه الفاسده ادت إلى تكوين طبقتين في المجتمع اليهودي:

الطبقه الأولى: طبقه منحت نفسها سلطة التشريع وحصل منها الاعتداء على مبداء سيادة الشرع بالاعتداء الصارخ على سلطة الخالق في الشرع عندما منحوا انفسهم حق تحريف التوراة لاجل استغلال الشعوب وفي المقابل تكونت.

الطبقه الثانيه: العوام التي ليس لديها ادبيات او افكار او معتقدات واضحه وانما اقامت فلسفة افكارها علي ما وصل اليها من طبقه العليا في كافة شؤون الحياة.

فهذه طبقه السفلي اتصفت بانها:

1- خاضعه لما تطرحه طبقه العليا من افكار تنقلها دون فحص ولا فهم ولا وعي.. ثقافتها لا ادبيات ثابتة لها وهي عباره عن اعراف متلقاه من طبقه العليا التي صادرت ارادة طبقه السفلى باسم الله ونصبوا انفسهم آلهه تعبد دون الله ونسبوا تلك التشريعات إلى الله.

2- ان طبقه العوام التزمت بما وصل اليها من طبقه العليا التي انزلتها منزلة الشريعة والقدسيه الالهيه فصارت عابده للطبقه العليا لقبول تشريعات وضعها الرهبان والاحبار بايديهم فقبلت بها ومع مرور الايام صارت تنظر اليها

على انها عقيدة وشريعته منزله من عند الله نصاً ومعنى فتكونت ظلّمه جديده في حياة المجتمع اليهودي ادى الى مصادرة الوعي وسقوطه عن طبقة العوام وصارت العقيدة تبنى على اساس الوهم والظنون فهم لا يعلمون من التوراة الا الامنيات التي اخبرهم بها العلماء بان الجنس اليهودي لا يعذب وانهم شعب الله المختار وقال تعالى "ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا امانى وان هم الا يظنون".

ذلك ان هؤلاء مخزونهم العقلي والروحاني الذي حملته الالواح (التوراة) قد انتهت لاستهلاك الافكار التي تنغذي عليها فهي:

1- ترفض القبول باي فكره جديده.

2- حركه تدور في مكانها ولا تحيد عنه.

3- تعيش على الوهم والخيال والظنون في نظرتها الى الوحي والرسالات وترفض الانتقال إلى مرحلة النضج البشري.

فما هي الاسباب لهذه الحاله من الانغلاق واخلاق الضغط المانع لهم من النهوض والالتحاق بجماعة الايمان وهم اهل كتاب يفترض انهم قد حصلوا على قسط من العلوم والمعرفه والاديان وليسوا من العرب الذس اتسموا بالاميه وعدم القدره على القراءه والكتابه؟

1- فالله ابتداء بجمله مستأنفه "ومنهم اميون" مسوقه لبيان جهله اليهود انهم جهله بالتوراة اثر بيان انحراف الطوائف كما نفهم من النصوص.

حيث بين ان الغالبه العظمى منهم العوام اميون يجهلون احكام التوراة وشرائعها فاستعمل اسلوب الغيبه اهمالا لهم لانهم قبلوا بالاستبداد الديني الذي مارسه الاحبار والرهبان المنحرفون الذين حرفوا التوراة قبلوا بالتبرير الذي اخبرهم به احبارهم عن حالة عدم القبول بالدعوه الاسلاميه رغم انهم كانوا ينتظرون قدومه كما اشارنا ويعلم بذلك الاحبار والعلماء والعوام..

ولهذا قبلوا ان يتوقفوا عن الاعتراف بصدق نبوة الرسول (ص) رغم ان هذه المسأله معروفه لديهم سواء العلماء او العوام لان حاله التقليد والقبول بما يخبرهم به الرهبان ادت إلى قتل القيم والضمير لديهم.. ولهذا جعلوا الاماني وسيله للهروب من الواقع وحصل الجحود والتعطيل لما يطمع منهم من الادوار التي كان المسلمون يطمعون ان يساعدهم اهل الكتاب بحمله.

2- والاماني ما يقدره الانسان في نفسه... اي من منى نفسه اذا قدر ولذلك يكون الطريق لها الافتراء والكذب والا فك.

وهذه الاماني ادت الى تشكيل حاله العبوديه منهم للاحبار والرهبان فجعلوهم الهة تعبد من دون الله اذ انهم قبلوا ما امرهم به فصارت عقيدتهم المنحرفه تقوم على اغلال وقيود وضعها الرهبان بايدهم فقالوا انهم شعب الله المختار وانهم لا يعاملون معامله الاخرين فهم لن يحاسبوا ولن يدخلوا النار الا اياماً معدوده.

3- فالنص بين لنا صورة من الخيال لدى هؤلاء غير واقعيه وليس لها دليل حيث ان هذاء التشكيل الكاذب الذي كون عقليه هؤلاء وكون نظرتهم للحياة ولقواعد الايمان بما هو مخالف للحقيقه قد ادى إلى طمس الهويه الايمانيه عن هؤلاء وادى إلى موت الفكره في عقولهم حتى صاروا بعيدين عن الإيمان فطالما ابتعدوا عن الواقعيه فنفي الله عنهم العلم وقصر عليهم الظن "ان هم الا يظنون".

4- حيث ان النصوص تبين لنا كيف نشأت فكرة التبرير للجرائم والتبرير لحاله الجحود وتعطيل الشرع والتبرير

لعدم النهوض ومقاومه الاستبداد والالتحاق بجماعة الايمان وهنا تحدث الكارثة حيث ان هؤلاء قوم قصروا امرهم علي الوهم والتخمين الذي لا يصل إلى منزلة العلم فكيف يرجى منهم الايمان الذي يقوم على اساس الايمان بـ اليقين القاطع.. فهم في حالة اضطراب لا يعلمون الحق من الباطل.

5- ان النص بين لنا حالة الشعوب والحركات عندما تنحرف عن العايات والاهداف حيث تصاب بحاله الجحود وتعيش في عبء الافكار المرهقه تنغنى بالماضي العريق وما كان في تاريخها من نصر وتقدم ونهضة دون ان تأخذ باسباب التقدم والنهضة ليكويين المورث والتاريخ والماضي ملهم للخروج من حاله الجمود والعجز والتخلف ومايزيد ذلك التخلف انتشار ثقافه التباهي بالانساب والاجداد ولعل امة الاسلام في هذا الزمان تعيش حالة التغيي بالماضي والامجاد التي عاشها الاجداد والاعتقاد ان ذلك سيكون لنا مصدر قوة دون ان نأخذ به للخروج من حالة العجز والتخلف ان الاماني لا تصنع الدول ولا تقيم دولة الخلافة التي كان وجود الانسان في الارض لاجلها لان الاماني لا يقتصر خطرها علي منع ظهور القيم بل تكون سبباً لموت الافكار وفقدان حياة الأمة وتورث العجز عن مواجهه الاعداء والانخراط في لعبة الصراعات فلا يوجد عز وتمكين دون نزاعات فلا بد من التفكير في الاختيار بين التخلف والاستبداد او الحرية والتحرر من العبودية البشرية إلى عبودية الله تعالى وهذا لا يكون الا بالحركة والعمل.. ولا بد من الخروج من حالة التقليد لان التقليد يقتل الروح ويخبل العقل ويسفهه ويفقده التميز بين الحق والباطل.

فالنص يخبرنا ان معرفة هؤلاء بالتوراة وبالعهد المقطوع على اهل الكتاب بشأن الرسول (ص) هو معرفة الجاهل الذي ياخذ القشور من الرهبان دون الجوهر ولهذا فقد بنوا عقيدتهم على الاماني الكاذبه المشكوك بها فصاروا مقلدين لا يسألون عن البرهان ولا الدليل فهم صاروا بهائم يعبدون الرهبان والاحبار الذين حرفوا التوراة ولذلك اعتبروا ان ما يصل اليهم من الرهبان دين واوامر منزله من الله.

واستعمل الفعل المضارع "يظنون" للاشاره الى استمرار الظنون والاكاذيب التي تخيلونها فقال تعالى "فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون".

الويل : اسلوب تهديد يقصد بها استحقاق هؤلاء للهلاك والدمار والخساره والنص يقصد به الاحبار والعلماء.

وقال "يكتبون الكتاب بايديهم" اي يكتبون التوراة بايديهم واستعمل ذكر الابدي دفعا لتوهم المجاز فيكون المعنى انهم كتبوا النصوص بايديهم.

فالنص يخبرنا ان هؤلاء حرفوا التوراة وكتبوا كتاباً على ما تالف من تلاوتهم مخالفاً لما انزل الله على نبيه موسى عليه السلام وان هؤلاء اليهود كانوا يقولون ان كتبوه هو من عند الله "ثم يقولون هذا من عند الله".

فاستعمل اسم الاشارة هذا للدلالة على تعمد التحريف والتضليل على الاخرين حيث زادو في التوراة ما يحبون وحذفوا ما يكرهون ومحو اسم محمد (ص) ولذلك غضب الله عليهم.

ولهذا استعمل "بايديهم" مع ان المعلوم ان الكتابه لا تكون الا باليد والمراد الاخبار انه حصل اضافة حقيقه في التوراة وهي اضافة باطله تم اضافتها شكلت تحول من فكره الاعتقادات ما نقله الاحبار والرهبان هو تاويلات وتفسير لما في التوراة من قبل العلماء والاحبار الى الاعتقاد بان ذلك منزل من عند الله نصاً ومعنى.

وهذا ناتجا عن ايهام الاحبار والرهبان للاتباع ذلك بان اشاروا الى اشياء وامور صاغوها هم بايديهم بانها نصوص منزله من عند الله "ثم يقولون هو من عند الله" وهذا التحريف والتبديل والتدليس بانزال القواعد البشرية منزلة الوحي فيه اعتداء صارخ على سلطة الاله الواحد الاحد وفيه اساءة استخدام الدين والمنزله العلميه وان ذلك لم يكن عفوياً بل كان مقصوداً وله بواعث في نفوسهم وغايات ويسعون فيه للوصول الى نتائج تـ

لائم التصورات المسبقة في نفوسهم لتكوين سياجاً منيعاً حول الامتيازات والمكانة والمنزلة التي حصلت عليها نتيجة قبول الناس بما يطرحه الرهبان والاحبار لعقود تمتد الى الاف السنين وتقوم على قاعدة المصلحة و المتاجره بالدين "ليشتروا به ثمناً قليلاً".

فان تكن ثقافته ادت الى غياب الوعي وسقوطه لدى العوام الذين قبلوا بالقهر والاذعان لقوة الرهبان والاحبار و الحكام وتغللت ثقافة الاستبداد الديني التي جسدت فكرة ان العبودية للرهبان والقبول بما طرحوه والغى العقل و الفكر وتجميد الاحساس والمشاعر هي الوسيله لارضاء الهه والوصول الى الجنه والسعاده الابديه دون الحاجه الى الفاعليه وحركة العمل الفاعليه الايجابيه.

فقد استطاعت ثقافة الاستبداد الديني اقامة سلطه كهنوتيه فرقت اشلاء العقيدة وحطمت جسور الايمان والاتصا ل الروحاني وتبني بدلاً عنه عقيدة صنعت فيها اصناماً تعبد من دون الله وهذا النمط الثقافي يتم الاقبال عليه دون فحص ولا بحث ولا دراسته فتكونت سلسلة الايمان والاذعان المنحرف الذي يجعلها تقبل الافكار دون تفحص او نظر حيث تحيط به سلسلة من القيود والسلاسل التي تقيد بها الاحساس ويفقده الحياه فيعيش حياه البهائم ثم يكون المرء اسير لحالة الصراعات التي كانت تسود بين اصحاب الطبقات للتنازع على المصالح لانهم قدموا المصالح الذاتية على مصالح الامة فادى ذلك الى تفكيك مبداء سيادة الامه والذي امرهم الله به "لا تسفكون دماكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم"

2- ان هذا الزيف والانحراف قصد به الحصول على مصالح ومنافع من الرياسه او المال او غيرها من المنافع التي جعلت من الشريعه والدين مصدراً للتجارة ولم يقصد بهذا العلم وابتغا وجه الله وهو ثمن قليل مقابل ما ينتظرهم من العذاب.

3- نجد ان لفظ ويل تكرر ثلاث مرات وقيل ان ذلك يعود إلى ان بني إسرائيل ارتكبو ثلاث جنائيات: 1- اعراضهم عن النبي (ص). 2- نقض العهد مع الله. 3- اخذوا الرشوه مقابل التحريف.

فهددوا بكل جنائيه وجعل محط الفائده في قوله "فويل للذين يكسبون" ثم ذكر مضمون السبب الخاص المكسب الذي لاجله انحراف الاحبار والرهبان من اليهود خوفاً من ذهاب الرياسه الى النبي (ص) فجعل عقوبتهم بالويل اي الهلاك او الدخول في جهنم ففي النص تهديداً بعدم انتفاعهم بالمكاسب التي ضحوا لاجلها بشرع الله وكنتموا حقيقه نبوة النبي (ص).

"وقالوا لن تمسنا النار الا اياماً معدوده قل اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله مالا تعملون"

يخبرنا الله بصوره من صور الانحراف التي اصيب بها هؤلاء نتيجة التحريف الذي حصل في التوراة فهم قالوا على سبيل الجزم "لن تمسنا النار الا اياماً معدوده" حيث ان هؤلاء حرفوا التوراة فقالوا ان الله لن يدخلنا النار الا لحكمة القسم الايام التي اصبنا فيها العجل اربعين يوماً فاذا انقضت عنا تلك الايام انقطع عنا العذاب والقسم.

2- فهم قالوا ان اجسامهم لن تلامس النار ولن تدخلها الا ايام معدوده ارادوا بذلك تصوير انهم فوق الناس فهم لا ت صيبهم النار الا مس معقول لا غيره كما تقول انت تهدد بالضرب او نحو ذلك يعني انه مجرد تهديد وليس ايقاع ما هددت به وهكذا يتصور هؤلاء ان الله يهددهم بالعذاب تهديد دون ايقاعه فاستخدموا لفظ مس.

3- ان هؤلاء ادعوا المعرفه بعدد الايام التي يوقنوها لمكثهم في النار ولهذا ترك ذكر اسميه عدد الايام وسماها معدوده لبيان فساد هؤلاء وارادوا بذلك أن تفكيرهم انها عدد قليل.

ان هؤلاء ارادوا ان يقولوا انهم فوق الحساب وفوق العقاب فهم يعتبرون انفسهم شعب الله المختار وان العذاب و

الحساب على غيرهم

5- ان هؤلاء فاقدوا العلم بدليل الاستهانه بامر الله تعالى وتصورهم ان لهم مزايا ولا يحاسبون على اعمالهم و المراد التحذير من هذاء السلوك.

6- "قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهدة"

النص فيه الرد الالهي على هؤلاء ان ذلك الوهم الذ ييتوهومونه ليس له اساساً يعودون فيه ويعتمدون عليه فنقول لهم انتم لا عهد لكم بما تتحدثون.

"أخذتم عند الله عهدا"

الاستفهام هنا انكاري لانكار الواقع الذي يعيشونه وهو خيال واوهام وتوبيخهم على فعلهم الشناعه برفضهم اتباع الرسول (ص) وادعائهم انهم شعب الله المختار وانهم فوق الحساب والعقاب والمعنى ان الله يخبرهم انهم لم ياخذوا منه عهد عاهدهم به بانه لن يحاسبهم فالنص بين:

- ان الله وحده الذي يعلم العقاب ويعلم مقداره ومدته فخاطبهم الله من اين عرفتم انكم فوق العقاب وان النار لن تمسكم الا بهذا المقدار المحدد من الايام.

- ياتي التعريض لنفي اعطاءهم اي عهد او موثيق مما ذكروا والتعريض هنا لتذكركم بالعهد الماخوذه عليهم و الموثيق التي وثقها الله واكدها ومنها رفع الطور عليهم والعهد الماخوذ عليهم بعدم كتمان ما جاء في الكتاب حيث وان هذا العهد المقطوع عليهم لو انهم حصل الوفاء بالعهد وبينوا الكتاب ولم يكتموا حصل الوفاء بالعهد الا لهي لهم بالجنه وعدم دخول النار والله لا يخلف الميعاد.

7- فالله يقول هاتوا البرهان على ما تقولون فالله لا يخلف ميعاده ولا يبدل وعده ام يقولون على الله الباطل جهلاً وافتراء عليه.

الأمر الخامس:

ان الله قد رتب عن هذا التقسيم لاهل الكتاب في سياق الذم الوارد بالنصوص "افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله" إلى اقسام التحذير لنا من ذلك فمن سلك هذا الطريق كان من المغضوب عليهم قوم يحرفونه اما لفظياً او معنى.. وهم العلماء والاحبار الذين نقلوا التوراة لم بعدهم وادعوا ان ما نقلوه هو من عند الله وانه متواتر بالنقل الصحيح.. وهذا موجود لدينا عند البعض الذين تعمدوا نقل الاحاديث الموضوعه التي نسبوها للرسول (ص) بغض النظر عن البواعث التي دفعت الكثيرون حيث نجد ان الكثير من التشويهات للسنة النبويه تعود لزمان العباسيون حيث انتشر الفسق والفواحش فساغ البعض الاحاديث المفتعله من باب الترهيب و الترغيب فحدث ما حدث من الخلط في الدين.

وكذلك ما حصل من تعطيل بعض الاحاديث بدوائع سياسيه.. وكذلك في مسألة التفسير من قبل البعض لتاصيل افكارهم ومذاهبهم واحزابهم حيث لجاء البعض الى التلفيق في التفاسير والاحاديث عندما لم يجد ما يدعم فكره في القرآن والسنة وهذا هو التحريف في الاحاديث وفي معاني القرآن اما القرآن فهو محفوظ "إنا انزلنا الذكر وإنا له حافظون".

2- الفريق الثاني لا يزيديون علي تلاوة النصوص ولا يفقهون المعاني وهذا السمع سمع لا قبول ولا فهم وهؤلاء بينون عقائدهم على الاماني والاهام.

3- فريق يبالغ في مسألة الواقع والعقل ويريدون اخضاع دين الله و آياته للعقل في كل شيء ويصفون ذلك انه امر متعلق بالدين لدرجة انك تلاحظ ان البعض يريدون تفسير كل آيات القرآن بأسلوب الاكتشافات العلميه وكأن القرآن موضوع موضع الاتهام ويطالب باثبات براءته وهذا ما لا يليق لان القرآن معجزه خالده والعلوم الارضيه ليست قطعيه فهي قابله لاكتشاف عدم صحتها ذلك ان القرآن من معجزاته انه كلما حصل التطور والتقدم البشري حصل ظهور ادله تويد صحة ما جاء فيه ولكن ليس معنى هذا حصر هذه الاكتشافات في زمان معين فما لم نصل اليه فهو معجزه لاجيال قادمه.

فلا ينبغي تفسير القرآن بوسيلة العقل والامور العلميه في كل شئ لان ذلك فيه حث الناس على الاعراض عن منهج ويعوضونهم بالعلوم المستنبطه التي كتبها الناس بايديهم ونسبوا الى الله وهؤلاء يشبهون اليهود الذي قال عنهم الله "فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله".

4- كذلك من الاخطاء التي وقعت فيها بعض الفرق الاسلاميه هو كتمان الاحاديث التي تتحدث عن بعض المسائل رغم صحتها لان هنالك فرف شوهت مفهوم من المفاهيم متعلق بنص الحديث مثل استعمال مفهوم الولايه الوارده في حديث علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه فالنص الحديث صحيح ولكنه لا يقصد به المعنى الذي استعمله الشيعة وبالتالي كان كتمان هذا الحديث لان الشيعة شوهت ما جاء فيه يعد امر من سلوك اليهود الذين كانوا يكتمون ما ذكرت التوراة عن الرسول (ص) خوفاً من ان يحتج به عليهم وهو ما يحذر منه.

الامر السادس :

ان الاميه لاجلبيه امة اليهود هي الثقافه السائده ويقصد بالاميه هنا اميه القبول بما يطرحه اصحاب الطبقة العليا. فالنفوس لدى هؤلاء قد رضيت ولديها رغبه في اطروحات الاحبار والرهبان الذين زيفوا الحقيقه وزوروا التوراة بـ التحريف والتبديل .

فهذه الطبقة أيضاً قد اصابوها من ثقافة الوثنيه المصريه ما اصابها هي الاخرى لان الافاق الضيقه التي تغرس في النفوس عندما يغيب المشروع و الفكره يجد له رواجاً في النفوس من القابليه والحب والتعلق تصل بالنفس الى حاله العبوديه والقبول والاستعباد. فالنفس اذا خامرها ميل في استقبال الخبر فان هذا الميل يشكل هواه او فجوه تدخل المنطقه الداخليه للنفس ويجعلها تدخل في نفق مظلم لا ترى فيه طريق السلامه.

فذلك الميل يجعلها قابله للاكاذيب "اتخذتم عند الله عهداً" فهي تصاب بداء الجهل لغياب مسألة اعطاء الخبر حقه بالفحص والبحث والدراسه.

وحالة الاعجاب بالش او العصبية او السلافيه او ارداة الكسب اذا وجدت في النفس فانها تقبل اي افكار لان ميل الهوى الموافق للنفس يجعلها تصل ما يصل لها دون التفحص او النظر فتصاب بحالة الخيال والتوهم فترى اشياء جميله وهي في غايه القبح فيحدث الخلط لديها والعجز عن التفريق.

ولهذا فإن ثقة النفس بالناقلين للخبر تشكل عنصر اساسي في بناء البلاده والغباء في النفوس وإساءة التقدير للاشياء في حالة غياب العلم بطابع الحوادث في الامور ولهذا يخبرنا الله بقوله "بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته".

فالنص يحذرنا من الوقوع في اخطاء اليهود ويحذرنا من هذا الطريق لأن الحركه تتاثر بالفعل وردة الفعل المتبادل ومن الطبيعي ان تنشأ الصراعات والنزاعات في الوسط لاي حركه في طريقها للظهور وهذه النزاعات الداخليه تعيش فيها حاله متناقضه تدخل فيها افكار تتناقض مع القضيه الاساسيه التي تحملها اي حركه وتتعارض معها فتكون هنالك ازمه.

فهذه النماذج التي تتحدث عنها النصوص جاءت تتناول اوضاعاً متفاوتة من حيث الزمان في حياة امة اليهود.. و التركيز علي الوقائع التي تزامنت مع بداية رحلة الخروج من مصر هم وموسى وسنوات التيه لبيان اهمية البدايه لاي امه لانها مرحلة التخلق لها لتكوين الاجنه التي سوف يولد بعدها المولود الذي هو الدوله التي تسعى لحمل شرف الخلافة.

فهذه البدايه تكون محاطه بالرعايه الربانيه لتزامن ذلك مع نزول الوحي حيث يكون غرس البذر في الارض على يد اطباء وهم الرسل الذين يتلقون الاوامر من الله تعالى.

ولاجل ان تنمو عليها شجرة وغصون دولة الموحدين فالله يلفت انظارنا إلى هذه النصوص التي يحكي واقع بني اسرائيل ليضع لنا القواعد والنظريات التي تودي إلى تمكين هذه البذر في النمو ويعطينا الله الوسائل والاساليب لرعاية البذر والماء ليكون حلم الزرع من نمو الشجره قادره على البقاء.

ولهذا يحذرنا ان نسلك طريق اليهود الذين غضب الله عليهم.. كما انه تعالى يضع بين ايدينا قواعد الانفتاح مع الاخرين.. فنجد ان النصوص تبين لنا اهمية العقل ودوره في الحركة مع الحفاظ على القيم فالاحلام في التوسع والاقدم عليه يجب ان يكون خاضعاً لمقاييس ومعايير ثابتة اثناء الامتداد والتوسع بالموازنة بين الجانب الافقي و الراسي.

فلا بد للنفوس ان تكون لديها طاقه ايمانيه للإرتقاء بالتمسك بمبادئ وقيم السمو الروحاني للنفوذ كقوه دافعه تخرج بها إلى الارض وتنتشر و تتوسع ولكن لابد من الواقعيه والنظر لهذه الحركة بالمنطق والعقل.. فلا يحصل اندفاع الذي يفقد المرء اليقظه فيقع في الغفله والنوم للافكار.. فيجب ان يحرض المرء على الوسائل التي تجعله هادئ البال كي لا يقع المرء اسير الاحلام فاقد للحركة والعمل لان ذلك يؤدي لموت الافكار ويحول الانسان إلى جماد لا قلب له او حيوان دون حس فقال تعالى " ثم قست قلوبكم فهي كالحجاره" ولهذا نجد ان الله تعالى يحذر المسلمين من حالة الطمع في اقتناع اليهود بالالتحاق في الاسلام.

فيقول للناس لا تنظروا إلى المظاهر الشكلية لدى هؤلاء بأنهم اهل كتاب او انهم يزعمون الإيمان بالله وبالبعث... فهؤلاء:

1- قد انهارت منظومة العلم الاساسيه لديهم فهم قد حصل لديهم تحريف وتبديل لما هو في التوراة وترتب على ذلك انطماس العلم من الفكر والواقع.

2- ان هؤلاء قد كانوا يتوعدون الناس انه حين يظهر نبي آخر الزمان فسوف يقاتلونهم مع النبي.. فلما خرج من امة العرب سارعوا إلى طمس تلك القيم ومحوها من سطور التوراة حيث لجأوا إلى تجميد تلك القيم وإخفاءها.

3- رفضوا الارتقاء بما لديهم من قيم وفضلوا البقاء في مرحلة الطفوله البشريه وذلك بالتمسك بانهم شعب الله المختار وانهم احباب الله وابناءوه وانهم لن يعذبوا.. ورفضوا النضوج الذي حملته رسالة الاسلام.. ولا يمكن ان تطلق على هؤلاء انهم امة حيه وهم لا يسمحون للقيم ان تغذي ارواحهم ليحصل النمو الطبيعي لشجرة الإيمان التي تغذوا عليها من التوراة فهذا الغذاء يكون من خلال القبول بالقرآن.. وهذه الحاله التي وجدت فيها جماعة اهل الكتاب في لحظة الرساله او بعدها من الجمود واللف والدوران انما هي حاله لها جذور ذات طابع اخلاقي فاسد سببه الانحراف في التفكير والانغلاق التي يعيش فصولها هؤلاء المنحرفون الذي كان من الصعب تعديل اتجاههم.

4- فهؤلاء في فجوه شاسعه بين القيم الروحانيه (الإيمان) وبين طبيعة فكر هؤلاء فهم يقفون في حيره من التعاطي مع مصادر الهامها لانهم حرفوا التوراة ولهذا نجدهم يعيشون في حاله من اللف والدوران حول انفسهم لا يروحون ذلك المكان وعاجزون عن اقتحام ارضيه فكريه جديده او فتح ثغرات جديده للنفوذ والخروج من قطر

الدائرة المغلقة التي تحيط بهم.

التعقيب " بلى من كسب سيئته واحاطت به خطيئته فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون".

النصوص تضمنت الجواب على قول اليهود "لن تمسنا النار الا ايام معدودة"

1- لأن (بلى) حرف جواب مثل نعم والفرق بينهما ان بلى يختص بقوعها بعد النفي لتجعله اثباتاً فهي رجوح عن الجحد المحض فتقول ما قام عمر جحد محض ثم تقول بل زيد قام... وزيادة الياء فيها ليصلح الوقوف عليها.

اما نعم ومثلها اجل فهي تستخدم في الاقرار للاستفهام الذي اجيب فيه و الجملة تضمنت الاجابه على الاماني التي كان اليهود يرددونها بأن النار لن تمسهم الا اياما معدودة فجاء الجواب اي ليس الامر كما ذكرتم فانه قول لا حقيقة له والجواب من الله عز وجل بالجزم (بلى) تكذيباً للقائلين من اليهود "لن تمسنا النار" ولإبطال تلك الدعاوي الباطلة

2- ان النص تضمن حكم عام لكل احد ويدخل فيه بني إسرائيل وغيرهم لبيان ان هذا الحكم الالهي هو قاعده عامه متعلقه بقاعده الثواب والجزاء وهي تقوم على الاتي:

- ان الثواب والعقاب في شرع الله يقوم على الاعمال فمن عمل خير فخير وان كان شر فشر دون نظر إلى الذوات ولا الانساب فالجميع متساون امام الله في الثواب والعقاب اي لا محسوبيه ولا وساطه ولا محاباه فهو تعالى لا يظلم احد.

3- نجد ان الجواب ابتداء بذكر العقاب دون الثواب "من كسب سيئته واحاطت به خطيئته"

والجواب بالنفي الخبري واثبات الخبر المستقبل.. اي لدحض الدعاوي الباطلة التي اطلقها اليهود "لن تمسنا النار" واثبات قاعدة الثواب والجزاء وهذا للاتي:

الامر الاول:

لانهم اجتروا على الله تعالى فخالفوا اوامرهم وكفروا ووجدوا اقامة دعوة الله تعالى ظاهراً وباطناً.. فقد جمعوا بين الاساءة والاماني عندما ادعوا "لن تمسنا النار الا اياماً معدودة" فهم لا برهان لديهم ولا دليل .. لان العهد الذي يكون فيه السلامه والاماني هو عهد الإيمان الذي اخذه الله من آدم حينما سلمه مفتاح الارض "فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هدى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون"

اي طاعة الله ورسوله والاخلاص واتباع منهجه فلا يوجد عهد للذوات والاشخاص .

والاساءة ان يطلق المرء اقوالاً دون اساس يستند عليها بان له وعداً من الله دون دليل فقال لهم "ام تقولون على الله ما لا تعلمون" اي كيف يكون منكم الإفتراء والمخالفة والقول بدون علم فهذه التقولات والاكاذيب الباطلة من اشنع القبائح وهي افتراء افسدت التصورات وكانت سبباً في الغضب الالهي على اليهود فطريق المغضوب عليهم بديته تلك الاساءه بعدم تقدير الله وتعظيمه وتقديره حق قدره.

الأمر الثاني:

يخبرنا الله ان الاماني تظهر من كل الامم في حالة الضعف والانحطاط اذ نجد ان حالة التدين المغشوش لدى اي امه في عصر الانحطاط يتفخرون بما بين ايديهم من الشريعة ويتباهون باسلامهم وبماثرهم.. وتشعر لهم الاماني ان ذلك كاف لنجاتهم وسعادتهم ون لم يعملوا الاعمال الصالحه.

حيث نجد في عصرنا من حول العقيدة والتوحيد إلى مجرد زينه يتزين بها واحل محلها الانساب والسلاله وصار الكثيرون يعبدون انسابهم واسلافهم ويتصورون ان انتسابهم إلى الصالحين او إلى بيت الرساله او غيرها انها تمنحهم ضمانه بدخول الجنه وعدم دخول النار وهذا يدل على فقدان هؤلاء للعلم لانهم بنوا العقيدة على الاماني و التقليد لعلماء هم الذي حرفوا مقاصد الشريعه من احكامه.. وحصل تبرير للاخطاء والانحراف وعدم قبول الحق بالتشرف بالانساب والسلاله فكان ذلك مقدمه للهلاك للتخلي عن فكرة الخلافه الحقيقيه واصاب الامه الجمود و الخمول وتعطيل الحركه وعدم محاسبه النفس وتولد الفساد فاصاب الامه ما اصاب اليهود من الذل والمسكنه لان ذلك هو طريق المغضوب عليهم.

الأمر الثالث:

ان ذلك للتحذير من خطورة الاماني واختلاق التقولات بدون دليل فالله يقول اذا كان اتخاذ العهد لم يحصل فان هذا ليدل انكم تكذبون فهذه الدعاوى باطله هي اساس الشقوه فهي تولد حالة الانغلاق على الذات وضمور القيم و المبادئ وتحدث فجوه واسعه بين القيم الروحانيه والحركه العمرانيه في الارض ويحصل الاعوجاج والانحراف الجماعي في العقل والفكر والتطور والاحاسيس ولا تجد الامه من يقوم بتقويمها واعادتها إلى الطريق المستقيم. فيكون هذا الكسب هو الذي يحدد المصير والنهائيه التي تصل اليها اي امه عندما تغيث حالة الانحطاط.

فالاماني تؤدي إلى التشكيل الكاذب الذي يطمس الهويه ويقتل الافكار ويغرس بدلاً عنها الاوهام.. وتنشاء فكرة التبرير للجرائم والتبرير للانحراف وعبادة الاسلاف والتباهي بالتاريخ وهنا تعيش الامه في دائره مغلقة محيط بها الظلمات من كل جانب.

حيث تصير الامه بافكارها ووجدانها كأنها محبوسه لا تجد لنفسها مخرجاً تخرج فيها من اسر الاماني والجهل و الظلمات.. حيث انها تكون عاجزه عن التعاطي مع مصادر الهامها الاخلاقيه.. لانها قد استبدلته بتقديس الاشخاص والذوات فتضع لنفسها اسلاك تمنع نفوذ نور الإيمان إلى روح الامه ذلك ان تقديس الاشخاص وبناء العقائد على الاماني والتقليد يستهلك الطاقه الروحانيه ويستنفذ الافكار التي تمنع الوقوع في دائرة الظلمات فهذا يعيش بحركه اللف والدوران حول ذاتها لا تروح من مكانها.. فيكون اسيرا لشهوه الاماني والسلاله وبالتالي يعبد هواه "اريت من اتخذ اله هواه" وهذا يكون عابداً لنفسه ولسلالته فهذا هو الباعث لقوله ما لا يعلم على الله.

وهنا تكمن الخطوره لان التمادي والانجرار والتشدد بالسلاله والنسب قد استغرقت نفوسهم واحاطت بهم مثل الدائره او القبه فهؤلاء لا امل من خروجهم من اخطار دائرة النسب ولذلك فهؤلاء العهد الذي قطعه الله لمن يتصف بذلك قد ذكر عندما سلم الله آدم مفتاح الارض "والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون" لان هؤلاء ينتمون إلى مدرسة الشر والشيطان فقال تعالى "بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون".

المبحث الثاني:

ان النص تضمنت الاحوال التي يكون اصحابها ملازمون للنار بالمكوث فيها وهذه الامور:

1- الكسب العمل الخبيث.

2- اضافت لهم الخطايا.

3- استغرقت الشر نفوسهم.

لرد على من قال انه لن تمسهم النار استعمل الجمله الاسميه والضمير المنفصل فاولئك هم لتأكيد خلودهم وملا

ازمتهم بالصحة لمن في النار لأن اليهود قالوا انهم شعب الله المختار وانهم احباب الله وانهم قد فصلوا عن الاخرين فجاءت النصوص لنفي تلك الاقاويل الباطلة وتأكيد الخلود لهم بشروطها الثلاثة:

الشرط الأول: من كسب سيئة

الأمر الأول:

الكسب العمل الذي يصير مالا ثابتة فيه قائمه مستمره.. ولهذا يقال كسبه اذا عمل ذلك قاصداً مستمراً حتى يكون له مجرى في قلبه لأن صاحبه يسعى إلى هذا الكسب ويعتبره متعه فهو يسعى إلى استجلابه.

ولأن كل فعل يترك اثر في النفس.. وهو ما يودي إلى السمو الروحاني او إلى فساد التصورات بناء على اغطيه تمنع رؤية الحق وتشكيل ظلمات تمنع نفوذ النور إليه ولهذا ذكر العلماء اقوال كثير بشأن السيئه هنا.

الأمر الثاني:

قالوا الشرك.. ولا يقصد بها الخلود لمن فعل الكبائر ثم تاب.. والبعض قال فعل كبير ويموت عليها لان الذنوب تحفظ بالقلب "اذا اذنب العبد تنكت في قلبه نكته سوداء"

والذي يغشي القلب سمي ران وطبعاً وقفلاً ونحو ذلك وان هذا يكون اذا حصل الاصرار عليه ولم تحصل له توبه.

لان الاحاطه بالشئ تعني احداقها فلا يكن الخروج منها وهذا هو السبق بما كسبت نفسه.. اي يحبس نفسه عن الاعمال التي فيها نجاه النفس في الدارين.

الأمر الثاني :

فالمعاصي قيد تحبس صاحبها وتمنعه من الجولان والوصولان في فضاء التوحيد وفي الاعمال الصالحة التي تجني ثمرتها وتكون رصيد له في الاخره ولهذا فان المراد بالسيئه هنا هو الشرك بالله والكفر لا مجرد المعاصي والكبائر لاتي:

1- ان النصوص قد جاءت بتناول اوضاعاً واحوالاً فيها اعمالاً تدل على الكفر والجحود من نقض العهد وتحريف التوراة.. وبناء العقيدة على التقليد دون معرفة الاحكام والظن والشك الذي بنوا عقيدتهم عليه و المتاجره بدين الله وشريعته.. والافتخار بالانساب واعتبر ذلك سبباً لدخول الجنة وعدم دخول النار وافتراءهم بذلك القول على الله وهذا فيه افتراء لشريعة الله وجحوداً وكفر باوامر وشرائعه.

2- ان الله سبحانه وتعالى يزن الحسنات والسيئات وذكر ذلك في الكتاب والسنة "من يعمل مثقال ذرة خيراً يره" "ويضع الموازين القسط يوم القيامة" وهذا باتفاق العلماء فالمقصود بذلك هو الشرك.

3- ان الله سبحانه وتعالى غاير بين الكسوب والمحيط ولو كان واحد لم يغاير والمشرك له خطايا بالشرك احاطت به لانه لم يتب.

4- انها جاءت نكره هنا وبالتالي فليس المراد به حبس السيئات بالاتفاق وانما هي صفة إلى حال سيئه او مكان سيئه مثل قوله تعالى "والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة مثلها".

عملوا الشرك لانه وصفهم بهذا ولو آمنوا لكانت لهم حسنات ولهذا قال "من كسب سيئه" لم يذكر حسنه كقوله

للذي له السيئه الحسنه اي فعلوا الحسنه وهو ما امروا به كذلك السيئه بتناول المحظور فدخل فيها الشرك.

"واحاطت به خطيئته"

الخطيئه فعليا من الخطاء ولكن هنالك فرق بينهما.

فالخطاء يقع من غير قصد ابتداءً ولكن لا يتكرر اما الخطيئه فالفعل منها مقصود ابتداءً ويتكرر فهو يحدث خطأ في النفوس حتى يصير عادة يعتاد فيها الشر عليه باستمرار فيكون قد اركست نفسه على الفعل لنتيجة انغمستها في الاثم فصارت نفسه ملامه لها وكانه يقع في غير قصد نتيجة العاده.. فصارت سلوكاً.

الشرط الثالث: استغرقت نفوسهم الشر.

"واحاطت به خطيئته"

استولت الخطيئه على النفس وصارت كأنها فيه احاطت على النفوس من جميع جوانبها.

فالمعنى خاص لا عام وهو عني الشرك والكفر الذي يجتمع على الامم مثل البيوت ه التي تحدد عليه من كل جانب فهؤلاء هم الذين قضى على اهلها بالخلود اي الخلود لاهل الكفر بالله دون اهل الإيمان فهم لا يخلدون والله اعلم.

المبحث الثالث :

ان الانسان عندما يصير اسيراً للسيئه فانه يصير عبداً لها ويكون عابداً لها من دون الله لانه ينظر لها انها مكسب توثر فيه اللذه ولو انه ندم او اعتبرها خساره لكان تاب عنها وطلب الغفران لكن توفر الرضاء والقبول بالخطيئه مكنها من وضع الاسلاك والقيود التي تحيط به من كل مكان بحيث يصبح اسيراً لها فهو يعيش في اطارها فهؤلاء لا يمكن ان يدخلوا الجنه وانما مصيرهم النار والخلود فيها.

المبحث الرابع:

اخبرنا الله ان العهد الذي منحه للمؤمنين للنجاه هو الإيمان مع العمل الصالح على الدوام حتى يلقي الله وهو على ذلك.

فقال "والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنه هم فيها خالدون" الإيمان بالإذعان والتصديق بشرط العمل الصالح.

القسم الثاني من المقطع الرابع الجزء الأول من سورة البقره

(وإذ اخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلاة واتوا الزكاة ثم توليتهم إلا قليلا منكم وانتم معرضون وإذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون.. ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وإن ياتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى اشد العذاب وما الله بغافل عما يعملون.. أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخره فلا يخفف لهم العذاب ولا هم ينصرون)

المبحث الأول:

ان هذا القسم ابتداء بصيغة الاخبار (وإذ اخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً واقيموا الصلاة واتوا الزكاة ثم توليتهم الا قليلاً منكم وانتم معرضون)

1- فقد تضمنت الايه بيان الاتي:

الأمر الاول:

ان العهد الذي بينهم وبين الله تعالى ليس كما زعموا بانهم لن تمسهم النار الا اياماً معدودة.. وان ارتكبوا الجرائم واشركوا.. إلخ فذلك القول باطل لا اساس له.. وان العهد الذي بينهم وبين الله تعالى هو

١

ان يعبدوا الله تعالى ولا يشركون به شيئاً.. اي ان القاعده الاولى في العهد هي التوحيد الخالص لله.. والعباده هنا تتضمن الخضوع والاذعان والتسليم لله في كافة شئون الحياة.

-2

ثم الامر باعمال البر وترتيبها وبالوالدين إحساناً.. إلخ بما لا يتناقض مع قاعدة التوحيد واخلاص العبوديتها لله تعالى فبداء بذكر الاحسان للوالدين ثم الاقارب ثم اليتامى ثم المساكين.

-3

امرهم بحسن المعامله مع الناس بالقول والفعل.-4-

٤

امرهم بالدوام على الصلاة والزكاة دون انقطاع.

الأمر الثاني:

1- ان النص ابتداء بقوله "وإذ اخذنا ميثاق بني إسرائيل" حيث جاء متضمن أسلوب الغيبة في الاخبار عن هؤلاء لبيان حقيقة العهد الذي اخذ منهم.. ثم نجد انه في الشطر الاخير من الاية قال "ثم توليتكم إلا قليلاً منكم وانتم معرضون" فالضمير جاء فيه الخطاب الموجه للحاضر منهم وليس الغائب.. وهذا فيها إشارة إلى فساد امانيتهم وبطلان ادعائهم فالله يقول لهم ان العهد المأخوذ منكم هو هذا العهد.. وهذا العهد هو ما ارسل به جميع الانبياء و الرسل.. فليس لكم تمايز بالانساب ولا نحوه.

2- يبين لهم ان العهد الذي بينكم وبين الله تضمن الاتي:

المسألة الأولى: العهد الذي يحكم علاقة العبد بربه وذلك بالتوحيد الخالص الذي يكون العابد عارفاً ما هو المحبوب الذي يبلغ به بادراكه انه من الله تعالى ويعرف الطريق الموصل لذلك المقصود.

فالعبودية يراد بها ان يكون مقصود العبد ومحبو به الذي يقطع بقلبه وجوارحه الطريق للوصول اليه هو الله تعالى "لا تعبدون الا الله" لان الاله هو الذي تالهه القلوب والخلانق تعظيماً وخضوعاً ومحبة ورجاءً وتوكيلاً ولهذا ابتداء بالنص "لا تعبدون الا الله".

بأن القلب اذا كان له محبوب غير الله فسد فساد لا يرجى صلاحه الا ان يخرج ذلك المعبود (المحبوب) من قلبه ف لا يسكن قلبه الا الله ولهذا فيجب أن يكون عمله كله لله فالله هو مراده ولهذا يجب عليه ان يحاسب نفسه عن المراد في عمله هل يقصد به وجه الله ام غيره لكيلا تعتاد النفس الشرك.. ولذلك قال "وبالوالدين إحسانا وذوي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً" حيث انه يحذر من ان تكون ارادة النفس في اعمال البر ما يفسد العمل عندما لا تقصد به وجه الله كأن يقصد الانسان اسلافه او يريد من الإنفاق وغيره مصالح الشهره او غير ذلك.

المسألة الثانية:

ان الترتيب في اعمال البر تهدف إلى اهمية محاسبة النفس وان تكون تلك الاعمال يقصد بها وجه الله تعالى.

فالله يخبرنا ان هذا العهد المقطوع مع بني إسرائيل قد تضمن بيان الحق والباطل ورسم لهم الطريق للحركة واستغلال الطاقه (الاراده) لان الحارث همام بالطبع والحارث الكاسب العامل الهمام هو المراد ذلك لان النفس متحركة بالاراده وحركتها الاراديه تعني انها ارادت الخير وطلبتة ولكن عندنا تدخل إلى النفس الرياء والنفاق و الشهره فان ذلك يبطل العمل ويذهب بالاجر.

الأمر الثالث: ت

ان المولي سبحانه وتعالى يلفت انتباه المخاطبين الي أن العهد المقطوع مع بني إسرائيل هو عهد انساني حمله الرسل كلهم الي الناس فلا تميز لبني إسرائيل:

1- فذكر ان هذا العهد هو ما حمله الرسل جميعاً "لا تعبدون الا الله" ولهذا نجد ان النص جاء بالعرض عن الجملخ الفعلية لصيغة الجملة الخبرية فتجد الالتفات في الخطاب "لا تعبدون" من بني إسرائيل الغائب إلى الحاضرين فد ذلك التعرض على الاجابه بالتوحيد بان هي التي حملها جميع الرسل.

(وما ارسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه انه لا إله الا انا فاعبدون)

2- الامر بالعباده لله وحده وهي تعني تطهير النفوس والقلوب من رجس الاوثان والاصنام.. تعني ترك الخيالات المتناقضه وترك زباله الافكار الرديئه.. وتعني ان الكتب السماويه واحده وان التوراة قد حدث فيها تحريف وتزييف باضافة امانى باطله نسبوها إلى الله تعالى ظلماً وعدواناً.

الأمر الرابع:

1- ان العهد قد تضمن العنايه بالاسره واهميه تبادل العلاقات على منهج الله "وبالوالدين إحساناً" حيث ذكر ان حق الله تعالى بعبادته وهي اعظم الحقوق وهنا ذكر حق المخلوقين فابتداء بحق الوالدين.

والاحسان في اللغة الاتقان.. والمعنى معاملتهم بالاحسان في القول والعمل وعدم الاساءه لهما.

2- يتوجه السياق بالأمر بالاحسان إلى الاقارب "وذي القربى" لاهميه العلاقات الاسريه لبناء مجتمع مسلم متجانس خالي من الصراعات والنزاعات.

3- يتوجه السياق إلى الاحسان إلى الضعفاء واليتامى والمساكين.

4- "وقولوا للناس حسناً" اي معامله الناس بالاحترام.

فالنصوص تبين العلاقه الانسانيه المجتمعيه التي توجب احترام انسانية الانسان.. فاستخدم "حسناً" وهو حث بليغ على حسن الاخلاق وحسن المعامله فاللازم احترام الانسان ونبذ التعصب.

الأمر الخامس: "وأقيموا الصلاة واتوا الزكاة"

والصلاة هي الدعاء والزكاة هي الطهاره.

وهنا قد يقول قائل انه تعالى ذكر فضل العباده لله "لا تعبدون الا الله" والصلاه من ضمنها فلماذا ذكرها بعد ذكر العهد الانساني "وقولوا للناس حسناً" ؟

فاللازم ان تدرك ان الميثاق الانساني هو لإصلاح النفوس وتهذيب الجماعه ميثاق تاليف الناس واجتماعهم ميثاق الموده.. حيث يكون اثار العمل بالعهد تحويل الانسان من همجي الي انسان انساني إلى إخلاقي إلى إنسان رباني.. يعرف حقوق ربه وحقوق الاخرين فلا تحدث في المجتمع الفوضى والعبث في الأرض

ولهذا فلا بد من العمل بالجوارح بالاتصال بالله (الصلاة) فهي مجال التطبيق العملي البدني للعباده فالمراد بها ان تكون الحركه كلها لله في جميع شؤون الحياه وليس المراد بها الصلاة فقط.. والزكاة هي حق العباد في المال و العلم والحقوق على الناس سواء كان في المال والعلم والجاه او غيره فهي عليها زكاة.

حيث ان الخير والبر والصلاح وكذلك الشر والفساد يتوقفان على حياة القلوب واضاءة اشراقها.. وعلى موت القلوب وظلمتها فإذا كانت القلوب حية مشرقه فانها تكون صالحه لاستعمال الخير والانتفاع به.. اما اذا كانت القلوب ميتة ومظلمه فانها تكون فاقده للاحساس يابسه قاسيه فهي مثل قطعة اليد المشلوله بمرض ونحوه حيث انها تفقد حاسة الاحساس والحركه فهي لا تتأثر بالموثرات ولا تتحرك اذا اصابتها ذبذبات كهربائيه لانها ميتة.

فكذلك القلوب القاسيه لا تتأثر بالإيمان لانها منشغله باوساخ الانساب.. فهي مظلمه ظلمه شديده السواد. لا ينفذ من خلالها الضوء

ولهذا نجد ان الله سبحانه وتعالى ابتداء السياق بقوله "وإذا اخذنا ميثاق بني إسرائيل" والميثاق هو العهد المؤكد والموثوق بالايمان المغلظه وذلك لبيان :

1- قساوة بني إسرائيل من كل امر امروا به فهم لا يقبلونه الا بالايامن المغلظه المعهوده الموثقه.

2- انه ومع ذلك تجدهم ينقضون العهود ولهذا قال " ثم توليتهم إلا قليلا " منكم وانتم معرضون " الاعراض هو الرفض وعدم الاكتراث للايمان والعهود اي عدم المبالاه.

والتوالي الرفض وعدم القبول وذلك لأن قلوب هؤلاء مينه فهم استعملوا قوة العلم في التزييف والتبديل رغم ادراكهم للحق فهذه القلوب اعتاد اهلها سماع الباطل وقبوله واكسب ذلك قلوبهم قساوه جعلهم يحريفون الحق عن موضعه فهم قبلوا الباطل واحبوه ورضوا به ولهذا قالوا " اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم".

ولهذا رفضوا الحق وكذبوا به لان قلوبهم ليست مريده للحق ولا تطلبه فهم عرفوا الحق واثروا عليه غيره من الباطل فهم المغضوب عليهم.. والعناد جعلهم يرفضون الحق واستبدلوه بالاماني الزائفه والخيبالات الكاذبه.

ولهذا نجد ان النص جاء بصيغة الزمن الماضي ثم جاء الخطاب لصيغة الوقت الحاضر " ثم توليتهم " وهذا لبيان اهمية الشعور بحقيقة العهد والالتزام به والحفاظ على دوره في تهذيب النفوس وبناء الجماعه والمساوعه للاتحاق في جماعة الإيمان.

" وأقيموا الصلاة واتوا الزكاة " جاءت متاخره لبيان عدم الانقطاع عن الالتزام بالعهد لمجي رسول جديد فاللازم الا لتحاق بجماعة الإيمان والتصديق به ونصرته واتباع منهجه فهي كما قال " وأقيموا الصلاة واتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين " للحث على ترك العناد والمبادره على الاتحاق بجماعة الإيمان ثم بين اعراضهم وتوليهم ورفضهم اتباع القرآن.. فتضمنت النصوص بيان وحدة الاديان وموافقة القرآن للتوراة.(مصدقا لما معكم)وأثبتت تعنت اليهود ونقضهم العهد

المبحث الثاني:

(وإذا اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون)

تضمنت الايه الاخبار عن تحريم سفك الدماء ومنع وتحريم الطرد من الاوطان والديار بدون وجه حق فقال تعالى "وإذا اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون".

الأمر الأول:

حيث ابتداءت الايه " وإذا اخذنا ميثاقكم " خطاب موجه للذين ادركوا رسول الله (ص) مع ان الميثاق قد اخذ من اسلافهم الذين كانوا في عهد موسى عليه السلام والمراد بهذا:

بيان ان العهد المأخوذ من الاسلاف عهد للذريه حيث ان الله ذكر ذلك بصيغة المخاطب لشد انتباه المؤمنين في كل زمان ان العهد المأخوذ من اسلافهم هو عهد معهم.. لانهم امتداد لاسلافهم فالله يريد منا ان نكون مشاركين بمشاعرنا واحاسيسنا عندما نسمع العهد فنحس اننا نقف بين يدي الله وان العهد مقطوع معنا.

والاشاره إلى الوحده النفسيه والمعنويه لاي امه فالماضي هو القاعده التي تبنى عليه الامه.

الأمر الثاني:

ان الله يخبرنا حفظ لجمعهم وحقق لدماءهم. ويفرض الالتقاء والتعاون والاتحاد بينهم ويمنع تفكك الامه وانقسام المجتمع.

فذكر النهي عن سفك الدماء ومنع الطرد من الاوطان والانضمام إلى قوم يقاتلون بعضهم البعض بصيغة "لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم"

حيث ذكر في النهي عن سفك الدماء "لا تسفكون دماءكم" فجاء الخبر بصيغة النهي (لا) وعبر عن التقاتل بينهم "لا تسفكون دماءكم" ينسب السفك المنهي عنه اليهم.. والدماء إليهم.

وهنا قد يقول قائل اذ كيف يكون للقوم أن يقتلون انفسهم ويخرجونها من ديارهم.. فالمعنى ليس ذلك فالنهي عن قتل بعضهم البعض.. والمراد من هذا هو الاتي:

1- ان الآثار السلبيه لهذه الجريمة تعود على المجتمع برمته لانها تقتل روح التعاون وروح الوحده وتفكك الاسره الواحد.. فالإيمان اسرة المومنين وعندما يقتل احدهم الاخرين فانما ذلك بمثابة من قتل نفسه.

2- ان اهدار النفس من اسرة الوتينه تولد خساره في هذه الاسرة فيكون القاتل خسران والمقتول خسران كذلك لا ن ذلك بمنزلة من يقتل نفسه.

3- ان النص يريد ان يغرس في النفوس اهمية ان يشعر المرء انه واخوانه المؤمنين بمنزلة رجل واحد "اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" فالمراد بهذا غرس مبداء الاخوه والشعور بالالم والاحساس باوضاع الاخرين اي وحدة الامه.

الأمر الرابع:

(ولا تخرجون انفسكم من دياركم)

المنع من الطرد والتهجير والصيغه جاءت فيها التعبير بأن اخراج البعض من الاوطان والديار لانفسهم الكل.. وذلك لان الاجتماع في الامه الواحدة يكون على التآزر والتعاون واخراج البعض بمثابه اخراج الكل لانه يفرق جمعهم ويجعلهم لقمه سائغه للاعداء.. ويسهل اخراج الذين بقوا.

فالنفس هي كما ورد نفسك يا ابن آدم دماء اهل ملتك ودعوتك حيث وان النص يفهم منه ان سقوط امة اليهود في غضب الله وانهيار دولتهم يعود إلى الحروب وسفك الدماء وانقسام المجتمع.. فالنص يدل ان العهد هو لحفظهم جميعا ولهذا جاء النهي بهذه الصيغه "انفسكم" لتأكيد اهمية وحدة الامه وهذه الصيغه لتنبية وتهئيه النفس لاستقبال الامى فالشعور بالوحد تدفع النفس إلى الامتثال لان مسألة شعور الفرد بأن كل دم وكل فرد من افراد الامه كانه دم الاخر الذي يجري في عروقه والشعور ان نفسه هي نفس الآخرين واذا زهق دم الاخرين فان اثر ذلك سيكون على نفسه. عندنا يشعر المرء ان طرد اي شخص من ملته كأنه طرد له هو فان هذه المشاعر ستولد التماسك والترابط والأخاء والمحبه.

الأمر الخامس:

(ثم اقررتم وانتم تشهدون)

اي ان الحاضرون في زمان الرسول قد اقرروا واعترفوا بالعهد وشهدوا على اسلافهم فقد علمتم ان هذا العهد ملزم لكم والتزمتم بالوفاء ولهذا فانتم شاهدون على اعطائكم العهد وعدم الوفاء به فقال " ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم" اي صدرمنكم القتل وطرد بعضكم البعض من ديارهم.

المبحث الثالث:

(ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان ياتوكم

أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض)

النص استخدم اسم الاشاره (ثم انتم هؤلاء) فالعطف هنا بـ (ثم) للبعد المعنوي بين الميثاق الذي اخذ منهم واقروه وبين الحاله التي وجدوا عليها وهو انقسامهم وتقاتل بعضهم مع بعض.

فاسم الاشاره في الخطاب لبيان الصفات العامه فيهم حيث وهذه الافعال كانت في زمان الوحي بالمدينه قبل بعثه النبي (ص) حيث كان الانصار على عادة الجاهليه يقاتلون بعض اليهود وكان هناك احلاف بين اليهود بني قريظه وبني النضير وبني قينقاع مع الاوس والخزرج فاذا حصلت حرب تعاونت قبيله بني قريظه مع الاوس ضد بني النضير فيقاتل اليهودي الاخاه اليهودي الاخر وكانت اليهود اذا وجدوا اسيراً منهم وجب عليهم فداؤه واذا وجد من غيرهم قالوا ان ديننا يحرم الفديه.. فالنص فيه الاتي:

1- فضح وكشف اليهود في نقض العهود ومن ذلك قتل بعضهم البعض وعدم الاكتراث منهم للعهد الذي فيه مصلحتهم جميعاً.

2- انهم تعاونوا مع الاخرين من اهل الشرك ضد اخوانهم بالاثم والعدوان "تظاهرون" والمظاهره والمعاونه مشتقه من الظهر لان بعضهم يقول لبعض فيكون له كالظهر.. فالنص يخبرنا ان اليهود قد تعاونوا مع الاخرين للاعتداء على اهلهم وذلك بانظام فريق منهم ضد الاخر إلى الفرق المتقاتله وهذا يقتضي ان يخرج فريق منهم من ديارهم لاجل القتال او الطرد او الهجره.

3- انهم كانوا يأخذون الفديه اذا كان الأسير يهودي اما اذا كان من غيرهم قالوا ان ديننا يحرم عليهم الفديه.

فيستنكر الله عليهم ذلك فيقول "افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض" فهو استفهام لانكار الواقع الذي يعيشونه ويلومهم على ذلك وليبيان حالة التناقض في إيمانهم فالإيمان يقصد به تنفيذ اوامر الله نصاً وروحاً لكن هؤلاء ينفذون ما يكون موافقاً لهواهم ويجمدون ما لا يوافق هواهم فيقول كيف تصدقون ببعض الاوامر من التوراة وتكذبون البعض الاخر.

الأمر الثاني:

(فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون)

النص فيه حوار مع هؤلاء احتراماً للعقول والنصوص تبين لنا اهمية الحوار والنقاش وتفنيد الدعاوى المقدمه للوصول إلى الحكم والقرار اللازم.. فالنص فيه المشاركه للوصول إلى النتيجة:

*

اليس في الفعل منكم لمن قتل منكم قتلاً ً نقض لعهد الله الذي الذي حكم به عليه في التوراه

*

اليس لمن اخرج منكم فريقاً من ديارهم مظاهراً عليه اعداءهم من اهل الشرك ظلماً وعدواناً مخالفاً لما انزل الله على موسى في التوراه.

فذكر استحقاق المخالفين للجزاء والعقاب:

1- لهم الذل والخزي والمهانته في الدنيا بان سلبوا التمكين والعز صاروا اذلاء محكومين يدفعون الجزيه عن يد

وهم صاغرون لهم الخزي بالقتل والاسر والذل في الدنيا.

2- وانهم سوف يلقون يوم تقوم الساعه العذاب الموجه الذي اعده الله لاعدائه.. "العذاب" ورد فيه "ال" الجنس فذلك فيه لفت الانظار إلى انه يراد به جنس العذاب كله دون نوع منه فهو عذاب موجه وقوي بكل معاني العذاب وشدته وعظمته.

3- ان الله لا يسها عن اعمالهم الخبيثه "وما الله بغافل عما يعملون" فيعملون يعني عما يعمله الذي اخبر الله عنهم انه ليس لهم جزاء على فعلهم القبيح الا الخزي في الدنيا ومرجعهم في الاخره إلى اشد العذاب.

فالنص جاء بالتعقيب الذي التفت فيه إلى المخاطبين من المؤمنين من امة الاسلام للتحذير من سلوك طريق اليهود فيعلمهم تذكر ان الله لايسهى عن اعمال العباد وهو محص لها وحافظها لهم ليخبرهم بها يوم القيامة، ويخزيهم في الدنيا فيذلهم ويفضحهم فهل تريدون ان تقعوا في الفضيحة والذل مثلهم فاذا سلكتم طريقهم سوف يكون مصيركم مثلهم.

الأمر الثالث:

(اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخره فلا يخفف لهم العذاب ولا هم ينصرون)

يذكر الله لنا السبب الذي جعل اولئك الذين اخبر عنهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض عندما قاموا بالقتال في صفوف المشركين ضد اخوانهم من اهل ملتهم فهؤلاء اشتروا رياسه الحياة الدنيا على الضعفاء فهم خافوا من العار اذا لم يوفوا مع الاحلاف فهؤلاء باعوا دينهم مقابل مصالح الدنيا الزائلة.

لم ينظروا إلى الاخره وإلى انهم سوف يقفون امام الله فقد كفروا ب الله مقابل الرضا بالدنيا.. استحباوا القليل الزائل في الدنيا ولهذا يقول الله "لا يخفف لهم العذاب" فالعذاب لا يفوته اي يبقى على شدته لا تحصل لهم راحة بوقت من الاوقات "ولا هم ينصرون" لا يجدون من يدفع عنهم العذاب فمن وقفوا بجانبهم في الدنيا عاجزون عن نصرتهم في الاخره.

فالنصوص تبين ان اساس الدوله تقوم على امرين:

الشرعيه الدستوريه - الوحده للامه، وانه لا يجوز التفريط باي منهما فذكر في القسم الاول تفريط اليهود للشرعيه الدستوريه بتحريف التوراة وذكر في هذا القسم التفريط بالوحد.. وهذا ما حصل للامه حيث انها فرطت ب الشرعيه الدستوريه عندما مكنت الامويين من مصادرة السلطه بحجة الحفاظ على وحدة الامه ثم حصل في عصر العباسيين التفريط بالوحده لتصير وحده صوريه بالتفريط بالوحده الفعلية واخيراً تم التفريط بالوحده الصوريه وحصل تقسيم المجتمع الاسلامي إلى اجزاء صغيره متنافره واحزاب وجماعات يسودها الحقد والكراهيه و الحروب وهذا هو طريق المغضوب عليهم وهو ما حذرنا الله منه وهو ما تقراءه في كل صلاة "غير المغضوب عليهم".

القسم الثالث من المقطع الرابع من الجزء الاول من سورة البقره

بعد ان ذكرت النصوص نقض بني إسرائيل للعهد وكيف انهم فرقوا وحدة الامه وتحالفوا مع اهل الشرك والا
وثان فاستحقوا الخزي والهوان في الدنيا بافعالهم ومخالفتهم لاوامر الله والتناقض في اقوالهم وافعالهم في
عملية البيع و الشراء منهم للدين والمتاجره به لانحراف افكارهم لتناقضهم مع التكليف الشرعيه باسم المصلحه.
وهنا تمضي النصوص في الكشف وفضح اليهود في رحله متانيه تعرض لنا صفحات تاريخ هذه الامه من عدة
اوجه ومحاور ومباحث.

المبحث الاول:

بيان موقف بني إسرائيل تجاه الكتب السماويه والرسل والانبياء وترسم لنا النصوص صورة متكامله عن فظائع
اليهود مع الانبياء والرسل، وتكشف عن حقيقه الاسباب التي جعلتهم بتلك الصفات القبيحه.

(ولقد اتينا موسى الكتاب وقفيننا من بعده بالرسل واتينا عيسى ابن مريم البيئات وايدناه بروح القدس افكلما
جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون)

فالله سبحانه وتعالى يخبرنا انه اعطى موسى عليه السلام التوراة التي فيها احكام الله وشريعته.. وانه ارسل
الرسل من بعده دون انقطاع اي حصل تتابع بارسالهم.. وكان اخرهم عيسى عليه السلام الذي اتاه الله المعجزات
التي توييد وتؤكد صدق نبوته.. فكيف كان استقبال هؤلاء للكتب السماويه؟؟ فذكر انهم كذبوا العديد منهم وقتلوا
العديد ولهذا سوف نقف مع مدلولات النصوص مع انفسنا لتأمل ذلك من خلال الاتي:

الأمر الأول:

ان الله سبحانه وتعالى ذكر اعطاء موسى التوراة فقال "ولقد اتينا موسى الكتاب" برغم انه قد سبق وان اخبرنا
الله تعالى انه اعطى موسى الكتاب التوراة فقال "ولقد اتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون" وبالتالي فما
الغرض من التكرار في النصوص؟؟ الجواب على هذا يكون من خلال التالي:

المسألة الأولى: ان الله يخبر المؤمنين ويطمئنهم ان تكذيب بني إسرائيل بالقرآن ورفضهم الإيمان واتباع الرسول
(ص) ليس لان القرآن فيه غموض وانما اعراضهم وجحودهم يعود إلى العناد والجحود لدى هؤلاء القوم فهو طبع
طبعوا عليه فانظروا كيف كان استقبالهم للتوراة التي يتشددون بها ويرفضون القبول بالاسلام بحجة ان لديهم من
تعاليم الانبياء واحكام التوراة ما تكفي وانهم ليسو بحاجة إلى القرآن او غيره.

المسألة الثانية: ان المولى عز وجل اكتفى بالاشارة إلى جحود اليهود بالتوراة كما يفهم من مقابلتهم للرسل واكتفى
بذكر "ولقد اتينا موسى الكتاب" لأن مهمة التوراة هي بيان احكام الله وشريعته ومنهجه في الحياة ولهداية
الناس.. وقد ذكر الله ذلك في قوله "ولقد اتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون" والفرقان هو الذي يفرق
به بين الحق والباطل.

وقد اخبرنا الله تعالى ان هؤلاء كانوا يتناقضون في التصديق بما جاء في التوراة فقال تعالى "أفتؤمنون ببعض
الكتاب وتكفرون ببعض" ولهذا ذمهم الله وبين ان التلقي للتوراة و اوامر الله عز وجل كان بالفتور والتكلف
فعندما امروا ان يذبحوا بقره قالوا "انتخذونا هوزا" وهكذا ارادوا تطويع الدين لارادتهم ورغباتهم فلم يذكر ذلك
لان النصوص قد تناولت تفصيلا ذلك سابقاً كما انه سوف يبين بعض اوجه ذلك الجحود في الايات اللاحقه.

المسألة الثالثة:

ان الله سبحانه وتعالى ابتداء النص بصيغة الخبر الاخبار عن انزال التوراة إلى بني إسرائيل مع نبيه موسى عليه
السلام واكتفى بذكر جنس "الكتاب" ال التعريف وهذا نفهم منه ان التوراة كتب الوحي الذي تضمن الشريعة والا

احكام والوامر والنواهي الالهيه إلى بني إسرائيل لاجراجهم من الظلمات إلى النور فهو كتاب الهدايه فالمهمه سبق بيانها "ولقد اتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون" مثلما انه قال عن القرآن "ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين" لبيان انه لا وسيله لمعرفة المحذور والمأمور من الاقوال والافعال الا بالوحي وان الله منزل القرآن وهو منزل التوراة وجميع الرسل حملوا الكتب ودعوا الناس إلى التوحيد وعدم الشرك بالله تعالى وان يكون تعاملهم مع الناس وفق قواعد الله ومنهجه لان التنفيذ لاوامر الله يحتاج إلى المحبه فيكون الحب في الله و البغض في الله، ولهذا نجد ان النصوص السابقه قد تضمنت بيان وحدة الرسالات من خلال ما ذكر في الموائيق "وإذ اخذنا ميثاق بني إسرائيل".

الأمر الثاني:

انه سبحانه وتعالى بعد ذكر موقف اليهود من التوراة يخبرنا بانه قد ارسل رسلا ً من بعد موسى يتبع بعضهم بعضا "وقفينا من بعده بالرسل".

1- فالله بهذه النصوص يلفت انتباه المؤمنين بانه سبحانه قد ارسل من بعد موسى رسلا ً دون انقطاع فقال. "وقفينا" اي اردفنا واتبعنا رسلا ً دون انقطاع.

2- يخبرنا ان هؤلاء الرسل قد جاءوا يحملون دعوة التوحيد ويحكمون باحكام التوراة والشريعه نفسها والمنهج نفسه الذي جاء به موسى عليه السلام لان القفو مشتق من القفاء وهو مؤخره العنق وتقول يقفوا الرجل الرجل اذا سار خلفه وتبع اثره فكان الرسل يتبع بعضهم بعضا دون انقطاع والمراد من ذلك بيان الاتي:

المسأله الأولى:

ان الله تعالى لم يترك بني إسرائيل دون رسلا ً خلال الفتره الزمنيه الطويله من عهد موسى إلى عهد عيسى عليه السلام لبيان عدم العذر لهم بالجهل باحكام التوراة نتيجة المده الطويله بين عيسى وموسى عليهما السلام فالله يقول انه قد ارسل العديد من الرسل فالمسأله لا عذر فيها.

المسأله الثانيه:

يخبرنا الله تعالى انه لم يترك هذه الامه بدون المحرك الذي ينيير نار الحياه المستديمه فيها فقد ارسل العديد من الرسل الذين يفترض انهم يبعثون الحياه في امة بني إسرائيل لان مجي الرسل دون انقطاع يجدد الطاقه و الحيويه والنشاط ويزيل الخمول لدى المستهدين، لكن امة اليهود لم تنتفع بمجي الرسل طوال تلك المده.

المسأله الثالثه:

يبين الله تعالى ان آخرهم هو عيسى عليه السلام الذي ارسله الله ليقيم المنهج والشريعه التوراة ويعمل ما كان يعمل موسى.. والله قد ايده بالبينات الواضحه على صدق رسالته من احياء الموتى وإبراء الاكمه والابرص وقد ايده الله بالقوه والحجه بنزول الوحي عليه روح القدس جبريل عليه السلام بما حمل من احكام الانجيل التي فيها تكمله التوراة اي لم يحصل لهم فتره انقطاع مثل بقية الامم.

الأمر الثالث:

فكيف استقبال اليهود ما حمله الرسل اليهم خلال تلك الفتره حتى مجي النبي (ص) "افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون"

1- الملاحظ ان النصوص انتقلت من صيغة الاخبار عن انزال التوراة وارسال الرسل وبعثة عيسى إلى صيغة

الخطاب مع امة اليهود "افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم".

2- وان هذا الخطاب ابتداء بالاستفهام الهمزه والفاء المفصحة عن امر تقدره تقديراً والاستفهام هنا لانكار واقع وحال هؤلاء المكذبون بالرسول من بني إسرائيل وذلك موجه إلى اليهود في زمان الرسول (ص)، بانهم كذبوا الرسول وقتلوا البعض الآخر، مع ان المخاطبين لم يحصل منهم ذلك الفعل وهذا للاتي:

المسألة الأولى:

لغرس مبداء وحدة الرسل فمن كذب رسولا ً يكون قد كذب جميع الرسل وبني إسرائيل الذين كذبوا بالرسول (ص) وبالتالي فقد كذبوا جميع الرسل وهموا بقتل النبي (ص) عبر السم في الشاة وهم بذلك قد ارادوا قتل جميع الرسل.

المسألة الثانية:

انهم تلاقوا مع اسلافهم من بني إسرائيل على كراهية الحق وارادة تطويع الحق للباطل وتألهاة الذات فهذا القرب النفسي بينهم واضح بالقبول بما فعله اسلافهم وايضاً لانهم ارادوا ان يكرروا الفعل مع الرسول (ص).

الأمر الرابع :

استعمال الله سبحانه "أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم" ولفظ جاء يستعمل للقرب الزماني والمكاني مع ان هنالك فارق زماني وبعد مكاني بين مجي الرسل وبين المخاطبين في زمن الوحي من اليهود وهذا لبيان الاتي:-

المسألة الأولى:- تعبير عن القرب المعنوي في مجي الرسل لان دعوة الرسل واحده لبيان ان الرسول (ص) قد جاء يحمل نفس المنهج التي حملها الرسل من التوحيد وعبادة الله.

المسألة الثانية:- لبيان القرب النفسي بين هؤلاء الجاحدون في مقابله مجي الرسل اليهم برفض دعوه التوحيد ومنهج الله بتلاقى نفوسهم على الهوى والتبختر والكبر والخيلاء وبطر الحق.

لبيان ان اعتقاد هؤلاء يقوم على الوهم بانهم عظماء وانهم فوق الحساب والعقاب يتوهمون امور لا يمكن ان تكون فقالوا "لن تمسنا النار الا اياماً معدوده" لانهم يتخيلون انهم عظماء وانهم ارادوا العلوا في الارض بوسيلة ادعاء العلم باحكام الاديان فارادوا الرياسة الدينيه ولهذا فإن هذا الشر الكامن في نفوسهم هو العله "الهوى" (بما لا تهوى أنفسكم) وإن هذا السلوك هو الذي افسد القلوب لفساد النفوس التي جعلتهم يتصورون بانهم عظماء قد ادى إلى الاتي:-

1- ارادة تطويع الدين والرسول للاهواء والرغبات فهم لا يعظمون اوامر الله تعالى، فهم يزحمون الله في الالوهيه لا نهم بالهون انفسهم وذواتهم فهم عابدون لانفسهم " افرءيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم".

2- ان ارادة العلو والرياسه في الارض جعلهم يرون انفسهم عظماء ويرون الاخرين صغاراً هذا هو الخبال

3- ان هذا الكبر هو طريق ابليس اللعين "انا خير منه" فمن يكن في قلبه الكبر صار عبداً للشيطان ويستحوذ عليه الشيطان وكان محروماً من الهدايه.

4- ان هذا السلوك يجعل صاحبه يرى الحق باطلا ً ويرى الباطل حقاً فيما يتعلق بمسألة التعظيم للنفس والعلو في الارض ولهذا فهم لا يتورعون عن تكذيب الحق الذي يخالف الهوى ويسعون إلى رفع راية الباطل.

الأمر الخامس:-

تبين النصوص لنا ان النفس البشريه اذا لم يتم رعايتها وتزكيتها فانها تنحرف ولا تقبل المواعظ عندما يقدم الهوى على الهدى فلا تنفع الكتب السماويه لهؤلاء ولهذا بين لنا الله ان موقفهم من الرسل لا يخرج من حالتين:-
الحاله الاولى:-

"ففريقاً كذبتم" كذبوا بالرسل وكذبوا بما جاءوا به لانه يتعارض مع رغباتهم.

الحاله الثانيه:-

" وفريقاً تقتلون" قتلوا بعض الانبياء لانهم اي هؤلاء المكذبون من بني إسرائيل ينظرون لانفسهم انهم غير ما خوذون و لانهم ينظرون إلى المصالح في الحياة الدنيا ولهذا فاقدوا خاصية العقل فيرون ان وجود الدعاة و الرسل يمثلون خطر عليهم وعلى مصالحهم فينظرون إلى المنافع العاجله ويمنعهم العمى عن رؤية اضرار افعالهم.
المسأله الثانيه:-

ان النصوص ابتداءت. "ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون" وهذا التقديم للاهتمام ولاجل تشويق السامع إلى ما فعل به الرسل وبدء بالتكذيب لانه اول ما يفعلونه.

للتحذير من هذا ونسب القتل لهم مع ان الفاعلين غيرهم وعبر عنها بالمضارع والمراد من ذلك:-

1- استحضار الصورة وتصويرها في النفوس والقلوب لبيان ان القبول في فعل اسلافهم يجعلهم فاعلين.

2- ان الرضا بما صدر من الاسلاف وعدم استحضار بشاعة وفضاعة الفعله يجعلهم مشاركين بها.

المبحث الثاني:-

يخبرنا الله كيف ان هؤلاء المجرمون كان اذا لقوا المسلمون قالوا لاجل العذر انهم اسلموا ولم يتبعوا الرسول (ص) لان هنالك اغطيه تغطي قلوبهم وتمنعهم من الفهم والايمان لان هذه الاغطيه تمنع وصولها إلى النفس فهؤلاء ارادوا القول انهم لا يرون الحقيقه لوجود وقائع عدم الفهم وانهم مجبرون كما تقول الجبريه "لو شاء الرحمن ما عبدناهم" و انهم يطلبون العذر لعدم العلم حسب زعمهم فجاء النص (بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون"

1- ان هؤلاء مثل إبليس استحقوا الطرد من رحمة الله لانهم تكبروا مثله فرفضوا اتباع الرسل والانبياء والإيمان به الرسول (ص).

2- ان القلوب اوجدت بالفطره قابله للإيمان، ولكن نفوسهم الخبيثه ارادت فعل السيئات و ارادت ترك التوحيد و رغلت في عبادة الهوى.. وهي تكرهه الخير وتحب الشر فهي لا تقبل الا ما وافق هواها ولهذا كان فساد قلوبهم.

3- ان الله بين ان اعظم السيئات هي حجود الخالق والشرك به وطلب النفس ان تكون شريكه ونداً لله او يكون لها من الدعوه شيء.

ولهذا فان عدم قابليه بني إسرائيل لما حمله اليهم الرسل من اوامر الله ونواهييه وتكذبيهم للرسل وقتلهم الانبياء فهذه المعاصي قد كانت عقوبه لتعظيم النفس فقد ورد عن الرسول (ص) انه قال "اياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وان الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً" ولهذا فمن أمر السنه على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمه ومن أمر الهوى على نفسه ه قولاً وفعلاً نطق به البدعه "ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون"

4- ولما كان المرء محتاج إلى الهدى في كل لحظة أكثر من حاجه إلى الطعام والشراب لإن العبد محتاج إلى ربه ليعلمه كل ما يتعلق بتعامل احواله وواضعه وما يواجهه في حياته فلا يكفي مجرد العلم ان لم يجعله الله مريداً للعمل والاكان حجة عليه ولن يكن مهتداً.

ولهذا فان القانون الالهي للهدايه والرحمه تكون بطهارة النفس من الاوساخ لان السيئه خبيثه واذا كانت صادرة من النفس فانها تكون متمسه بالخبت وبالتالي لا يمكن ان تكون محلاً قابلاً لهدايه الله الخاصه لانه يستحيل ان تجعل من الجاهل شاهداً ومن الاحمق سياسياً فذلك لا يصلح ولهذا يحذرنا الله تعالى بالتسبب لحرمانهم من الهدايه وطردهم من رحمة الله.

" بكفرهم " اي ان اقضاءهم وإبعادهم وطردهم وحرمانهم من الهدايه الخاصه ومن رحمة الله هو الكفر والجحود ولهذا استخدم "بل" حرف جزم لتكذيب ما قالوا "قلوبنا غلف" بان هؤلاء كفروا بعبادة الهوى الذي أمره على انفسهم مبنيان ان هؤلاء المطرودون من رحمة الله رفضوا الإيمان والتصديق بما انزل الله.

"فقليلاً ما يؤمنون" "فقليلاً" نعت للمصدر المتروك ذكره بمعنى ان القليل منهم من يقع منه الإيمان اما الغالبه منهم كفروا ولهذا فهم مطرودون من رحمة الله فكان تكذيبهم وجحودهم جزاء على كفرهم وضلالهم فالأولى معصيه والثانيه جزاء وان كفرهم هو أكبر.

– الخاتمه التي نأخذ من هذا الدرس إضافة لما سبق:-

1- ان الله يخبرنا بخطورة الشر الصادر من النفوس لان النفس هي اصل الشر ومنبعه ويحذرنا من الهوى اذا لم يقمع فعندما يسلم المرء قيادة نفسه للهوى فانه يغفل.

ويعطينا هذه الامثله لان النفوس فيها ما في نفوس بني إسرائيل والفراعنه من الصفات اذا لم تهذب فهي لن تقبل الحق اذا لم يوافق الهوى، بل سوف تعادي الحق وسوف تلجاء إلى استعمال كل ما لديها من قوه لدحض الحق و القضاء على من يدعوا إلى الحق.

والامثله في تاريخنا كثيره حيث نجد ان البعض يقرون بالله ويقرون برسالة الرسول(ص) ويصلون ويصومون لكنهم اذا جاءهم من يدعوهم إلى عبادة الله واقامة شرعه سبحانه وتعالى واقامة سيادة الامه وسيادة الشرع و الحق فانهم يلجأون إلى معاداة المؤمنين والمصلحين خوفاً على مصالحهم التي يرون ان الدعاة يشكلون خطراً عليها.

وهذا ما حصل في امة الاسلام ويحصل فالشواهد عديده كيف ان الاعلام للدول والزعماء والملوك والرؤساء اليوم كيف تسخر كل امكانيات وطاقات وقدرات الامه لاجل محاربة الدعاة وتشويه صورتهم في المجتمع وتكذيب المبادئ والقيم التي يدعونهم اليها، بل ويصادرون حرياتهم واموالهم وممتلكاتهم ويقتلون هم ويعذبونهم فما اشبه الامس بالبارحه.

ولهذا فاللازم ان نستحضر هذه الصوره ونحن نقراء الايات لان الله قص علينا القصص لناخذ العظه ونعتبر فيها "فريقاً كذبتهم وفريقاً تقتلون" فليست المساله قصه تروى عن بني إسرائيل بل هو تأريخ متكرر نعيشه نحن في هذه العصور والله المستعان.

2- ان السيئات منشاه الجهل والظلم، فعنما نسلم القياده للهوى تحصل الغفله ويفقد العقل خاصية قياده الغفله والشهوات أصل الشر قال تعالى " ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه".

3- ان سبب الشر منحصر من النفس لان قوة النفور (البغض) وقوة الجاذبيه (الحب) صادره من النفس فاذا فسدت قوة البغض في الله التي هي اصل الترك والمنع لله عندما تفسد هذه القوه فإن النفس تكره الحق واهله وواذا فسدت قوة الحب بالتعلق بالهوى واللذات، فان هذه النفس تكون خبيثه، ولهذا فان محلها لا يناسبها الهدايه والله يقول "الخبيثات للخبيثين" والله يقول "مثل كلمة طيبه" ويقول "اليه يصعد الكلم الطيب" ولهذا فانه لا مطمع في في سعادة النفس مع ما فيها من الشر لانه يعلم ان الله يحصي الاعمال والاقوال فهو القائل "بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون" فالله حكيم وعليم ورحيم وعدل ولا يظلم عنده احدا وان افعاله تعالى تقوم على قانون العدل والاحسان فيجب تعظيم اوامره سبحانه وتعالى.

فقد جعل الطريق إلى الهدايه هو الاعمال الصالحه ومحبة الله ورسوله واتباع منهجه في كل شي والخوف من الله والله عدل وحكيم ولا يساوي بين المحسن والمساوي، ولهذا فالذي يكذب لا يصلح ان يكون شاهداً على الناس ولا يمكن تنصيب الجاهل معلماً، ولهذا فان الذي يعمل السيئات تكون عقوبته بالحرمان من الهدايه والطرده من رحمة الله تعالى لان الثواب والعقاب انما يكون عن عمل وجود فعل فمن فعل السيئات وترك التوحيد فهذا يولد في قلبه كراهيه الحق واهله عقوبة له.

واما من امتثال لاوامر الله وعمل الحسنات بعبادة الله وحده وترك الشرك واهله فهذا يمنحه الله التوفيق والهدايه فهذه هي سنة الله فالله يحذرنا من :-

1- من ان نضع القرآن وراء ظهورنا كما فعل بني إسرائيل فأخبرنا بسنته في عقاب القوم الذين يفعلون هو الذل والهوان.

2- ان علينا الحذر من سلوك طريق اليهود الذين كانوا لا يعظمون امر التوراة ولا يعظمون امر الله ونواهيته فكانوا يكذبون الرسل ويقتلونهم فهؤلاء استحقوا الطرد من رحمة الله فعلينا الحذر من هذا الانحراف.

فيجب ان نعلم ان القلوب متشابهه ولهذا علينا الوقوف لناخذ العبر فهو سبحانه قال "تشابهت قلوبهم" وقال "ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك"

فالمسأله في غاية الخطوره ايها القارئ الكريم فعليك الحذر لانها مسأله متعلقه بمستقبلك ومستقبل ابناءك فهل تريد العزه ام الذل والمهانه مثلما حصل لليهود.

المبحث الثاني

(فلما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين * بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغياً ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين)

الأمر الأول:-

ان الله تعالى يقص علينا واقع بني إسرائيل في استقبال الرسالات والرسل ويرسم لنا صورته حسه لاستقبالهم رسالة الاسلام.

"ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدقاً لما معهم".

ف الله يخبرنا ان القرآن منزل من عند الله، فالصوره هنا تستوجب التعظيم والجديه في استقباله، وذكر لفظ "الكتاب" للتفخيم والتعظيم ثم أخبرنا انه جاء مطابقاً لما في التوراة في احكامه واهدافه لبيان الاتي:-

1- انه ليس هنالك شيئاً غريباً او امر مبتدع لم يعرفوه فالقرآن جاء في احكامه متضمن مبادئ التوحيد والقيم التي حملها موسى من الإيمان والعبودية والتوحيد لله وحده لاشريك له وقيم المساواة "وقولوا للناس حسناً" وقيم العداله "وبالوالدين إحساناً" وقيم التكافل والحرية والطاعه والمسئوليه وسيادة الشرع والامه والتكامل بين الشئون الدنيويه والاخروييه وقيم الوحده والترابط كما ذكرها في القسم السابق على هذا.

2- ولان مقتضى انزال الكتاب من عند الله ان يرسل الله رسولا ً يحمل هذا الكتاب ومهمة الرسل كما نعلم هي بيان اوامر الله ونواهيه واحكامه للناس ولأن المهمه ليست وعظ وغرس القيم في الضمير الانساني بل لابد لها من سلطه وقوة تردع الطغاه وترد المظالم وتعيد الحق إلى نصابه الشرعي فالعدل يعني العدل السياسي والعدل في الحكم والعدل في التعامل مع الناس "وقولوا للناس حسناً".

فالله سبحانه وتعالى قد ذكر ان ارسال الرسل من بعد موسى كان لاجل اقامة حكم الله وبيانها ونحن نعلم ان دعوة موسى وكل الرسل تضمن جانب سياسي فالله يقول "يا داود انا جعلناك خليفة في الارض لتحكم بين الناس بالحق فلا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله" وقد ورد في الحديث اشاره إلى ان بني إسرائيل كانت تسوسهم انبياءهم.

3- ولهذا اخبرنا الله بهذه الايه بعد قوله "فقليلاً ً ما يؤمنون" اي ان النصوص جاءت مرتبطة عما قبلها لبيان ان الهوى كان مانعاً لهم من الإيمان، فالمعركة بين بني إسرائيل والرسل الذين ارسلهم الله إليهم لم تكن الا ان الهوى دفعهم إلى رفض العدل السياسي دفعهم إلى رفض العدل في الحكم والعدل في الاحتكام.

فالمعركة كانت بين الرسل وبين هؤلاء لان التطبيقه كانت لها دور في توجيه السلوك نحو تكذيب الرسل واغتيالهم.

ذلك ان العلم والقيم تجد عوائق في اي مجتمع يقوم اساسه على التطبيقه والسلايه والعنصريه، اذ ان هذه المجتمعات يكون مكوناتها من طبقتين: الاولى

لعوام الذي لا يعلمون عن الاديان الا الاماني والاوهام.

الثانيه

الذين يمتلكون القرار والسلطه الدينيه والرياسه ويجمعون بين سلطه الرياسه والدين والمال كم اخبرنا الله تعالى.

٤

ولهذا فان الاديان كلها تهدف إلى النهضه والتقدم والمضي نحو تطبيق الرفاهيه والعداله والمساواة والتقدم للامم وليست العوده إلى الوراء والتخلف ولكن حرفها المغرضون واحالوها إلى أدوات تضليل وخداع واستغلال الجماهير فعرقلوا مسيرة الاديان ومنعوا انتشار العداله والمساواة فمرت البشريه بعهود ظلامها دامس فقال تعالى "ففریقاً كذبتهم وفریقاً تقتلون". لهذا فقد باءت كل محاولات الرسل المتتابعه في احداث نهضه لدى هؤلاء بالقتل لا ن ما حمله الرسل من مشاريع للبشريه كانت تتعارض مع مصالح الافراد والجماعات من الطبقات الحاكمه انذاك.

٥

ان هذه الطبقات كانت تسعى إلى استغلال الجماهير والاديان لجني الارباح من نمو فكرة الامنيات في تفسير الدين بالاعتزاز بالانساب وتقديم الدين بصورة التخلف انه يكون بالقبول بفكرة العبوديه للطبقه الحاكمه فادى ذلك إلى

إضعاف القوه للمعتقدات الدينيه في الواقع لان الاغراض والاهداف التي تختفي وراء فكرة الاديان لدى هؤلاء فيها سموم قاتله لكل قيم الدين، نتيجه التحريف التي حولوها اصحاب المصالح ادت تضليل وخداع واستغلال للجماهير فتم تطويع الثقافه الدينيه بشكل كامل باسلوب يثير السخريه والاشمئزاز كي تكون ثقافه تكذب وتقتل الانبياء ولاجل ان تبقي سلطة المستبدين كمل هي، ولهذا كانت الرسل تجد صعوبه في إحداث التغيير لان الا رضيه المستهدفه فاقده التطور وليس لديها استجابه للمبادره واحداث التغيير.

الأمر الثالث:-

النصوص فيها التحذير من ثقافه العنصريه والسلاويه والطبقيه لأنها تكون ارضيه فاقده للتطور وليس لديها استجابة للمبادره واحداث التغيير والتجديد والتحديث كما عرفنا مما سبق ولهذا نجد النصوص تعطينا صورته حيه عن أضرار الانظمه التي يسود فيها الطبقات ولهذا يخبرنا الله تعالى عن حال اليهود وثقافه التراجع إلى الوراء و العوده إلى الخلف "وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين".

انه عندما تزدهر ثقافه الطبقات فانه يترتب عليها نمو ثقافه الرياء والمراوغه في جذور واعماق المشاعر، ويعطينا الله في السياق وقائع لبيان مخاطر ومساوي السلاله واحتكار السلطه الدينيه والسياسيه والماليه في طبقه واحده من المجتمعات التي تستلم زمام الامور فيها طبقه المستبدين الذين اخضعوا الناس لهم.

فالله يخبرنا ان اليهود كانوا قد جاءوا إلى المدينه إنتظاراً لظهور النبي الخاتم، الذي طالما انتظروا قدومه وكانوا يستفتحون اي يطلبون تعجيل ظهوره فهم قد علقوا امالهم في النصر على الاعداء علي مجيئه لانه يحمل المبادئ والقيم التي تشكل بناء دوله قويه ستهدم كل دول الوثنيه وتقيم دولة العدل والخلافه الربانيه.

والموقف بحد ذاته يدل على التعلق الشديد بظهوره وقد رفعوا هذه الشعارات والمبادئ وهددوا العرب المشركين بقرب ظهور هذا النبي، فعندما جاء وتأكدوا انه هو النبي الذي انتظروه وانه النبي الخاتم " فلما جاءهم ما عرفوا" فاستخدم لفظ المعرفه ولم يقل "ما علموا" لان المعرفه تعني العلم والاحاطه والفهم فهي اعلى من الفهم والمعرفه هنا تعني قطع الاعذار عنهم عندما قالوا قلوبنا غلف .

فكيف كان موقفهم؟

لقد كفروا ورفضوا قبول العدل السياسي رفضوا العدل في الحكم والاحكام ورفضوا العدل في المساواة والحريه و لم يرضوا به.

فهؤلاء لا جدوى في الحديث معهم عن القيم والمبادئ ولا جدوى من دعوتهم إلى الحريه والعدل والإيمان و المساواة فاستحقوا اللعن والطرده من رحمة الله لانهم تعمدوا رفض الحق فلا عذر لهم فقد اقيم عليهم حجة نبوته وقطع الله عنهم الاعذار فقال "لعنة الله على الكافرين" لان الموقف والصوره التي تجسدت في الاذهان ابلغ واعم واثمن فلا يوجد قبح اكبر من قبح ترك العزه والكرامه والحريه التي طالما كانوا يستفتحون به على الناس بان عصر دولتهم وقوتهم قادمه بمجي النبي الخاتم فهو مرشد وقائد طريق السعاده والنصر وعندما ياتي ويعرفون يتراجعون عن الهتاف والشعارات التي طالما رفعوها فان صاحبه يستحق المقت والقبح الذي يهبط به إلى منزلة الذل والمهانه بدل الكرامه والعز والتمكين.

فالله يخبرنا ان هذا التخلف والتراجع عن الشعارات التي كانوا يهددون العرب بها انما يعود إلى ان لهم اهدافاً اخرى كانوا يسعون من وراءها احداث التحولات فقد ارادوا ان تكون هذه المحطه الاخيريه في ارسال الرسل من نصيبهم اي ان يكون الرسل من بني إسحاق.

فلما ارسل الله الرسل من بني إسماعيل ارغمتهم طباعهم واهوهم والافاق الضيقه من الاستكبار والخوف على المصالح والامتيازات على بيع انفسهم مقابل ثمن بخس فقال تعالى "بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا".

بئس ذم لتقبيح ذلك الفعل منهم فقد تخلوا عن الكرامه والعزه والحريه التي طالما استفتحوها على المشركين بقدم النبي الخاتم الذي سيكون اقامة دوله العدل والحق على يده، فقد تراجعوا عن هذا الشعار لان نفوسهم خسيسه حقيره في غاية الدناءة فهم باعوا انفسهم بهذا الفعل الكفر بالقرآن "ان يكفروا بما انزل الله بغيا" وذلك مقابل المصالح والامتيازات وقبول افكار المصالح بالتخلي عن افكار الحريه والعزه التي طالما رفعوها بانها قد قرب وقتها، سواء الاحبار والعلماء منهم او العوام.

فالعجز عن فعل مبداء التكامل في الشؤون الدينيه والاخرويه لدى هؤلاء جعلهم يختارون الدنيا والمصالح نتيجة الاتي:-

1- الحسد لان الرسول ارسل من بني إسماعيل فقبلوا الذل والمهانة ورفضوا الحق والعدل والكرامه.

2- ان من اقبح اعتراضهم على ارسال الرسول (ص) ان هذا الاعتراض يدل على سوء الادب لدى هؤلاء فهم بلغ بهم القبح والوقاحه بانهم يريدون ان تكون سنن الله وارادته على اهواءهم في ارسال الرسل "ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده" لانهم يعلمون ان قاعدة واختيار الرسل هي "الله يعلم حيث يجعل رسالته" "الله اصطفى من الملائكه ومن الناس رسلا" فلا تعقيب على فعل الله فهو يصطفى الرسل والامم ويصطفى ا لإيمان والإذعان والتسليم فلا معقب لحكم الله وختياره.

"فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين" رجعوا بغضب من الله على رفضهم الإيمان بالنبي (ص) على اعتراضهم على مشيئة الله وختياره او كما قال البعض غضب لانهم لم يؤمنوا ب الله وغضب لانهم لم يؤمنوا ب الرسول (ص).

وتوعدهم بالعذاب المهين الذي يذلم لانهم رفضوا الإيمان استكباراً فاستحقوا الاهانة.

فالله بين ان هذا الذل والمهانة التي لحقت بهؤلاء تعود إلى طبيعة هؤلاء اليهود او الامم المغضوب عليها اجمالاً بانها تقابل دعوة المصلحين والرسل الذين يسعون إلى مساعدة الناس واخراجهم من دائرة الخيال يكون ب التراجع خطوات إلى الوراء اكثر مما كان سابقاً فاليهود كانوا قبل بعثة النبي(ص) ينتظرون قدومه وبعد مجيئه انكروا ان يكون هناك رسولاً بعد عيسى.

ذلك ان التقدم والمضي قدماً يحتاج إلى اناس احرار وهؤلاء كانوا مقيدين باغلال وقيود السلالة التي جعلتهم يحرقون التوراة كي يبررون المفاصد الفاضحه والمظالم القادحة للنظام الطبقي فهم قد جاءوا إلى المدينه انتظاراً لخروج النبي الخاتم ومع ذلك عندما جاء بعد طول انتظار رفضوا القبول بالهدى والفضل الالهي الذي اصطفى به النبي محمد (ص) لانهم حملوا معهم الافكار المظلمه في اعماق ثقافتهم من العصور القديمه والتي شوهت الثقافه داخلياً وخارجياً لديهم لان قاداتهم السلايين سيطروا على النفوس وشوهوا ثقافة التوراة لانهم يرون ان كل الناس عبيد لهم وانهم فوق الناس فهم طوال تاريخهم الطويل ارادوا استغلال الدين لتغطية ما لديهم من فساد لإ بقاء السلطه الدينيه بايديهم.

ولهذا توقفوا عندما عرفوا ان الرسول (ص) من بني إسماعيل عما كانوا يرفعون من شعارات يستفتحون بها على العرب ولم يعودوا قادرين على المضي في الطريق الذي طالما انتظروه فباعوا انفسهم تحت ضغط المصالح الخاصه المقبده المشوهة فهذا النمط الذي تربوا عليه فهم يريدون استغلال الدين والرسل لمصالحهم ومن اجل تحقيق اغراضهم وتمكنهم من السلطه.

والنص هنا لتحذير امة الاسلام من هذا السلوك الذي تكون نهايته فظيعة (وللكافرين عذاب مهين) مهين صاحبه في الدنيا والاخره والتحذير هنا لمن يسلك طريق هؤلاء فجعلهم نموذج ومثالا لمن يبيع دنياه مقابل المصالح ولذلك قال "وللكافرين عذاب مهين" ولم يقل "ولهم عذاب مهين".

المبحث الرابع:-

(واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا انؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدق لما معهم قل فلما تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين)

1- تعطينا الايات صورته من حالة العجز والمناقشه لدى اليهود عندما تطرح مسألة المشروع الاسلامي للنقاش، على ضوء ما كان اليهود يطرحون من افكار وما يرفعون من شعارات مفادها قرب بعثة النبي الخاتم وما كان يقولون عن اوصافه ويقصون على الاوس والخزرج السعادة والرضاء والرفاهيه والتقدم التي سوف يحملها للبشريه قاطبة وانه سوف يقضي على مشروع الشر في الارض.

فالمؤمنون كانوا يخاطبون هؤلاء "آمنوا بما انزل الله" اي صدقوا بالقرآن وبالرسول (ص) فهو ما سبق الاخبار عنه لنا من قبلكم لماذا هذا التناقض ماهو السبب الذي ينهاكم عن المبادره إلى التصديق به، كيف يكون هذا منكم وقد كنا قبل بعثته نرى الحماسه لديكم لاستقباله.. فما الذي تغير.. ما الذي يمنعكم من التصديق والإيمان وانتم كنتم متفائلون وامالكم واحلامكم بوعود اخرويه فهو المنقذ الذي كنتم تنتظرونه.

فالنصوص توحى ان النقاش كان جاداً وعقلانياً لدرجة ان اليهود عجزوا عن الرد الشرعي والمناهض لما احتج به المؤمنون عليهم حيث نجد ان الجواب منهم كان "قالوا نؤمن بما انزل علينا" فالنص فيه ايحاء انهم عاجزون عن الرد ولهجة الضيق والتضجر لديهم واضحه فهم لا يرغبون بفتح باب النقاش بخصوص ما كان منهم في الماضي من الاستنصار بالنبي الخاتم.

فقولهم ان ما جاء في التوراة فيه الكفايه وانه الوحي الذي يلزمنا الإيمان به قاصدين بذلك ان يتخلصوا من النقاش والمواجهه بالحجج الواقعيه التي كان المؤمنون يواجهونهم بها.

2- فالمرادوغه منهم واضحه وهي تستند لسياسة التبرير بانهم امه نزل لها كتاب خاص بها وهو التوراة وان الله يحاسبهم على ما جاء في التوراة، وان احكام التوراة جامده لا تسمح لهم بالانفتاح على العالم فهي رساله خاصه تمنعهم من القبول بالرسالات التي تنزل على الامم الاخرى، وتعللوا انهم مقيدون بقيود وتعليمات التوراة التي تلزمهم بالكفر باي كتاب آخر فقال تعالى "ويكفرون بما وراءه" حيث ولفظ وراءه تعني امامه قاصدين بذلك الكتب الجديده كالانجيل والقرآن لان لفظ وراءه تستخدم احياناً بمعنى امامه كما ورد في سورة الكهف "وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا" فالمراد بها هنا امامه قاصدين بذلك التمويه والمرادوغه وايهام المسلمين ان احكام التوراة مختلفه تماماً عن القرآن من جهه ومن جهه اخرى قاموا بتحريف جديد بشأن النبي الخاتم الذي ينتظرونه بانه سيكون منهم وانه سيخرج منهم وانه غير النبي (ص) فحاولوا التمويه بان رساله الاسلام هي لامة العرب التي لم تعطى نصيب من الرسالات والكتب السماويه وان هؤلاء اي العرب مثل الطفل الذي يحتاج إلى تعليم من ابويه وانهم يحتاجون إلى الاف السنين ليصلوا إلى ما وصلوا إليه من الرقي والإيمان هكذا حاولوا تضليل المسأله.

ولهذا نجد ان المولى عز وجل رد على هذه التقولات باوجه عدده لبيان فساد افكارهم وكذب ومرادوغه هؤلاء من خلال الاتي:-

الأمر الأول:-

بين تطابق القرآن مع التوراة " وهو الحق مصدقاً لما معهم"

يتعجب المولى عز وجل من كفر وتبرير هؤلاء لموقفهم في الرفض للقرآن وللنبي (ص) مع ان الشريعة الاسلاميه تتطابق مع ما جاء في التوراة من احكام، في التوحيد والعبودية لله لا شريك له "لا تعبدون الا الله" فالقيم الاساسيه التي حملتها جميع الاديان واحده وهي سيادة الشرع وسيادة الامه والمساواة والحريه والشورى والوحده والعدل والتكافل الاجتماعي وصيانة الحقوق الفرديه والاجتماعيه والانسانيه بشكل عام واختيار الامناء والاكفاء للمهام والتكامل بين الشئون الدنيوه والاخرويه.

فما هو الحق بنظرهم؟ وهم قد فرطوا بسيادة الشرع عندما حرفوا التوراة، فالله يقول لنا انظروا إلى ما اخبرتكم به عن الموثيق والعهود التي قطعت مع بني إسرائيل لتدركوا ان ما جاء به القرآن هو ما حملته التوراة وما ترونه لان في التوراة هو تحريف فيها ناتج عن الثقه بالناقلين والنظر للعلماء انهم مستودع الاخلاق لكن لغة المصلحه وثقافة الاستغلال الدينيه التي هيمنت على حياة بني إسرائيل قد اوصلتهم إلى الانحطاط والتراجع عن المبادئ و القيم والتراجع والتقهقر إلى الوراء في كافة الميادين وعدم الشعور بالمسئوليه لدى الطبقات سواء الاحبار والرهبان وكذلك العوام قد افقدهم الاحساس وسقط عنهم الوعي.

فهم قد لجأوا إلى تحريف التوراة وتغيير مسارها واتجاهاتها خدمة لمصالحهم الطبقيه وإرادة إستعباد الاخرين باسم الدين واستغلال الشعوب باسم الله، فولد ذلك حالة الانحطاط الاخلاقي والديني لدى هؤلاء في كافة ميادين الحياة، وقتل روح الإبداع والإيمان لدى الناس والقضا على كل الاحاسيس والمشاعر واحداثت التحريف في التوراة لاجل تطويع التوراة لخدمة رغبات وأهواء الطبقة العلياء فازدهرت ثقافة النفاق والرياء والمراوغه.

الأمر الثاني:-

1- يخبر الله نبيه ان يواجه هؤلاء كيف كان منهم قتل الانبياء اذا كانوا مؤمنين حقاً بالتوراة "قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين" فجريمة القتل من ابشع الجرائم وهؤلاء لو كانوا اهل علم حقيقة بما هو الحق وما هو الباطل لخافوا الله لان القتل من موانع الخلافة كما ورد في قول العلامة يوسف الدجوي والعالم لا يخاف على المستقبل لانه يرى ان المستقبل بيد الله ويرى انه باع نفسه لله "إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة" ولذلك فمن لم يخشى الله فهو لا علم له.

2- ان هؤلاء اجبرتهم نفوسهم الاماره بالسوء على القيام بكل ما من شأنه تطويع مجمل النظام السياسي والقانوني لخدمة نفسه الانانيه وحب الذات وبد الامر لهم كما لو كان المشروع الذي جاء به حركة الاصلاح والمصلحين من الرسل الذي ارسلهم الله على التوالي من بعد موسى دون انقطاع نظروا لهم بانهم ضد مصالحهم لو استطاعوا احداث تغير في وجهه نضر المجتمع إلى المشروع الرباني ولو استطاعوا استعادة مبادئ التوراة ووضعها في مكانها الطبيعي من خلال إزالة الاوساخ والقاذورات التي احدثها المنحرفون لتحويل وجهة النظر الدينيه عن مهمتها في غرس قيم الوحده والتسامح، وان هذا الترميم للتوراة الذي حمله المجددين من الرسل الذين ارسلهم الله لاستعادة امة اليهود دورها القيادي فهم وقفوا محاربيين الرسل ولهذا. فالله اخبرنا أنه رسل الرسل كما يتضح من النص "ولقد اتينا موسى الكتاب ووقفينا من بعده بالرسل واتينا عيسى ابن مريم البيئات وايدناه بروح القدس" ليحكموا بالتوراة اي لاستعادة سيادة الشرعيه الدستوريه التي صادرها الاحبار والرهبان، عندما منحوا انفسهم سلطة التشريع ونسبوا الى الله، ولاستعادة سيادة الامه بالقضا على الطبقيه التي نتجت عن التفريط بسيادة الشرعيه الدستوريه.

هؤلاء الانبياء جاءوا حاملين مشروع وبرنامجا للحريه الانسانيه والعداله الاجتماعيه والعداله في الحكم والقضاء و

المساواة والاخوه حاملين مشروع الوحدة الذي فرط به اليهود.

3- نجد ان الله يخبرنا بوقوف اليهود بوجه حركة الإصلاح التي حملها الرسل محاربيها بشتى الوسائل، لانهم راءوا انه تمثل خطوره على امتيازاتهم وكبرياءهم تمثل انتقاص من الامتيازات التي حصلوا عليها بالتحريف و التبديل لمبادئ احكام التوراة.

ولهذا يخبرنا الله بانهم كذبوا الرسل ابتداء اشارة إلى مسأله تعتمد هز ثقة الناس بشخصية الرسول (ص) لان اهميه الشخصيه واقناع الناس بها هي اول مرحله للرسل فاذا حصل الاقناع بالشخصيه كان طرح الافكار والخوض في المسائل الساسيه ولبيان ان مهمة الرسل ليست مقصوره على الوعظ فقط كما كان يتصورها البعض ذلك انه كانت لليهود دوله قائمه ونظام.

ولهذا يخبرنا الله في السياق ان من جملة الرسل الذين ارسلهم هو عيسى عليه السلام واعطاه الايات الواضحه من احياء الموتى وبراء الاكمه والابرص، وذلك للرد على من يقول ان الدين لا علاقة له بالحكم لمن يفهم المسيحيه خطأ انه دين وعظ كما حاول اليهود القول عن الاسلام فالنص جاء فيه الرد على هذه الحجج بان المسيحيه نشأت وظهرت في ظل دوله قائمه لليهود.

وانه كان من نتائج تلك الحروب والصراعات في مواجهه الرسل والمصلحين ان اكثر الرسل تعرضوا للقتل كما حصل مع زكريا، فهذه المعركة مع انبياءهم من قومهم كانت نتيجة الرغبة التي سيطرت على هؤلاء في التمسك با لافكار الفاسده التي منحتهم المنزله والمكانه.

والنص " افكلما جاءكم رسولا ً بما لا تهوى انفسكم ففريقاً كذبتهم وفريقاً تقتلون " انهم حطموا مشروع الاصلاح بشتى الوسائل وان لزم الامر قتلوا الرسل ونجد ان النص يخاطب اليهود كلهم (العلماء- والعوام) مع ان المنكرين والذين تزعموا عملية مواجهة الرسل والمصلحين هم العلماء والرهبان واصحاب الرياسه، اما العوام فليس لهم دور فهم ادوات بيد الاكابر، ولهذا لم يذكر الله دورهم لانهم لا اراده ولا قرار لهم فهم قد قبلوا بمشروع الوثنيه الدينيه وتنازلوا عن حقوقهم فلا يستحقون الاهتمام، ولهذا نجد ان الله يضمهم في الطرد واللعن فهم مثل العلماء والاكابر في العقوبه.

الأمر الثالث:-

وبناء على ما سبق يخبر الله المؤمنون انه لا مطعم في استقبال هؤلاء للرسول (ص) وللقرآن بالإيمان ولا تنظروا إلى ما كان منهم من تطلع ورغبة في بعثة الرسول النبي الخاتم عندما كانوا يستنصرون به على اعداءهم من المشركين قبل البعثة " ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحوا على الذين كفروا".

فهؤلاء يريدون تطويع الدين والرسل لرغباتهم كما اسلفنا فلا امل فيهم فذلك الاستنصار الذي كانوا يرددونه انما هو تعبير عن امنيات ومطامع لديهم من جملة ما بنوا عليه افكارهم بانهم شعب الله المختار وانهم ابناء الله واحباءه.

فهم ارادوا ان يكون هذا المولود الجديد لمرحلة النضج البشري الذي سوف يكون له قيادة العالم من امة اليهود، و ارادوا ان يكون الانفتاح على العالم والخروج من دائرة رسالة اليهوديه التي كانت محصوره في بني إسرائيل، ارادوا ان يكون ذلك وسيلة لاتساع مفهوم البرجوازيه الطبقيه والسلايه ليكون لهم دوله قويه تسيطر على العالم بفكرة السلاله (الساده- والعبيد).

ارادوا نقل تجربته القبيحه لديهم إلى العالم، فرغبتهم في خروج الرسول الخاتم لم يكن للخروج من الازمات

العاصفه بامة اليهود نحو طريق الهدايه والسلامه التي تكون فيها النجاة والسعادة في الدارين بل ارادوا وهدفوا إلى الربح من الرساله الجديدة كما استفادوا من رساله موسى باحتكار القياده الدينيه لسنوات طويله، ولهذا يخبرنا الله:-

1- ان هذا النوع من الناس لا قيمه للمبادئ والشعارات التي يرفعونها في مرحله ما اذا تعارضت مع مصالحهم فهم عندما جاءهم الرسول(ص) وعرفوا انه النبي الخاتم رفضوا القبول به فاستحقوا الطرد من رحمة الله فهم ليسوا اهلا ليكونوا لبن في بناء دولة العدل والحريه والمساواة والشورى دولة الاسلام.

2- يخبرنا الله انه على وجه العموم فإن هؤلاء لهم مصالح خاصه كانوا يسعون للحصول عليها من خلال النبي الخاتم مصالح لا تخرج عن افكار الخداع للناس وقهرهم مثلما خدعوا ووقعوا ببني إسرائيل العوام حين صاروا الهة تعبد من دون الله.

ولهذا رفضوا مشيئة الله واختياره للرسول مثلما رفض إبليس اصطفا الله لآدم، الذي اعترض على مسألة تفضيل الله لآدم عليهم ورفض السجود تكريماً لآدم، فإبليس لم يكن ينكر مبدأ الإيمان ب الله فهو مقر ومعتترف بربوبية الله والهويته "ربي بما اغويتني" كما تدل النصوص ولكنه ابا القبول بامر الله وقام بتسييس القضيه تحت فكرة العقلا نيه فهو مؤسس فكرة العقلانيه وشعاره انا خير منه، فالخلاف كان سياسياً فهو اي إبليس رفض تسليم القياده واستلام النيا به والخلافه في الارض لآدم، لانه نظر انه افضل من حيث الجنس من آدم فقال "انا خير منه".

وهؤلاء سلكوا نفس الطريق فان رفضهم القبول والاذعان برسالة النبي (ص) بحجة انه من مجتمع لا يعرف الاديان ولا القراءه ولا كتابه وانهم لهم تاريخ طويل مع الاديان وانهم شعب الله المختار، فهم مثل إبليس عندما رفض القبول بتكريم آدم قائلاً "انا خير منه"، ولهذا فلا معنى ولا قيمه لإيمانهم ب الله ولا باليوم الآخر ولا بالوحي و لا بالرسالات فلا تطمعوا في المسارعه من هؤلاء بالإيمان بالرسول (ص) ولا بالرساله ولا تتقوا في هؤلاء ولا تطمعوا في الشعارات التي رفعوها بالاستنصار بالرسول (ص) فيما مضى قبل البعثه هؤلاء كانت افعالهم لها اهداف قبيحه بالموروث الذي ورثوه وافسد الطبيعه الانسانيه فيهم فادى إلى سقوط تلك الامه في منعطفات خطيره يصعب الخروج منها ولهذا استحقوا فوق الغضب الالهي السابق عندما اختاروا الادنى من الماكولات دون ا لاعلى عندما قالوا "وإذا قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادعوا لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض" إلى قوله تعالى "استبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير اهبطوا مصر فان لكم ما سألتهم وضربت عليهم الذلة والمسكنه وباءوا بغضب من الله".

وهنا حصل منهم اعتراض على تفضيل الله واختياره للرسول (ص) فارادوا تطويع ارادة الله في اختيار الرسل لمشيتتهم "بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده" فقال الله انهم استحقوا هنا غضب الهي آخر فوق الغضب السابق "فباءوا بغضب على غضب".

والحق بان لهم من الله عذاب مهين لانهم تحت ذريعه الوحده الدينيه والتمسك باليهوديه رفضوا القبول بالامل الذي فيه المخرج من دائرة الغضب الالهي عليهم رفضوا النور الذي فيه بصيص الامل لانقاذهم من دائرة السيئات واللعنه التي تطردهم على تمردهم عن اوامر الله ورفضهم اختياره لهم، ولهذا تناقضوا مع الشعارات التي رفعوها سابقاً واعلنوها للملاء بقرب خروج النبي الخاتم، ولجاءوا إلى تبرير ذلك امام العوام منهم ان الحفاظ على الوحده الدينيه لليهوديه تستلزم رفض الاعتراف بنبوته النبي (ص) ولا برسالته.

صور لهم ان هذه الوحده ساكنه غير قابله للتحويل فلم يقبلوا باختيار الله وتحديده المؤسسه الجديده التي ستحمل مهمه نقل البشريه إلى السعاده الابديه وتحقيق الرخاء الشامل للانسان في الدنيا والاخره، فتصوروا ان ذلك الرفض وعدم الاعتراف سوف يحفظ لهم منزلتهم وريادتهم على الامم، وان الاعتراف يسلب عنهم تلك الميزه وينزلهم من رتبة العزة والكرامه، فاخبر الله انهم سوف يعيشون في دائرة العذاب الذي يكون من النار استمرار الا

اهانه والذل لهم.

الأمر الرابع:-

تستمر النصوص في النقاش والحوار مع اليهود تخبرهم بجذور فسادهم وطبائعهم المعوجه بانهم قد كفروا بما جاء به موسى نبيهم الاول والمنقذ الاكبر لهم " ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون "

لبيان ان الوثنية الدينية التي يعيشها بني إسرائيل لها جذورها العميقة الممتدة إلى بداية العهد وبداية تأريخ نزول التوراة عليهم فهؤلاء قد جاءهم موسى بالآيات الواضحة الظاهرة الحسية والباهرة مثل شق البحر والعصا واخراجهم من الذل والمهانة والقهر التي كانوا يعيشونها في مصر في ظل حكم الفراعنة.

فاستعمل المولى عز وجل " ولقد جاءكم " والنص موجه لليهود الذين كانوا في عصر الوحي وبينهم وبين موسى زمن طويل لآلاف السنين، والمعلوم ان جاء تستعمل للقريب وذلك لان اليهود في زمن الوحي قد تمسكوا بالموروث وادعوا ان التوراة تمنعهم من الالتحاق بالمؤمنين "نؤمن بما انزل علينا".

فهم قد اختصروا الزمان الفارق بينهم وبين موسى من جهة ومن جهة ثانية لبيان القرب النفسي الذي تتلاقى عليه نفوس اسلافهم ونفوسهم وهو التلاقي على الجحود بالآيات وبالانعام، فهم لم يمضي وقت على خروجهم من البحر ولم تجف المياه من اقدامهم وقد شاهدوا كيف نجاهم الله واهلك فرعون، فسرعان ما تبدد الإيمان من نفوسهم بمجرد غياب موسى عنهم اربعين ليلة واتخذوا العجل إلهاً من دون الله.

ووقع منهم الظلم فلم يقع منهم الايمان برغم الآيات الباهرة للدلالة على قساوة القلوب وبلادة الاحاسيس لديهم في حياة موسى نفسه، فيقول لهم الله هل كان ذلك الفعل من وحي الإيمان، وهل يتفق ذلك مع قولكم انكم ملتزمون بتعليمات التوراة، فما هو التفسير منكم لذلك الوضع، فانتم تستدعون الدين والإيمان للتدخل لاجل تبرير جرائمكم حين يفشل التصديق العقلي في ان يقنع الآخرين بافكاركم عندما تعجز الحيلة لتبرير القبح الذي لديكم لتبرير الظلم الذي هو ضدالحريه والعدل، وهما اساس بناء الإيمان فاذا انعدمت الحريه وتم مصادرة الاراده وشاع الظلم والفساد في الارض فانه من الطبيعي ان نفهم ان الإيمان غائباً من قبل تلك الامه وان ثمة شر وكفر وحجود وطغيان يدمر كل مبادئ الإيمان ويقضى على مسيرة الاديان نحو العدالة والمساواة والتقدم والرفق.

ان هنالك ثمة وثنيه باسم الدين تسعى إلى استبدال الناس باسم الله والدين وتعيق حركة التقدم تقف عائقاً و تتراجع إلى الوراء فالمراد من مخاطبة هؤلاء بعبادة العجل رغم انهم لم يشاهدوا العجل هو الاشاره إلى عودتهم إلى الخلف عندما جاء النبي (ص) من امة العرب وان هذا التقهقر في الخطوات إلى الخلف قد اعادهم إلى ما قبل نزول التوراة إلى الوقت الذي كان موسى يتلقى تعليمات التوراة حيث انهم صنعوا لانفسهم صنما من الذهب و عبدوه وهو العجل.

فهم كانوا قد قطعوا اشواطاً عندما جاءوا إلى المدينة إنتظاراً لبعثة النبي الخاتم الذي يعتبرونه منقذاً لهم بعد ان ضاقت بهم الارض فماذا كانت النتيجة عادوا إلى الخلف وإلى فترة العجل، حيث انهم اتخذوا فكرة اليهوديه (السه لاله) إلهاً يقدسون فيه تلك الفكرة التي قد حدث فيها ما حدث من التحريف ، واعلنوا التمسك بها والتعصب لها ورفضوا القبول بالحق فكانت السلاية والعصبيه إلهاً صنعوها مثلما صنعوا العجل واصبحوا مثالا ونموذجاً للوثنيه الدينية التي تجعل من النسب والعصبيه ديناً وإلهاً تعبد من دون الله، وهذه النماذج توجد في مجتمعنا بشكل لا يستطيع احداً إنكاره.

الأمر الخامس:-

يستمر الخطاب الالهي من بيان جذور الوثنية الدينيه لدى اليهود ومن سيكون على شاكلتهم من امة الاسلام مستقبلاً (اليهود المحليين) دون اعتبار للمكان والزمان الذي يوجد فيه الخطاب للمخاطبين فيقول تعالى (واذا اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهن العجل بكفرهم قل بئسما يامرکم به إيمانکم ان کنتم مؤمنين)

ان المسأله ليست متعلقه بالزمان ولا المكان فانتم قد عرفتم المكان الذي سيكون فيه نشأة دولة الاسلام وظهور النبي الخاتم وزمانه ولذلك هاجرتم إلى المدينه، لكن لم تنظروا إلى مشيئة الله وإرادته وإختياره وهذه الطبيعه فيكم قديمه، فمسأله الزمان والمكان ليست هما ادوات إحداث التغير الجذري في الفكر الإنساني، فانتم كنتم مستضعفون في مصر والفراعنه اقويا وقد حلت القدره الالهيه وهدمت الوثنيه الفرعونييه وصار لكم الملك، ولهذا فانه كان يستوجب عليكم ان تنظروا إلى قدرة الله وعظمته ومشيئته في الاستخلاف، فتقبلوا الاندماج في صفوف الجماعه المسلمه لتكونوا جزء من البيئه الاساسيه التي سوف يتم تشكيل المجتمع المؤمن الجديد منها.

فهذا هو العهد الذي اخذ عليكم عهد الكتاب الذي امرتم به ولكن انتم فاسدون والتاريخ ملئ بالتجارب والقصص و الوقائع الحاكيه نقضكم للعهود "واذا اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور" فقد كان اخذ العهد والميثاق منكم و الجبل فوقكم كأنه ظلله عهد الإيمان وامر بالاخذ بالتلقي بالقوه بالجد والاجتهاد، لان الخلافه تستوجب الجد كي يكون الخليفه منتجاً لا بالهزل ولا مراوغه الثعالب.

وامروا بالسمع والطاعه في العمل اي الجد في التنفيذ فماذا كانت النتيجة "قالوا سمعنا وعصينا" انهم اعتادوا حياة العبيد في مصر فهم قالوا سمعنا تحت تاثير الخوف من ان يقع الجبل عليهم عند اخذ العهد، لكنهم لم يقبلوا احكام التوراة بل كان منهم العصيان، فالاستماع كان بالاذان ولكن القلب لم يؤمن بما جاء به موسى من عند الله لبيان ان الممارسات الفعلية كانت فيها ثمة هواة فاصله بين العهد الماخوذ منهم وبين التطبيق وان هذه الهواة التي عبر عنها بالعصيان اي المخالفه لما سمعوا هي انعكاس لما عانوه من عقلية الوثنيه في مصر ابان فترة حكم الفراعنه حيث ان الوثنيه ظلت لها سلطة قاهره على افكارهم وتصورات هؤلاء فقد سيطرت على افكارهم عقلية المراوغه واطهار خلاف ما هو في الباطن فالنصوص ترسم الواقع لحياة هؤلاء.

ان الافعال تخالف الاقوال منهم فهم ليس فيهم جدية التلقي للعهد والمواثيق، فهم غير منتجيين لان افعالهم تخالف اقوالهم وبالتالي فان مناط الحكم والتقدير لاستحقاق المرء ان يكون خليفه ان يطابق القول الفعل وهؤلاء لا فائدة منهم.

ولا شك ان الاحداث وقراءة التاريخ لهؤلاء تعطينا صورته عن تاثيرات ما عاشوه وتظهر لنا كارثة انكماش هؤلاء في الوثنيه وتعفن عقولهم وقلوبهم بالوثنيه وخواء القلوب من اي امل في حركة النهضه وعجزها عن تحمل دفعه جديده للافكار التي فيه تقدم للامه.

فقد باءت محاولات موسى عليه السلام جميعها بالفشل في اختراق الدفاعات العديده المشدده والحصينه التي غرستها الوثنيه ابان نظام الفراعنه في قلوب ونفوس هؤلاء الفاسدون.

وكان محاولات الرسل من بعده تجد مقاومة شديده من هؤلاء الذين اصابتهم الوثنيه في الصميم ولهذا كانت حركة الاصلاح تتحطم في اسوار وثنيه محبه العجل التي سيطرت على كيان هؤلاء القوم.

فقال تعالى "وأشربوا في قلوبهم العجل" جاء التعبير عن اختلاط الوثنيه في افكارهم بانها مكون اساسي في اجسادهم فهي قد تغللت في القلوب التي تضخ الدماء التي تجري في العروق في جميع اجزاء الجسد، تشبيهه بان سم الشرك والوثنيه قد خرج عن السيطرة لانه قد انتشر في جميع اجزاء الجسد لان مقره القلب الذي هو مركز القيادة لدى هؤلاء.

2- والمعلوم ان الشرب انما يكون للماء او ما يكون فيه السقي، ولهذا فالمولى استخدم لفظ "واشربوا في قلوبهم العجل" للتعبير عن عمق محبة هؤلاء لعقيدة الوثنيه فعبر عن دخول تلك المحبة للقلب ليجعل المرء يتصل باحساسه ومشاعره وكأنه يشاهد دخول العجل إلى قلوبهم إدخالاً، فالمحبة هي الطاقة الباعثة على الحركة، و التعبير هنا ان هؤلاء ارادتهم مصادره لان مركز القيادة للفاعليه والحركه مصادره بمحبة الوثنيه والشرك.

فهؤلاء لا امل يرجى منهم فهم ان غيروا الاتجاهات تجدهم يتحركون وينتقلون في نطاق الوهم والرياء والوحشه واليأس والحسد والحقد والذل والمهانة فكل ما يهدفون اليه من حركتهم تلك هو صيانة الوثنيه التي تحمي حكمه لاقليه المتوارثه، عن طريق الفساد والخداع والتشديق بالدين ولهذا يقول المولى منكراً عليهم ذلك:- يذمهم "قل بئسما يامرکم به ايمانکم ان کنتم مؤمنين"

المسأله الاولى

ذم ذلك التصور الفاسد الذي يدل على قبح الاعذار التي لجأ اليها هؤلاء للخداع والتملص والتنصل من الالتحاق الملزم لهم باتباع رسالة الاسلام والذين لم يستجيبوا ويحاولون تبرير قبح ومقت التراجع عن الاستفتاح والانتظار للرسول الخاتم إلى ان إيمانهم في التوراة تمنعهم من اتباع رسالة الاسلام فيقول الله ان هذا الفساد في التصور يفسد عنهم الإيمان الحقيقي فهم ليسوا مؤمنين ولا صلة لهم بالإيمان.

المسألة الثانية:-

فهذا القول الذي جعلوا العوام يناضلوا من اجله ويكافحوا للحفاظ عليه ناتج عن فلسفة اليأس والإستغلال التي جعلوا فيها من الوهم عقيدة وايدلوجيه بانهم شعب الله المختار وان التخلي عن الايدلوجيات اليهوديه ونظرياتها وافكارها وما وضعوه الرهبان والاحبار تفقدتهم هذه الامتيازات التي منحهم الله اياها فغرسوا في العوام ثقافة الا وهام وجعلوهم يسعون في طلب الخرافات وسراب الانساب والسلاله لتغير العقيده والشريعة كلها حتى العبادات واقعه في اطار تلك الاساطير التي وضعت لها النظريات والفلسفه وصارت إلى اليوم تحكم هذه الامه بل انتقل المرض إلى فرق تدعى انتسابها إلى امة الاسلام تحمل نفس المشروع وبشكل ملحوظ نجد ازدهار تجارة السلاله و الانساب بدل عقيدة الإيمان والعمل الصالح لدى الكثيرون في مجتمعنا اليوم وهذا ما حذرت منه النصوص في دعوتها إلى المباهله.

المبحث الرابع:-

(قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين* ولن يتمنوه ابدًا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين* ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود احدثهم لو

يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون)

هذه النصوص ابتدأت:-

1- "قل" الخطاب موجه للنبي (ص) والامر هو من الله تعالى لنبيه ان عليه مواجهة اليهود بكفرهم وادعاءتهم الباطله التي ادعوا فيها انهم ابناء الله واحباوه وادعوا ان النار لن تمسهم وادعوا انهم شعب الله المختار.

2- الله يامر نبيه ان يدعو هؤلاء إلى قضية عادله بينه وبينهم لحسم الموقف بالمباهله التي يتحداهم الله ليكشف ويفضح امرهم بانه يتحدهم أن يتمنوا الموت ان كنتم محقين بان الجنه هي لليهود ولما تدعون من قرب المنزله من الله.

3- فتجد انه سبحانه في النص استعمل ادوات شد انتباه المخاطبين لتهيئة نفوس السامعين إلى ما تحمله النصوص من التحدي والمباهله ويتضح ذلك من الاتي:-

- استعمل "لكم" فحرف اللام في الكلمه مقيده للملكيه والاختصاص وابداءت به النصوص لدحض مزاعم اليهود وادعاءتهم ان الجنه لن يدخلها الا اليهود "وقالوا لن يدخل الجنه الا من كان هوداً او نصارى".

- جاء بعدها "خالصة من دون الناس" لنفي تلك المزاعم فالايه هي مما جعلها الله لنبيه (ص) حجه على اليهود الذين كانوا في زمن الوحي، فيقول انه لن يضركم ان تتمنوا الموت اذا كنتم صادقين فيما تدعون من قرب المنزلة من الله وان الجنه خالصة لكم من دون الناس ولهذا استعمل العند به "الدار الاخرة عندالله" بالاشارة إلى ان الدار الاخره عنده تعالى فهو مالك يوم الدين، وهذا الذي تدعون انكم ابناؤه واحباؤه فانكم لستم محقين بذلك فتمنوا الموت لان لو كنتم محقين فان امنية الموت ان طلبتموها فانكم سوف تصيرون إلى الجنه حسب ما تزعمون والفوز بالراحه والنعيم بها اذا كنتم صادقين بما تزعمون.

- تبين النصوص فساد عقيدة العصبية والسلاية فاليهود من ظاهر القول كانوا يقولون ان الدار الاخره عند الله خالصه لهم من دون الناس ، وانهم كانوا يستهزون بالصحابه ومن ليس يهودياً وادعوا اختيار الحق وهم كاذبون في ذلك.

- ان الجملة قد تضمنت كذب اليهود فينا قالوا ولهذا جاءت النصوص تشير إلى انهم ليسوا صادقين في ادعاءتم بل هم كاذبون ولذلك استعمل "ان كنتم صادقين" لنفي ادعاءتهم وتاكيد كذبهم.

الأمر الثاني:-

ان هذا الخطاب بالتحدي والمباهله كان موجهاً لليهود العوام والعلماء على السواء واليهود امتنعوا عن اجابة النبي (ص) إلى ذلك لعلمها انها لو تمت الموت هلكت وذهب مناها وصارت إلى خزي الابد في اخرتها فقد ورد عن ابن عباس انه قال "لو تمنى اليهود الموت لماتوا في تفسيره (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) فحصل بذلك كشف وفضح كذب اليهود وظهرت حجة الرسول (ص) فالله ابان كذبهم بعدم استطاعتهم تمني ذلك وافلح حجة رسوله (ص).

الأمر الثالث :-

النص جاء فيه التوجه بالخطاب للنبي (ص) "قل" اي ان يقول التحدي معهم والرد والنقاش لما يقولون " لن يدخل الجنه الا من كان هوداً او نصارى" والحكمه من ذلك ان التحدي كان بينهم وبين النبي (ص) متناسين انه يتحدى بامر الله تعالى، ولهذا نجد الله تعالى يخبرنا بصيغة الحكم الجازم على حالهم.

"ولن يتمنوه ابدأ بما قدمت ايديهم والله عليهم بالظالمين" انهم لن يفعلوا ابدأ ولن يتمنوا الموت ويكرهونه وذلك لانهم في ذات وقرارة انفسهم يعلمون ان الرسول (ص) مرسل لهم من عند الله يعلمون انهم كاذبون يعلمون ان الجنة ليست لهم ولهذا لن يفعلوا ولن يتمنوه ابدأ فهم يحذرون ان يتمنوا الموت خوفاً ان يكون لهم عقاب الله بما كسبت ايديهم فنجد الاتي:-

1- ان نفي عنهم ذلك التمني جاء بصيغة تدل على النفي الموبد فاستعمل لن التي فيه الدلالة على النفي الموبد.

2- انه تعالى اكد النفي بصيغة "ابدا".

3- ذكر السبب المانع لهم وهو "بما قدمت ايديهم" والمقصود به بما كسبت ايديهم واطافة ذلك إلى اليد لان اعظم اعمال الناس بايديهم ولهذا اجرى الكلام باستعمال اضافة الجنيات التي يجنيها الناس بايديهم حتى اضيف كل ما عوقب عليه الانسان من جنايات اعضاء جسده إلى انها عقوبه على ما تجنيه يده.

فكان في هذا النص صيغة العموم التي تعني انهم لن يتمنوا الموت بما فعلوا من معاصي في حياتهم من كفرهم ب الله ومخالفة امره ورفضهم اتباع الرسول (ص) وما انطوت قلوبهم وضمايرهم من الحقد والحسد والجحود والكفر والتراجع عن القيم والمبادئ التي طالما رفعوها فقد كانوا يستقبلون النبي (ص) بالمنع والجحود بنبوته.

2- فالتعبير عن الكل باسم الجزء لان هذا الجزء وهو اليد اظهر في العمل والحركة والكسب فاستعمل للتعبير عن الكل.

3- ان في ذلك لفت انتباه السامعين إلى ان هؤلاء ابدى باطنه ائمه ليس لهم قلوب مدركه عالمه ولهذا سجل الله عليهم الظلم "والله عليهم بالظالمين"

- لبيان ان الجزاء والعقوبة لهؤلاء لا محاله فالله قادر عليهم وعالم بما في نفوسهم وقد احصى اعمالهم وسجل افعالهم ولهذا اشار إلى انهم سوف يعاقبون فقال تعالى "عليهم بالظالمين" ولم يقل عليهم بهم ليسجل عليهم وصف ظلمهم لنفهم من ذلك انهم يعاقبون بهذا الظلم وماخوذون بذلك.

- ان هذا النص لبيان احاطة الله علماً بكل شي وانه لا يظلم مثقال ذره فهو تعالى ليس بظالم للعباد.

الأمر الرابع:-

بعد التحدي من النبي (ص) بموجب امر الله له بين لنا الله الوصف الحقيقي لبني إسرائيل بانهم لا يؤمنون باليوم ا لآخر فلو كانوا مؤمنين باليوم الاخر لما وجد فيهم الحرص على الحياة الدنيا فهؤلاء قد جعلوا الحياة الدنيا هدفاً لحياتهم ولهذا تمسكوا بها فقال تعالى "ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا" فاليهود اشد الناس حرصاً على الحياة الدنيا اشدهم كراهية للموت.

1- فأكد ذلك بالقسم الموكد باللام ونون التوكيد (ولتجدنهم).

2- اكد ان حرصهم على الحياة العاجله من الدنيا في غاية الشده فقال (على حياة) جاءت منكروه تتضمن معاني الحياة فهم يحرصون على الحياة اياً كانت صورتها او شكلها حياة عز او ذل او مهانه استعباد ام حريه، لا اهمية لديهم على صفة الحياه، فالنص يدل على كمال الحرص لدى هؤلاء على الحساب وهذا يدل انهم يدركون مالهم في الآخرة من الخزي والعذاب.

3- خص بالذكر عطف (ومن الذين اشركوا) لبيان كراهية هؤلاء للموت اشد من المشركون الذين لا يؤمنون بالبعث، فكيف تطمعون في إيمانهم وتتصورون انهم مؤمنون إذا كان حالهم في مثل ذلك الحرص على الحياة وهم يعلمون

بوجود البعث ويعلمون ما لهم هنالك من العذاب، وانتم تشاهدون حرصهم على الحياة اكثر من المشركون الذين لا يؤمنون بالبعث ويتصورون ان هذه الحياة الدنيا هي كل ما يعيشونه ومع ذلك تجد هؤلاء المشركون افضل حالا^٥ من اليهود لبيان الاتي:-

(أ) ان اليهود قد اوصلهم الحرص على الدنيا إلى عدم الاكتراث لطبيعته الحياة ذل ام حريه، وان هذا الحال قد مثل لديهم الضجر فهم يعيشون في ذل ومهانه نتيجة الحرص على الحياة والرغبة في الحصول على اكبر قدر ممكن من الشهوات والملذات ولهذا فسدت تصوراتهم وافكارهم فولد فيهم الشلل العقلي ما يعجز عن الاختيار السليم، و الشلل النفسي لفقدان طاقة العزم فهم لا طاقة لديهم.. ولهذا فهم عديمي الصبر ولا انسانيه لديهم فهم اقل منزلة من البهائم هم كالوحوش.

(ب) تبين النصوص ان المفترض لمن يؤمن بالله واليوم الآخر ان يكون حريصاً على السير في رحلة سفره تلك للوصول إلى الحياة الحقيقيه التي تستحق التضحية وهي الحياة الابديه، فيكون لقاء الله واليوم الآخر علماً بارزاً وظاهراً امامه في رحلة مسيرته تلك ولهذا يسعى إلى العمل بما امر الله به للوصول إلى لقاء الله عز وجل.

(ج) تبين النصوص ان التعلق بالدنيا وفقدان الانسان لإنسانيته وتنازله عن كرامته يفقده انسانيته وإيمانه ومبدأه، فهكذا أمة لا تصلح لان تكون احجار بناء منزل ودار الخلافه والإيمان

مبيناً المولى عز وجل ان ذاك المشرك الذي لا يعرف باليوم الآخر قد يوجد فيهم من هو افضل من هذا اليهودي في مسألة الحرص على الحياة فان الانفه والكرامه والعزه تآبى بحد ذاتها القبول بحياة الذل برغم خواء القلوب و العقول من افكار الإيمان لدى البعض، لأن الفطره تدفع الانسان إلى رفض القبول بالذل وتآبى إلا العيش بحريه وكرامه فالشاعر الجاهلي يقول:

لا تسقني ماء الحياة بذلة

بل اسقني بالعز كأس الحنظل

ماء الحياة بذلة لجهنم

وجهنم بالعز احسن منزل

لبيان فساد الاختيار في طبائع اليهود وبان الحرص على الحياة افقدتهم فطرتهم التي خلقوا عليها ولهذا استحقوا الذل والمهانه والغضب الالهي نتيجة الاختيار السيئ لانفسهم.

فالنص يخاطبنا ان علينا ان نحسن الاختيار حتى نعيش بكرامه وعز وان الانحراف في الاختيار والقبول بحياة الذل وعدم النهوض لمقاومة الاستبداد مقدمة لتفكيك جميع قيم الإيمان وهي مؤشرات على الغضب الإلهي لمن يسلك هذا الطريق

فالله يحذرنا من هذا السلوك الخبيث الذي اصاب أمة اليهود .. وفعلاً نحن نلاحظ كيف هو وضعنا عندما تركنا مقاومة الاستبداد وضحينا بالقيم والمبادئ من اجل الحياة والعيش فاصبحنا لا قيمة لنا نعيش في ذل وهوان.

فالامه بحاجة إلى الوعي والفهم للنصوص لاستعادة دورها والخروج من هذه الغفله باليقظه والعوده إلى ما كانت عليه الامه حين امرهم الله بالاسلام.

(هـ) تبين النصوص مستوى الحرص والاماني لدى اليهود (يود احدهم لو يعمر الف سنة) يود من الامنيات التي في النفس ف الله يهتك حواجز النفوس ليكشف لنا حقيقة ما في نفوس هؤلاء ما كان احد منهم يتمنى لو انه يعيش

وذكر لفظ الف عام لانه اكبر عدد في زعمهم اي انهم يتمنون الحياة إلى اقصى امد الف سنه.

فاستعمل التعمير الذي يعني طول البقاء لبيان انه وان تعمر الف سنة فهو سوف يموت ولا بد ان يدركه الموت، و المراد غرس مشاعر حقيقة الموت انه واقع لا محاله فالعمر الطويل مما بلغ لا يستطيع إزاحة ومنع وقوع الموت وما يلحقه من العذاب او النعيم.

وبالتالي فالأحرى عدم الحرص على الحياة الذليله بل يجب مقاومة الاستبداد لان العيش في ذل لن يمنحك حياة ابدية، فلا تتنازل عن كرامتك مهما كان فانت سوف تموت لا محاله فلماذا تفضل حياة الذل.

4- استعمل الله ما النافيه والباء داله مع استعراف النفي (وما هو بمزحزحه من العذاب) بان طول العمر لا يمنع العذاب المؤكد لمن ارتكب الخطايا فلا بد من الرجوع إلى الله فعليك ايه المؤمن إستحضار هذه الصورة وارتقاب الموت في كل لحظه لان ذلك يجعلك تبادر إلى الاعمال الصالحه ويجعلك لا تبالى بالموت الذي يجعل المحب للحياة التنازل عن المبادئ والقيم مقابل الحياة اياً كانت فالمؤمن لا يقبل إلا حياة العزه والكرامه ولا يقبل الذل و المهانه لان الحياة الابديه هي الآخره، فالمؤمن يحرص على ان يلقي الله وهو مطيع يسعى إلى طلب رضاء الله ومحبه لانه يعلم ان الله محيط بالاعمال ولا تخفى عليه شي.

(والله بصير بما يعملون) واستعمل بصير بالاعمال والحركات ليغرس في النفوس انه محيط بكل شي ولا يخفى عليه شي فهو يجمعها ويحفظها وذاكرها لها حتى يذيعهم بها والعقاب لهم جزاء على افعالهم، والنص فيه تهديد للمخالفين.

القسم الخامس في المقطع الرابع من الجزء الأول من سورة البقره

(قل من كان عدو لجبير فانه نزله على قلبك باذن الله مصدق لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين* من كان عدواً لله وملائكته وكتبه ورسوله وجبريل وميكال فان الله عدواً للكافرين* ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون* او كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون* ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانوا لا يعلمون)

المبحث الأول:-

ان أول ما يلفت الانتباه أن السياق استهل الخطاب بالتلقين الالهي لنبيه (ص) (قل من كان عدو لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدق لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين* من كان عدو لله وملائكته وكتبه ورسوله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين) فهذا التلقين للحجه من الله لنبيه (ص) بقوله. "قل" لا بد ان هنالك شيئاً وامر قد ظهر وحصل من اليهود واستدعى ان يلقن الله نبيه الحجه فاستعمل فعل الامر قل لبيان كيف يخاطبهم.

ولهذا فان مما اجمع عليه اهل العلم بالتأويل جميعاً ان هذه الايه نزلت جواباً لليهود الذين زعموا ان جبريل عدو لهم، فقالوا ان جبريل هو الذي يخبر محمد باسرارهم وقالوا ان جبريل مكلف باعمال الشده والعذاب وبينهم وبينه عداوه، ولولا ذلك لامنوا بالرسول (ص) ، وان بينهم موده بين ميكائيل لانه يتنزل بالرحمه والغيث وغيرها مما ورد بشأن اسباب النزول، والتي يفهم من مضمونها الاتي:-

الأمر الأول:-

ان اليهود قد لجأوا إلى التعلية والاعتذار بعدم الإيمان بما جاء به الرسول (ص) بعده اعذار حيث ذهبوا إلى التعلل بان لديهم التوراة فيها الكفايه ولا حاجة لهم للإيمان برسالة الاسلام فاخبر الله نبيه ان يبين لهم ان سبب كفرهم يعود إلى نقضهم للعهد وعدم القبول بالحق فكشف الله وفضح كذب اليهود ثم انهم تعللوا بالقول انهم شعب الله المختار وانهم لا يحاسبون ولا يدخلون النار في اي حال من الاحوال فدحض الله تلك الاقوال بالتحدي الذي امر النبي ان يواجههم به (قل ان كانت لكم الدار الاخره) ويعد ذلك زعم اليهود ان اعراضهم عن الإيمان انما يعود إلى ان هنالك عداوة بينهم وبين جبريل لانه ينزل الشده والعذاب وان هذا السبب هو الذي منعهم من الإيمان بالرسول (ص) .

الأمر الثاني:-

جاءت النصوص لبيان سخافة تلك العقول التي تعللت بمزاعم عداوة بينهم وبين جبريل (قل من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله) فإن جبريل ليس له هوى شخصي ولا إرادته فهو خلقه الله تعالى وفق تصميم وتدبير لا ارادة ولا هوى له.. فالنص ابتداء ببيان سخافة العقول لدى هؤلاء وتلفت إنتباه المخاطبين إلى الحذر من تسلل الحقد والحسد إلى القلوب لما لها من آثار سلبية قاتله

فهؤلاء اصابهم الحقد والحسد بضعف المعتقدات لدرجة الضعف القاتل الذي جعلهم يتراجعون إلى الوراء خطوات وصلوا فيها إلى حماقه المضحكه إذ جعلوا نزول جبريل بالوحي على الرسول (ص) عداوة بينهم وبين جبريل ولهذا نجد ان التلقين الالهي جاء بأسلوب الحوار المنطقي لبيان سخافة تلك العقول من خلال بيان الاتي:-

المسألة الأولى:-

ان جبريل عليه السلام يتحرك وفق مشيئة الله وإرادته وانه مكلف بحمل الرسالات والكتب إلى البشر فهو الوسيط بين الله ورسله فاستعمل اللفظ (فانه) ضمير يعود على جبريل لبيان المنزله لجبريل عند الله بانه يحمل الرسالات والتي آخرها القرآن فاستعمل الضمير (انزله) اي القرآن، (على قلبك) اي على قلب الرسول (ص) ، (باذن الله) اي بامر الله، فلم يفعل شيئاً من ذاته وليس له إرادته فهو يأخذ الاوامر من الله تعالى.

المسألة الثانية:-

ان الله سبحانه وتعالى اقام الحجة على حماقة وسخافة بني إسرائيل من مزاعم إدعاء العداوه مع جبريل بقوله (مصدق لما بين يديه) بان ما جاء في القرآن متطابق ومتوافق مع التوراة، وان البشاره بصدق نبوة الرسول (ص) تتطابق مع ما ذكر في التوراة من العلامات والصفات للنبي (ص)

وهذا لبيان ان تمرد هؤلاء ورفضهم الإيمان ليس كما يدعون من مزاعم العداوه مع جبريل وما ذهب إليه البعض من القول ان العداوه مع جبريل تعود إلى انه خالف ما امر به بزعمهم ان النبوة كانت لهم وان جبريل هو الذي خاف الامر ولهذا فزعموا انه لا يلزمهم اتباع الرسول (ص) الذي طالما كانوا يستنصرون بقدم مجيئه.

ولهذا بين الله لهم :-

1- ان جبريل مهمته انزال الوحي بامر الله.

2- انه ينفذ مهمته بنزول القرآن بامر الله فقام بالفعل بتنفيذ امر الله تعالى.

3- ان القرآن موافق متطابق مع التوراة لان اساس الدين واحد ومصدر الاديان كلها هو الله تعالى.

4- ان القرآن كتاب هدايه وفيه الايات والعلامات المعجزه على صدق الرسول (ص) والبشرى، فما يخبركم به من امور الغيب وما يقص على بني إسرائيل من احوالهم من الامارات والعلامات الداله على صدق الرسول (ص).

5- انه لا ينتفع به إلا المؤمنون اما غيرهم فهو عليهم عمى.

الأمر الثالث:-

ان النص يبين للمخاطبين السبب الحقيقي لأكاذيب بني إسرائيل بادعاء العداوه مع جبريل بانها مانعاً من الإيمان.. فالله يقول ان هؤلاء اتخذوا عداوه مع جبريل لما كذبوا ان عدم الإيمان لان جبريل يرسل لنا الهلاك والشده و العذاب، والحقيقه ان عداوتهم إنما هي :

1- لان جبريل نزل بالقرآن على النبي (ص) (فانه نزله) فالضمير يعود على القرآن باعتبار انه جاء مضمراً في السياق لانه قد سبق وذكره في قوله تعالى (ولما جاءكم كتاب من عند الله مصدق لما معهم) وعودة الضمير على القرآن لأنه حاضر في الذهن لارتباط النصوص بما سبق فالسياق تناقض وتفند اعدار اليهود وجحودهم.

6- ان النصوص تبين أن سخافة هؤلاء وفساد تصورهم وسفه نفوسهم هي التي اوصلتهم إلى هذه الحماقه المضحكه.

فرد الله عليهم بانه هو الذي انزل القرآن (باذن الله) وجبريل ملك ينفذ اوامر الله تعالى، وبين ان سوء الظن جعلهم يعادون جبريل لانهم اتخذوا من تنفيذه امر الله بالنزول بالقرآن سبباً للعداوه، وبالتالي فهم بذلك يعلنون العداوه مع الله الذي امره بالنزول.

الأمر الرابع:-

تبين النصوص ان السبب الحقيقي هو ان جبريل انزل القرآن بامر الله على قلب الرسول (ص) وهنا يخبرهم الله تعالى بطبيعة القرآن الكريم بانه عين المنهج هو المعجزه مبيناً ان نصوص القرآن تسكن على القلب (على قلبك) وهذا منه الاتي:-

1- الاشاره إلى ان القران ينزل على القلب للحفاظ في الصدور ولا يكفي فيه السطور والالواح ولان السطور قابله لتصحيف والتحريف كما حصل في التوراة من التبديل والتغيير.

2- عدل سبحانه من السياق من المتكلم إلى الخطاب (على قلبك باذن الله) ولم يقل على قلب مع ان الرسول (ص) هو المأمور بالخطاب (قل) وهذا لبيان ان النبي (ص) يحكي قول ربه ولتأكيد معنى قوله تعالى (باذن الله) .

3- الاشاره إلى تلقي قلب رسول الله (ص) القرآن وحفظه ثم تلقى الصحابه منه صلى الله عليه وسلم.

فالنص بين طريقة نزول القرآن كما قال تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به انا علينا جمعه وقرآنه* فاذا قرءناه فاتبع قرآنه* ثم ان علينا بيانه) اي انه ينزل على القلب ليحفظه ويحتويه ثم يحفظه اصحاب الرسول (ص) مما يتواتر من بعد ذلك فهو محفوظ لا يعرف التغير ولا التحريف.

4- اختص القلب بالذكر لان محل الفهم واستقرار العلوم وهو قلب الرسول (ص) ونزل به الروح الامين كي يقوم با لندار وابلاغ الرساله.

فوصف القرآن (مصدق لما بين يديه) موافق للكتب السماويه، وهذا فيه الهدايه بذاته ولكن لا ينتفع فيه الا المؤمنين

والمراد بذلك ان الذي يكون منهم الازعان والتصديق فهؤلاء ينتفعون بالقرآن لانهم يقبلون بما فيه ويكون منهم التقدم والمضي نحو العدالة والرفاهيه والحياة الابديه.. لكن الذي لا يؤمنون فهؤلاء يلجأون إلى سياسة التبرير والهروب من المسؤولية تحت ذرائع في غاية السخافه.

المبحث الثاني:

(من كان عدوا لله وملائكته وكتبه ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين)

الأمر الأول:-

ان النصوص تبين لنا قصر النظر المرتبط بالتقليد كيف ان هؤلاء ارادوا ان يفرقوا بين الملائكة مثلما فرقوا بين الرسل ومثلما فرقوا بين البشريه بادعاء السلاليه، وادعاء الامتياز للجنس الاسرائيلي.

ولهذا قالوا ان بينهم وبين جبريل عداوه وان بينهم وبين ميكال صداقه فجاءت النصوص لبيان اساس عقيدة الإيمان:-

1- بان الإيمان لا يتجزأ فقد جعل الله تعالى الإيمان به يقتضي الإيمان برسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر و القضا والقدر، اي وحدة الإيمان فمن قال انه مؤمن بالله ولكنه لا يؤمن بالرسل جميعاً او احدهم فهذا ليس بمؤمن

فالعقيدة الاسلاميه تقوم على اساس عدم التجزئه في الإيمان فالله اقتضى حكمته ارتباط الإيمان باصول الإيمان الستة دون تجزئة او تفريق بينها.

2- اعلان ان من عادى ولياً منهم فقد عادهم جميعاً.

الأمر الثاني:

1- انه سبحانه وتعالى ابتداء بلفظ الجلاله (من كان عدواً لله) وهنا استعمل لفظ الجلاله الله لان هذا الاسم مشتق من الاله الذي تأله الخلائق محبة وتعظيماً وإجلالاً وخضوعاً

وذلك فيه الاشاره إلى خطورة من يعادي الله تعالى.. فالله سبحانه وتعالى انزل الكتب لطاعته ولكي تكون شريعته هي الحاكمه فالذي يقف ضد او امره واحكامه او يرفض القبول بها فهو يقف معادياً لله، وكيف لعاقل ان يقف معادياً لله القوي الخالق القاهر.

2- ثنى سبحانه بالملائكة و اضافهم سبحانه وتعالى إليه، للاشاره إلى ان عداوتهم هي عداوة منهم لله تعالى فهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون.

3- ثم ثلث بالكتب التي انزلها على رسله ونسبها سبحانه إليه اشعار لهم بأن:

(أ) ان العداوه للكتب هي عداوه مع الله سواء كانت هذه المعاداه بالقلب او باللسان او بالاعمال التي تقف ضد كتب الله ، والمراد هنا الإيمان بالكتب التصديق بها والاجلال والتقدير لها.. سواء كانت الكتب القائمة او المنسوخه مبينا أنه ينبغي أن يوجد الايمان العمل هو بالتطبيق للكتب القائمة.

(ب) ان هذا النص فيه تبين ان الكتب فيها كلام الله ورسالته للناس.

ج) لبيان قبح الذنب الذي ارتكبه اليهود مما ادعوا من العداوه لجبريل لانهم يكرهون رسالة الاسلام، ولهذا يخبرهم الله ان تلك العداوه هي عداوه مع التوراة وعباده مع الله سبحانه وتعالى.

4- وذكر الرسل بلفظ الجمع لبيان ان العداوه مع الرسول (ص) هي عداوه مع جميع الرسل بمن فيهم موسى عليه السلام.

الأمر الثالث:-

ذكر الله سبحانه بالنص جبريل وميكايل وخصهما بالذكر مع انهما دخلا في عموم الملائكة وهذا للاتي :-

1- ان الله خصهما بالشرف والتفضيل على غيرهم والله يختص برحمته وفضله من يشاء ولا معقب لحكمه.

2- لان اليهود قد ذهبوا إلى القول ان بينهم وبين جبريل عداوه وان بينهم وبين ميكايل صداقه

فاراد الله سبحانه وتعالى ان يبين ان كلاهما من اولياء الله تعالى ولهذا فان معاداة احدهما تعني معاداة لهما الا ثنين وفيها عداوه مع الله ورسله وملائكته جميعاً.

والمراد من هذا التحذير لفت انتباه المخاطبين من ردة الفعل الغير مستويه تحت تأثير عنفوان العصبية فنحن نرى بعض الجهله الحمقاء من الذين ينتسبون للاسلام عندما يسمعون الروافض مثلاً يتطاولون على الصحابه الكرام وان الحمقاء من اهل السنه يقابلون الاساءه بالاساءه لعلي والحسين وغيرهم.. ولهذا يلفت الله انتباه المخاطبين ان لا يجعلهم عداههم ينحدرون إلى مثل سخافتهم، فيحذر من الاساءه لجبريل وكذلك يحذر من الاساءه لميكايل فيقول انتبهوا ان تسقط اخلاقكم مثلهم فتذكروا ميكايل بسوء فمن عادى احدهم قد اعلن العداوه معهم جميعاً.

3- ولما كان جبريل ينزل بالوحي الذي فيه حياة الارواح قدمه بالذكر للاهتمام ولتعظيم شأنه، مما ذكر ميكايل لانه ينزل بالغيب وما فيها حياة الابدان

لبيان فساد تصورات اليهود وانهم غلب عليهم طابع حب الدنيا فهم قد اختاروا الدنيا ولذلك كان حالهم بالتمسك بدور ميكايل فقط لحاجه ابدانهم

واعلنوا رفضهم لحياة الارواح، لبيان ان هؤلاء فرطوا بمبدأ التكامل بين الشئون الدنيويه والشئون الاخروييه، ف الله قد انعم على الانسان بنعمه الرسالات التي يحصل فيها التوفيق والتكامل الذي يلي حاجات الجسد والروح معاً.

الأمر الرابع:-

(فان الله عدواً للكافرين)

الجواب من جملة الشرط جاء فيها ذكر اسم الله ظاهراً ولم يقل فإنه عدواً وهذا لدفع التوهم لدى البعض.. فالله ذكر ما سبق لنبيه ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوه من الله لان من عادى احدهم فكانما عادا الجميع لان الموجب لمحبتهم وطاعتهم هو محبة الله والإيمان به وقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

ولهذا اعلن الله عداوته لمن يعادي ولياً من اولياءه فذكر اسم الجلاله ظاهراً لاجل التفخيم والتعظيم بان المعركة ليست مع الرسل والملائكة وإنما هي معركة مع الله الذي بيده كل شي.

المبحث الثالث:-

ان الايات مترابطه مع بعضها فقد جاء النص (ولقد انزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون) معطوفه على ما قبلها ذلك ان ايات الله تضع بين ايدينا احوالا ً لتلك الامه ووقائعها كيف ان النظره الطبقيه لديهم و التعصب افقدتهم قدره على الحركه فالله اخبرنا ان هؤلاء اعلنوا العداه مع الحق ومن حملة ومن يمثله فقال تعالى (من كان عدواً لله وملائكته وكتبه ورسله) بعد ان بين سبب العداوه انها تعود إلى كراهية الحق ، وهذا لبيان المفاهيم الاتيه:-

المفهوم الأول:-

لاخبار المسلمين ومن كان ينتظر رد اهل الكتاب بشأن نبوة النبي (ص) وبشأن القرآن، ان لا يتاثروا بمزاعم اليهود في القرآن كتاب الله ولا غموض فيه، والرسول (ص) مرسل من عند الله، وهذا يتضح من خلال العطف بالجمله(ولقد انزلنا إليك) حيث نجد ان النص جاء فيه لتأكيد تلك المعاني ما يلي:-

1- ان النص ابتداء باللام وتبعها (قد) لتأكيد ان القرآن منزل من عند الله.. بالنص القاطع الحاسم (ولقد) المؤكد ان الذي انزل الرساله هو الله تعالى.

2- انه سبحانه استعمل صيغة (انزلنا) وهي لها معاني متعددة من حيث الاشاره إلى انزاله من اللوح المحفوظ فقال (أنزلنا) ولم يقل نزلنا لان الاخيره تعني نزوله من السماء منجما وإنما اراد بيان انزاله من اللوح المحفوظ لنفي ادعاءات اليهود ان جبريل قام بالمخالفه وتسليم الرساله إلى النبي (ص) حسبما زعموا لتبرير ما اسموه العداوة مع جبريل.. فالله يخبرهم انه سبحانه هو منزل الوحي.

3- كما ان النص جاء فيه صيغة الجمع (أنزلنا) ولم يقل انزلت لبيان ان صفات الله واسماؤه من العدل والرحمه و القوه والعزه وكلها تضافرت في إنزال القرآن الكريم بمنهج كامل وشامل لجميع جوانب الحياة فالقرآن هو خلاصة الاديان السابقه وفيه الدواء لامراض العالم كله في كل زمان ومكان.

4- انه سبحانه اكد ان إنزال القرآن من عنده سبحانه كان متوجهاً إلى النبي (ص) فقال (إليك) فالرسول (ص) هو المقصود بالرساله وكان الاجدر باليهود الإيمان به والتصديق بما جاء به.

المفهوم الثاني :-

ان الله يخاطب النبي (ص) بانه سبحانه انزل على النبي (ص) علامات واضحات تدل على صدق نبوته.. لبيان ان معجزته هي عين المنهج اي القرآن لان القرآن من عند الله لا يحتاج إلى بينه او دليل

لان القرآن هو المعجزه الخالده لكل زمان فقال تعالى(آيات بينات) اي انه احتوى على علامات واضحات للاتي:

1- انه جاء فيه احكام مفصله لجميع جوانب الحياة بنظره شامله وواسعة الافاق قادره على إنارة الطريق في شتى مجالات النشاط الانساني الذي يحصل فيه تلبية احتياجات الروح والبدن.

2- انه جاء يكشف خفايا اليهود واسرارهم حيث ان القرآن تضمن ببيان كتبهم التي لم يكن يعلمها الا الاحبار و الرهبان وهتك وكشف ستائر الغيب في الماضي والحاضر والمستقبل حيث ان ذلك جعل اليهود يتخبطون لدرجة انك ترى سخافة عقولهم وهم يختلقون الاعذار لدرجة انهم قالوا جبريل عدوهم لانه تنزل بالوحي للنبي (ص)..

في صورته مضحكة لمظهر هؤلاء دالة على افلاسهم فب مواجهة الحجج التي اخبرهم بها النبي (ص) ولم يجدوا مبرراً الا القول ان جبريل هو الذي كشف اسرارهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

3- انه سبحانه أكد معجزة القرآن بقوله (إليك) لان الرسول (ص) كان أمي لا يقرأ ولا يكتب

فالمَنصف الذي هو سليم الفطره في مثل ذلك الموقف انه يستجيب ويؤمن بالرسول (ص) ويتبعه فما اخبرهم به من احوالهم يدل على صدقه فهو لم يجلس مع اهل العلم ولم ينال قسطاً من العلوم فتلك معجزة بحد ذاتها فهم اهل علم ما كان يجدر بهم الكفر.. فاخبرهم بما في يدهم منه حجة عليهم فالدليل والبيانه واضح لا غموض فيه.

المفهوم الثالث:-

يطمئن الله تعالى رسوله والمؤمنين ان جحود وكفر بني إسرائيل ليس لنقص في البيئات وليس ان هنالك غموض في الايات فأيات القرآن واضحة، والله يقول للنبي انك تتلوا عليهم وتخبرهم باخبارهم غدوة وعشيا وانت عندهم أمي لم تقرأ كتاباً ففي ذلك لهم عبرة وبيان عليهم وحجة.. ولهذا فلا يجحد بها إلا الفاسقون اي لا ينكر ولا يكذب بالآيات القرآنية إلا الفاسقون حيث نجد ان النص استعمل اداة الحصر (إلا) لبيان:

1- ان الذين يرفضون التصديق هم الخارجون عن منهج الله وكتبه لان التوراة امرتهم بالتصديق والإيمان وبالتالي فهؤلاء قد خرجوا وتمردوا عن احكام التوراة ولم يعد لهم اتصال بالتوراة.

2- كما ان النص يبين ان وضوح الآيات ليس فيها غموض وبالتالي فلا يكفر بها في مثل ذلك الوضوح إلا الفاسق اي انه لا يمكن ان يصدر هذا الجحود عن إنسان سليم الفطره الانسانيه ومنصف لنفسه.. فلا يمكن وقوعه الا من المتمرد على الفطره فقال (إلا الفاسقون).

3- وقصر الكفر على الفاسقون وهم المتمردون الذين خالفوا الفطره والكتب السماويه جاء منسجماً مع ما سبق بيانه وتصويره من حقيقة حالهم انهم نصبوا العداوة للحق ولمن حملة ولمن يمثله ولمن ينقله فالتمرد وصل بهم لدرجة القول ان لهم عداوة مع جبريل وتجاهلوا ان الله اخبرهم بالتوراة ان من عادى رسول من رسله او ملك او كتاب فهو يكون معادياً لله وبالتالي فان ذلك القول منهم دليل على مخالفتهم لمنطق الفطره السليمه.

4- فهؤلاء تركوا الآيات الجديده بالاتباع وانحرفوا عن نور الفطره وعاشوا في ظلمات التقليد وتركوا الحق واستحبوا العمى على الهدى فقال تعالى (إلا الفاسقون)

كما استعمل ال الجنسَ اشارة إلى ان عدم التوفيق للهدايه هي عقوبه لمن يتمرد على الحق تحت تأثير الدوائع النفسيه والتفاخر بالسلاله مثلما كان حال إبليس لان رفض القبول بالحق تخرج المرء عن المله ولا معنى لإيمانه بوجود الله او غيره فإبليس لم يكن منكراً لوجود الله وألوهيته وربوبيته ولكنه رفض الامتنال لاوامر الله فالخلاف كان سياسياً لانه لم يقبل ان تكون الخلافه لآدم فقد رفض تفضيل الله لآدم ولهذا فسق عن أمر ربه فاستحق اللعن والطرده من رحمة الله.

المبحث الثاني:-

يخبرنا الله تعالى بجوانب من حياة بني إسرائيل لبيان الذي حملهم على إرتكاب هذه العظائم بمقابلة أمر الله بتلك المواقف من الكفر والجحود بنبوة الرسول (ص)

الصورة الأولى:-

(او كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون)

حيث وبالرجوع إلى قوله تعالى (يهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين* الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون)

فالله قد عرف الفاسقون بان اول صفه لهم هي نقض العهود والمواثيق التي بينهم وبين الله .. فالله يقول لنا ان هؤلاء نموذجاً لصورة الفاسقون السابق اخبركم بها فذكر نقضهم للعهد.. فقد نقضوا العهد الذي عاهدوا الله عليه عندما خالفوا التوراة وسلكوا طريق مخالفاً لما جاء بها كما ذكر الله في هذا المقطع من قتل بعضهم البعض وإخراج اطرافاً منهم من ديارهم... إلخ

ونقضوا العهد بقتل الرسل والتكذيب، ونقضوا العهد بعبادتهم العجل.. فقد نقضوا العهد مع الله ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين الرسول (ص) فقد خانوا العهود والمواثيق.

2- ان النص ابتداء بالاستفهام (أوكلما) لانكار الواقع الذي عاشه اليهود بان هؤلاء اعتادوا عدم الوفاء بالعهد.. وتلك العادات التي تعود جذورها إلى الوثنية الدينيه التي عاشوها في مصر جعلتهم يفقدون صفات الرجوله التي ذكر الله ان حبهم للحياة هي التي افقدت صفات الرجوله التي تأبى قبول حياة الذل والمهانه التي قد توجد لدى الوثنيين (ومن الذين اشركوا)، فالله يقول ان هؤلاء عديمي الثقة فلا يمكن التعامل معهم والثقة بهم لانهم لا عهود لهم.

3- والعهد لا يكون الا بالتقاء إرادتين وذلك فيه إشاره ان هؤلاء لا يحترمون العهود فاحذروا اثناء التعامل معهم ف لا تتقوا فيهم فهؤلاء لا يحترمون العهود ولا يلتزمون بها.

الأمر الثاني :-

انه سبحانه وتعالى قال (نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون)

النبذ بمعني طرح والقي اي استغنى عنه اشارة إلى نبذ الوفاء وطرحه من غير موجب ولا مراعاة لبيان ان الخيانه هي الدافع لنقض العهود لدى هؤلاء

فالنص بين لنا الحاله النفسيه لهؤلاء منقسمه فعبير عن ذلك (نبذه فريق منهم) إشارة إلى ان الفريق الذي يمتلك القرار السياسي هو الذي يمتلك القرار بالقاء وطرح العهد الذي اخذ منهم

وفي هذا إشارة إلى ان هنالك طبقه صاغت قوانين وافكار واعراف واساليب تمنع حدوث التغيير لان هذه الصياغه ادت إلى حالة الاستبداد السياسي

فهذه الطبقه تسعى من خلال هذه الافكار إلى تبرير نقض العهود صناعة ايدلوجيه تثبت سلطانها وامتيازاتها.. فهذه الصياغات التي يرون انها تضمن إستمرار وجودهم وتمنع الاستهتار بنظامها.

2- ولهذا نسب هذا التفريط إلى فريق منهم ويقصد به العلماء لان فساد العلماء فيه هلاك الرعيه

ولبيان ان استتقبال هؤلاء لليهود يكون بدون رغبه ولا عزمه ولا اراده لان القوه في الاخذ والتلقي من عناصر الميثاق (خذوا ما ياتيكم بقوه) فهؤلاء العلماء لم ياخذوه بقوه فقد كان استقباليهم للعهد بأيدي مرتعشه، فالحاله النفسيه لديهم اصابها العمى تحت الضغط يقبلون باي شروط وفي ضمائهم يخفون نقضها وعدم الوفاء بها، فهم لا يجرؤون على المقاومه والرفض، ولكن في طبعهم عدم الوفاء بالعهود

فهؤلاء لا عزائم لديهم فالاراده ضعيفه لا طاقه لها اصابهم التردد والانسحاب من ميادين المعارك، ولذلك وضعوا نظاماً لا يليق ان يحمل منهج الله الذي يحث على الوفاء بالعهد وربط ذلك بالإيمان.

3- ولم يذكر الله الفريق الآخر لان هنالك منهم من يريد الوفاء بالعهد ولكنه لا يسعى إلى التخلص من الافكار التي تكرس الاستبداد ولا يقاوم افكار المراوغه واللف والدوران، ولا ينكر المنكر ويقبل بالافكار التي يضعها الساده والا كابر فهؤلاء لا معنى لاراهم ولا قيمه لها اذا لم يقوموا بواجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم لا قرار لهم.

4- والنص يخبرنا ان يشكلون الأغلبية الساحقه منهم قد فرطوا بسيادة الشرع وسيادة الامه بالانسحاب من التزاماتهم فلم يتحملوا المسئوليه الملقاه على عاتقهم، وان الاغلبيه منهم لا تؤمن بالله حقيقة.. لان هؤلاء قد اعتادوا رفع شعارات الإيمان وانهم اهل كتب سماويه لاجل ان يحصلوا على الامتيازات في المجتمع فلا تعلقوا آمالكم على اقوالهم ولا تنظرون إليهم انهم اهل إيمان او علم ذلك ان الناس كانت تنتظر موقف اليهود باعتبارهم اهل علم بالاديان وإيمان بالكتب فجاء الرد

الوجه الأول:

من حيث الإيمان:-

فإن الاتصال الروحاني بالله يكون قوة دافعه للانتقال من مرحلة الفلاسفه الكلاميه عن الإيمان إلى مرحلة الحركه والعمل عن الإيمان والنهضة والتقدم ولا يحقق التقدم اذا لم يتم ترجمة ذلك إلى اعمال إذا لم يتم الانتقال إلى الحركه والعمل

والإيمان عهد يحتاج إلى حركه وعمل وشعور بالمسئوليه تستوجب الوفاء بالالتزامات.. فادعاء الإيمان بحجة نزول الكتب والرسل في امة دون الحركه والعمل لا يحقق العدالة والانصاف والتقدم والنهضة لا معنى له فهو لا يعد إيماناً.

وهؤلاء حركتهم معطله وفاعليتهم سلبيه تنقض العهود ولا تحترم المواثيق تتصل عن المسئوليه لان المحرك و الباعث للحركه الإيمانيه نحو الخط المستقيم الذي يصل إلى الله واليوم الآخر خالي من مصادر الطاقه الروحانيه التي تمد النفس بالقوه الإيمانيه فلو كانت موجوده لما حصل منهم نقض العهود والمواثيق.. ولكانت للحركه إيجابيه في فاعليتها لكن هؤلاء اصيبوا بالشلل النفسي.. فهم ليس لديهم شعوراً بالمسئوليه وغياب قوة الإيمان هي التي ادت إلى تغلب قوة الشر والكفر والفسوق في نفوسهم بالتراجع إلى الوراء والتقهقر بالرجوع إلى الماضي ما قبل ارسال الرسل والكتب إليهم حينما اخذ منهم العهد فقد عادوا إلى حياتهم ما قبل العهد عادوا إلى عادات وافكار الوثنيه قبل نزول الكتب إليهم.. وبالتالي فهم ليسوا بمؤمنين لان الاغلبيه تعلقت بالعادات الجاهليه ولهذا كان من الصعوبه عليهم الوفاء بعهد الإيمان وهذا هو شأن الاغلبيه

اما الاقليه منهم وان كانوا يرون اهمية الوفاء بالعهد الا انهم لم يتحركوا ولم يوقفوا بمواجهة الذين ينقضون العهود وقبلوا بان يكونوا على الهامش لا دور لهم ولا يجرؤون على معارضة الباطل فهؤلاء قد نقضوا العهد لانهم قبلوا بما فعل اسيادهم وخضعوا لحكم الاغلبيه وان خالف منهج الله.

الوجه الثاني: التفريط في العلم لدى هؤلاء

يخبرنا الله ان افكار العصبية والسلايه والاعجاب بما لدى امة من انظمه ماديه تؤدي إلى التفريط بالقيم والمبادئ الروحانيه اذا تعارضت مع افكارها الطبقيه.. فلا تستعجب ان تجد البعض يتناقض مع الافكار والشعارات التي ط الما رفعها عالياً و روج لها كثيراً اذا تعارضت مع مصالحه

فالله يقول لا تتوقعوا من هؤلاء الخجل والحياء من ملائمة نقض العهود سواء مع الله او فيما بينهم البين اذا كان حالهم امامكم شاهد انهم عديمي الحياء يتصرفون كما لم يكونوا يعلمون

الأمر الأول:

قال تعالى (ولما جاءهم رسول من عندهم مصدق لما معهم)

يقول الله هل تريدون صورة حية لنقض هؤلاء للعهد ومخالفتهم للمبادئ والشعارات التي طالما رفعوها.. وعدم الخجل لديهم من نظر الناس إليهم لنقضهم ما سبق وان روجوا له كثيرا فانظرو لهذه الواقعة:

1- يقول الله تعالى ان هؤلاء كانوا ينتظرون مجي الرسول الخاتم (ولما جاءهم) فلفظ (جاءهم) يفيد ان هنالك ثمة انتظار لمجي هذا الرسول من قبل اليهود.

2- وفي هذا اشارة إلى ما كان من اليهود من انتظار الرسول الخاتم وكيف انهم كانوا يستفتحون على القبائل بقرب قدومه فيعتبرون ان ذلك سوف يشكل فارقا في حياتهم وحياة البشرية سيكون نقل البشرية فيها نقلة كبيرة نحو التقدم والنهضة والعدل والمساواة.

3- فيقول الله فلما جاءهم الرسول المنتضر (رسول من عند الله) فاستخدم صيغة التنكير (رسول) لبيان ان مجيئه كان لشأن عظيم فالتنكير لتعظيم شأن الرسول (ص) وانه بلغ اقصى درجات التفضيل.. فاخبر انه من عند الله.. فهو كما كانوا يقولون ان قدومه سيكون فارقا كبيرا في حياة البشرية ووصفه الله بانه مصدق لما معهم اي انه فعلا كان خروج الرسول العظيم الذي ذكر في كتبهم والذي قد استنصروا به على القبائل قبل البعثه باوصافه التي ذكروها من خلال ما ورد في التوراة من علاماته و اوصافه.

٤

يقول الله انظروا كيف كان موقفهم (نبذ فريق من الذين اتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم)

يخبرنا الله انه عندما جاء هذا الرسول من امة العرب لم يقبل علماء واحبار بني إسرائيل بذلك.. فهؤلاء قد خرجوا والقوا بالاحكام والتي وردت في التوراة عن نزول الرسول (ص)

والتي طالما رفعوا هذه الشعارات طويلا قبل البعثه اعتقاداً منهم ان الرسول سيكون من امة اليهود فعندما لم يكن منهم رفضوا القبول والإيمان

ولهذا فليس المراد بنذ الكتاب انهم حرفوا التوراة كلها ولكن انكروا التصديق بالفكر التي تحملهم على الإيمان بـ الرسول صلى الله عليه وسلم.

الأمر الثاني

اخبرنا الله ان هؤلاء العلماء والاحبار طرحوا التوراة ورائهم لانهم انكروا نبوة النبي (ص).. واستخدم الذي هنا صيغة التشبيه لحاتهم تلك بمن يلقي الشي وراء ظهره لبيان وقاحة هؤلاء وعدم رغبتهم بالتصديق بانهم رموا بما جاء في التوراة وراء ظهورهم حتى لا يروه فيذكرونه.. لبيان حالتهم من النكران فهم لا يقبلون حتى مجرد التذكير مما كان منهم من انتظار الرسول الخاتم ولا يستحيون من مناقضة الشعارات التي طالما رفعوها اثناء الانتظار منهم لمجي الرسول الخاتم قبل البعثه.. ولمنع التاثر او الخجل من التناقض يشبه حالهم بمن يلقي الشي وراءه حتى لا يراه لأنه لا يستطيع النظر إليه لبيان حالة العجز لديهم.

2- والنص بين لنا انه عندما تكون السلاليه والعصبيه هي التي تحكم الحياة وتمتلك سلطة القرار فيها فان هذه الا مه تفقد العلم لان البواعث القلبيه التي تصرف الاراده قد ارادت وقصدت من رفع الشعارات بقرب مجي الرسول الخاتم مصالح ذاتيه تهدف إلى تكريس السلاليه والعقيده الوثنيه التي عاشوها في مصر والتي غرست لديهم محبة لما اعتادوا عليه في مصر من نظام الفراعنه الذي قسم المجتمع إلى طوائف.. فتلك الحقيقه لم تفارق عقولهم فقد ارادوا ان يكون لهم من العلو في الارض ما كان لفرعون باسم الدين.

3- وعندما جاء الرسول الخاتم من أمة الإسلام لم يقبلوا به وانصرفوا عن الفكره التي طالما رفعوها قبل البعثة وبصوره تراهم كأنهم لم يعلموا بهذا الامر من قبل شيئاً فعندما تناقشهم يتهربون من الرد كأنهم لم يقره لان القراءة توجب العمل فصور حالتهم (كأنهم لا يعلمون) للتوبيخ والتنديد بفتلتهم تلك لانهم كان يفترض بهم المسارعه للإيمان والاخذ به لا الكيد والمحاربه لدين الله.

4- فالازمه تعود هنا ليس لسوء الفهم ولا لنقص المعلومه في تكذيب هؤلاء ولكن للعناد والمكابره فقد عرفوا الحق وعدلوا عنه

لانه اذا انعدمت الرغبه للقبول والفهم لاكتشاف دوائر الامراض ومعرفة الدواء للخروج من دائرة المرض ولم تسعى أمة للاجتماع لاجل إلتماس الحلول التي تخرج منها من عنق الزجاجة ومن النفق المظلم فان هذه الامه لا تنتفع بنور العلم وان كان هذا العلم لديها لانها لا ترغب بذلك فالحاله النفسيه لهؤلاء تكمن في كراهية الحق وعدم الرغبه حتى لمجرد النظر إليه فهم لا يريدون التذكر (وراء ظهورهم) ف الله بين انهم لمحبتهم لما كانوا عليه في الجاهليه وعشقهم وغرامهم لها فقد حملهم ذلك لما اتاهم امر من الله بمواقف مخالف لمصالحهم وعاداتهم الجاهليه ان طرحوا كتاب الله التوراة وراء ظهورهم كأنهم لا يعرفونه وكأنهم لم يسبق ان انتظروا مجي الرسول الخاتم.

القسم الاخير في المقطع الرابع من سورة البقره

ثم تبين النصوص لنا ان اثار كراهية الحق وعدم الرغبه من مجرد النظر إلى الحق او رؤيته يعود إلى فقدان الإنسان قدرة السيطرة على نفسه وعدم القدرة على مواجهة العناصر الخارجيه المؤثره عليه عندما يصبح الإنسان في زمن يتساوى بنظره الجهل مع العلم وعندما ينتقل هذا المرض المعدي إلى الجماعه ويسقط عنها الوعي عن مكوناتها

فإن الجهل يصير له قوة لا يمكن قهرها فعدم الرغبه يولد اليأس ورفض رؤية الحقيقه وعدم القبول بها.. وهنا يفقد قوة العلم والشعور ولذلك يصبح لدى هؤلاء انه من المعقول الاعتقاد بان هنالك قوى اخرى تتحكم فيهم كقدر الاعمى والشياطين او الجن

ومن هنا يفقد المرء ما لديه من معتقدات وافكار ويحصل التراجع للوراء ويكون بعدها صناعة النظريات والافكار و الايدولوجيات المختلفه التي تروج للخرافه والاوهام وتلغي دور العقل

ولهذا يقول تعالى (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنه فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق وبنس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون* ولو انهم آمنوا واتقوا لمتوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون)

اولاً :-

منهم المقصودون بالخطاب (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان) هل هم اليهود الذين كانوا في زمن الرسول (ص) في المدينه المنوره؟ ام انهم اسلافهم السابقون الذين انحرفوا بعد وفاة سليمان عليه السلام ولانه

يجوز نسب افعالهم إليهم كما ذكر من قبل؟؟

إن الاجابه على هذا:

هو من استقرار مجمل ما جاء في النصوص نجد انه سبحانه وتعالى عنى بالخطاب اليهود الذين كانوا في زمن الرسول (ص) بالمدينه المنوره.. وهذا يتضح من الاتي:

1- انه سبحانه ذكر الايه بصيغه العطف بحرف الواو (واتبعوا ما تتلوا) فالجمله جاءت معطوفه على ما قبلها (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانوا يعلمون) .

2- فالله سبحانه وتعالى بين لنا حال اليهود الذين كانوا في زمن الرسول (ص) بانهم خاصموا الرسول (ص) بـ التوراة وجدلوا بها لدحض القرآن والتكذيب بنبوته النبي (ص) فقالوا (نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءهم) وانه سبحانه كشف زيف اقوالهم وفضحهم وبين ان القرآن جاء مطابقاً في شريعته واحكام التوراة (مصدق لما بين يديه) والتصديق هنا لا يعني الموافقه لما تم تحريفه وتغييره في التوراة بل هو موافقاً لها قبل التحريف والتبديل.

3- انه سبحانه قد فضح كذب اليهود عندما لجاءوا إلى إدعاء انهم فوق ولا عذاب عليهم فقالوا (لن تمسنا النار إلا اياماً معدوده) فقد دحض القرآن هذه الاقاويل بالتحدي والمباهله بتمني الموت (قل إن كانت لكم الدار الآخرة....) وقد هرب اليهود من ذلك.

4- ولان التوراة تامر باتباع الرسول الخاتم وقد جاء النبي (ص) فعرفوه انه هو الذي اشارت إليه التوراة كون العلا مات الواضحه والامارات والمعجزه القرآنيه جاءت موافقه ومطابقه لما ذكرت التوراة فان هؤلاء القوم اعلتوا العداوة ضد اصحاب الحق ومن يحمله ومن يمثله ومن يتبعه ولجاءوا إلى تحريف سنه الحكم وسنة العلم.. ولهذا لجاءوا إلى التحويل والانحدار نحو منعطف خطير تمثل بايقاف العمل بالتوراة والتخلي عن فكرة النبي الخاتم... ولجاءوا إلى البدائل السلبيه (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان) لان التتبع يكون من اقتفاء الاثر فيقال فلان تبع فلان إذا اخذ بمنهجه واقتفى اثره.

المفهوم الاول:-

إن النص يعالج مساله وجه النظرة التي جعلت المسلمين يطمعون في التحاق هؤلاء بمشروع الإسلام لانهم كانوا إلى ما قبل البعثة يتبنون فكرة خلاص البشرية من الاوثان ستكون على يد الرسول الخاتم الذي كانوا يستنصرون به على المشركين... بان اصل التفاهم واقامة العدل يقوم على التوحيد والقواسم المشتركة التي جاءت بها جميع الاديان

ولكن هؤلاء قد رموا بالكتب السماويه والتحقوا بعصبة العمل الشيطانية التي سبقهم إليها اسلافهم في الماضي.. بعد موت سليمان غلبه السلام حيث اصبحت امة اليهود بالشلل والعجز في التعاطي مع التوراة والذبول نتيجة العواصف والازمات التي عصفت بامة اليهود.. بعد وفاة سليمان .. جعلت امة اليهود تدور في مكانها بدائرة مغلقة عاجزه عن التعاطي مع مصدر الالهام للخروج من الازمات حيث ان تلك الفترة التاريخية للمرحلة التي اصبحت الدوله في الصميم ادى إلى الآتي:-

1- سقوط دولة سليمان بعد وفاته وتجزئتها لما عرف بدولة إسرائيل ومملكة اورشليم.. ونتج عن ذلك صراعات وتحولات لدولة الموحدين حطمت كل القيم التي تبنى بها دولة الإيمان.. لانطلاق الصراعات فيها من صور الطمع والاستبداد والسلب والنهب والقضاء على الاقتصاد بالجشع والرياء وزيادة الضرائب، فهذا التحولات الخطيره ادت إلى شل قدرات الشعب وتسخيرها لخدمة المتسلطين.

2- ان تلك المرحلة قد شكلت تحولات خطيره فيها لافراغ قيم الامة من داخلها فحصل التشردم وزالت الدوله بدخول اليهود في الحقبة الاستعماريه البابليه عام (586)ق. م على يد نبوخذ نصر

حيث قام البابليون باسر قادة اليهود وعلماءهم واحبارهم وجعلوهم عبيدا لهم

وهناك عمل البابليون على استئصال الفكر الديني والعقائد من عقول اليهود لان البابليون كانوا وثنيون، ولانه كان لدى البابليون تجارب تعلموها من هاروت وماروت توصلوا فيه هذان الرجلان إلى علوم روحانيه تعتمد على السحر تهدف للسيطره على العقول البشريه والنفوس والعواطف تحول الناس إلى عبيدا لا عقول ولا افكار ولا إزاده لهم لتنفيذ ما يريد الملوك في بابل واعوانه فقد سخروا تلك العلوم لاستعباد العوام، و ارادوا بناء حضارة تمتلك العالم برمته

وقد استطاع البابليون السيطره على اليهود وتحويلهم عن المعتقد ومحو ما في عقولهم من افكار التوراة فصاروا كأنهم لا يعلمون شيئا.

3- انه في نفس الوقت كان هناك خرافه يهوديه قد قدمت نظريه وافكار جديده لتكون مصدر إلهام لامة اليهود للتعاطي مع الوضع الجديد.. فذهبوا إلى القول انه لا مخرج من الازمة إلا بهذه النظرية التي تقوم على اساس فكرة ان سليمان كان ساحرا وان قوته وسيطرته على الملك ونفوذه إنما يعود إلى امتلاكه كتب السحر التي زعموا انه اخفائها ولم يطلعهم على اسرارها و ادعوا انه كان ساحرا ولم يكن نبيا فقالوا انه لا مجال للخروج من الازمة الا باعلان تبني فكرة السحر التي اعتقدوا ان السر وراء قوة سليمان سيطرته على علوم السحر وقوة الشياطين.

4- ان اعلان هذه الفرقة فشل الاديان واعلان محاربة الدين قد كان بمساعدة الشياطين الذين عمدوا بعد وفاة سليمان عليه السلام إلى تأليف كتب ومجلدات عن السحر واصنافه المتنوعه وصنعوها من كتب روية وقولا ً وعملا ً فقالوا من كان يحب كذا وكذا فليفعل كذا وكذا حتى إذا صنعوا اصناف السحر جعلوها في كتب ثم ختموها بختم سليمان وكتبوا على عنوانه. "هذا ما كتب صنف بن برخا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر وكنوز العلم" ثم وضعوها تحت كرسية

فاستخرجها بعد ذلك بقايا من بني إسرائيل فاحدثوا فيه ما احدثوا واتخذت تلك الفرقة السحر وكتبها منهجا وعمدت إلى القيام به كعمل منظم

فالنصوص تبين ان المسألة صار فيها تعاون بين شياطين الإنس والجن حيث ان شياطين الجن الفوا الكتب ونسبوا إلى سليمان بالباطل ووشياطين الانس، جاءوا من بابل يحملون علوم وفنون أخرى عن السحر والتنجيم وإن كلا الفريقين حصل منهم إنحراف و أسسوا مدرسة الإنحراف وقد تخلوا عن التوراة في وقت مبكر بعد وفاة سليمان مقابل اخذ الكتب الشيطانية التي صدقوا انها الوسيلة للقوه والعزه والتمكين، فهؤلاء تخبرنا النصوص انهم قد انقطعت علاقتهم بالتوراة والزبور مبكرا فقد تركوها مبكرا وأستبدلوها بالكتب الشيطانية.

المفهوم الثاني:-

ان الله تعالى يخبرنا ان الاسلام ومشروعه هو الوريث لجميع الاديان ومراحل التدين منذ فجر البشريه، وانه قد دمج الاديان كلها بالدين الخاتم الاسلام وكذلك قد دمج الشر واهله في قالب واحد منذ فجر البشريه إلى اليوم

ولهذا يخبرنا انه لا مطمع في ايمان هؤلاء اليهود لان هؤلاء قد دفعهم التعصب والعناد إلى رفض الحق والتخلي عن الفكرة التي ناضلوا لاجلها سنوات طويله فهم لم يقبلوا في السابق فكرة الكتب الشيطانية التي اخذ بها بقية

الفرق بعد الازمه التي عصفت بامة اليهود بعد وفاة سليمان عليه السلام

فهذه الفرقه كانت ترى ان إستعادة العز والتمكين الذي كان على عهد سليمان انما يكون بالتمسك بما ور دفي التوراة من البشارات بشأن النبي الخاتم الذي سوف يخلص البشريه من الظلم والشر على يده، وقالوا علينا الانتظار لبعثته فهو المخلص لنا من حالة الذل والهوان والعبوديه بعد عاصفة البابليين وانهيار الدوله

ولهذا لجاءت بعض قبائل اليهود من هذه الفرقه إلى المسارعه للهجره والسكن في المدينه المنوره إنتظاراً منهم لقدوم النبي الخاتم الذي عرفوا من كتبهم انه سوف يقيم دولته في هذه البقعه من الارض، ولهذا كانت هذه الفرقه سبباً للحفاظ على ما تبقى من نصوص التوراة والمحافظه عليها من التحريف بخصوص هذه الفقره من العلم الديني المتعلق بالامارات والعلامات للنبي الخاتم، ولهذا كانوا يستنصرون على الكفار بالنبي الخاتم بانه سوف يحقق العداله والمساواة ويقضي على الشر واهله.

الأمر الثاني:-

يخبرنا الله ان التحول الخطير الذي حدث فيه الانحدار في منعطف دخلوا فيه إلى المدرسه الشيطانيه إنما كان بعد بعثة الرسول (ص) حيث انهم تخلوا عن كتاب الله فقال الله تعالى (نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون* واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان) فالنصوص بينت انه عندما رأى اليهود ان الرسول الخاتم من امة العرب ولم يكن منهم فقد رفضوا القبول والتصديق و اعلنوا التخلي عن الفكره بان الخلاص سيكون على يد الرسول الخاتم وكان منهم تجاوز الوحي والعمل على ايقاف العمل بقواعد التوراة وامرها

فاخبرنا الله بانهم (نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم) فإشار سبحانه إلى الآتي:-

1- انهم فريق من اليهود كانوا في تلك اللحظه متمسكين بالتوراة ولو بشكل صوري وشكلي فقال (فريق من الذين اوتوا الكتاب).

2- عبر عنها بصورة حية تهدف إلى شد الاذهان والاحساس إلى مشهد التخلي كيف تتم فقال انهم نبذوها...إشارة إلى المشاعر والعواطف والبواعث التي في صدرهم بانها مشاعر النفور والكراهية للحق

لان المنبوذ هو الشخص المكروه الذي لا يطاق النظر إليه من شدة النفور وعدم وجود اي مشاعر محبة او شوق لرؤيته

ليبان ان هؤلاء اوصلهم الحسد والحقد إلى الوقوع تحت سلطان الشيطان ذلك ان الشيطان سيطر على علماءهم وقادتهم والوجهاء الذين اغواهم وسيطر على عقولهم وقلوبهم لانه بفسادهم يفسد قرار الحكم والعلم وتفسد الا حكام وتختل الموازين وتنعكس المقاييس وتفسد قوى الانجذاب فهي ترى القبح مبعجلاً و ترى القيم الروحانيه بشعه

فهؤلاء اصبحوا ينظرون إلى التوراة انها قبيحة بشعة، اصبحوا ينظرون لها انها وباء عليهم، فالمنبوذ هو الذي يرمي به بعيداً حرصاً من ما فيه من امراض معديه... ولانك تخجل من العلاقه التي تربطك به ترى انها لن تجلب لك الا السمعه السيئه، فالتوراة قد فضحتهم لانها موافقه للقرآن

ولهذا فان هذه النصوص الربانيه العظيمه التي فيها بيان القرآن وبلاغته يخبرنا بالصورة الحية عن فساد قوى الشعور والجذب والتصور والمحبة والغضب لدى هؤلاء.

3- يخبرنا الله انهم القوا بالتوراة وراء ظهورهم إستغناء وكراهية لا يريدون تذكر ما فيها، وان التخلي حصل من

الوجهاء والعلماء والاحبار فهم الذين كرهوا كتاب الله (نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب) لبيان صورة فساد العلماء إذا انحرفوا فانه تفسد الرعيه

ولبيان خطورة الموقف ولتأكيد ان هؤلاء لم يكونوا قد تخلوا عن التوراة حتى تلك اللحظة على الاقل بخصوص ما ذكر فيها من علامات النبي الخاتم التي كانوا يتطلعون إلى قدومه بشوق كبير ولهذا أكد ان الذين رموا به هو كتاب الله التوراة، لتأكيد انهم لم يكونوا حتى تلك اللحظة قد قبلوا بالكتب الشيطانية التي سبقهم إليها اسلافهم في وقت مبكر.

الأمر الثالث:-

يخبرنا الله ان المسألة صراع بين الحق والباطل فهؤلاء قد قطعوا علاقه بينهم وبين ربهم وبين الكتب السماويه.. فيخبرنا بصيغة التعجب مم حالهم (كانهم لا يعلمون) ليبين ان هؤلاء رفضوا اختيار الله تعالى وتخلوا عن التوراة وحصلت القطيعه بينهم وبين المبادئ والشعارات التي طالما حملوها لسنوات تصل إلى ما يفوق الف سنه

فيقول لنا انك اذا نظرت إليهم اصابك الاندهاش كيف يكون من هؤلاء هذا البعد السلبي المفاجى لدرجة انك تكاد تشاهد امامك شخص آخر كانك لا تعرفه ولا علاقه ولا صلة لك به شخص تراه قد احدث قطيعه كليه بينه وبين افكاره السابقه كأنه لم يتلقى اي علوم شخص جديد تصاب بالدهشه لتسأل نفسك ما هي هذه السلطه والقوه التي احدثت منه كل هذا التحول المفاجئ الذي جعله سيئ الماضي برمته؟ وكيف قبل اتباعهم هذا التحول دون اي نقاش او استفسار؟ فيخبرنا الله تعالى ان السر في هذا يعود إلى الاتي:-

1- ان التعصب للجنس او القوميه او السلاليه مرض خطير يفسد العقول فهذه الافكار تعود جذورها إلى إبليس الذي اسس مدرسه الشر التي قامت على فكرة (انا خير منه)

فالشيطان لم يكن ينكر الوهية الله وربوبيته لكنه رفض القبول بفكرة اختيار وتفضيل آدم لخلافة الارض اي ان كفره كان ناتجاً عن تسييس القضية، ولهذا فان الله يحذر المؤمنين من هذا التسييس فيقول لنا ان

ذ لك يؤدي آلى فقدان سنة العلم وسنة الحكم ويصاب المرء بالغضب الالهي

فهؤلاء اليهود قد دفعهم عنادهم والحسد والكفر الي رفض الحق والعمل على ايقاف احكام التوراة لان الرسول كان عربي لم يكن منهم رغم انتظاره من قبلهم لاكثر الف سنه فيقول احذروا من هذا السلوك.

2- يحذر الله من الفوضويه الشيطانية والاطروحات الانفعاليه النفسانيه عند تبني اي فكرة ربانيه او مشروع إيمان فيجب ان يكون المرء مدرك بوعي لابعاد المشروع والمهمه مقروناً بالافتقار إلى الله والقبول بالحق والتخلص من الغضب والانانيه والا بتعاد عن مدارس الدوائر المغلقة والنظريات الفاسده لانها تكون مقدمة للهلاك والانحراف.

3- يخبرنا الله ان هنالك ثمة تسلل لنشاط المدارس الشيطانية مبيناً ان هؤلاء قد اعلنوا قتل المشروع الديني و الذي حملوه لسنوات طويله واعلنوا محاربة الاديان كلها ولجاؤا إلى البدائل السلبيه التي اتخذوها وسيلة لفصل الا نسان المتدين عن احواله وجذوره وتلك العقول الفاسده المنحرفه بالتعصب قد وجدت ما تتغذى عليه من مورث اسلافها التي لم تقبله في السابق فقد استبدلوا كتاب الله بالكتب الشيطانية التي غدت عقولهم بالشك والريبه والا نحراف.. فجرى تحريف سنة الحكم وسنة العلم لدى هؤلاء بتزيين وتحسين الباطل والافكار الشيطانية وإفراغ العقول من العلم فقد تعمدت هذه العصبه إقصاء لغة الإيمان والاديان وابعدها عن ميدان المعركه واستبدالها بالا فكار الشيطانية.

الأمر الرابع:-

يخبرنا الله تعالى ان هؤلاء خاضوا معركة الباطل ضد الحق محاولين تحريف سنة الحكم الالهي وسنة العلم.. فقد ذهبوا إلى إستخراج الكتب الشيطانية التي سبق لفرق من اليهود الاخذ بها وان هذه الكتب فيها علوم شيطانية تتضمن نوعين من انواع السحر الذي له تاثير في محو الافكار من العقول واستبدالها بافكار شيطانية هي سلاح منحه الله لاهل الكفر لان سنة الله و إرادته اقتضت ذلك

فهذا الصراع المرحلي الذي توحدت فيه قوى الشر لمواجهة الاسلام له افكار واهداف وغايات ووسائل وأساليب و سياسات ومعلومات

ويخبرنا الله ان لهذا السحر آثار سلبية على الافكار فالمسألة متعلقه بالافكار والمعتقدات والنشاط الشيطاني على الارض اكثر مما هو متعلق بمسألة السحر والشعوذة التي تكلمت عنها النصوص في سورة طه بشأن موسى وفرعون فهذا النوع من السحر له شأن آخر فالنصوص تبين الآتي :-

1- ان هذا السحر يمكنه التغلغل في اعماق دماء الشعوب وهوائها فهو يشل الحركة ويطمس ويمحو الافكار من العقول.

2- انه يحدث خلل في الوعي والاستقبال لدى المستهدفين في القراءه والاستنتاج فتصبح نظرتهم معكوسة

فالنصوص تخبرنا ان الشياطين قد اعدت تلك الكتب بعد وفاة سليمان عليه السلام فصار هذا العلم له قواعد وانظمة ولوائح اي انه عمل منظم في دراسته و رؤيته والعمل به

وان فرقة من اليهود قد تلقت ذلك من الشياطين في وقت مبكر، وان هذه الفرقة التي عنى بها الخطاب لم تكن قد قبلت بذلك وانما فهم انه كان البعض أفراداً منهم قد اخذ تلك الكتب ولكنه لم يكن يزاول هذا النشاط بشكل منظم لدى الفرقة التي كانت في المدينة.. على نحو ما ذكر حتى بعثة النبي (ص) فهي لم تجد قبولا الا بعد البعثة دفعهم العناد إلى طرح فكرة ان الخلاص على يد النبي الخاتم.. فرموا وقذفوا بالتوراة و التحقوا باسلافهم الذين سبقوهم من قبل إلى الانضمام لمدرسه الشياطين.

فقد رفضوا اختيار الله وفضلوا اختيار التعمق بالذهاب خلف الاوهام والمزاعم في طلب الاسرار فضاق عليهم المخرج

وان ذلك كان نتيجة الاحباط للموقف والمدركات لدى هؤلاء لانهم ارادوا من انتظار النبي الخاتم ان يكون سلاح قومياً لليهود وسلاح عصبية و سلاح فوضى و سلاح حقد ولذلك اصبوا بخيبة الامل ولم يقبلوا الحق فلو انهم كانوا ينتظرونه بإيمان حقيقي وعلم حقيقي لما حصل منهم الانحراف.

الأمر الخامس:-

ان الآيات فيها دلالة على إعجاز القرآن فالآية قد هتك فيها حاجز الزمان الماضي والحاضر والمستقبل بذكر ما حصل في الزمن الماضي وما سيكون في المستقبل وكشف حال و واقع اليهود وما في نفوسهم وما كان من إنقسام امة اليهود وبين الله كيف سيكون حالهم بعد رفضهم التصديق بالرسول (ص) بانها قد طرحت التوراة وراء ظهرها.. وانها تبعت الفرق اليهودية الضالة باتخاذ الكتب الشيطانية التي صاغها الشياطين لاضلال اليهود بعد وفاة سليمان

حيث ان هذه الفرقة التي رفضت سابقاً فكرة السحر قد بادرت إلى المسارعة لاعتناق عقيدة الشرك والسحر التي سبقتها فرق من اسلافهم بعد وفاة سليمان عليه السلام

وان ذلك قد جعلها تضع لنفسها افكاراً ومعتقدات وايدلوجيات من كتب السحر لتضمن إستمرار دورها الذي تتوهم فيه انها عظيمه بالانتساب إلى اليهوديه وإن خالفت التوراة، لانها ادركت ان قياده انتقلت إلى امة الاسلام فهي لم تقبل بالحق وقد اضافت التحاق اليهود الذي كانوا في زمن الوحي افكار و اساطير و خرافات الى المجلدات التي صنعتها الشياطين فصارت معتقدات اليهود اليوم تستند إلى الاساطير وخرافات تستمد مبادئها من الكتب الشيطانية التي احلتها محل التوراة وذهبت إلى الزعم انها كلام الله

ولك ان تشاهد اليوم إلى دولة الكيان الصهيوني على ارض فلسطين تجد ان افكارهم و تصوراتهم تقوم على الوهم والاكاذيب و الاوهام و الاساطير فهم ينظرون ان الاستيلاء على خاتم سليمان وبناء الهيكل اداه سيكون فيه إستعادة دولتهم المزعومه من النيل إلى الفرات، بل انهم يروجون انه بناء الهيكل سيكون خروج المخلص الموعود بنظرهم الذي تم اختراع مضمون فكرة خروجه وما يتعلق به ووضعها في تلك الكتب الشيطانية التي اعتمدت على الخرافيه والتي انزلتها منزلة التوراة.

2- فالنصوص تبين لنا أن اخر عهد لهم مع ما تبقى من احكام التوراة في الجوانب السياسيه والاقتصاديه وغيرها من الجوانب كانت عندما ظهر النبي (ص) ورفضوا القبول بالحق

فلم يتبقى من التوراة إلا الامور الشكلية في بعض الطقوس والتي لاى ومن ان تكون هي الاخرى قد حرفت، فقد كان نهاية المطاف منهم ان احلوا الكتب التي كتبها الشياطين محل التوراة فكان اتحاد شياطين الانس مع شياطين الجن بالتخريب والتبديل ونسب الكتب الباطله إلى الله والانبياء لبناء عقيدة التعظيم للانساب والقوميات والاجناس فتصير الشعوب إلى عبادة البشر دون الله

ولهذا اضافوها إلى سليمان ظلماً وزوراً فسليمان لم يكن يعلم بها ولم يقبل بها فقال تعالى (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) فالنص يدل انه ما افتعلته الشياطين دون رضاء سليمان ولا مشورته فصارت الشياطين هي المعلم لهم ف الله يقول انه لم ينزل السحر (وما انزل على الملكين) ف الله لم ينزل السحر ولذلك برأ الله سليمان عليه السلام من ذلك الافتراء.

ثانياً:

ان النصوص تبين ان محو الافكار القديمه المستمده من كتاب الله التوراة الذي كان لدى هؤلاء يعود إلى نوعين من السحر وهما من اصناف السحر الذي يستهدف للسيطره على العقول البشريه وإستعبادهم والاستيلاء على قلوبهم وتحويلهم إلى آلات تخضع لهم لبيان ان حتى تلك الفئه القليله الخاليه من الشعور في قوله تعالى (بل اكثرهم لا يؤمنون) قد خضعت لرغبة الاغلبيه والسبب هو ان لدى اليهود تأريخ من نوع خاص من السحر استبدلته فرق يهوديه اخرى سابقاً بدل التوراة وهذه الثقافه مصدرها:

1- الشياطين الذين الفوا الكتب كما ذكرنا.

2- رجلان من بابل استطاعا ايجاد اسرار النجم والسحر للسيطره على العقول لدرجة ان الناس كانوا يرون فيهم الصلاح فقالوا أنهما ملائكة نزلا من السماء وقد اعجب الرجلان بذلك لانه اتاح لهما فرصة التأثير على المتعلمين منهما فكان في مقدورهما الاستحواذ على العقول لوجود الثقه بهما التي تمثل عنصر اساسي لجني ثمار هذا العلم ولهذا فقد حاول هذان الرجلان التمويه على المخاطبين بانهما لديهما قوة روحانيه تنزل من السماء كالوحي وان عملهما له هدف نبيل وخير فكانا يحرصان على مخاطبة المتعلم (إنما نحن فتنة فلا تكفر) نحن لنا هذه الكرامات لا ننا اولياء الله لبيان الخير وإظهار حيل الشر فانت ليس لديك قوة روحانيه مثلنا اذا تعلمت هذا العلم سوف تكفر فاحذر والغرض التمويه ومنح انفسهما مزيه من القوة.

والواقع الذي نعيشه نحن اليوم معاشر المسلمين لا يختلف كثير عن هؤلاء فقد حصل الخلط بين الولي لله و أولياء

الشياطين.... وان العديد من الفرق الاسلاميه اليوم قد هجرت القرآن وتعلمت فنون السحر بديلا عن القرآن واتخذت الاسلام شعارا لتكريس ولاية الشيطان (انا خير منه) بدل المطلب الرباني (فما ياتيكم من هدى)

وانت تلاحظ اشياء جميله مثل ما حدث لليهود تماما هو ان الناس يقبلون بفكرة إلغاء العقول والاذعان لعبودية البشر، والقبول بخرافة وأساطير الولاية التي يزعم انه يستمدها من الله تحت فكرة السلاله او الروحانيه وغيرها، وترى ان الكثير ممن قبل ان تكون تلميذا لدى هؤلاء انه وبسرعه فائقه يعود إليك كأنه شخصا اخر فتقول ما هذا السر تحاوره وتجد انه قد اصيب بغسيل الدماغ فلا قواعد ثابتة للحوار حتى تلك القواعد التي كان يؤمن بها سابقا لم يعد يذكرها هذا الشخص كأنه قد قذف بها خلفه وراء ظهره كأنه شخص لم ينال قسط من العلم.. انه شخص آخر

فالحقيقه ان هذا الشخص قد ترك منهج الله واصبح مطية للشيطان لانه قبل بكتب الشياطين فصاروا معا تحت تأثير السحر والتنجيم التي نصت عليها النصوص فلا غرابه من ذلك فالمسأله ليست جديده بل لها جذور تاريخيه قديمه تعود إلى ما بعد وفاة سليمان عليه السلام، هكذا يخبرنا الله لنحذر من ذلك

2- ان النصوص تبين لنا ان هذا النوع من السحر هو نوع خاص حصل فيه امتزاج كتب الشياطين التي صنعوا فيه علوم السحر بعد وفاة سليمان مع العلوم السحريه التي تعلمها اليهود في بابل بعد سقوط دولة اليهود على يد نبوخذنصر

وحيث لا يعرف الدوافع والبواعث حول الغزو البابلي لامة اليهود تاريخياً ولكن الآثار للحضاره البابليه تخبرنا ان هذه المنطقه شهدت حضاره وتقدم ورقي منذ القدم (837)ق. م

حيث نجد ان شريعة حامورابي في النقوش تضمنت قوانين تدل على تنظيم جوانب الحياة الماديه، ولكن المعلوم ان غياب الإيمان عن اي حضارة فانه يكون حصول إنحطاط في الجانب الروحاني اذا لم يوجد نظام وفكرة تحقق دور التكامل بين الشؤون الدنيويه والاخرويه

فالشاهد هنا يخبرنا انه قد نشأت مدرسة شيطانيه في بابل وصلت لدرجة عاليه من التفوق والبراعه لفنون السحر والتنجيم والشعوذه لم تصل إليه امة من الامم، وان اليهود انتفعوا منها باضافتها ومزجها للمهارات التي لديهم من كتب اعددها الشياطين بعد موت سليمان سحر بتلك القوة المؤثرة... فنحن نعلم ان السحر كان موجوداً لدى الفراعنه في قصة موسى عليه السلام... واكيد ان اليهود يعرفون ذلك ولكن لم يذكر هنا وذلك لان السحر المصري لم يكن له قوة التأثير المادي الذي يمكن اطلاقه على السحر الذي في الكتب الشيطانيه التي كتبها الشياطين بعد وفاة سليمان ولا قوة السحر البابلي.

الأمر الرابع :

ان المراد (ما انزل على الملكين ببابل) ليس كما ذهب البعض للقول ان الله انزل ملائكة عدد اثنين الي الارض كي يعلموا الناس الفرق بين السحر والمعجزات... إلخ ما ذكرت بعض التفاسير وغيرها من الرويات وهذا القول غير صائب بنظرنا والله أعلم للاتي :-

المسأله الأولى :

ان الله سبحانه وتعالى قد اخبرنا ان الملائكة مخلوقات معصومه من الخطاء لانها خلقت لعبادة الله وطاعته ولهذا اخبرنا الله ان من عادى الملائكة فقد كانت عداوته مع الله (من كان عدواً لله وملائكته..) فلا يتصور مذهب إليه البعض من القول انهما ملكين نزلا إلى الارض ومنحا الشهوه وانهم ارتكبوا جريمة القتل والزنا وغيره...

فهذه الرويات لا دليل صحيح عليها وانما هي من الإسرائيليات وكتب اليهود التي تعرضت للتحريف والتبديل وما

كتبه الشياطين فاذا كانت النصوص تخبرنا حصول الانحراف وغياب التوراة واخفاءها فكيف نثق بالإسرائيليات.

المسألة الثانية :

كذلك الحال لمن ذهب إلى القول ان الملائكة نزلت لتبين للناس الفرق بين السحر والمعجزه حتى لا يحدث الاختلاط

1- فهي الاخرى لا توجد روايات متواتر غير ما ذكر في الإسرائيليات فمن العيب الاعتماد على الإسرائيليات كما قلنا.

2- ان القول ان الملكين يعلمان الناس السحر للوقايه منه قول باطل لقوله تعالى (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) والله حرم الخمر لان ضرره اكثر من نفعه، فما بالكم وهو تعالى يجزم ان السحر مضرة محضه فكيف يرسل ملائكة لتعلم الناس به إذا كان تعلمه مضرة محضه بنصوص ثابتة.

3- ان القرآن الكريم انكر نزول اي ملك إلى الارض لتعليم الناس من عند الله قال تعالى (وما ارسلنا قبلك إلا رجالا نوحى اليهم فأسلوا اهل الذكر إن كنتم تعلمون) .

4- وقال تعالى منكرًا انزال الملك (وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملك لقضي الامر ثم لا ينظرون) فالله كلف الانبياء لمحاورة الناس لا الملائكة.

5- ان الإنزال يكون بمعنى الايجاد (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد)

6- ان الملائكة ذو طبيعه نورانيه.. والشياطين ذو طبيعه ظلاميه، وبالتالي لا يمكن ان تجلس الشياطين إلى الملائكة لتتعلم منهم لان النص قال (فيتعلمون منهما) بمعنى ان هذا العلم كان بمجلس الشياطين لتعلم العلوم وهم يريدون تعلم الشر لا الخير.. فكيف يصح نسب صدور الافكار الظلاميه من الملائكة النورانيه.

إضافة إلى ان القرآن لم يتعرض لمسائل النشاط للرسالات في بابل اطلاقاً فلم يذكر ولو بالاشارة لوجود اي نشاط لاني في هذه الامه وهو لا يعني انه لم يرسل الرسل إليهم فهذا ليس المقصود بل المراد انه لو كان الغرض تناول جانباً من فساد حياة اهل بابل وحصول الخلط لديهم بين مفهوم المعجزه للرسل والسحر وان ارسال الملائكة كان لانه يمنع عن الرسل المعرفه بعلوم السحر والشعر وغيره.. من الامور التي لا يعرفها الرسل بالفطره، لكان المولى قد ذكر اوضاع للمعجزات التي حملها الرسل في تلك الامه وانه حصل الخلط بينها وبين السحر الذي كان سائداً.

ولكن النصوص تبين انه لم يكن معروفاً لدى هؤلاء السحر بتلك القوة المؤثره ولم يكونوا اهل مهاره وفن وإتقان وبراعه في السحر قبل مجي هاروت وماروت فهي مورثه جديده على البشريه لم تذكر النصوص وجود فن بتلك البراعه مثل هاروت وماروت ولهذا كانت مدرسة توزي مدرسة الشياطين الذين تبعوا آثار ملك سليمان وبالتالي فلا توجد حاجه لنزول الملائكة لتعليم الناس الفرق بين السحر والمعجزه لا عقلاً ولا منطقاً ولا دليلاً ولا شرعياً يوجب التوقف عليه والقول انها ملكان من الملائكة.

المسألة الثالثه :

ان هؤلاء رجالان تظاهرا بالصلاح والتقوى في منطقة بابل وصار لهما ملك وسلطان لدى الناس، حيث بلغ حسن مظهر صلاحهما درجة ان ظن الناس انهما ملكان منزلان من السماء.. وان ما يعلمانه الناس هو وحي من الله تعالى فذكر ذلك للإشارة إلى توفر عناصر القوه للسحر للاتي :

1- توفر عنصر الرضاء والثقه بالساحران من قبل المستهدفين لانهم تصوروا انهما من الملائكة وان ما يقوله وحياً من الله فادى ذلك إلى تسهيل مهمة هاروت وماروت.

2- ان تلك الثقه شكلت ارضيه استهوها هؤلاء ولاجل سرعة التأثير على النفوس ومحو العقول واستعبادهم من دون الله كانوا يقولان لكل من اراد ان يتعلم الشعوزه وعلم النجوم والفلك والسحر.. (إنما نحن فتنة فلا تكفر)

نحن ابتلاء وإختبار من الله لكم ونظهر سلوك الصلاح بان هذا العلم يحتاج إلى اناس اتقياء يخافون الله ولا يستعملونه في السحر لان ذلك كفر ب الله قاصدين بذلك إيهاام التلاميذ والناس ان الله يملي عليهم هذا العلم وانه فيه النهضه وان صناعتها وحياء من الله لأن الرهبه في النفوس امر مهم لياتي السحر ثماره (واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم).

المسأله الرابعه :-

1- فذكرت النصوص حصول تعلم السحر وان له اثر (فيتعلمون ما يفرق بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد إلا باذن الله)

فالنصوص تبين انه عندما ينحرف العلماء تفسد الرعيه وان هؤلاء قد لجأوا إلى علم السحر فهو ليس سحر من النوع المعروف كما ذكر في قصة موسى وفرعون سحر الخداع، بل هو سحر غسل الادمغه والعقول.. حيث ان له تأثير لدرجة انه يمزق اقوى انواع الصلات التي تستمد قوتها من المحبه والموده وهي العلاقه الزوجيه المتينه التي تتكون بمجرد عقد القران (وجعلنا بينهم مودة ورحمة)

والمسأله في غاية الخطوره.. فمن يكون لديه علم بنزع محبة الزوج من قلب زوجته او العكس فان مسأله نزع محبة الفكر والمعتقد من النفس امر ربما يكون سهل مقارنة بذلك اذا كان الشخص ضعيف الإيمان فالمسأله فيها ان هؤلاء بمواجهة قوة حجة الرسول (ص) وتأثيرها على القلوب خافوا فلجأوا إلى هذا النوع من السحر لمسوخ ادمغه العوام منهم وإزالة ما قد تعلق في عقولهم من الافكار التي كانت في التوراة ويتم ترديدها عن قرب ظهور النبي الخاتم.... فاستخدم التنويم المغناطيسي والسحر المذكور كي يزيلوا ما في افكارهم القديمه ويحلوها بافكارهم الشيطانيه فهم استعملوا السحر لاجراخ ما في العقول من الخير واستبدلوا بالشر والسحر.

والتأريخ شاهد على مثل هذه الصور في العالم ابتداء من المغول الذين كانوا يستولون على العقول والقلوب لا تباعهم بقوة السحر وكذلك الحركات الباطنيه وبعض المذاهب الشيعيه التي تتوافق مع اليهود في فكرة السلاله حيث نجد انهم لهم سطوة في السيطرة على العقول بافراغها من كل ما هو ثابت فيها وإستبداله بفكرة الإيمان ب الرقي لسلاله وان لها تأيد إلهي يحصل معه الخضوع والاذعان.

2- نجد ان الله تعالى يقول (وما هم بضارين به من احد إلا باذن الله) لنفي القدرات لدى هؤلاء من حيث الاذن القدري فهي موقوفه على الاذن القدري وسبق ذلك ذكر الاذن الشرعي (على قلبك باذن الله)

والمراد من هذا ان المؤمن القوي هو الذي يأخذ بالاسباب بان يحتصن من ذلك السحر بالذكر والإيمان ويقاطع تلك الافكار الشيطانيه وبعدها يتوكل على الله لانه يدرك ان النفع والضرر بيد الله تعالى.

3- وتبين النصوص ان ما يتعلموه منه الضرر لا المنفعه فهو ضرر محض (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم).

الأمر السادس :-

ان النصوص تبين لنا ان هذا الإنحراف وقع من اهل الكتاب الذين يفترض بهم الإيمان والتصديق لان لديهم العلم و المعرفه.. لبيان كيف ان العناد والشقاق يولد عدم القبول للحق والدخول من هذا النفق بمنع العوده والرجوع للحق.

حيث يخبرنا الله كيف انه حصل إنقسام بشأن سليمان في بداية الامر حيث نسب البعض من علماءهم السحر إلى

سليمان عليه السلام وحدثت فتنة ثم التفريط به بالشرعية الدستورية وسيادة الامه إلى الاجتياح على الكتب الباطلة ونسبوا ذلك إلى النبي سليمان.. وهذا الكلام صدر من الذين يدل الكلام انهم يعلمون فقد دفعهم الحسد إلى التصرف كأنهم لا يعلمون ونسبوا المسائل الباطلة إلى سليمان واطافوا الكتب الباطلة إليه كذلك، وان هؤلاء تخلوا عن الفكرة واشركوا بالله وفضلوا الباطل على الحق، والاغلبية الساحقة وقعت تحت تأثير الشعوذة و الخرافات التي استولى فيها الاحبار والرهبان والشياطين على عقولهم وصاروا ينظرون إليهم انهم يتلقون الوحي والكرامات من الله فحصل الفساد في التوحيد

لبيان انه عندما يتم هجران القرآن وعدم العمل باحكامه فاننا سوف نسلك طريق المغضوب عليهم... فالنصوص للتحذير من استبدال الحق بالباطل لان ذلك سيحل علينا الغضب والهلاك وفعلاً نجد اليوم صوراً متعددة لمن ينتسبوا إلى الإسلام جزافاً يروجون لكتب السحر والشعوذة والتنجيم وصارت القبور آلهة تعبد من دون الله في الكثير من المجتمعات.

فالحاصل ان الإسلام اليوم في دوامة من المشاكل والازمات تشبه حال اليهود في تلك الفترة إلى حد كبير فالأرواح ميتة والحركة سلبية و ولد التفريط او الافراط الديني لدى الناس.

حيث اصبح مغزى الاسلام عند الكثيرين هو حفظ الاهداف الشخصية والسعي لاستعباد الناس ومصادرة عقولهم وإرادتهم.. فقد حدث الخلط لدى الكثيرين الذين اصابهم ما اصاب اليهود فارادوا تطويع شريعة الإسلام لتمجيد وصيانة امجادهم وسلطانهم الذي يزعمون انه مقدس فاصبحت مزعوم الكرامات تنسب إلى الفاسقين والشياطين على انها رعاية ربانية

اصبحوا يعدون تلك الكرامات لمن في القبور لدرجة الالوهية لهم، اصبحوا يوهمون الناس ان الوحي مثل السحر و الشعوذة

تجدهم يروجون لانفسهم ان لديهم روحانيات لدرجة انهم يقنعون البسطاء ان لديهم قوة خارقه تفوق الوحي الذي نزل على محمد بن عبدالله (ص)

السنا في عصر الانحطاط والابتعاد عن مفهوم التوحيد في كثير من نواحي الحياة، وقد ساهم الذين يمتلكون القرار السياسي في تكريس الجهل والظلم والاستبداد في الشعوب و تقديم صورة مغلوطة عن الاسلام بانه اما فكرة السلاله التي تدعي بالحق الالهي والوحي الذي ما زال يستمر بالنزول عليهم حسب ما يروجون أو الدروشه في زويا المسجد بالتفرغ للعباده الصلاة والصيام وترك الاخرين يقومون بدورهم في العمران بدلاً عنهم والمغالاه في الدين لدرجة تقديم صورته من صور التدين المغشوش التي شوهدت صورة الاسلام واحداث الضرر اكثر من المنفعه.

او صورة الصوفيه التي جعلت الدين انقطاع عن الحياة او هو صورته من يزعم أنه علي نهج السلف الصالح في حين اصبحوا اداة لخدمة الملوك ومن يقف خلفهم من اعداء الاسلام فصاروا يطلقون الفتاوي لقتل المسلمين نزو لا عند رغبة الملوك والاموال الطائله

لقد اصبح المسلم تلميذا يقف صامتاً امام المعلم الذي يتلقى تعليمه وافكاره من شياطين الانس من اليهود و النصرى ومن مدرسة الكتب الشيطانية التي قامت الشياطين بالتأليف لها بعد موت سليمان عليه السلام

لان العالم اليوم يعيش بناء على تلك الخرافات التي اشارت إليها الآيه وما حرب العراق وغيرها من الحروب التي مزقت المسلمين إلا نتيجة الاساطير والخرافات التي تم اضافتها إلى الكتب التي فيها الشياطين فقد كانت هي المحرك وراء تلك الحروب التي فرقت الامه المسلمه واهدرت الدماء بناء على تلك الخرافات وذلك لان العالم اليوم

اصبح بيد قوى سلاليه تسعى إلى السيطرة على العالم وهدفها واحد هو تمجيد السلالة وان اختلفت الوان تلك الفرق

فهي لا مطمع في إيمانها بالحق لان الخط الذي تسلكه هو خط اليهود القدماء سواء كانت هذه الفرق تمثل دين اليهود الصهيونية او النصرى الصليبيه او السلاليين من امة الاسلام الذين يدعون بتقديس الجنس الهاشمي، و اولئك الذين قبلوا ان يكونوا تابعين لاي من تلك الفرق وهم يدعون الاسلام وانهم دعاة إليه

فهؤلاء قد تركوا القرآن وهجروه واستبدلوه بالكتب الشيطانيه فيجب علينا الحذر من كل ذلك وعلينا النهوض من الغفله وترك العناد والتعصب للاحزاب والمذاهب والجماعات التي من شأنها ان تحدث الانحراف في حركتها حتى لا نقع في غضب الله.

ثالثاً :

نجد التعقيب بالنصوص جاء بأسلوب التأكيد للعلم (ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق)

ثم تنفي عليهم العلم (ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون)

اي ان النفي جاء فيه تنزيل العلم بالشي منزلة الجاهل... ووجود الشي منزلة عدم الوجود لعدم ثمرة العلم بسبب انهم لم يعملوا بعلمهم

فذكر معرفة العالم بقاعدة استبدال الكتب الشيطانيه محل الكتب السماويه بانه ليس له في الآخرة نصيب من الحسنات لانه قد اشرك بالله فلا تجب له حتى ما فيه اعمال خيرا ان وجدت فالرصيد صفر.

لان هذا الشخص لم يحافظوا على حظوظ انفسهم فهم باعوا وجعلوها مقبده في اسر واغلال مدرسة الشياطين مدرسة الكفر والجحود فالتمن بخس فقد تساوى فيه العالم بقاعدة الشرع ولوازمها مع الجاهل فلو كان لهم علم يقدمونه ذلك الشرى لما سعوا إليه.. وباع بتمن بخس

فهم باعوا انفسهم مقابل سوء فالسحر مضرته الواضحه المفسده للنفس والجماعه فكيف تدفعون اغلا الاثمان وهي النفوس والعقول والقلوب التي تسلب مقابل العيش في عمرا الاوهام والضلال فمن اشترى السحر فقد باع نفسه وعقله واحساسه فليس له نصيب والخلاق هو النصيب، فهذا النوع من العلوم يكون التقرب إلى الشيطان بارتكاب القبائح ومدح الشياطين وعبادة الكواكب والاعتقاد بالوهية البشر فتصرف القلوب عن الحق.

فاللَّهُ يخبرنا ان القوه التي لجاها إليها اليهود بمنع اتباعهم من القبول بالاسلام هو الاستعانه بالكتب الشيطانيه بعد ان عجزوا في معركة الصراع الفكرية حيث اقحموا بكل ما خاصموا به الاسلام فلم تصلح احتجاج هؤلاء بالتوراة كما وضحنا ولا بادعاء الاماني ولا معادة جبريل.. فخافوا على ملكهم فلجأوا إلى الاستعانه بالسحر الذي يكون فيه تحولات دماغية في الافكار واستبدالها بافكار شيطانيه تجعل المرء خاضعا لهؤلاء الذين يظهرون انهم اهل كرامة و اتصال روحاني بالله فيعتبرون اعمال السحر تأيد إلهي فيصير الرجل منهم بنظر اتباعه منزل منزلة تفوق منزلة الرسل والانبياء وهذا شي نراه اليوم في مجتمعنا واضحا فلا تصاب بالدهشه ولا تتعجب وانت تربرا الكثير من شباب الإسلام اليوم وهم يمجدون قادة الدجل والنفاق ودعاة السلاليه التي سلكت طريق اليهود و اهل المغلاة باسم الاسلام تراهم صاروا لهم السيطرة على العقول البشريه وتجد الفرد منهم كانه شخص اخر لا تعرفه كانه لم يكن يعلم عن الاسلام شيئا تجده ينظر للإسلام انه يكمن في اشخاص السيادة الذين يلقون عليه المحاضرات الشيطانيه التي تستمد افكارها من الكتب التي اعدتها الشياطين بعد وفاة سليمان عليه السلام فصار البعض ينظر لاسلام انهويعطي لبعض البشر الوهية ويمنحه امتيازات فهو فوق الكل فلا حساب ولا عقاب عليه مثلما كانت اليهود تقول.

فلا غرابه انك تجد احدهم يخرج من مجلسك وهو مؤمن بالله صافي العقيدة وينتقل إلى مجلس هؤلاء الشياطين بما لا يزيد عن يوم او يومين ياخذ فيها دورة شيطانية تمحو الافكار الإيمانية من دماغه ويعود إليك شخصاً آخر كأنه لا يعلم شيئاً... انها مسألة في غاية الخطوره فالنصوص لا تتحدث عن السحر الذي يكون فيه الا ذى النفسي البسيط للفرد بل هي تتحدث عن نوع خاص من السحر استعمل في معركة الصراع بين الحق والباطل في الاستقطاب ومحاربة الاسلام ومنع الاشخاص من القبول بالحق.

هكذا هي النصوص في مضمونها لا كما ذهب بعض المفسرون للاسف الشديد في تأويل هذه الآيات بالوقوع في مصيدة الإسرائيليات لتفسر النصوص

فآيات تتناول تحذير المسلمين من الطمع في إيمان اليهود لتقول لهم ان هؤلاء ميوؤس منهم وتبين المعركة السياسية والحوار والنقاش والجدل الذي دار مع اليهود لتخبرنا في استهابه ان اليهوديه لجاءت إلى الافكار الشيطانية لمنع التحاق الناس بالاسلام.. فهذا الطريق سوف يسلكه بعض المسلمين في المستقبل فيعلمكم الحذر من ذلك واليقظه لانه طريق وعر وشاق لا يرجع صاحبه منه ابداً.

الأمر الثالث :

تبين النصوص ان الكثير من النعتقدات عندما يتم تغطية الحق بالباطيل التي تنتسب إلى الخق فانه ينشاء التصورات الباطله وسوء الظن في القلوب وان ذلك يؤدي إلى تفاقم المشكله.. ويفقد الامه الاحاسيس والمشاعر ويصيبها بالغباء والبلاده

فتجد الكثيرون يكافحون ويناضلون من اجل ان يكونوا عبيداً للناس ومن اجل يحرموا الحق في الكرامه، من اجل ان يوصلوا الظالمين إلى مركز القرار من اجل مصادرة حقوقهم في العيش من اجل سلب انفسهم الحريه من اجل تكريس السلاله وصناعة الفراعنه الذي سوف يكونون هم سادة الاستغلال

يناضل لاجل قيام دولة الباطل التي لن يجني منها سوى ان يعيش في ذل وهوان وهو يتصور انه بذلك يقيم الحق ويعلي راية العدل لانه وقع ضحية الكتب الشيطانية وإستغلال اصحاب الهوى الذي طمسوا افكاره وجردوه من بشريته وجعلوه بهيمه اقل شأنًا من البقره الذليله لسيدها.. جعلوه حماراً يحمل الاثقال والاطعمه لغيره بينما هو يموت جوعاً والطعام في ظهره جعلوه كلباً يعاني البرد ليحرس سيده ويصطاد دون ان يمس الصيد ويوصله لسيده وإن كان جائعاً.. نزعوا عنه لباس الحريه والكرامه والادميه والانسانيه والمساواة والعدل وجعلوه عبداً للبشر

فالاصل ان طبيعة الانسان انه يتأثر بالعلم النافع للوصول لدرجة الكمال ولكن هذا يتطلب من مقابلة الهدى بوجهه القابل للعلم لا يقابله بظهره ولهذا فان حقيقة العرفان انه يرى اذا اجتمع فيه الإيمان والتقوى فيكون المرء عارفاً.. اما ان يقال حصل اجتماع العرفان والعصيان فذلك مستحيل استحالة اجتماع الليل والنهار

لان القلب السليم من الامراض اذا لديه المعرفه بان هذا الشي فيه سم قاتل فانه يخاف ضرره فوراً ولا يقبله ويهرب منه واذا كان يعرف ان هذا الدواء فيه الشفاء لامراضه وان كان طعمه مر فانه سوف يرغب فيه فوراً ولهذا يجب ان نعرف ان هؤلاء لم يؤمنوا حقيقة بوجود الله واليوم الاخر فلو عرفوا ذلك بلا شك وعرفوا الاثام كلها سوف تلحق بها عقوبه بحيث تصير تلك الافكار امامه ماثلة لا تفارق بفكره ووجدانه فعندها سوف يرى ان الشرك والسحر والخيانه للعهود ونقضها والكذب والمراوغه والكيده والتعصب للنسب والخداع وعدم الخشيه وعدم الشكر وعدم الذكر من القلب لله على الدوام.. بان كل تلك الاثام سوف يلحق بها عقوبه لكل اثم لا محاله فانه سوف يتركها ويخاف العقوبه التي يرى انها سوف تلحق به لا محاله

وفي المقابل لو نظر ان ترك الحرام وملذاته يعني انه سوف ينعم بالثواب عند الله فهذا يجعله يبادر إلى الإيمان وترك الكفر فقال تعالى (ولو انهم آمنوا واتقوا لمتوبة عند الله خير لو كانوا يعلمون)

ربط الإيمان والتقوى.. والخشيه والخوف من الله.. والرجاء في ثوابه اي ان المرء وهو يقف امام المعاصي ان يكون مؤمن باليقين القاطع بالعقوبه على المخالفه.. فعليك ان تسأل نفسك هل انت قادر على اقتحام النار الموقده المشتعله وهل جلدك يتحمل الالم؟ هل يمكنك ان ترمي نفسك من جبل شاهق؟ هل تريد الوقوف على حافة جبل على صخره غير ثابتة وتحتها منحدر يصل بك إلى وحوش مفترسه ووعابين تراها وانت واقفاً وتسمع من يناديك ان الطريق اسفل الجبل ان تقدمت خطوة واحده خطير تنتظرك الوحوش وقطاع الطرق يناديك انظر امامك؟ هل ستستجيب للنداء وتنظر ام تستمر باغلاق عينيك ولا تبالي بالنداء وتتقدم؟ فالعقل ابليدي يدرك مدلولات العلم الضار والنافع اكيد انه سوف يجري مسرعاً فكذلك ينبغي عليك ان تهرب من المعاصي كانك ترى وحش مفترس مسرعاً نحوك فليس امامك الا الهروب منه وبسرعة عاليه إلى الله الذي هو اعلى من ذلك الخطر.

فالله يقول لنا ان الإيمان شي والعرفان شي اخر فيقول ان الإيمان الحقيقي الذي امتزج بالعرفان يكون له اثار تدل عليه وذلك باجتنب الشر وطريقه لانك تخاف الله وتذوق طعم الإيمان وجنة الله في الدنيا بالاطمئنان والثقه بنا عند الله (ولو انهم آمنوا وأتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون)

والحاصل ان علم هؤلاء ناقص لانهم لا يستنكرون الاتام فهم لا ينظرون إليها انها كالوحش المفترس ان اقترب منها فهم يعتقدون ان هذه العقوبات غير يقينيه وبالتالي فهم يشكون بحقيقة وجود الله وبحقيقة البعث والنشور وهذه الشبهه كامنه في القلوب لدى الاغلبيه الساحقه منهم

ولهذا يقول الله لو كانوا يوقنون لما اقترفوا هذه الجريمة لانهم سوف ينظرون ما عند الله من الاجر والمحبة وما عنده من عذاب

فالعلم الحقيقي هو الذي يستمد منه صاحبه بالنظر إلى المخالفه انها بمثابة سلاح فتاك يقتل الإنسان نفسه به ويوقع نفسه في الهلاك

فالله يقول ان المعرفة الحقيقيه :-

هي تلك المعرفة التي تبقي نوافذ نور الايمان مفتوحه لاستقبال النور الرباني الذي يزيل الظلمه لا ان تغلق النوافذ وتجعل الكتب الربانيه وراء ظهرها فانت لو عندك منزل وتريد الاشعاع من نور الشمس وحرارتها هل تقوم باغلاق النوافذ ام انك تفتح نوافذ المنزل من جميع الجوانب ليتمكن النور من الدخول إلى المنزل من كل جهه.

فكذلك القلب يحاجه إلى فتح نوافذ الهدايه امام نور الإيمان ليدخل إلى القلب فيغرس المعرفة فتري الجنه على يمينك والنار على يسارك فتعيش بين الخوف والرجاء.

وكذلك فان الكلام عن الإيمان لا تروي الظماء إذ لا يمكن لاحد ان يرتوي من الظماء ويطفي لهيب حرقه بمجرد الكلام عن الماء، فاللازم ان يسعى جاهداً للوصول إلى منبع الماء ويضع شفته عليه وقتها سوف يرتوي.. ولهذا فلا يمكن الحصول على النور الرباني الا من القرآن الكريم والسنة النبويه وبالتالي فلا طريق للعلاج ونيل الشرف الحقيقي للخلافه بغير منهج الله وهذا هو العلم الحقيقي اما خلافة الشياطين فانها بلا شرف مهما كانت قوتها.

الأمر السابع :-

يخبرنا الله تعالى ان التجديد والتحديث للوسائل والاساليب امر تتطلبه طبيعة الحياة البشريه ولكن يجب ان يكون منطلق التحديث والتجديد قائماً على قواعد وان يسير على خط مستقيم بحيث يحافظ المسلمون على رؤية الطريق ونهايتها ان يكون يصل إلى الله فلا يحصل لهم انحنى ولا إعوجاج عن الطريق كما اصاب اليهود فيجب ان يكون التحديث للوسائل قائماً على التاصيل الشرعي لا انفعالياً يختص كل جديد.. علينا الابتعاد عن التقليد والرجوع إلى الكتب والسنة والنظر في المورث للتراث الاسلامي بما فيه من ذكريات ومناسبات ووقائع

وأحوال تأريخيه وسيره نبويه ليكون ارضاخ جميع التحديات لهذا المبداء لمنع الانحناء في المنعطفات المصيريه حتى لا يكون التجديد والتحديث وسيلة للانحراف و الوقوع في ميادين البدائل السلبيه.. مثلما حصل مع اهل الكتاب قبلنا

فقد بينت لنا الاحداث والاحوال والمراحل التي مرت بها امة اليهود و اثر ذلك على عقولهم ونفوسهم.. فقد كان التراكم الذي مرت بها اليهود في الجوانب الفكرية والاقتصادييه والسياسيه خلال مراحل الاستعمار البابلي ومروراً بمرحلة الاستهتار بالاديان في اعماق اليهود والنظر للاديان من زوايا القومييه والعصبيه والسلاليه ان ولدت فيهم ا لافكار الشيطانيه ما ادى ذلك إلى موت الانسانيه والعالم في نفوس امة اليهود كلها، وقد اصبح اليهودي ينظر إلى الدين من مفهوم القومييه و الاماني وثقافة الاستعمار البابلي والكتب الشيطانيه

وللاسف الشديد لقد سارت العديد من الجماعات المسلمه على خطوات اليهود لتصل في نهاية المطاف إلى الذل و المهانه وبمستويات ادنى مما وصلت إليه اليهود ذلك ان الامة لم تاخذ بالتحذير الالهي الذي يردده المسلم اكثر من خمسين مرة في اليوم وهو يؤدي صلواته (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فاذا ارادت الامة النهضه والخروج من ازمته فعليها اعاده ترتيب اوضاعها وإثارة الاحاسيس وإجراء عمليات جراحيه وتربويه لبقية اوعية الفهم من اوساخ الكتب الشيطانيه فلا بد من تنظيف العقول والقلوب والنفوس من الاوساخ والقاذورات الشيطانيه التي تغللت في المجتمعات الاسلاميه فصار فيهم من الالم والاحزان والذل والهوان ما صار.

المقطع الخامس من الجزء الاول من سورة البقره

القسم الاول من المقطع الخامس :-

ابتدأت النصوص بالنداء الالهي للمؤمنين بصفتهم التي تربطهم به (بأيها الذين آمنوا) بامرهم بمقاطعة كلمة (لا تقولوا راعنا) وبالنظر إلى هذه الكلمه من حيث اللغه نجد انه ليس فيها ذم ولا سخط بالمعنى اللغوي.. وبالتالي فان هذا النهي لابد ان يقف وراءه سبباً قوياً وان لهذا مغزى يراد به تربية المؤمنون عليه ومفاهيم لها اهمية في بناء الكيان المؤمن وثقافته

حيث وبالرجوع إلى الروايات التي ذكرها المفسرون بالسبب المتعلق بهذه الايه نجد ان الروايات تفيد ان المسلمون كانوا عندما يلقي عليهم النبي (ص) شي من العلم يقولون (راعنا) اي يطلبون الاعاده والتأني والإمهال والانتظار حتى يفهموه ويعوا احكامه

وإن اليهود كانوا يستعملون هذه الكلمه للسب والشتيم بالتحريف لها كما قال تعالى (يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا و اسمع غير مسمع و راعنا لياً بالسنتهم وطعنا في الدين ولو انهم قالوا سمعنا و اطعنا و أسمع وانظرنا لكان خير لهم)

فهؤلاء دفعتهم الكذب الشيطانيه إلى تسييس القضايا مثلما كان مرشدهم الاول الشيطان إبليس اللعين عندما قال (انا خير منه) إلى هذا السلوك البغيض... فاستعملوا هذه الكلمه لما بنوا عليها مباني الرعونه والطيش والاستهزاء بالرسول والمسلمون... ولكن المتأمل للنصوص يجد ان هذا السبب وإن كان جوهرياً وأساس النهي عن قول كلمه فيها اذى للمسلمين إلا ان النصوص لها اهداف تتجاوز هذا البعد إلى ما هو ابعد من ذلك نوضحها بالاتي :

الحقيقه الأولى :-

توجيه المؤمنون بكيفية مواجهة النظريات الشيطانيه والمؤسسات التابعه لها لمنع السقوط و الانحناء عن الطريق المستقيم مثلما حصل مع اليهود، عندما حصل منهم الانحناء عن الطريق والتخلي عن التوراة و استبدالها بالكذب الشيطانيه ويتضح ذلك من الآتي :-

1- ان المناسبه لنزول الآيه وترتيبها جاء عقب الآيات المتقدمه من السحر وما نشأ عن ذلك من الذم الالهي وإن السحر كان الواناً واصنافاً تعود جذوره إلى مدرستان، مدرسة شياطين الانس في بابل ومدرسة شياطين الجن بعد موت سليمان عليه السلام

اي عرفنا ان له معلمون وخبراء ومناهج وخطط وبرامج اي أنه لمدرسة الشر الشيطانيه افكار واهداف وسياسات و غايات ووسائل وأساليب ومفردات لغويه، تهدف بالسعي إلى السيطرة على مركز التفكير لدى الإنسان المسلم لشل حركته والاستيلاء على مركز قياده لدى الانسان في معركة الصراع الفكري والثقافي بين الحق والباطل.. لدرجة انك ترى الفرد منهم قد تحول في ظرف زمني بسيط إلى شخص آخر كانه لم يتلقى اي علوم دينيه.

2- كما اننا عرفنا من اصناف هذا السحر هو تمويه الالفاظ ومبناه على اعتقاد تايير الالفاظ في المسحور بحسب نية الساحر وتوجيهه النفس إي نفس المسحور

وقد تأصل هذا الفكر في ثقافة اليهود و اقتنعوا بانها سلاح لمقاومة و استهداف من يصنفونهم اعداء.

فهذه المدرسه الشيطانيه تستند إلى تايير الفكرة على الشخص انما يكون حصولها عند عدم كلمة بمغزي الالفاظ

ولهذا صاروا يستعملون الفاظاً يجعلون لها معنى ومقصود المتكلم به اذى الاخرين.

وتقوم نظرية هؤلاء المستمده من الافكار الشيطانيه ان عدم معرفة الشخص للمقصود الذي بناءه المتكلم به هي التي تاتي اثارها وانه إذا عرف المعنى المقصود فانه يفسد مفعول السحر لتلك الكلمه.

ولهذا فان الاغراض التي تهدف إليها النصوص وفقاً لهذه الحقيقه الاتي :

الغرض الأول : الدعوة إلى مقاطعة الثقافه اليهوديه والافكار الشيطانيه

ف الله يلفت إنتباه المؤمنين انه يجب عليهم الحذر واليقظه من الاهداف التي يرمي إليها الاعداء فهناك معركة بين الحق والباطل.. وان اللغه التي يتبناها الشيطان واعوانه تسعى إلى اقضاء لغة القرآن وسوف تلجاء إلى ابعادها عن ميدان المعركة

فالمسأله في غاية الخطوره لان الغزو الثقافي اقوى سلاح يهدم الامم ويسقط الحضارات، فهؤلاء ارادوا ان ينشروا الثقافه الشيطانيه إلى المجتمع المسلم... ويسعون من خلال اطروحاتهم تغييب العقل والفكر والمسلم عن الفهم و لاستيعاب والقدرة على الحركة.

فهم يبحثون عن ثغره ينفذون منها لمنع تاثير لغة القرآن في محو الاميه عن المسلمين ويحاولون التشويش على العقول باستخدام الفاظاً لصرف المسلمون عن الاستماع والانصات اثناء إلقاء الرسول (ص) للدرس.

الغرض الثاني : اهمية إعداد التحصينات التي تمنع التاثير بالافكار الشيطانيه لان لهذه الافكار وسائل تمويه تستخدم لاجل السيطرة على العقول والعواطف والنفوس

ولهذا يخاطب الله المؤمنين بالصفه التي تميزهم عن غيرهم (بأيها الذين آمنوا) كي يدركوا أن هؤلاء اليهود لا مطمع في إيمانهم فهم قد تخلوا عن التوراة بالكليه وصاروا تابعين للمدارس الشيطانيه فاللازم الحذر منهم واتخاذهم اعداء فهم لم يعد لديهم ارتباط بالكتب الربانيه وقد التحقوا بالمدرسه الشيطانيه.

الحقيقه الثانيه :-

يخبر الله المؤمنين اهمية العلم الرباني لمواجهة الكتب الشيطانيه في المعركه الفكرية... ولهذا نجد ان الله تعالى ينهي المؤمنين عن قول كلمه يامرهم بمقاطعتها بسبب ان اليهود استعملوا هذه الكلمه لغرض النيل من المسلمين و الاساءة للرسول (ص)

فهم استعملوها لمعنى عدم الاستقرار العقلي والفكري. فقالوا (راعنا) اي من الرعونه والطيش فالتحريف لمعنى اللفظه يعبر عن ما في قلوبهم من الحقد والكراهية للخير الذي كان المؤمنون يتلقونه من نزول الوحي فارادوا ان يصرفوا المؤمنين عن العلم الحقيقي الى العلم الباطل الكتب الشيطانيه التي يحصل فيها اضطراب العقل وسقوط الوعي والفكر

فالله يخبر المؤمنين ان هنالك معركة حرب ناعمه تستهدف الفكر والعقل المؤمن ستكون الثقافه الفكرية هي ميدان الحرب في المعركة بين الكتب الربانيه والكتب الشيطانيه.

ويخبر الله المؤمنين ان سلاح الاعداء هو :-

1- استهداف عقيدة المؤمن بربه.. فهم لديهم سلاح في غاية الخطوره لانهم بهذه الحرب الناعمه يحاولون صرف المؤمنون ليس عن الإيمان بوجود الله بل يسعون إلى صرف المؤمنون عن الشعور بوجود الله تعالى.. فنحن نعرف كيف ان هذه الافكار الشيطانيه جعلت بعض فرق المسلمين التي ذهبت إلى توظيف اسماء الله الحسنی

ويستخدمونها في السحر والتنجيم والشعوذة تحت شعارات الاتصال الروحاني فقالوا ان لكل اسم خادماً روحانياً وانه باستعماله يكون حصول القدره الروحانيه والسيطره على الاخرين.. وإن كان هذا الشخص يرتكب الجرائم البشعه ولا يصلي ولا يصوم.. وقد كان هذا التحول بالفهم الصحيح للاسماء الذي فهمه القدماء من المسلمين إلى منعطف ترك كتاب الله وسنة رسوله التي حددت المعاني... نتيجة تسرب الثقافه اليهوديه إلى كتب المسلمين، في فترة غفلة المسلمون... فكان تسرب الافكار الشيطانيه إلى ثقافه المسلمين التي حذر الله منها.

لهذا نجد ان النصوص تحت المؤمنين على التقيد بكتاب الله وبالمعاني التي وردت في كتاب وسنة رسوله حول الا لفاظ الوارده في النصوص وعدم الانصراف والتحول إلى الفهم الخاطى.

2- ان عليك أن تفهم أن للأعداء سلاح لاسقاط الامه في هزيمة المعركه الفكرية من خلال استهداف القدوه الصالحه الانبياء والعلماء والقادة والتاريخ والمورث بكل اشكاله لان تلك الاشياء بمثابة المحرك الباعث للحياة المستمدمه من النفوس، ولهذا سوف يلجأون إلى استعمال الكلمه "الاعلام" ليصلوا إلى إحداث الهزيمة النفسيه لدى الشعوب التي تتخدع بالضجيج الاعلامي حيث يبدأ الاعداء باستهداف العلماء والقادة في صميم نفوس الشعوب من خلال إستعمال الفاظ وكلمات تشوه صورة القدوه الحسنه وتحط منزلتها ومكانتها من القلوب

فيحدث الانحناء إلى المنعطف الشيطاني الذي كان سبباً في هلاك اليهود الذين سلكوا طريق معوج فاستحقوا الغضب والطرده من رحمة الله.

ولهذا نجد ان النص يامر المسلمين بالتأدب مع الرسول (ص) اثناء تلقي العلم وفي كل وقت والالتزام بحسن الا صغاء والاستماع وحسن الادب مع العلماء والمعلمون، فقد ذهب بعض المفسرون إلى ان من اغراض النص توجيه المسلمين بحسن الادب مع الرسول (ص) مثل قوله تعالى (ولا تجهر له بالقول كجهر بعضكم بعضاً).

3/أ) ان هؤلاء الاعداء يستهدفون النيل من مكانة المرجعيه الدينيه لامة الاسلام القرآن - والسنة، ليصرفوا المؤمنين عن هذا المورث العظيم الذي هو اعظم لغة وخير اختص الله به هذه الامه.

وان هؤلاء سوف يلجأون إلى محاولة التأثير عليكم وصرفكم عنه من خلال برامج وافكار شيطانيه لها وسائل وأساليب متنوعه حيث سوف يلجأون إلى غرس افكارهم عن طريق الدعايه والمزاح والنكته لاستجلاب الضحك منك باستعمال الفاظاً لها علاقته و ارتباط بمواقف العلم والمنهج.

ب) فاذا حصل منك استجابته فان ذلك يولد في نفسك عدم الجديه في حمل امانة العلم ويولد اللامبالاه والا ستهتار بالقيم والمبادئ.

ج) من خلال هذه الطريقه الشيطانيه يستطيع هؤلاء الاعداء إلحاق الاذى بالمسلمين و اصابتهم بالهزيمة النفسيه التي تقبل افكار و قيم الاعداء ويصير المسلم يخجل من المورث يصير مرتعش الايدي و الجوارح في حركته، وهنا يحصل السقوط في الافكار الشيطانيه لان القبول بذلك يتاح مجالات ويفتح ابواباً لدخول الشيطان مع كتبه إلى اعماق النفس الانسانيه ويحصل السيطره على الفكر والعقل الانساني

ويغيب عن المسلمين المحرك الذي يمنع موت الارواح لانها تفقد النور ويحل محلها الظلام الشيطاني.

ولهذا يخاطب الله المؤمنين للاتي :

1- ان عليهم ان يحذروا من الثقافه الشيطانيه التي اصابت اليهود بتحريف الالفاظ عن مقاصدها ومعانيها فعليهم اليقظه فهؤلاء اليهود لا يريدون الخير لامة الاسلام فهم يكرهون الاسلام حسداً وحقداً وبغضاً لان الرساله انزلت إلى هذه الامه.

2- ان الله يخبر المؤمنين ان عليهم امتثال اوامر الله عز وجل والرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله في كل امر وقول وفعل فلا يخرج عن ثقافته لان بدايه الانحراف تبدأ بكلمه فاليهود تأريخهم حافل بذلك فالله امرهم ان يقولوا (حطة) فقد اختاروا البدائل السلبيه فقالوا (حنطه) فذم الله هؤلاء (فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم)

هـ) فالله يخبر المؤمنين ان الاطار العام الذي يتحرك في نطاقه المؤمن ينبع من صميم عقيدة التوحيد ليكون له قوه ليهتدي بها للقضايا الفكرية التي تحاول غزو الهويه

فالاطار العام الذي يجب ان تحيط به الافكار في الحياة والذي يتجدد كل يوم لا يخرج عن كتاب الله وسنة رسوله والتوحيد

ولهذا خاطب المومنين بهذه الصفه و امرهم بالبديل (وانظرنا) وهي تعني انتظرنا فهي تشمل المراقبه والنظر و الا مهال لانك اذا نظرت للشخص و الحقها بالسمع (واسمعوا) بان عليهم السمع والطاعة والاستجابه اذا أرادوا السعاده ودخول نور القرآن إلى القلوب.

فالنصوص تخبرهم ان الشعور بوجود الله بالعمل على تنفيذ اوامره و اجتناب نواهيه يعني الخوف والرجاء فيكون المؤمن بين هذان الامران وحركة المؤمنون بناء على ذلك.. ولهذا فان المؤمن بحاجة إلى الخروج من الغفله حتى يفهم العلم النافع وينتفع به (واسمعوا) فالسمع برغبه و ارادة وقلب حافز مهم لتحريك تيار الافكار في العقل لمواجهة الغزو الفكري.

لان اول سقوط للحضارات كما عرفنا من قصة بني إسرائيل يعود إلى تفشي الاميه لدى الاغلبيه الساحقه منهم (ومنهم اميون)

حيث انتهي بهم الحال إلى الخرافات والسحر وكتب الشياطين، ولهذا يخبرنا الله ان لا نكون مثل اولئك القوم من اليهود الغلاظ القلوب الذين انحرفوا وغطت التراكمات على جوهر التوحيد وانحرفوا عن عقيدة الإيمان وصاروا كفاراً لانهم قالوا (سمعنا وعصينا) ولهذا يكشف الله الاقنعه عن هؤلاء ويزيل عنهم صفة الإيمان التي اتصفوا انها قبل البعته والتي كان المسلمون يتطلعون إلى ان تدفعهم تلك الرابطه إلى التصديق بالرسول (وللكافرين عذاب اليم) فجاء تنكير العذاب لبيان عمومية العذاب بجميع اشكاله لتحذير المؤمنين من هذا الطريق ولبيان بأن سوء الا دب من هؤلاء مع الدعاة والعلماء والانبياء وغياب روح التوحيد وجوهره كان سبباً لازالة صفة الإيمان عن هؤلاء ف لا تكونوا مثلهم.

ثانياً :-

يستمر الخطاب للمؤمنين بمقاطعة الثقافه اليهوديه و الافكار الشيطانيه فهذه المعركه لا تقل شأنًا عن معركة الحرب المباشره بل هي معركة اكثر ضراوة فهي معركة الفكر والنفس والوجدان

ولهذا يكشف الله لنا البواعث والدوافع لاجتماع الكفار من المشركين و المنافقين و اهل الكتاب حول الافكار الشيطانيه وحول كراهية الاسلام والمسلمون والعداء الذي في صدورهم

فقال تعالى (ما يودوا الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

الأمر الأول :

يجمع الله اليهود والنصارى والمنافقون والمشركون حول قضية واحده وهي الكفر بالرساله الاخيره رساله الاسلام

ويربط ذلك الاجتماع بمسألة نفسية لديهم جميعاً هي التي غذت عقليات هؤلاء لمحاربة الاسلام.

فجاء النص بقوله (ما يودوا) و الود من المشاعر النفسية التي تنشغل بها النفوس وتبنى بها الطموح والمحبة و الكراهية؛ هي تعبير عن الاماني التي يتمنون ان تكون عليها الحياة

وهذه المشاعر والامنيات تظهر كراهية وحقد هؤلاء الكفار للاسلام والمسلمين اي:-

1- انهم جميعاً يضمرون الكراهية والحقد للمسلمين.

2- انهم يتمنون الشر للمسلمين.

الأمر الثاني :-

ان مدرسة المشركين والمنافقون ومدرسة المكذبين برسالة الاسلام من اهل الكتاب فهذه المدارس المنحرفة مع شياطين الكفر في كل عصر اتحدت كلها واتخذوا المنهج الابليسي و اقاموا له الاسس ووضعوا له الافكار و الوسائل و الاهداف و الغايات وكلها لها هدف واحد وهو ابعاد القرآن عن ميدان المعركة محاولة منهم لمنع وصول الخير إلى امة الاسلام فهؤلاء يكرهون ان يحل الخير بالمؤمنين

وان اكبر خير و اعظمه هو تنزيل الله القرآن على المؤمنين فهو فيه الخير الكثير (ان ينزل عليكم من خير من ربكم) ولهذا استعمل لفظ ربكم اشارة إلى التشريف بالانتساب لربوبية الله الذي يتولى رعايتكم وتربيتكم بهذا الخير الذي يأمركم الله ان تسمعوا وتطيعوا لما يأمركم به فهو فيه الحياة، فالقرآن فضل من الله تعالى اختصت به امة الاسلام (والله يختص برحمته من يشاء من عباده) ذلك ان اعظم رحمة للعباد هو هذا القرآن الذي يدلهم على طريق الجنة فهو اعظم النعم، والنصوص تبين ما يلي :-

1- ان القرآن فيه رحمة و انعام عظيمه وهو اعظم الخير لانه يبعث الحياة و الروح للانسان (استجيبوا لما يحييكم) فاذا كانت معجزة عيسى بعث الحياة للاموات فان معجزة القرآن

إعادة الحياة لاموات لا يدركون انهم موتى، فهي اعظم و افضل نعمة يحيا بها الانسان حياة طيبة.

2- ان اليهود انما رفضوا الإيمان بالقرآن بدافع الغيظ والحسد لانه نزل على امة العرب ولم ينزل فيهم فكان الحقد والحسد هو الباعث لهذه الكراهية.

3- ان المشركون كان رفضهم اتباع الرسول هو الحقد والحسد (لولا نزل على رجلين من القريرتين عظيم).

4- يخبرهم الله ان اختيار الله للرسول والرسالات امر يعود إلى مشيئته سبحانه وتعالى (والله يختص برحمته من يشاء من عباده) فهو اعلم ابن يجعل رسالته (الله اعلم حيث يجعل رسالته) فلا معقب لحكمه.

5- ان هذا الاختيار هو اعظم نعمة بنعم بها الله على هذه الامه فاراد بذلك ان يستجيش قلوب المؤمنين إلى الشعور بضخامة العطاء والاجر الفضيل بعد ان اخبرهم بما في قلوب الكفر من الحقد والكراهية ليكون هذا سبباً للحذر من التأثيرات لافكار اليهود والثقافة الشيطانية

فالله يبين لعباده المنطلقات النفسية والعقلية والفكرية التي ينطلق منها الاعداء ليكونوا على حذر، وليكونوا عند مستوى المسئولية في تحمل الامانه والشعور بما انعم الله عليهم.

6- فالله تعالى يقول لنا لا تجاملوا هؤلاء ولا تقبلوا النظريات المستورده حتى ولو كانت كلمه لان بضاعة هؤلاء الناس ليس فيها خير فهؤلاء لا يريدون لكم الخير و يحقدون عليكم و يتمنون زوال الخير فيكم فعليكم ان تكونوا

متيقظين لا تغفلون ولا تسمحون ان تتسرب إليكم ثقافة هؤلاء فانتم ان لم تقاوموا في المعركة الثقافيه فانكم سوف تكونون فريسه للافكار الشيطانيه ويحصل لكم غسيل ادمغه فتصبح افكاركم مضطربه وعقولكم في منطقة الشيطان و اعوانه.

الأمر الرابع :-

جاءت النصوص بقوله (والله ذو فضل عظيم) لتغرس في نفوس المؤمنين الشعور بالمنزله والفضل الذي اختص الله به المؤمنين لهذا الفضل العظيم ليغرس في القلوب الاعتزاز بالحق فما لديهم هو خير عظيم فلا يكون الاستعلاء الا بالحق.

فيخبرهم الله تعالى انه لا المال ولا الجاه ولا السلطان ولا الانساب لها قيمة فهي وان قامت دولة لاصحابها فهي لا شرف ولا قوة لان القوة والشرف هو حمل الامانه العظيمه والخلافه التي اختاركم الله لها لان الله معكم و يحميكم فلا تضعفوا ولا يصيبكم الوهن امام قوى الشيطان.

فالنصوص توحى انه كان هناك جدل ونقاش حول الاوامر والتكاليف التي امر بها القرآن وبخاصة مسألة تحويل القبله إلى الكعبه فقد لجاء اليهود إلى استعمال سلاح الضجيج الاعلامي لاجل انزال الهزيمة النفسيه بالمسلمين قاصدين بذلك النيل من علو الهمة لدى المؤمنين والانتقاص من العزيمه والاراده، ارادوا غرس الضعف و الوهن في العقيدته ليسهل املاءها بالافكار الشيطانيه فارادوا زعزعة ثقته في قلوب المؤمنين بما حمل لهم الرسول (ص) فقالوا لو كان دين محمد متلقى من عند الله لما غير التوجه نحو الكعبه بعد ما صلى تجاه بيت المقدس، وقالوا ساخرين ان اعمالكم قد ضاعت لان مضمون الامر الجديد ان ما سبق كان ضلالاً و باطلاً

وحاولوا التشكيك في احوال الشريعه فقالوا كيف يقول محمد ان القرآن موافق للتوراة ونحن نختلف في بعض الا مور وحاولوا التشكيك فقالوا ان سنة الله في ارسال الرسل انه ينزل معهم كتاب ومعجزه فكيف جاء محمد ب القرآن مفرقاً ولم ياتي بالمعجزه الحسيه

والله يقول لنا ان هذه المعركه الاعلاميه سوف تكون متجدده في تأريخ حياة الدعوه والداعيه وباشكال وصور مختلفه فسوف يوجد في صفوف المؤمنين فرق تسلك طريق اليهود اي سيكون لدينا يهود محليين، ولهذا يعطينا الجواب لمواجهه الشبهات التي قد يلجاء إليها هؤلاء.

ثالثاً :-

(ما ننسخ من آية او ننسها تأتي بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شي قدير* الم تعلم ان الله له ملك السماوات والارض و مالكم من دون الله من ولي ولا نصير)

تبين النصوص ان المعركه بين الحق والباطل قد اشتدت وان اليهود لجاءوا إلى التشكيك بعقيدة الاسلام من خلال اثاره الشبهات حول رسالة الاسلام فقد اعترضوا على كيفية نزول القرآن فقالوا ان نزوله دليل انه مخالف لنزول الكتب قبله حيث ان الكتب كانت تنزل جملة واحده فقالوا إن نزول القرآن مفرقاً جاء مخالفاً لسنة الله مما انزل على الانبياء من كتب فقالوا إذا كان القرآن منزل على محمد من عند الله فان مجيئه مفرقاً دليلاً على مخالفة لسنة الله في انزال الكتب وقالوا ان محمد يصطنعه ثم قالوا هو ليس من عند الله، وقالوا لماذا لم تنزل المعجزه الماديه مثلما نزلت من قبل؟؟ وقالوا لماذا ينزل الله احكام ثم تاتي اوامر بتعديل الاحكام فكيف يكون ذلك من عند الله؟؟ وقالوا ان القرآن جاء مخالفاً لاحكام التوراة فقالوا كيف يكون ذلك منزل من عند الله؟؟

ولهذا فقد جاءت النصوص تبين اهمية النسخ وطبيعته رسالة الاسلام بانها رسالة للعالم اجمع فهي تجمع الاديان كلها في قالب القرآن وان النسخ هو للتجديد والتحديث والنصوص تناقش الامور الاتيه :-

الامر الاول : محل النسخ

ان تحديد مسألة النسخ بقوله (ما ننسخ من آية او ننسها) تبين ان جميع الرسل جاءوا يحملون دعوة واحدة وهي التوحيد وان هذه المسألة غير قابلة للنسخ، فهي ثابتة حملها جميع الرسل.

وهذه الغاية قد جعل الله لتحقيقها ادوات و وسائل و اساليب تختلف من امة إلى اخرى.. اي ان الاختلاف هو في الوسائل والادوات والاساليب متعلقه بتطور الإنسان وحاجته للتجديد والتحديث ولهذا فان الله يبين امران متعلقان بالوسائل والاساليب والادوات:

1- انه سبحانه وتعالى يرسل الرسل حاملي دعوة التوحيد ويمنحهم كتب لمعالجة امراض الشرك وبيان اوامر الله ونواهيه وتنزل معهم معجزات، وان هذه المعجزات ليست ثابتة فهي قابلة للتغيير بحسب حاجة الناس واحوالهم فهي وسيلة تستخدم لتحقيق غاية التوحيد، ولذلك فان الله ختم احوال العباد وما يطرأ عليهم من تقلبات وتطورات وتغييرات، ولهذا فان الوسائل تحتاج إلى تحديث وتجديد تتناسب مع عقليات المخاطبين.

2- ولان البشريه كانت في مرحلة الطفوله وهي تتطور كلما تقدمت في العلم، وان الامراض تظهر كلما تقدمت البشريه وانتقلت إلى مرحلة النضوج، فهي تكون بحاجة إلى معجزه وآيه تتناسب مع عقليات الناس لتحقيق الغايه ، فمن المؤكد ان المعجزه التي حملها موسى لا تتناسب مع الناس الذين جاء إليهم عيسى ولذلك كان تغيير الايه عندما ارسل عيسى بما يتناسب مع احوال العباد

وبالتالي فان معجزة القرآن التي هي عين المنهج جاءت متناسبه مع احوال و اوضاع الناس وهي وسيلة قادرة على ابلاغ دعوة التوحيد إلى العالم اجمع

ولان رسالة الاسلام عالميه وتتجاوز حدود الزمان والمكان فقد انزل الله القرآن وهو فيه آيات لا تنكشف الا مع تقدم الزمان لتظل المعجزه والتحدي قائماً من مجي الرسول (ص) الى قيام الساعة ولهذا فان سنة الله اقتضت محو وإزالة المعجزه الماديه.

الامر الثاني :-

ان النص جاء مرتبطاً بما قبله حيث امر الله المؤمنين ان يقاطعوا كلمة (راعنا) وأمرهم ان يستبدلوها بكلمة (انظرننا) اي اصل هذه الكلمه بدلا ً عن الاخرى، فالله يضع لنا قواعد التجديد والتحديث للوسائل ويقول لنا ان هذا المثال لكم شاهداً على اهمية النسخ الذي هو في الوسائل والاساليب، لان النسخ كما علمنا له مفهوم من معنيين :

المعنى الاول : الازاله اي الاعدام وهذا المعنى له وجهان ازالة من غير بديل كما نقول نسخت الريح الاثر اي زالته، و ازالة إلى بديل كان نقول نسخت الشمس الظل اي ازالته وأحلت محله.

المعنى الثاني : نسبة للنقل اي فالنسخ يعني التجديد والانتقال والتحول لان ما كان عينه وفاءة حين يعتد ذلك.

يخبرنا الله فيها ان من شروط البدائل الناجحه الاتي :-

1- خدمة الهدف الاساسي دون احداث تغيير في اصول الفكره الاولى والاساسيه فالله يخبرنا ان القرآن جاء يدعوا إلى التوحيد مثلما جاءت التوراة والانجيل ولا خلاف حول هذا.

ويعطينا مثالا ً لذلك انه سبحانه وتعالى نهى عن استعمال كلمة (راعنا) ويأمر باستعمال كلمة (انظرننا)

فهي تشمل معاني كلمة (راعنا) الامهال والانتظار والمراقبه ليخبرنا ان ما ينسخ الله من ايه او تغيير حكمها ياتي

بخير منها او مثلها لان النظر تعني رؤية الشئ ومشاهدته وقد الحق بعدها كلمة (واسمعوا) لان السمع يعني الفهم والوعي.

فجعل الله المراد من العلم بان استعمل كلمة بديله عن لفظة (راعنا) لها اكثر مدلولاً والحقها بالسمع الذي يحصل به الفهم وهو حضور القلب والابتعاد عن كل ما فيه مشاغلة تمنع الفهم وتعطله، فكذلك المعجزات التي يحملها الرسل انما هي وسائل وأساليب تخدم الهدف الاساسي الذي حمله كل الرسل وهو التوحيد.

2- امرنا الله وعز وجل بتحديث الوسائل والاساليب ولكنه وضع لذلك قيد وهو ان يكون لذلك تاصيلًا مشروعًا يستمد منه قوته ولا يخالف الهدف الاساسي ، وهنا يخبرنا الله عز وجل انه هو الذي يملك الملك والسلطان في تغير ما شاء من الايات واستبدالها بما شاء، فذكر قدره و اشار إلى الملك والسلطان (الم تعلم ان الله على كل شئ قدير* الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض) مثلما قال (وقولوا انظرنا و اسمعوا) يجب الطاعة والسمع و التنفيذ لامر الله.

3- ان النص جاء فيه ربط التبديل والتعديل للاحكام بالهدف السامي وان يكون له تاصيلًا من وحي السماء اي انه بين الالتزام في حالة الاختيار للوسائل والبدائل بان يكون ذلك له اصلاً في الكتاب والسنة بحيث يكون هذا الاختيار موافقاً لمنهج الله وسنة رسوله.

فامر المسلمين بالالتزام بامرهم (واسمعوا) وهدد المخالفين (وللكافرين عذاب اليم) ثم بين ان اختصاص هذه الامه برسالة الاسلام وانزال القرآن امر منه خير عظيم وفضل لا يقارن من الله.

4- بين الله للمؤمنين اهمية البديل وضرورة التاصيل بما ينسجم مع المطلب الرباني فحذر من المخالفه (وللكافرين عذاب اليم)

وموضحاً للمؤمنين ان عصة العمل الشيطانية والكفر قد اجتمع عليها اهل الكفر، فذكر زوال صفة الإيمان عن الذين كانوا من اهل الايمان والكتب السماوية ووجدوا رسالة الاسلام في الخطاب بما يفيد تقدم كفرهم على الوثنيين في مشاعر كراهية الحق وإجتماهم على ذلك (ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير)

فهم قد كرهوا الحق وفضلوا محاربة الحق وقد حدث منهم تحول إلى البدائل السلبية باتباع الكتب الشيطانية.

5- يبين الله ان اللازم عند تجديد الوسائل والاساليب ان يحرص المرء على ان يكون الهدف والغرض من ذلك ارضاء الله لتحقيق الهدف السامي بدعوة الناس إلى التوحيد

اي لا بد من التجرد و الاخلاص بحيث لا يكون للانسان شئ في نفسه (المصلحه الذاتيه) من الوسائل والاساليب لان الغرائز النفسانية اذا تدخلت في اختيار البدائل فانها تحدث الفشل وسوء الاختيار ذلك ان الغرائز تصيب المرء بالعمى عن رؤية سمو الهدف الرباني، فتنعكس على اصحابها الذين يعيشون في عذاب اختيارهم الغرائزي وقد اخبرنا الله ان هؤلاء القوم اصيبوا بالفشل لسوء الاختيار وسلبت عنهم صفة الإيمان حيث انهم نتيجة الحسد اختاروا الكتب الشيطانية ورفضوا الحق وكتاب الله فسلبوا صفة الإيمان، فقد فشلوا في إختيار الوسائل كما فشلوا في تاصيل البدائل فاصبحوا عبيد الشيطان.

وأحوال هؤلاء تقوم على مخالفة المنهج السماوي وإبطال التشريعات الإيمانية ووالرغبه في القدح بكل ما هو تراث المؤمن على كل المستويات، ولهذا يخبرنا الله ان اطروحات هؤلاء تعود إلى الحاله والانفعالات النفسانية لهؤلاء الذين يكرهون الحق ولديهم الحسد لان الله اصطفى هذه الامه بخير الاسلام وانزال القرآن.

الامر الثالث :-

يخبر الله المؤمنين ان نزول القرآن مفرقاً هو كي يكون ملائماً لدور الاسلام وعالمية رساله ولهذا انزل الله القرآن بتلك الطريقه ليكون صالحاً لكل زمان ومكان، اي فيه التجديد والتحديث لمواجهة التطورات الانسانيه في كل زمان وبالتالي فان هذه الاحداث والظروف و المناسبات التي احاطت بنزول القرآن هي من اسباب دوام المعجزه وحسن اداء المنهج لدوره في استئصال الامراض.

فهذا المورث لا بد ان يكون ارضاخ كل تحديث او تجديد له لمعرفة التأصيل الشرعي لما يواجهنا من مواقف الحياة، وكي يكون تربية الافراد بالمنهج فيجعلهم قادرين على تحمل المهمه فالمسأله تحتاج إلى تعليم - تربيته - تأصيل ولهذا فان المسلم بحاجه إلى المعلم الذي لديه القدره على الفهم و استنباط الاحكام، بحاجه إلى حسن تنزيل الوقائع على الاحداث ليكون قادراً على استنباط المفاهيم و مواجهة المواقف.

2- وان هذا يتطلب العلم بالفهم والاحاطه بالمعلومات والادراك بحسن الفهم ليكون قادراً على انزال الحكم المناسب للواقع، ومن هنا كان لا بد من استدعاء الموارث الذي ورثته من تاريخ الامه ومنهج القرآن والسنة لترسخ لهذا المبدأ كل تجديد وتحديث ولا يخرج عن نطاقهما.

3- يخبرنا الله ان مسألة التجديد والتحديث للوسائل يتطلب التأصيل الشرعي وهذا امر يحتاج إلى شخص ملم باحكام الشرع والسنة النبويه، ويفقه الناسخ والمنسوخ ليكون قادراً على انزال الاحكام وتطبيقها على الواقع فلا يحصل الخلط.

كما ان المسلم مطالب وفقاً لمفهوم هذه الحقيقه ان يفهم الفرق بين فقه الدعوه وفقه الدوله، ويحسن انزال الاحكام بناء على معطيات تمكنه من اتقان اداء المهمه، فلا يقفز إلى ما هو فوق الواقع الذي يعيشه فيجب عليه معرفة المرحله التي تعيشها الدعوه و احوالها و الاحكام التي تناسب تلك الظروف والاحوال.

الأمر الخامس :

ما يؤكد ان النصوص تناولت النسخ على اطلاقه اي جمعت بين النسخ المتعلق باحكام الاوامر والنواهي بالتحول و التبديل الذي هو متعلق بالحلال والحرام والامر والنهي والاطلاق والمنع، وبين النسخ المتعلق بالغاء الاحكام وقواعد كانت في الكتب السماويه السابقه، وكذلك الغاء المعجزه الحسيه واختصاص هذه الامه بالمعجزه القرآنيه في الفصاحه والبيان، والمعجزه العقليه من الايات الكونيه هي الاتي:-

1- ان النصوص كما اشارت جاءت رداً على فكرة بني إسرائيل وما اثاروا من الشبهات.

2- ان النصوص جاءت عطفاً على ما سبق (لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا).

3- ان النصوص تضمنت قول (او ننسها) وهذه اللفظه لها قرأتان الاولى بالرفع للنون. وهي تعني الترك لها بأن نبدل فرضها ... والقراءة الثانية بالفتح والتي تعني نوحها فلا ننسخها وهو مايفهم إطلاق النسخ

الأمر السادس :-

التعقيب قد جاء فيه ما نصه..

(الم تعلم ان الله على كل شي قدير* الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم من دونه من ولي ولا نصير* ام تريدون ان تسألوا رسولكم)

حيث يتضح من هذا الامر استعمال النصوص على جميع انواع النسخ للاتي :-

ان الله يخاطب نبيه(ص) (الم تعلم ان الله على كل شي قدير) والسؤال هنا هل كان النبي (ص) لا يعلم ذلك حتى يقال له هذا؟ واذا كان النبي يعلم وهو ما نعرفه فلماذا كان الخطاب موجهاً إليه ومن هو المقصود بالخطاب؟ الرسول (ص) ام الاخرين؟

الجواب :-

1- ان المراد بالنص هم اصحابه الذين امرهم بقوله (لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا) وهذا الكلام معروف في لغة العرب بان يكون الخطاب في الظاهر لواحد والمراد به جماعه او يكون الخطاب لجماعه والمقصود به واحد كما قال الله تعالى.

2- انه سبحانه وتعالى ابتداء الخطاب بالمفرد وجاء بالجملة في نهاية الاية (مالكم من دون الله من ولي ولا نصير).

3- انه سبحانه وتعالى قدم قوله (على كل شي) لاختصاصه تعالى بكمال قدره وعمومها فالمراد بهذا تربية المؤمنين على القبول بالحق في قلوبهم.

4- ان الله سبحانه وتعالى يهدد بالقدره الالهيه على النسخ ليقول لليهود ولكل الناس انه لا يحق لكم الاستنكار على الله ان تنسخ الاحكام او تغيير السنن او التاموس التي اعتاد الناس عليها بالاشارة إلى ما حصل من اليهود من استنكار نزول الوحي مفرداً وعدم نزول الايه الحسيه، وكذلك ما حصل من اليهود والمشركون الذين تعاونوا لمواجهة الرسول (ص) وطالبوا بالمعجزات الماديه لغرض التعجيز حينما طالبوا من النبي (ص) ان يفجر من الصحراء انهاراً وغيرها فاخبرهم انه لا يعجزه شيء وهو قادر على تلبية تلك الطلبات لكن سبحانه قد اختص هذه الامه بفضل عظيم وهو ان رسالتها ستكون للعالم كله وتتجاوز حدود الزمان والمكان فكانت معجزه القرآن الكريم هي الافضل والمناسب لتحقيق الغايه اي ان هذه المعجزه هي الوسيه المناسبه لتحقيق الهدف السامي.

فان سبب ذلك الاشاره إلى المعجزه الكونيه الداله على صدق نبوة الرسول (ص) فهي من الايات الداله على قدرة الله عز وجل، للرد على هؤلاء المكذبين كما قال تعالى (واذا بدلنا ايه مكان ايه والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون).

5- انه سبحانه وتعالى قال (الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض) حيث قال (له ملك السموات والارض) ب الرفع لتدل على ملك السلطان والمملكه وهو فوق الملك فالعرب تقول اذا اردت الخبر عن المملكه اي هي مملكته سلطان فإن ملك الله الحق ملكاً واذا اردت الخبر عن الملك قلنا ملك فلان هذا الشئ فهو مملكه ملكاً ومملكه ملكاً.

اي الم تعلم يا محمد ان لي ملك السموات والارض وسلطان دون غيري احكم فيها وقت ما اشاء وامر فيها ومحاسباً فيها ما اشاء وانهي عما اشاء وانسخ وابدل واغير من احكامي التي احكم بها ما اشاء واذا اشاء وقتما اشاء، وهذا الخبر وان كان من الله عز وجل خطاباً لنبيه (ص) علي وجه الخبر عن عظمته فان فيه الاتي :-

المسأله الاولى :

انه جل جلاله اراد بهذا تكذيب لليهود الذين انكروا نسخ التوراة وجحدوا بنبوة عيسى وانكروا نبوة النبي (ص) لما جاء به من عند الله، فاخبرهم الله ان له ملك السموات والارض وسلطانها وهذا يعني : 1- ان جميع الخلق فيها اهل مملكته وطاعته.

2- ان عليهم السمع له والطاعه لامره وما نهى عنه.

3- ان له امرهم بما شاء وينهيهم عما يشاء ونسخ ما شاء واقرار ما شاء

المسألة الثانية:-

انه سبحانه وتعالى قال لنبيه (ص) و للمؤمنين:

1- إنقادوا لاوامري.

2- عليكم طاعتي مما انسخ ومما الترك.

3- ولا عليكم الالتزام بما يأتيكم من الله واحذروا من مخالفه ما وصلكم من امر ونهي وناسخ ومنسوخ فانه لا قيم بامرکم سوى ولا ناصر لكم غيري وانا المتفرد بولايتکم ومدافع عنکم.

المبحث الثاني

انه من استقراء النصوص نجد ان المسلمين في تلك المرحلة قد تعرضوا لحمله خبيثه قادها اليهود والمشركون استهدفوا فيها العقيدة من اساسها ومنبعها الوحي من خلال التشكيك بمصدر الوحي الذي ينزل على الرسول (ص) بانه ليس من عند الله وسعوا جاهدين إلى زعزعة الثقة في نفوس المسلمين بالقرآن وبالرساله وبالرسول (ص)... وكما بينا ذلك سابقاً تفصيلاً .

ويبدو ان البعض اصابه القلق وعدم الطمأنينه وصاروا يطرحون الاسئلة والاستفسارات على الرسول (ص)، ولهذا تجد ان المولى سبحانه وتعالى قد بين للمسلمين حقيقة كل تلك الشبهات وإزالتها من عقولهم من خلال الاتي :-

الامر الاول :-

اخبر المسلمين ان التغير والتعديل والتبديل بازالة حكم وإستبداله بحكم آخر او التعديل المتعلق بالمعجزات التي بعث بها النبي (ص) القرآن والايات الكونية والتي نسخت الايات الماديه الحسيه الموضوعيه التي كانت من قبل بان ذلك امر متعلق بمشيئة الله تعالى وانه عندما يبدل آية ياتي بخير منها منفعة للناس او مثلها في الحجه، واخبرنا الله انه سبحانه له كمال قدره والمشيئه المطلقة والهيمنه والملك والاراده والتصرف والتدبر بامور الكون كيف شاء

وانه تعالى يختار لكل رسول آية تناسب عقول الناس و احوالهم و ازمانهم فهو خالق العباد ويعلم ما يصح لهم ويقول لنا ان هذا التغير للآيات هو :

1- من قبل التجديد والتحديث للوسائل والاساليب وهي امورا تهدف إلى اقناع العقل البشري وإقامة الحجه و اثاره كوامن الفطره.

2- ان مدلول التحديث والتجديد تتناسب مع عظمه الاسباب التي اوجدها الله المسبب في الحياة فهو المالك للكون كله.

3- يقول لنا الله تعالى انه المنعم على العباد بانعامه في كل شي وان هذا الإنسان يمر في حياته بمراحل يحدث له فيها تقلبات وتطورات وتحولات فيكون بحاجة إلى تجديد الافكار ف الله سبحانه وتعالى هو خالق الكون والمالك و المتصرف فيه فلا يعجزه شي، ولهذا فان هذا النسخ للآيات له حكمه الهية و انه لا معقب لحكمه.

الامر الثاني :

يخاطب الله الناس بصفاته القدره الكامله والمشيئة التامه والاراده المطلقة والملك والتدبير والتصرف في ملكه.. وانه الولي والناصر الذي لا يوجد ولي ولا نصير سواه، وفي هذا للتوجيه بالاتي :-

1- يخبرهم الله تعالى ان انحراف اليهود وفساد افكارهم انما يعود الى تعطيل هؤلاء لاسماء الله وصفاته فهم يقفون ضد قدره الكامله لله والمشيئه التامه في الكثير من احوالهم... وكذلك يقفون ضد الحكمة والعدل الالهي.

فهؤلاء يعارضون الله في افعاله ومشيئته ويريدون تطويع مشيئة الله وقدرته لقوانين البشر فيما ذهب اليه فالله تعالى (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) (والله يفعل ما يشاء) فذكر الله اثبات قدرته بعد ذكره نسخ الآيات للاخبار انه سبحانه يفعل ما يشاء فلا احد يمكنه ان يعارضه اذا شاء شيء وانه قادر على فعل ما يشاء (فهو ليس كمثل شي) ولا حدود لقدرته.. اما المخلوق فهو محدود القدره يشاء اشياء كثيره ولا يمكنه ان يفعلها فالنص يحذر من افكار اليهود الشيطانيه الذين حاولوا التشكيك في اساس العقيدة باطروحات وصلت إلى حد تشبه الله في قدرته وارادته وحكمه وعدله بالبشر والعياذ بالله.

2- يخبرنا الله انه يجب علينا ان نعلم علم اليقين انه لا شبيه ولا مثيل لله لا في اسماءه ولا في صفاته ولا في كماله ولا في ذاته

فيحذرنا من مغبة افكار هؤلاء المنحرفون الذين لاينزهون الصفات عن الله فيقول ان هؤلاء لا اصل لهم فيما ذهبوا اليه من القول ان نزول القرآن مفرقا امر يمنع على الله فهؤلاء مثل بعض الطوائف المنحرفه للاسف لدينا التي سميت نفسها العقلانيه فهؤلاء ذهبوا إلى القول انهم اكتشفوا الاحوال العقليه التي زعموا ان النبي (ص) والصحابه لم يكتشفوها لانهم كانوا مشغولين بالجهاد وهذه الاحوال عظموها بعد ان ابتدعوها واعتقدوا انها اعظم العلوم تقوم على فكرة العلم بما يجب للرب وبما يمنع عليه وما يجوز له من الافعال والتي زعمها ابو المعالي والقاضي ابو يعلى وغيرهم واعتبروها انها اعظم من احوال الشريعه

فهؤلاء في حقيقه الامر ينتمون إلى المدرسه الشيطانيه التي حذرنا الله منها في معرض الرد على اعتراض اليهود لمسألة نسخ الآيات المعجزات قائلين ان سنة الله ان ينزل لكل رسول آيه ومعجزه فانكروا القرآن.

3- يخبرنا الله ان علينا ان نستعين بالله فهو الولي والناصر، وهذا يكون بمعرفة امر الله ورسوله واخذ ما امر الله به والاعتقاد ان امر الله ونواهيته تكون بواسطة الرسول (ص)

اما من كانت حالته انه لا يعترف بامر الله ولا يأخذ اوامر في افعاله من رسول الله ولا يعتقد ان امر الله ونواهيته تكون بواسطة الرسول فهذا يكون خادما للشيطان ويكون للشيطان هو الذي يامرهم وينهاهم.. فهو يتعرف بامر الله الكوني القدري بواسطة امر الشيطان كما قال تعالى (وما هم بضارين به من احد الا باذن الله)، اما المؤمن فهو يتعرف بامر الله الكوني القدري بواسطة امر الرسول الذي يبلغ امر الله.

4- ولهذا لابد على المؤمن ان يكون الولاء لله عز وجل والاستنصار بالله فالتوكل على الله فيه القوه والثقه بما عند الله فيه الغنى والثراء وهو ما اخبرنا الله به بقوله (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير)

فيجب التفريق بين اولياء الله و اولياء الشيطان، والتفريق بين الخوارق الشيطانيه وبين الكرامات الرحمانيه و المعجزات والايات.. فالذين لا يفرقون بين اولياء الرحمن و اولياء الشيطان هؤلاء صرفوا عن نور الإيمان الذي يهدي الله به من يشاء (ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين)

فهؤلاء اليهود واعوانهم عندما فقدوا قدره على التفريق بين اولياء الرحمن و اولياء الشيطان فقالوا ان جبريل عدوهم (من كان عدوا لجبريل) ورفضوا اتباع الرسول (ص) ولم يفرقوا بين آيات الانبياء ومعجزاتهم وبين خوارق السحره والكهان (نبذ فريق من الذين اتوا الكتاب كتاب الله) إلى ان قال (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان) وسبب العداء تعود إلى عدم التفريق بين اولياء الرحمن و اولياء الشيطان فهم فقدوا قوة التوكل ب الله (وما هم بضارين به من احد الا باذن الله) ، وفقدوا قوة الثقة بما عند الله فهي التي فيها الغنى والثراء

الحقيقي فقال تعالى (ولو انهم امنوا و اتقوا لمتوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون)

ف الله يحذرنا من الخروج عن الولا لله بالتوكل والثقه بما عند الله من النصر والقوه تمنع عنكم الاعداء لان كل شي هو ملك لله ولا مهرب ولا مفر منه تعالى

الامر الرابع.

وبناء على ما سبق فان النصوص باستنكار الاسئله التي كانت تطرح والنص فيه وجهان (افتريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل)

الوجه الاول :

متعلق بالاسئله التي كان اليهود والمشركون يطرحونها بطلب المعجزات الماديه اي يطلبون تغيير المعجزه القرآنيه إلى معجزه ماديه حسيه كي يؤمنوا كما ورد في اسباب النزول للنصوص حيث ذهبت الراء المختلفه بهذا الخصوص إلى ان اليهود والمشركون كانوا يطلبون المعجزات الحسيه مثل تفجير الانهار بالصحراء و رؤية الله نهاراً جهراً فانزل الله الآيه.

وهي متعلقه بالايه المعجزه (يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سئلوا موسى اكبر من ذلك وقالوا ارنا الله جهرة)

والاستفهام يرى البعض انه متجه إلى الجميع باعتبارهم امة محمد وانه استنكار ارده السؤال لا السؤال نفسه فهو يكشف عن الرغبه الكامنه في النفوس بانها رغبه سيئه تهدف إلى التعجيز باعتبارها صادرة من النفوس فهي ممكن المشاعر الكراهيه والحقد والحسد. وذهب اهل هذا الراى إلى القول ان النصوص موجه في الخطاب إلى المشركين واليهود بانهم من امة محمد

مبيناً ان هذا التعصب والتلكؤ اشبه فعل بني إسرائيل مع موسى (كما سئل موسى من قبل) وان ذلك السؤال يدل على انحراف عن السبيل وهو ترك الحق والجري وراء الاوهام ويدل علي انحراف الناس عن موجبة الدليل وفساد في الثقافه بعدم ادراك مقاصد الدليل الحقيقيه كون الغرض من المعجزه هو التخويف (وما يرسل بالايات الا تخويفاً).

الوجه الثاني :

ان هؤلاء لهم مقاصد قبيحه من السؤال فهم لم يسألوا عن الدليل للتقصي من البيان او الغموض فيه فقد كان طلب التحول إلى دليل آخر مع سلامة هذا الدليل الذي يعترضون عليه.

فهم انحرفوا لانهم اختاروا طريق الكفر على طريق الايمان، فطلب هؤلاء للمعجزات انما يعود إلى جحودهم وكفرهم فهم قد تركوا الطريق الواضح مع وضوحه وقيام برهانه وذلك لانهم رفضوا قبول الحق وأستبدلوه بالباطل الكتب السماوية بسبب الحسد.

الوجه الثالث :

ان الله يحذر من الانحراف الفكري والثقافه الفاسده التي طبع عليها بني إسرائيل الذين كانوا يطرحون اسئلة التعنت فتصور النصوص حالة هؤلاء انهم كانوا يعرضون ويتركون الايات الظاهره الواضحه تعنت وجحود ومكابره لاغضاب الرسول(ص) ولكون بدل الايمان يطرحون سؤالاً جديداً لان هؤلاء لم يكونوا يريدون الايمان فقلوبهم اصيبت بالكفر وقد اوكلوا اختيارهم لغريزتهم الحيوانيه (اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير) ولهذا يبين الله

ان هؤلاء يختارون البدائل السلبية الكفر بدل الايمان لانهم قد تفننوا في طلب المعجزات وعدم الاذعان فهؤلاء لهم طبع دأب على الكفر والعناد والجحود فقال تعالى (ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل) في اخفاء وسط الجاده وانحراف في سيره عنه.

ثالثا :

انه كن خلال استقراء النصوصن جد ان الابه (ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل)

تتفق في اغلب ما ذكرنا بالامر سابقاً في الكثير من الامور الا ان الخطاب في الحقيقه موجه للمؤمنين ولا تعارض بينه وبين اسباب النزول من ان اليهود هم والمشركون كانوا سبباً للنزول وذلك للاتي :-

الأمر الاول :

ان الابه ابتداءت بالاستفهام (ام تريدون) وأستخدم فيها اداة الاستفهام (ام) وهذه الاداة لم يسمع عن العرب استعمالها الا ان يكون قد تقدمها وسبقها من الكلام ما يرتبط بها فهي مبتداه لسبق تقدم الكلام عليها مثل قوله تعالى (ألم* تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه) ولهذا فهي تعود على الاتي:

1- على امر الله للمؤمنين في بداية الخطاب (لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم) اي عليكم الالتزام بامر الله وتنفيذه بالسمع والطاعة والمبادره اي التنفيذ دون تلكؤ او تردد كما حصل من هؤلاء من فساد القلوب الذين اخبرتكم عنهم من قبل فهم كانوا يقولون (سمعنا وعصينا) فذكر الله في الامر التوجيه منه على امر سلف منهم مما سر به اليهود وكراهيتهم الرسول (ص) فكره الله افعالهم على ذلك وأخبرهم ان اليهود اهل غش وحسد وبغي وانهم يتمنون لهم الكراهه.

2- كما اخبر الله المؤمنين ان لا يتخذوا اليهود اولياء وان لا يسيروا في الطريق التي ساروا فيها لان في طريقهم الهلاك

فتبين جوانب من فساد هؤلاء واسئلتهم التي هلكوا بها وهي نفس ما سألوا الرسول وطلبوا فيها آيات تعجيزيه فكانت النصوص متوافقه من حيث فساد تصورات وافعال اليهود والمشركين في طرح الاسئله كما بينا تفصيلا سابقاً.

3- كما ان النص يحذر المسلمين من مغبة الطريق الذي مشى فيه اليهود واتباعهم الذين اتبعوا الشيطان وارتدوا عن الدين بالكفر فاخبر انه هؤلاء قد اخطاء قصد السبيل فاحذروا ذلك الطريق فيقول احذروا ان تكثروا من الا سئله التي فيها الاعتراض على امر الله وكلامه كما كان شأن بني إسرائيل فيحصل الهلاك لكم كما حصل في الامم السابقه التي اوغلت بالاسئله والجحود بايات الله.

الأمر الثاني :

ما يؤكد ان الخطاب للمؤمنين بشكل اساسي هو قوله تعالى محذراً من الزيغ والحيدان عن منهج الله لانه يحصل الضلال الذي يكون به الهلاك(ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل)

النص ورد بعد قوله (ام تريدون ان تسئلوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) وهذا فيه استفهام مرتبط عما قبله كما اشرنا وما قبله خطاب للمؤمنين فالله يقول هنا اتريدون ايها القوم ان تسألوا رسولكم من الاشياء نظير ما سأل قوم موسى من قبلكم فتكفروا ان منعتموه من مسئلتكم ما لا يجوز في حكمة الله اعطاء كموة او تهلکوا ان

كان من يجوز من حكمته عطاءكموه فاعطاكموه ثم كفرتم بعد ذلك فتحصل الهلاك عقوبة لكم كما حصل للامم السابقة التي سألت انبياءها ما لم يكن لها مسالتها امامهم فلما اعطيت كفرت فقبولت بالعقوبات لكفر ما بعد اعطاء الله اياها سئولها فهي كما قال تعالى (لا تسئلوا عن اشياء ان تبدا لكم تسؤكم) الي ان قال(قد سأله قوم من قبلكم)من قوم موسى.

2- انه سبحانه وتعالى استعمل صيغة (ومن يتبدل الكفر بالإيمان) وبالتالي فالنص يوحي بان هؤلاء كانوا من المؤمنين امنوا وصدقوا بالله ورسوله واياته لكن حصل تبديل بترك الإيمان والانتقال إلى الكفر والجحود والعناد بعد الإيمان ولا يمكن ان يكون الخطاب موجهاً للمشركين واليهود ف الله اخبرنا انهم قد كفروا (ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين بان ينزل عليكم)، فالخطاب جاء مرتبط بقوله (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا).

3- انه جاء بعد قوله تعالى (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) واتبعها بقوله (وود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً) فهي مفسره لمسألة التبديل (ومن يتبدل الكفر بالإيمان) ومفسره لما ذكرت من قيام اليهود بحملة خبيثة مناهضة للاسلام تهدف إلى زعزعة الثقة لدى المؤمنين بحيث يحصل منهم الردة عن الاسلام والرجوع إلى الكفر.

الأمر الثالث :

ان ما يؤكد توجيه الخطاب للامه المسلمه برمتها اي الجماعه المؤمنه هو قوله تعالى (فقد ضل سواء السبيل) ، ف التحذير شمل توجيه الامه بعدة مسائل :-

الاولى :-

ان التنازع في الذهاب خلف الاوهام من مزاعم طلب الاسرار وطرح الاسئلة التعجيزيه ودخول الشك إلى النفوس من خلال استبدال الظن والشك بدل اليقين في القلوب يفقد الإيمان ويحل في القلب محل الكفر والشك هو مقدمه للكفر لان الله بين ان اساس الإيمان يكمن بالتصديق بالغيب (وهدى للمؤمنين)

ولهذا يقول تعالى ان اصل هذا التصديق هو الازعان والتسليم لامر الله درن التراخي والنقاش (ومن يتبدل الكفر بالإيمان) فبدايه التبديل يكون من خلال الاسئلة التي تدل على زعزعة الطمأنينه وفقدان الثقة فهي مقدمة للكفر.

الثانيه:

يخبر الله عباده ان الإيمان بيقين هو اساس الفاعليه الإيجابية للامه فاذا فقد اليقين من روح الامه فانها تصاب بالشلل العقلي الذي يكون فيه سقوط الوعي والشعور وفقدان العلم والمعرفه والنور وكذلك تصاب الامه بالشلل النفسي نتيجة فقدانها الطاقه التي تبعث روح الحركه فقال تعالى (فقد ضل سوء السبيل)

انكم تصبحون امة لا قيمة لها ولا ذكر ولا نباهه للاتي :

1- ان استعمال لفظ (ضل) بمعنى ذهب وحاد تعني الحيدان بالزيغ والميل والانحراف.

2- ولان اضل الضلال عن الشئ الذهاب عنه والحيدان.

3- ولان الكلمه تستعمل في الشئ الهالك والشئ الذي لا يوبه له كقولهم للرجل الجاهل الذي لا ذكر له ولا نباهه ضل يعني هلك.

فيقول الله احذروا ان تفقدوا الفاعليه والقياده كما حصل مع اليهود عندما نطقوا بالاسئلة تعنت وتلكؤ.

المسألة الثالثة :

ان الضلال يكون اما بالافراط او التفريط سواء بالمغلاة بالتدين او قتل روح الإيمان مثل التدين المغشوش الذي يرى ان الإيمان تكمن في الصلاة والصيام والتخلي عن دور العمران وعمارة الارض ويترك ذلك للكفرا ان يقيموا به او التفريط بانكار الرسل والمعجزات والايات وتسليط مزاعم العقلانية في كل شيء، فهذا فيه الاتي :-

1- ذهاب عن سواء السبيل والحيدان عن الحق.

2- ترك الوسطية لان اصل السواء الوسط ويعني به هنا القصد والمنهج اي الوسطية والاعتدال في القصد والمنهج، لان المعنى بالسواء الوسط فقد ذكر عن عيسى ابن عم بمزعم النمو قوله ما زلت اكتب حتى انقطع سوائي يعني وسطي.

3- والنص يشير إلى ان شريعة الاسلام هي الوسطية والاعتدال وذلك لان العرب تقول هو في سواء السبيل يعني في مستوى السبيل وسواء الارض مستواها عندها، واما السبيل فانها الطريق المسبول اي انها كلمه صرفت من سبول إلى سبيل.

المسألة الرابعة :

ان النصوص فيها الكلام عن زوال المستبدل للإيمان بالكفر وعن الطريق فبينت ان المستبدل بالإيمان بالله ورسوله بالكفر ويرتد عن دينه قدحاد عن منهج الطريق ووسطه الواضح السبول، والمعنى به:

1- انه من ترك دين الله الذي ارتضاه لعباده.. وان الله جعل هذا الناس طريقاً يسلكونه إلى رضاه وسبيلاً يرغبونها إلى محبته والفوز بالجنة.

2- انه سبحانه وتعالى جعل المنهج هو الطريق الذي اذا ركب محجة السائر فيه ولزوم وسطه المجتاز فيه حصل له النجاه والفوز

فاراد بذاك معاني ان الدين هو الوسطية والاعتدال من مشى فيه حصل علي ً :

أ) النجاه وبلغ الحاجه.

ب) ادراك مراد الله من عباده.

3- كان اتباعه سبباً لنيل طلباتهم في الاخره.

4- انه فيه من يدرك الطريق المستقيم ولزومه كمن يدرك الامور اللازمه لمحجة السبيل للوصول إلى طلبه من النجاة فيها والوصول إلى الموضع والمكان الذي يقصده.

5- وجعل مثل الحائد عن دينه والحائد عن اتباع ما دعا اليه في عبادته في حياته ما رجا انه يدركه بعمله في اخرته وينال به معاده وذهابه عن امل من ثواب عمله وبعده له من ربه مثل الحائد عن منهج الطريق وقصد السبيل الذي لا يزداد وتحولا ً في الوجه الذي سالكه الا ازواد عن موضع حاجته بعدا ً وعن المكان الذي ارده ا لا تايه وهذه هي السبل التي اخبرنا الله انه من يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواها وهي الطريق المستقيم الذي امرنا الله لسبيله الهدايه له بقوله (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم).

خامساً :

(ود كثير مم اهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بامرہ ان الله على كل شي قدير* واقيموا الصلاة واتوا الزكاة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير)

المبحث الاول :

ابتداءت النصوص بقوله تعالى (ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً)

فمن هم المخاطبون بهذا النداء في النصوص؟؟

ان المخاطبون في النصوص هم الجماعة المؤمنة اصحاب رسول الله (ص) وجميع المؤمنون في كل زمان لقوله تعالى (من بعد إيمانكم) فالنص يدل ان المخاطبون قد حصل منهم التصديق والإيمان اليقيني بالله وبرسوله وباصول الإيمان الستة

وان اهداف اليهود واهل الكفر من هذه الحملة ضد الاسلام ورسول الاسلام التي يتزعمها اليهود في زمان تهدف إلى زعزعة الإيمان من قلوب المؤمنين وانهم يتمنون لو يستطيعون من خلال تلك الحملة ضرب اساس العقيدة في نفوس المسلمين بالتشكيك برسالة الاسلام وطلب المعجزات المادية من خلال استهداف شخصية الرسول (ص) كي يرتد المسلمون عن الإيمان إلى الكفر.

– الارتباط الذي يربط هذه الايه بما قبلها :

ان هذه الايه جاءت باسلوب جمع الله فيه الايات من قوله (ياأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) إلى قوله (واقيموا الصلاة واتوا الزكاة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله) وهذا الخطاب جاء موجهاً للمؤمنين بدرجة اساسيه وان وجد فيه صرف الكلام إلى خطاب النبي (ص) (الم تعلم ان الله على كل شي قدير) فهو في الحقيقة خطاب للمؤمنين واصحاب النبي (ص)

– الاهداف من هذا الارتباط :

ان الله سبحانه وتعالى بين للمؤمنين كيفية مواجهة تلك الازمات والمؤامرات التي تقف بوجه الامه المسلمه وبناء دولتها في كافة الميادين واهداف الكفر واضحه ولا بد من حصول الاحتكاك ووجود مؤامرات دوليه تسعى فيها دول الكفر إلى ضرب قوة المسلمين من الداخل لاجل القضاء على مصدر قوتهم بالوسائل المتعدده وهي معركة سوف تستمر إلى قيام الساعة... ولهذا نجد ان الله يبين لنا الوسائل والاساليب لموجهة الحملة الشرسه التي تستهدف الاسلام في كل عصر

فالخطاب ابتداء بقوله (ياأيها الذين آمنوا) يحذر فيها المؤمنون من طبيعة قبول اراء اليهود ومقترحاتهم واطروحاتهم فيما يخص المسائل المتعلقة بالدين وبناء الدوله والقياده ومؤسسات الدوله، باسلوب تربوي لبيان كيفية مواجهة الازمه والتحديات التي تعصف بالامه من خلال الاتي :

الأمر الأول :

ابتداء بالعقاب الرباني على ما صدر من استعمال كلمة (راعنا)، ولهذا يخاطب المؤمنون لصفاتهم التي تربطهم به ويلفت انتباههم بالاشارة التحذيره انذار مبكر يخوف فيه المؤمنين ويحذر ان ثمة خطر قادم من استعمال الفاظاً وكلمات لها ارتباط بثقافه اعداء الاسلام فهذا السلوك هو مقدمة إلى الاعوجاج مثلما حصل مع اليهود يحذرهم ليتراجعوا عن ذلك السلوك (لا تقولوا راعنا)

فأول خطوه لمواجهة الازمه تكون باليقضه ومشاهده اشارات الانذار فعندما تجد ان العلاقه مع اهل الكفر تصل لدرجة ان البعض يتجرب على التدخل في الايدولوجيات والتحرير على الرموز الدينيه ومبادئ وقيم الامه و روح الوحده والترابط، فان ذلك مؤشر وإنذار خطير يجب الانتباه له فهذا إنذار مبكر لازمة اعد لها الاعداء يجب التصدي لها لمنع تعرض المؤسسه للهدم والاجهاض من خلال الاتي :

1- التوقف عن استعمال الكلمه والفكره والسلعه التي فيها اذى للامه ومؤسساتها. (لا تقولوا راعنا) فحن نشاهد اليوم كيف ان الاعداء استعملوا وسائل الاغاثه وتحديث المناهج والعلوم المختلفه مدخلاً للنيل من ثوبت الامه ونشروا افكارهم تحت تلك المسميات التي ادوات المعركه الناعمه، فاللازم مقاطعة كل ما يهدف إلى اذيه المسلمين.

2- ولكن لابد من ايجاد البدائل التي تلي احتياجات المجتمع من جهة ومن جهة اخرى لابد من اصلاح الخلل وتصويب الاخطاء قبل فوات الاوان فقال تعالى (وقولوا انظرنا)

فالمقاطعه لا تعني الانغلاق والانعزال لا ولكن لابد من إيجاد بدائل لها تأصيل شرعي قادرة على مواكبة التطور و التقدم البشري مع الحفاظ على مورث الامه ومراجعتها.

3- يبين الله للمخاطبين اهمية الاستجابة لما في كتاب الله وسنته عند الانتقال إلى البدائل (واسمعوا)، مبيناً ان الاستمرار بالخطا يعني توسع الخلل الذي يحدث في كيان النظام ثغرات ينفذون منها بالخروج عن النص الرباني واوامره.. لأن ذلم الخروج يعني اختراق لقوانين الله سبحانه وتعالى وإن الله قد جعل لكل امر اسباب ومسببات، ولهذا يبين ان المخالفه لامره سيكون سبباً للهلاك والدمار (وللكافرين عذاب اليم)

فالطريق الذي سلكه اليهود من التمويه والخداع بقولهم (راعنا) قد كانت سنة الله ان تكون تلك الاسباب مقدمة لامه الامم التي سلكت ما سلك اليهود والنصارى فالعقوبه التي نزلت بهم ستكون عقوبه لمن يسلك طريقهم فاحذروا.

4- ولذلك يبين الله للمؤمنين الابعاد والاهداف والغايات التي يهدف لها اهل الكفر، من تقديم النصائح والاراء و المقترحات التي يطرحونها في امور الدين وزعزعة ثقته بالقياده

بان هؤلاء يسعون إلى احداث اختراق في النظام الاسلامي فيقول الله تعالى (ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم)

حيث يبين الله ان اغراض هؤلاء هو الكراهيه للخير الذي اختص الله به امة الاسلام لتكون منطلقاً لحمل راية الهدايه

وان هؤلاء يكرهون الخير لنا فهم يسعون إلى احداث ثغرات في جسم وكيان الامه من خلال ما يطرحونه من اراء ومقترحات فيجب الحذر من ذلك.

الأمر الثاني :

ان النصوص بهذا الحوار الذي يخاطب به المؤمنون فيه بيان خطورة المرحله في مثل تلك الفتره وان هنالك ثمة تحديات تواجه الامه فالنصوص هذا هذا الحوار الرباني يبين اهمية الاستعلاء بعقيدة الايمان وبالافكار و المعتقدات التي يدعوهم اليها الرسول (ص) واهمية حصول الاقناع بشخصية الرسول (ص) وبما يحمله من فكر ودعوه.

فيخبرهم الله تعالى ان ارسال الرسول إلى امة العرب خير وفضل عظيم، فعليهم ادراك ذلك والاحساس به بعدم

تمكين الاعداء من احداث اي اختراق يمس تلك المؤسسة المرجعية الفكرية (كتب الله - وسنة رسوله) ومؤسسة (لقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم)

والمؤشرات توحى ان الاعداء كانوا قد استطاعوا ان يحدثوا اختراق من خلال اثاره الشبهات والافتراءات التي تلقى في النفوس الضعيفه ريبه وتحمل على الاضطراب وعدم التصديق، وتمثل ذلك الاختراق بقيام البعض بطرح اسئلة واقوال الاعداء على الرسول (ص)

فاخبرهم الله ان هذا خلل يستوجب المراجعة والتصويب... لان هؤلاء يريدون ان يستعملوا تلك الافتراءات سلاحاً نفسياً يشكل حاجزاً يمنع الناس من الاستماع للنبي (ص) ويزعزع ثقتهم بالرسول (ص) وبالرساله لانهم يكرهون لكم الخير

ولهذا يحذرهم الله امن استعمال بعض السلوك الذي. سلكه اليهود فيقول لا تقولوا كما قالت اليهود راعنا لان ذلك يعد تاسياً منكم بهم وكيف يكون ذلك الخطاء وسوء الادب منكم مع نبيكم فالآيات واضحه وما عليكم ان تفتحوا عليها بعقولكم وافكاركم فلا تسلكوا طريق اليهود الذين سألو موسى اسئلة تعجيزيه وتعنت في تنفيذ الاوامر

فاللازم ان ينفذوا الاوامر (وقولوا انظرنا واسمعوا) دون تردد ولا تلكؤ كما فعل اصحاب موسى عندما امرهم ان يذبحوا بقره... لان التلكؤ ورفض تنفيذ اوامر الله فيه الضلال والانحراف... وهو كفر لانه يجب الثقة المطلقه بـ الرسول وان يكون محل التصديق الذي لا يرتاب فيه

ومن يكون اسئلته فيها ريب فهو قد كفر واضل سواء السبيل، ومن استهزاء بالله ورسوله فانه قد كفر (قل اب الله ورسوله وآياته كنتم تستهزون)

فاللازم طاعة الرسول والتأدب معه لان العباده تستوجب اتباع الرسول (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله).

المبحث الثاني :-

ان النصوص جاءت بمناسبة ذكر ما حصل من اختراق لفكر بعض المسلمين من قبل الاعداء الذين راحوا يطرحون ا لاستفسارات والاسئلة فجاء الاستنكار (ام تريدوم ان تسئلوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) حيث بين الله اهمية التجديد واهمية الوسطية والاعتدال ودورها في التجديد والتحديث كما اوضحنا.

ثم بين الله المشاعر الكامنه في نفوس اليهود ومشاعرهم وما في صدورهم من الحسد والحقد والكراهيه للاسلا م.. فقال تعالى (ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم)

حيث نجد ان النصوص اشتملت على الاتي :

1- لفظ (ود) و الواد من الحب والتمني والمعنى ان اليهود ونظرائهم من النصارى والمشركون في زمن الوحي وفي كل زمان يتمنون لو انهم يستطيعون حرف المسلمون عن الإيمان والتصديق والثقه بالنبي وبالاسلام ومبادئه وقيمه ويعودون إلى سابق عهدهم اي مشركين يعبدون الاصنام.

2- ان الباعث على تلك الرغبه التي تتناقض مع فكر التوراة التي يفترض انها تكره الشرك لا الإيمان... يعود إلى الحسد من قبل انفسهم وليس تمسك ولطلب بالدين

لان تمني العوده إلى الوراء والرده للمسلمين بان يرجعوا إلى الكفر والشرك كان من اليهود بعد معرفة ان المسلمون

على حق وان الرسول (ص) صادق فيما دعاهم اليه.

3- ثم جاء التوجيه للمؤمنين بكيفية مواجهة هؤلاء وما يجب عليهم (فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بامرهم)

فالنصوص تناقش عدة مواضع :

الموضوع الاول :-

ان النصوص تبين الثغرات التي ينفذ منها الاعداء والعواصف التي ثارت بالمدينة ضد الاسلام التي حاول فيها اليهود واعوانهم التشكيك في صحة دعوة الرسول (ص) من خلال جملة من الشبهات والافتراءات التي اطلقوها.. فالله يبين ان تلك الجراءة للعدو وقدرته على اختراق الصفوف للامه تعود إلى عدة اسباب :-

1- استغلال العلاقات الاقتصادية والتجارية التي كانت قائمة بين المسلمين من الاوس والخزرج وبين اليهود والتي استمرت ولم تنقطع.. فقد كانت هنالك تعاملات تجاربه وعقود وشركات بين بعض المسلمين واليهود فقد لجأ اليهود إلى استغلال تلك العلاقات لاحداث اختراق في صفوف المسلمين.

2- استغلال جسور الصداقه التي كانت قائمة بينهم وبين سكان المدينة وما كان بينهم من احلاف له ابعاد تاريخيه واستمرت تلك العلاقات حتى بعد دخولهم في الاسلام اي الانصار.

3- استغلال مافي نفوس المسلمين من مشاعر الود لهم لانهم كانوا يرون ان هؤلاء يعبدون الله ومؤمنون بالوحي وليسوا مثل الكفار وان المسأله لدى هؤلاء كي يلتحقوا بالاسلام هي مسألة وقت لانهم يحتاجون إلى الوقت ليفهموا.

4- الرواسب السابقه التي لدى الكثيرين بان هؤلاء لديهم معلومات عن الدين والاديان فكانوا يستمعون لهم في المسائل المتعلقة بالرسول وقصص الصراع مع الباطل التي خاضها الانبياء والمرسلين.

الموضوع الثاني :

يبين الله للمؤمنين ان عليهم عدم قبول اراء اليهود ونصائحهم في المسائل المتعلقة بالعقيده وبامور سيادة الدوله ومؤسساتها والقياده فلا تسمحوا لهؤلاء ان يفرضوا عليكم شيئاً من هذه المسائل.. فالله يقول للمؤمنين ان القبول بالآخر مطلوب ولكن في اطر معينه وضوابط محدده.

الأمر الأول :

بقول الله تعالى لنا انه لا قواسم مشتركه بينكم وبين هؤلاء في المسائل المتعلقة بالدين والدوله والقياده فلا تتصوروا ان هؤلاء يتمنون لكم الخير ولا تثقوا ان المصالح التي بينكم وبينهم تمثل شي من المحبه وانهم يحرصون على مصالحكم... فالمصالح الاقتصاديه والتجاريه التي بينكم وبينهم لا تعني ان هؤلاء يحبونكم ويحبون لكم الخير لا فهؤلاء يتمنون لو يستطيعون حرفكم عن الايمان واعادتكم إلى الكفر والشرك مرة اخرى وهذا يعود إلى الحسد من اختصاصكم بالرساله فهم يكرهون ان تحظون بالخير... وبالتالي عليكم اليقظه.

الأمر الثاني :

يخبر الله المسلمون انه لا توجد قواسم مشتركه في مسائل العقيده وسيادة الدوله وإحترام القياده والهيكل الذي يدير المؤسسه مع اليهود والاعداء لان هؤلاء لا يحبون لكم الخير ولهذا ذكر الله المشاعر الكامنه في نفوس اليهود وما في صدورهم من الاحقاد والحسد ليبين ان نظرة اليهود للمسلمين هي نظرة حقد وكرهيه فالباعث لاراءهم ومقترحاتهم هو العداوه وليس الصداقه كما يحاولون تصويرها لكم... لان هؤلاء قد تخلوا عن الإيمان ولم يعد لهم

صلة به بدليل انهم يتمنون لو يستطيعون ان يردوكم إلى الشرك وعبادة الاصنام فلو كانوا مؤمنين لما قبلوا بذلك اذا كيف يتمنى مؤمن ان يرى الاصنام تعبد من دون الله؟؟

فهؤلاء لم يعد لهم صلة بالإيمان فلا تثقوا بهم ولا تنظروا إليهم انهم اهل دين ولا قواسم مشتركة معهم.

الأمر الثالث :

يخبر الله المؤمنون ان حقيقة اثاره هذه العواطف تعود إلى الحقد والحسد.. فالباعث للجحود هو الحسد والذي يعني تمنى زوال النعمة عن الاخرين وعبر عنه الله ان منبعه من النفس لبيان الاتي :-

1- ان هذا الحسد ليس له مبرر فلا يوجد لهذه الظغينه وجه لان الفضل يختص الله به من يشاء من عباده، وان هذا الحسد والعصبيه للجنس هو الباعث على اثاره الشبهات ولهذا كانوا يخبرونكم به ما هو الا فكر سواء باعته الحسد لا النصح لكم فهم لا يريدون لكم الخير فكيف تقبلون نصيحة من يكره لكم الخير ويتمنى زواله.

2- ان هذا الداء (الحسد) مبعثه من النفس لا من قبل الجنوح عن الحق لجهل او نحوه.. فالامر ليس كذلك ولكن فساد الاخلاق وطبائع هؤلاء.. فهم لا علاقة لهم بالتوراة فلا تصدقوا ما قالو (نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه)

فالتصلب والتمسك لا علاقة له بالدين، ولكن هؤلاء استغلوا الدين ونظروا اليه نظرة ذات آفاق ضيقه ، من العصبيه للدين من حيث هو جنسيه لهم تمنحهم الامتيازات وتقدم لهم المنافع

ولهذا فالنظره الطبقيه (القوميه) للدين جعلتهم يتمنون زوال الإيمان عنكم والعودة إلى الكفر

وبالتالي فكيف تثقون بهم وهل تتصورون ان هؤلاء سوف يخبرونكم او ينصحونكم النصائح الصادقه.. وتلك هي قواعد التصور لديهم ونظرتهم إلى الدين.. فاي قواسم مشتركة معهم.

3- يبين الله ان أساس العله للسكون والجمود والعصبيه والحسد والحقد تعود إلى ان الانانيه قد توغلت في نفوس هؤلاء... فهؤلاء يتمنون زوال النعم عن الاخرين.

والعله كامنه في النفوس لان الخطوط النفسانيه والشهوات والوسوسات الشيطانيه حجت عليهم نور الإيمان وقيدتهم بقيود وسلاسل الخذلان، فكيف تثقون بهم وتتصورون ان تكون ارائهم لصالحكم فمن كان هذا سلوكه فانه لا يبالي بالاخرين ولا بمصالحهم بل بالعكس يتمنى زوالها في سبيل اتباع رغبته وشهوته ومصالحه.

الأمر الرابع :

لان الباعث على التكذيب قائم في نفوسهم فالاحساس في قلوبهم احساس سلطان بانهم اهل دين فيرون ان ذلك يشكل قوة مؤثرة في نفوس الناس من خلال ما اشتهروا به انهم اهل كتاب، واحساس حسد تواحي ان هذه الالاسيس قد شكلت قوه تجذب هؤلاء وتجرحهم إلى الاسفل فيتحركون على الدوام وباستمرار إلى ان وصل بهم إلى اسفل السافلين.

حيث طرأ على المواهب انقلاباً بحيث نجد ان هؤلاء يمدحون الكفر والشرك فالحسد والحقد شكل لهم قوة مدمرة تجدهم يرفضون الحق بعد ان عرفوه وعلموه وينجرون وراء محبة ان يعلو الكفر ويسود و تعبد الاصنام بدلا عن الله وتراهم ينجذبون إلى الكفر وأهله ويعادون الإيمان وأهله وكأنهم مضطرون ومقهورون بسبب قوة جاذبية حقيقيه تجعلهم في عناد وتصليب وتمسك بالعداوه للمؤمنين بمزاعم التدين وهو امر غير صحيح لان قولهم للمسلمين انه لو كان محمد نبي لكان منا الايمان ولكن يمنعنا عن الإيمان اننا اهل دين وما جاء به محمد يناقض الال

اديان.

فالله يقول ان الحقيقه هو ان الباعث على التكذيب قائم في نفوسهم لان الحسد قد استقر في نفوسهم فقال تعالى (من عند انفسهم) اما الدين فقد امرهم باتباع الرسول (ص) ولهذا فان كفرهم لم يكن عن جهل بل عن علم بانكم على حق (من بعد ما تبين لهم الحق) فقد عرفوا صدق الرسول (ص) وصدق نبوته والذي حملهم على الجحود هو الحسد على ما اعطاكم الله ولان الله اختار الرسول منكم وليس منهم.

الموضوع الثالث :

يبين ما يجب على المؤمنين والدروس التي ياخذوها من هذه الواقعه والعواصف التي اصابت المسلمين... بعد معرفة اهل الكتاب وما يضمرونه في قلوبهم (فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ان الله على كل شي قدير)

(وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير)

فالنصوص تتناول اموراً متعلقه بتربية المسلمين، حيث ان النصوص جاءت تأمر المسلمين بعدة امور:

الامر الاول :-

ان عليهم ان يدركوا ان الحسد داء خطير اذا اصاب الناس فانه يقتل مكامن القوي لديهم ويصاب مواطن الطاقه بـ الشلل لانه يفسد النفوس ولهذا يامر المسلمين بمقابله ما حصل من هؤلاء الكفار من الشتم والسب وغيرها من الاذيه بالاتي :-

1- ان العقيدته تقوم على قوانين قوة العلم - وقوة الاراده، فتذكر النصوص ان السبب في امتناع اليهود عن اتباع الحق يعود إلى فقدان قوة الاراده لخلل في النفوس واما العلم فهم يعلمون ان ما جاء به النبي (ص) هو الحق من عن الله

فالمعرفه في غياب قوة الاراده واصابه النفوس بخلل لاقيمه لتلك المعرفه لان القوى الباعثه على الحركه والفعاليه قد اصابها الشلل ولهذا قال (من عند انفسهم) لتحذير المسلمين من فقدان الثقه بدينهم كما فعل اليهود او ان تصاب نفوسهم بالامراض وعلى رأسها الحسد.

2- يامر الله المسلمين ان يقابلوا الاساءه بالاحسان من خلال العفو الذي يعني ترك عقوبه المذنبين والذي اساء إليك، والعفو هنا يكون مقروناً بالصفح اي تعني ترك الرغبه في الانتقام من داخل النفس.. فادى العفو لتحسين المظهر الخارجي للمسلم، والصفح لتحسين المظهر الداخلي للمسلم ليكون دافعاً لامراض الحسد من التسلل إلى النفوس.

والاستعانه بالصلاة لان فيها الخشوع والتواضع واللفظ هنا جاء فيه اقيموا لان الصلاة تعني الدعاء وذكر الله في عموم اللفظ وذلك يعني الخضوع والخشوع لله تعالى.

والزكاة بالمعنى العام تعني حق الناس فيما بينهم البين على كل مسلم صدقه اما الزكاة الماليه المفروضه مما يجب على بعض المسلمين فهي تخص البعض دون الكل

والمراد هنا بالزكاة عموم اللفظ لانها جاءت مقرونه بالصلاة اي ان تساويها من ان على كل مسلم صدقه.

فالمراد بهذا انشاء تعاون انساني في المجتمع يسوده المحبه والاخاء والتعاون وبالتالي فان تلك المشاعر تكون من دواعي زوال الحسد فالمجتمع يكون فيه كل واحد يحب للاخر الخير لا بغضاء بينهم.

2- فالنص بين ان الصلاة والزكاة من مصادر القوة والمكنة التي تثبت النفوس على الحق.. فلا يحصل لنفوسنا ما حصل لليهود ولهذا فالنص جاء فيه (وما تقدموا لانفسكم من خير) حيث نجد الاتي :

أ) يخبر عن فعل الخير للجماعة كمن يفعل الخير لنفسه لانه يعود بالخير ابتداء لنفسه وعلى الجماعة لما يسود المجتمع من الترابط والاخاء والمحبة وهذه هوة عظيمة.

ب) ان يجد العمل ثابتاً عند الله لتصوير انه سيكون ماثلاً يراه ويشاهده.

ج) تدل الاية (ان الله بما تعملون بصير) بان الله لا يخفى عليه شي ولا يضع عمل عاملاً منكم للاشاره باحاطته علماً بكل شي.

الأمر الثاني :

الحق المولى بالعفو الصفح فما هو الهدف من ذلك؟؟

1- ان العفو والصفح امر ملزم للمسلمين فهو وسيلة لاجرا الحسد من نفوس اهل الكتاب فكان التجاوز عن اخطاءهم ارضاء للقلوب لانه لا يداوي القلوب الا بالتعامل بالتسامح والصفح الجميل.

2- فالعفو متعلق بالمظهر الخارجي اي التعامل معهم بالرفق والمعاملة الحسنه

وان الصفح متعلق بازالة كل امراض النفس فالمراد به ان لا يبقى بالنفس اثر من الالم التي نشأت كاثار عن الحسد والحقد والضغينه، وكلاهما اعلى من الصبر المجرد

ذلك ان الصبر معناه العفو والتحمل بلا حقد اما هنا فقد جاء الامر بالعفو والصفح مع تطهير النفوس والمظهر الخارجي من اثار ما نتج عن حسد وحقد اليهود.

3- وحدد لذلك الله نهاية (حتى يأتي الله بامرهم)

أ) الذي سينزع الحسد والحقد من النفوس.

ب) تحصيل التمكين والعز للمسلمين.

3- يهلك الله اليهود.

4- مبينا ان تعالى قادر على ذلك فقال (والله على كل شي قدير) ليغرس في قلوب المؤمن الطمأنينه والثقة بالله تعالى.

5- ليبين اهمية امر الله تعالى في النفوس واستقباله بالخضوع والخشوع والتواضع ولهذا اشار إلى (واقيموا الصلاة واتوا الزكاة) لان الكبر والحسد يعنى بطر الحق وغمط الناس اي جحد الحق ودفعه فيكون صاحبه مجاهداً لا بطال الحق بالباطيل.. ولهذا فان ازاله تلك الامراض تتطلب امرين التعظيم لامر الله والرحمة لعباد الله وهذان الامران مجموعان في الصلاة والزكاة لان التعظيم لامر الله كما قلنا يتطلب الخشوع والخضوع والتواضع لامر الله.

الامر الثالث :

ان الله عز وجل يبين للمؤمنين ان عليهم ان يدركون حقيقة القوة وفق المفهوم الذي حمله الاسلام والذي جاء فيه تجديد للروى والافكار فقال (فاعفوا واصفحوا) حيث نجد في النصوص المسائل الاتيه :

المسألة الاولى :-

ان الله يأمر المسلمون بالصفح والعفو مع انهم كانوا قلة وهذا فيه اخبار المسلمين انهم اهل قوة وشوكة لان الصبح انما يتطلب من القادر على حدوثه

فالنص بين ان القوه الحقيقيه لا علاقة لها بالكثرة كما هو حال اهل الكتاب ولكن يكون سلامة النفوس من الامراض التي تقضى على الطاقه وتشل الحركه والفاعليه.. ولهذا يأمر المسلمين بمعاملة هؤلاء معاملة القوي العادل للجاهل.

وانه تعالى انزل اهل الكتاب منزلة الضعفاء ذلك انهم يمتلكون القوه وكثرة العدد من حيث الجانب المادي ولكن وضعهم موضع الضعفاء وذلك لبيان الاتي :

أ) ان اصل القوه يعود إلى الإيمان والثقة بالحق والاستعلاء بالحق فذكره ضعف اهل الكتاب بعد ان اشار إلى ان اكثر منهم يتمنون زوال الاسلام عن المؤمنين فاخبر ان هذه الصفه الغالبه هي السبب لقوة المسلمين وضعف اليهود لبيان انهم ليس لديهم عقيدة قابليه.

ب) فبين ان قوة الحق والإيمان به هي اساس النصر.

ج) بين ان اصل الحق مع المؤمن ولهذا فانهم يحضون بالرعايه والعنايه الالهيه ولهم العز لان الله يقف مع الحق وفي النهايه الحق ينتصر (ان الله على كل شي قدير) فوعدهم باقوة وانصر فهي هما قال تعالى (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز) فالنصر يكون بالقيام بامر الله وبقينه.

المسألة الثانيه :-

1- ان القوه الحقيقيه تكمن في التوكل على الله والاعتماد عليه تعالى فهو قادر على كل شي ولا تنظر إلى قلة الاعداد او كثرته بل انظروا إلى الكيف وليس الكم فاذا كنتم مؤمنين صادقين في ايمانكم تقابلون امر الله بالتعظيم والاجلال والتقدير "حين يأتي الله بأمره" فعندها سوف يكون النصر لكم لان الله هو القوي الذي لا يعجزه شي ومن يقف الله معه فلا غالب له.

2- عليكم الثقة بما عند الله (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله) والتقديم هنا للاعمال الصالحه اشاره إلى انها تسبق العبد لتكون زاد ورصيد له في الاخره ففي ذلك المعنى الرصيد والثرى الحقيقي ولهذا فان القوه تكمن في الزهد عن الدنيا بما عند الله.

والمؤمن الصحيح هو الذي يتوكل على الله ويعمل الصالحات التي يبلغ بها اسباب النجاة والوصول إلى السعاده ابدية.

المسألة الثالثه :-

ان الله ذكر اسباب النصر الاعتماد على الله ويبين للمؤمنين وسائل كيفية ذلك :

1- الصلاة لانها تقضي على الرغبات والاهواء (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)

أ) ان الصلاة تعلي الهمة وتجعل شرف النفس بمناجاة الله والتواضع له فتزيل الحسد والكفر والحقد من النفوس.

ب) تغرس الثقة بالله وتقضي على الشهوات وتزيل الشبهات.

2- الزكاة تؤدي إلى بناء مجتمع متماسك مترابط يسوده الاخاء والمحبه بعيدا عن الحسد وآثاره.

3- ان التنافس يكون بخدمة الناس ابتغاء مرضات الله (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله) ولهذا يقضي على الحسد ويزيل آثاره.

الامر الرابع :

المراد بقوله (كثير من اهل الكتاب) وهو يدخل في ذلك النصارى والمشركون ولماذا اختص هؤلاء بالذكر دون غيرهم؟؟

الجواب :

المسألة الاولى :-

ان لفظ كثير لها معنيين حيث ذهب البعض إلى القول ان المراد بهذا كعب بن الاشرف.. وان الايه نزلت فيه وإذا قلنا ذلك فان كعب واحد والنص جاء فيه كثير فقالوا ان المراد باللفظ كثير هنا وصف القدر والمنزله فيقال فلان كثر اذا كان له قدر ومكانه ومنزله

ولكن الواضح بجلاء ان المراد بهذا هو العدد لا الوصف، وذلك لان النص قد جاء فيه لفظ الجميع (يردونكم) فالأما ماني كانت من اعداد كثيره.. وهي تنسجم مع قوله (بل اكثرهم لا يؤمنون) في المقطع الرابع.

المسألة الثانيه :-

ان المراد هم الكفار بشكل عام سواء اليهود او النصارى او المشركون لان الكفار كلهم يتمنون ويعملون جاهدين لا عادة المؤمن إلى الكفر قال تعالى (لتعودون في ملتنا) فذلك هو هدف جميع الكفار في كل زمان فاعلبية الكفار يتمنون لو يرتد المؤمن ويرجع إلى الكفر

وانما خص اليهود هنا بالذكر دون سائر الكفار وذلك للاتي :

1- لانهم اشد حسدا.

2- لان حسدهم اكثر وضوحا.

3- لان عداوتهم اشد.

4- لان لجاجهم بالباطل اكبر.

5- ان الرغبة لديهم هي اضلال المؤمن كانت اشد وقد كان وقوعها ومحاولتهم زعزعة الثقة في نفوس المؤمنين متكرره.

6- لان حركتهم تلك كانت بشكل عمل منظم ومخطط له من قبلهم ولم يكن عمل عشوائي كما كان لدى المشركون فهؤلاء كان لهم برنامج وخطط واساليب ووسائل لتحقيق اهدافهم.

7- لان الحق عندهم كان واضحا واقوى برهان وكلهم قصدوا العدول عنه إلى الباطل.

8- لظهار فظاعة ما ارادوا وغاية اهدافهم القبيحه وفساد اخلاقهم فهم ارادوا ان يكفر المسلمين بعد الايمان ليس رغبه في الكفر بل لان الحسد قد توغل واستقر في نفوسهم (من عند انفسهم) فاشار إلى ظرف المكان لبيان ان

نفوسهم قاصده فالمحل غير صالح لاستقبال الهدايه.

9- فالله يقول ان ازمة هؤلاء مع الاسلام ليس لنقص المعلومات لديهم بل ان المعلومه واضحه ووصلت سليمه لديهم لكن الحاله النفسيه لدى هؤلاء ادت إلى افساد استقبال المعلومه فقد استقبلوها بسوء فهم لان الحاله النفسيه تجعل المرء يرى الشئ بصورة تغاير للحقيقه فالحسد هو الباعث على كفر هؤلاء وجحودهم وليس نقص المعلومه فقد تبين لهم الحق بوضوح... فالمسأله داخله في كيانهم واعماق نفوسهم.

الأمر السادس :

يبين الله للمسلمين ان عليهم ان يدركوا حقيقه انفسهم فذكر المشاعر الكامنه في نفوس اليهود وما في صدورهم من الغل والحقد للاشاره إلى الاتي:

1- ان المسلمون قد اصبحوا قوة بنظر اليهود قوه بالاجتماع والاتلاف والاخوه والتماسك فقد شاهدوا كيف ان الا سلام وحد الشعوب المتحاربه لسنوات وعقود طويله وكيف ان المجتمع اصبح يسوده الحب والوئام.

فاخبرهم الله ان القيم التي يبنى عليها المجتمع الإسلامي على يد معلم البشريه محمد (ص) من بناء المسجد والاء بين المهاجرين والانصار قد اثار حفيظه اليهود فقد ادركوا حقيقه نعمه الاسلام بتوحيد العرب لحمل رايه الهدايه إلى العالم.

2- فقد كان اليهود يدركون ان هذه المقدمه هي بداية الانطلاق نحو العز والتمكين فهم كانوا يستفتحون على الناس بقدوم النبي الخاتم الذي سوف يوحد الامه تحت رايه الله.

ولهذا كانوا يصابون بالذعر والخوف والهلع كلما رأوا وشاهدوا نمو هذه القوه الايمانيه لدى المسلمين بالتربيه الروحانيه والعنايه الالهيه (ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير فقد كانوا يرون بوادر ظهور علو دولة الإيمان القويه التي سوف تسود العالم.

3- ان اليهود في هذه المرحله كانوا يرون ان البساط يسحب من تحت ارجلهم فلم يعد لهم ذاك السلطان باحتكار علم الاديان بين القبائل.

فقد كانوا يشاهدون ان الامه المسلمه تزداد بكل يوم قوه وتماسك وكل يوم يتم وضع حجر ولبنه في اساس الدو له التي سوف تقود العالم نحو التحول والتغير والنهضه والتقدم فيزداد شعورهم بالخوف والهلع من نمو هذه الدوله

ولهذا نجد ان الله بين ما يضمرونه وما تكنه صدورهم من الحسد والحقد والغل والكراهيه للاسلام والمسلمين بعد ان عرفوا ان الحق مع المسلمين وان النصر حليفهم (من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق)

الامر السابع :

ان هذه الايات كانت مقدمه لتعديل الاحلاف والعقود التي ابرمت مع اليهود قبل البعته فيما بينهم وبين الاوس و الخزرج وذلك من خلال المعاهدات التي عقدها معهم الرسول (ص) والتي كانت من اهم الاسس للتجديد و التحديث الذي طراء على الامه بعد البعته حيث ان هذه المعاهدات اوضحت ان هنالك اموراً يجب ان تكون في يد الدوله والقياده وهي المتعلقه بالسياده (سياده الشرع وسياده الامه)

فالعقود والمعاهدات المتعلقه بهذا المبدأ لا يجب ان تكون دون ضوابط فالمسائل المتعلقه بسياسة الدوله الخارجيه وامن الدوله وجيرانها ينبغي ان تخضع لضوابط وان تبرم مع القياده ولا يسمح في التعاملات والعلاقات الدوليه

التدخل في عقيدة الامه وايدولوجياتها ويجب عليهم احترام رموز الامه ومعتقداتها، ولذلك كان الهدف الثالث الذي امر به الرسول (ص) بعد الهجره ابرام العهود مع اليهود.

الأمر الثامن :

تناقش العلاقه المسموح بها في التعامل مع الكفار بالتعاملات التجاربه والاقتصاديه والعلاقه الانسانيه والتعايش معهم ولكن بضوابط وهو ان المصالح المشتركه لا تؤدي إلى تغليب هذه المصالح سواء التجاربه او الاقتصاديه على القيم والمبادئ الدينيه والسياده والرموز والمعتقدات ولا تؤثر على عناصر القوه لدى المؤمنين فهي مهمه في معركة المبادئ والتوجهات الفكرية.

فيقول الله تعالى (فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بامرهم) حيث نجد ان الله تعالى يامر المؤمن بالعمو والصفح في التعامل مع هؤلاء اي ان تكون لكم قوه امتلاك القرار لاوراق التعامل مع هؤلاء سواء الاقتصاديه او التجاربه او العلاقات الاجتماعيه او الانسانيه

فلا تسمحوا هؤلاء الاعداء ان يستثمروا العلاقات والنوافذ المفتوحه معهم سواء كانت اجتماعيه او اقتصاديه او انسانيه ليحققوا من وراء ذلك امانهم في تحريك العالم الانساني نحو عبادة الشيطان بمنهج الكفر وايدولوجياته.. لا تسمحوا لهم ان يتخذوا من تلك العلاقات مدخلاً لتزيين الكفر وترويض العقول على قبول افكارهم الشيطانيه بالخداع والتزييف للحقائق

فعليكم ان تكون لديكم تخصينات ويجب ان يكون قرار تلك العلاقات بايديكم فلا تسمحوا لهم ان يسلبوا منكم القرار بحيث تكون تلك العلاقات سلاحاً موجهاً نحو الامه.. ولهذا نجد انه تعالى قال واعفوا واصفحوا لبيان ان القوه ليست بالعدد ولا بالعتاد بل القوه بما تحمل من الحق.

وامرهم بان تكون تلك العلاقه لها ضابط وان يحسن استخدام تلك العلاقه لما يخدم الفكرة ولهذا جاء الربط في النهي متبوعاً ببيان الاحاسيس التي لدى الاعداء ليغرس في نفوس المؤمنين الاحساس بالقوه الحقيقيه وبالمسئوليه الملقاه على عاتقهم

ويرسم لهم صورة التفاؤل والطريق إلى العز والتمكين وكيفية التقدم والنهوض

فالله بين للمؤمنين حق الله عليهم وحق الناس عليهم وان قوتهم تكمن بمراعاة حقوق الانسان بغض النظر عن دينه بحسن التعامل معه ولكن بحذر وحيطة.

القسم الثاني من المقطع (٥) الجزء الاول

(وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصاري تلك أمانتهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين

بلي من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجرها عند ربه ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون

وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لايعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون)

المبحث الأول

أن أول مايشد الإنتباه اشتغال سياق النصوص في قوله تعالى (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصاري)علي جمع اليهود والنصاري في هذا الخبر الذي مفاده أن اليهود والنصاري قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصاري وأنه لن يدخلها غيرهم من سائر البشر...مع أختلاف مقاله الفريقين لأن المعلوم أن بينهما التعادي وتضليل كل فريق منهم للاخر كما قال تعالى (وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود علي شئ)

حيث وبالوقوف علي مدلولات النصوص نجد أنها وردت معطوفة علي قوله تعالى ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا...الخ حيث جمع المولي سبحانه وتعالى اليهود والنصاري حول امنيته واحده وهي أنهم لو يستطيعون صرف المسلمون عن الإيمان وأن يعودوا بهم الي الجاهلية (من بعد ايمانكم كفارا حسدا) ولهذا فإن

الجمع منشاه جمع الفريقين في الخبر عنهما بأن جعل بينهما قاسم مشترك فلفظ (أو) من كلام الحاكي لا المحكي عنهم فاهنا لتقسيم القولين ليرجع السامع قول كل قائل لقائله اي أن اليهود قالت إنه لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا والنصاري قالت إنه لن يدخل الجنة الا من كان نصاريا

فهم وان اختلفوا فيما بينهم الا أنهم يجتمعون حول قضية كراهيه الحق والمراد من هذا الآتي

الأمر الأول

لفت انتباه المسلمين الي أن عليهم الإنتباه لخطورة الموقف بأن القاسم الذي التححوه اليهود والنصاري هو أن مجئ الاسلام جعلهم يلتقون حول امنيته واحده وهي أنهم لو يستطيعون صرف المسلمون عن الإيمان ولهذا نجد أن النصوص جاءت معطوفة علي قوله تعالى(ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا)حيث جمع المولي سبحانه وتعالى اليهود والنصاري حول امنيته واحده وهي (ودكثير من أهل الكتاب)وتمنوا لو يستطيعون أن يعودوا بهم الي الجاهلية (لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا) فالله يقول لنا أن هولاء قد أصبحوا دعاه الفكر الجاهلي وتبنوا هذا الفكر فدللت النصوص

*

حصول فيه اتحاد نفوسهم علي الفكر الجاهلي وأنهم قد اجتمعوا في قالب واحد يهدف إلي تبسيط عوده الجاهلية وان الدافع لذلك هو الحسد وخيبه الامل والتمسك بالامتيازات الدينية

*

أن الاجتماع النفسي والذهني والشعوري قد شكل لهم ارضيه مشتركة التقوا فيها حول هدف واحد (كراهيه الاسلام)وان هذا مثل نقطه اللقاء المشترك الذي جمعهم والكفر في قالب واحد وإن اختلفوا فيما بينهم فالحسد وخيبهم

الامل والتمسك بالامتيازات الدينية دفعتهم الي محاربه الاسلام لانهم كانوا يرون أن صفه التدين التي استغلوها ل لأغراض الشخصية بداءت تسقط شيئاً فشيئاً فاجتمعت والتقت اردتهم ومشاعرهم ورغباتهم واهوائهم علي فكره

١

نزع القرار من يد المسلمين فاجتمعوا علي محاربه الاسلام ونزع صفه الدين عن المسلمين كي تمكنوا من امتلاك القرار العالمي واحتكار السلطه الدين بأيديهم ولو من خلال اعاده العالم الي الجاهلية الوثنية كي يستمر لهم الامتيازات فتمنوا لو يستطيعون اعاده العرب الي ما كانوا عليه من قبل البعثة اي العوده الي الجاهلية التي أزال الاسلام آثارها فالله يعطينا الباعث لهؤلاء ليحذرننا من خطوره الجاهلية الثانية التي سوف تجتاح العالم علي يد هؤلاء فهو سبحانه وتعالى يقول لنا في موضع آخر (ولاتبرجن تبرج الجاهلية الاولي) فدللت النصوص أن هنالك جاهليه ثانيه وهنا يقول لنا الله تعالى أنه

حصل تلاقي قلوب ونفوس وعقول اليهود والنصاري علي هدف تفريق المسلمين وشل حركتهم وزعزعه ثقتهم وإعادتهم الي الشرك فقد اردوا استعادة ما كانوا عليه من المنزله الدينية التي استغلوها لاغراضهم الشخصية ويخبرنا أنهم لم يقبلوا بالتطور والتقدم الذي حمله الاسلام للبشريه كلها والارتقاء بهم فهي رساله رحمه للعالمين فهؤلاء فضلوا أن يبقوا في مرحله الطفوله

٣

تلاقوا علي هدف زعزعه المصدر الذي فيه الهام المسلمين بحيث يكون هنالك فجوه بينهم وبين القيادة فالنصوص تحذر المومنين من هذه الجاهلية التي صارت هدفا وغايه اجتمعت عليها مشاعر ونفوس دعاه الفكر الجاهلي واتحدت تصوراتهم وأفكارهم الساذجة ومشاعرهم الفاسده في قالب واحد وإن اختلفوا فيما بينهم الا ان مشاعرهم ضد الحق واحده

الأمر الثاني

أن النصوص جاء فيها التحذير لنا من هؤلاء ومبينه لنا حقيقه المعركه من تصوير حال هؤلاء الذين ضلت أفكارهم وتبنوا الفكر الجاهلي وصاروا دعاه للجاهليه وفضلوا البقاء في مرحله طفوله النوع الإنساني فرفضوا ما حمله إليهم القران الكريم وأحكامه التي فيها الانتقال من مرحله وعهد الطفوله الي مرحله وعهد النضوج البشري فالإسلام بمثابة الحد الفاصل بين العهدين فأمر الله المسلمون (فاعفوا واصفحوا حتي الله بأمره) أي تجاوز عن هؤلاء فهم أقل من أن تعاملوهم بالجفاء لأنهم رفضوا الحق وفضلوا البقاء في مرحله طفوله النوع الإنساني وان عليكم الانتظار حتى يكون لكم العز والتمكين وان بعد ذلك عليكم الحذر من هؤلاء الذي سوف يتحدون مع اهل الجاهلية في قالب واحد فاحذروا من السلوك الذي كان منهم لأنه إذا حصل منكم ذلك فحينها يتحقق ما يتمناه هؤلاء ب العوده الي الجاهلية ولهذا يعطينا الله تصوير يرسم حال هؤلاء وأسباب سلب الايمان عنهم وجمعهم مع الكفر في قالب واحد وذلك من خلال الآتي

الصورة الأولى

يقول لنا الله تعالى أن من مظاهر العوده الي الجاهليه والوثنيه الحديثه التي تخلع عنك صفه الإيمان هول قول هو لاء (لن يدخل الجنه الا من كان هودا أو نصاري... الخ فقد اجتمعوا علي فكره أن يحكموا لأنفسهم حكما مفاده أنهم سوف يدخلون الجنه وان غيرهم محرومون من دخول الجنه والغرض من ذلك الاجتماع هو الوقوف ضد الحق من خلال تكريس الاميه الدينية في المجتمعات لمنع الناس من رؤية الحق والسعي الي استغلال ثقه الناس بهم أنهم

أهل تدين لو ضع ستائر وحوجز تغطي الرؤية ف الله يقول لنا أنه سيكون لدينا يهود ونصاري محليين يدعون الا نتساب للإسلام وانهم سوف يسعون إلى تضليل العوام من خلال ادعاء أنهم أهل الحق واحتكار الجنه

الصورة الثانية

يقول الله لنا أن هولاء قد حملوا الفكر الجاهلي وقد قاموا بصناعه قواعد وتصورات زعموا أنها من الدين وهي تخالف المنطق اجتمعوا على تبني الفكره وان اختلفوا فيما بينهم وان هذه الفكره تقوم علي تصورات ساذجه ناتجه عن الغرور في النفوس مفادها بأن الانتساب الي الانبياء والصالحين هو الطريق الوحيد للوصول إلى الجنه ومن لاينتسب بالطريق هو محبه وطاعه أبناء الانبياء والصالحين والا فانه محروم من الجنه

ولهذا جمع الله بينهم في القول للأخبار بأن هولاء قد فقدوا مهاره التفكير السنني والتفكير التسخري الذي يأخذ با لاسباب والنواميس والسنن فوقعوا في ازمه عجزه عن الاهتداء لقانون التعامل معها فظهروا بهذا المظهر الطفولي ولذلك كان الباعث لهذا القول وهو الشعور المشترك بينهم بالرغبه في اعاده البشرية الي الجاهلية ولم يستطيعوا أن يتطوروا بالارتقاء بما جاء به الاسلام

الصورة الثالثة

أن هولاء فقدوا مصدر الإلهام (التوراه و الانجيل) وظلوا يتحركون في دثره مغلقه فهم في حاله انسداد فكري لا يستطيعون الخروج من الازمه الناتجه عن رفضهم القبول بما اختص الله به امه الاسلام بالخير في ارسال الرسول صلى الله عليه وسلم من امه العرب حيث عرفنا أن رده الفعل منهم كانت بتحريف التوراه و الانجيل ووضعا أفكارهم الشيطانيه بدلا عنها لأجل أن يستمد السلطه من قوه الانتساب الي الانبياء والصالحين فاتخذوا من ذلك نظريه مفادها التفويض الإلهي وجعلوا شرعيتهم بالسلطه مستمده من السماء الخالق لا من الشوري بين المخلوقات وفق منهج الله فكانت هذه النظرية وسيله مواجهه ماجاء به الاسلام من مبادئ الشورى في اختيار الحاكم

فقد اردوا بهذه الأفكار توجيه حياه الناس..فقالوا (لن يدخل الجنه الا من كان هودا أو نصاري)

لبيان ان هولاء قد اجتمعوا علي عدم القبول بالإسلام واستطاعوا بهذه الأفكار منع اتباعهم من الإيمان لأن هذه الفكره كانت قوه منع من التطلع نحو الأفق الابعده ولهذا نجد أن النصوص جاءت بأسلوب خطاب فيه الالتفات في صرف الكلام من المخاطب الموجه للمومنين (واعفوا واصفحوا)الي الغيبه (وقالوا)عائدا علي قوله (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم...الخ

لبيان ان ماقالوه لايستحق الالتفات إليه فهي دليل ان هولاء لم يعد لديهم علاقه بالاديان بالفكرة التي حملها موسي وعيسي لم تعد موجوده فقد تعرضت لغزو وخلط بشري شيطاني غير ملامحها وأبعدها عن مسارها فهي وان فقدت صلاحيتها لنسخها بنزول القران إلا أنها قد أصبحت غير صحيحة وغير صالحه فهولاء وأتباعهم بتغذون برصيد من الأفكار المرهقه التي لم تعد تلهم العقول فالتوراه والإنجيل في الوقت الحالي بعد بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم أصبحت عبئا ثقيلا عليهم لأنها اضافه الي أنها فقدت صلاحيتها لنسخها كما قلنا فإنها قد حرفت بما ادخل فيها من الكتب الشيطانيه ولهذا فقد حولت الحياه الفكرية الي أقاويل ساذجه بأطله وأصبحت مادته للا ستبداد يلجأ إليها الحكام باسم الدين ولهذا شاهدنا في القرون الماضيه كيف قامت الثورات في أوروبا ضد الدين و الكنسيه وانتهت بفصل الدين عن الدولة

الأمر الثالث

يقول لنا الله أن تخبط هولاء عن التعاطي مع التوراه و الانجيل بالتناقض الواضح وحاله انفصال التوراه و الا

انجيل تعود إلي الحسد الذي أصابهم فقد ولد لديهم العجز عن اقتحام ارضيه جديده انتظروا طويلا مجئ النبي الخاتم فاصابهم الحسد بالخيبه وكراهيه الحق جعلهم يرمون بالتوره مصدر الإلهام وراء ظهورهم واستبدالها بـ الكتب الشيطانيه ولهذا تراي حركتهم في دوران ولف بدائره مغلقة وإن اختلفوا فيما بينهم فأصبحوا غير قادرين علي التعاطي بمصدر الالهام فبدايه تكوين قواعد الازمه بينهم وبين الكتب السماويه أنهم تمنوا لو يستطيعون صرف المسلمون عن التوحيد وإعادتهم الي الشرك فازدادوا توغلا في الازمه فحصل تخليهم عن ماتبقي من التوراة والإنجيل ولهذا ذكر قولهم بأسلوب الغيبه لتصوير أحوالهم فقال (وقالو لن يدخل الجنه الا من كان هودا أو نصاري) ولم يفصل بينهما للاتي

*

الثقه بفهم السامع بالمقصود من الخطاب حيث كان معلوما عند المسلمين قبل نزول الوحي أحوال اليهود و النصاري في ذلك بأن هذه العقيدته لا أساس لها من الصحه ولادليل في التوراه والانجيل ولا برهان ولهذا يقول الله (تلك أمانيههم) خبر عن قول الذين قالوا لن يدخل الجنه الا من كان هودا أو نصاري....أنها من قبل الاماني الكاذبه

*

أن المراد بهذا التحذير من ذلك السلوك القبيح لانه اذا حصل منكم ذلك فحينها تصابون بما أصيب به هولاء ولهذا يأخذنا المولي سبحانه وتعالى باحساسنا ومشاعرنا لنحس بخطورة الموقف فيقول (تلك أمانيههم)

أن قولهم كذب نشأ عن الغرور النفسي والاعجاب بما لديهم تحت تأثير النخوه والنشوه والعصبية الدينية أو السلا ليه أو القومييه كما ظهرت عندنا افكار القومييه العربييه باصنافها والسلاويه والطبقيه بأوانها المتعدده وكذلك جماعات وأحزاب اسلاميه قامت علي التعصب الديني التي زعمت أن أفكارها فيها الخلاص والتقدم والازدهار والا رتقاء وهنا نفهم من النص بأن تلك الأفكار تجعل صاحبها سكران في حب الرئاسه والقياده سواء الدينية أو العلميه أو القدريه فتمنع صاحبها عن إدراك الحقائق

*

يقول لنا الله الخطورة من ذلك السلوك تكمن في اقامه الفكره الدينية علي العصبية والحقد كمنهج لبناء العقيدته في النفوس...لأن ذلك فيه خروج عن التوحيد والسقوط في افكار المدرسه الشيطانيه وكتبها ولهذا يقول لنا الله انتبهوا من ذلك فقد كان اليهود والنصاري أهل دين لكن العصبية والحقد هدمت العلاقه التي تربطهم بالاديان فكانت اداره المؤسسات الديننيه لديهم قائمه علي الفوضي والعشوائيه ومخالفه العقل والمنطق وبناء العقيدته علي مايتمنوه من أمانيه باطله

واستعمل المولي سبحانه وتعالى بنقل التحذير لنا قوله (تلك أمانيههم)

لترسم لك صورته لحالهم تظهر قبح هولاء وغباءهم فالله يقول لنا أن افكار من يسلك طريق هولاء في غايه القبح لأنها تتغذي من الأوهام والخرافات ولا علاقه لها بالاديان فانتبهوا من الانحراف عن المنهج الرباني فيكون حالكم مثل هولاء فكان التصوير منسجما مع بيان الخبر عن هولاء حيث أنه بالوقوف علي مدلولات النصوص نجد لآتي

الاول

أن النصوص تخبرنا أنه عندما تغيب الفكره (التوحيد) يبرز صنم منعه من داخل النفس الفاسده التي ترغب في ت الهه ذاته وينتج عن ذلك ماتراه من سخافه العقول التي تبني صورتها علي امنيات تافهه فاستعمل المولي اسم الا شاره. تلك وهي تستعمل للإشارة للبعيد لبيان بعد هذه الاماني عن الحقيقه

لتحقير شأنهم ولتحقير مساله تغذي الأفكار والعقول من العصبية أو السلاله فالله سبحانه وتعالى يقول لنا أن هذه الأشياء أصنام وهي بعيده عن الحق ولا تصلح أن تكون مصدر إلهام للأفكار

فالله سبحانه وتعالى يحذرنا من مرض القلوب فهي اخطر اختراق لكيان الإنسان تمنع الاهتداء لقانون التعامل مع الازمات فتولد العناد وإنكار الحق وتقتل الفاعلية للإيجابية لدى الانسان ويصبح عاجزا عن اقتحام ارضيه جديده فالله سبحانه وتعالى يقول انتبهوا من العصبية حتي لو كانت عصبية لفكره الدعوه اذا لم تكن بالقصد الخالص الصادق لعباده الله فلا يكون طلب الامتيازات والانساب وغيرها هدفا يختلط بهدف العباده لأن ذلك يمثل انحراف عن المنهج الرباني فالله يقول احذروا أن تنتقل عدوي امانى اليهود والنصارى الي تأويلات تفسير القرآن الكريم فتتصور باطلا أن الانتساب للإسلام هو الطريق للجنه وان لم تعملوا الأعمال الصالحة أو أن الانتساب الي الصالحين أو حتي الرسول صلى الله عليه وسلم سببا لدخول الجنه لأن ذلك ماهو الا من قبيل الاماني الكاذبة ولأن القرآن لا يغش ولا يضل من أراد الهدايه فقد جاء فيه بيان التحذير من ذلك السلوك

الثاني

يوجه المولى سبحانه وتعالى المومنون لضرورة التحصينات التي تقوي الارده والانتقال بها الي ميادين العمل ف الرغبة بالجنه لا تكفي اذا لم تنتقل الي مرحله العمل فمجرد الرغبة لا تنشا الاستحقاق ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى قال (تلك أمانيتهم) ولم يقل تلك امنيتهم فجاء الجمع متناسبا مع قوله (وقالوا) فالجمع يدل علي أن امنيته كل واحد منهم بعينه فجمعت للدلاله علي عموم النص وذلك لأنهم كانوا يحكمون لأنفسهم بامانيهم لا بأعمالهم وأنهم لم يتخذوا الأسباب الموصوله للجنه الايمان والعمل الصالح ولهذا نجد أن جمع امنيته (تلك أمانيتهم) فيها تصوير هولاء كأنهم اضحكوه واعجوبه مثل الطفل الذي لم يكتمل نضوجه لانهم بنوا العقيدة علي اساس الاماني والخيالات الكاذبة فهم يعيشون على احلام تردد في نفوسهم وتكرر لدرجه انهم صاروا ينظرون إليها أنها حقيقه ويتكلمون بكلام طفولي لا يقبله عاقل بأن يقولوا أن الانتساب الي الانبياء هو طريق الجنه

لأن الامنيه هي التي يتمناه المرء ولا يدركها ولهذا جمع الفريقين في الامنيه وإشراكهم بالغرور لترسم لك الايه صورته هولاء في تصرفهم كأنهم أطفالا لاعقول لهم فجمع الفريقين في الخبر لأن الفكره واحده

المبحث الثاني

فالنصوص توحى أن معني الكلام معلوم عند المخاطبين الذين يربهم القرآن الكريم بالآيات فهو موجه للمومنين أنهم يحملون رساله الإيمان للعالم أجمع فهم يحملون منهج يناسب مرحله النضوج والكمال الانساني ولهذا يبين الله لنا كيف أن غياب الفكره تهبط بالعقول الي مستوي الطفوله فيبري الإنتساب الي الانبياء والصالحين هو طريق الجنه ولهذا يحذرنا الله من ذلك السلوك ويقول لنا أن هذا القول لا يستحق الالتفات لانه يمثل انحدار نحو منعطف الجاهليه التي يتمني هولاء الكفار أن تعودوا إليها وترتدوا عن الإسلام فاخذرو من هذه الأفكار القبيحه فياتي الأمر الإلهي (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)

الأمر الاول

حيث يعلم الله نبيه أن يرد علي من يقول إن الانتساب الي الانبياء والصالحين هو طريق الجنه دون سائر الأمم أن يطالبهم أن ياتوا بالبرهان علي ما يزعمون إن كنتم محقين بما تتدعوه فاحضروا الدليل والبرهان والبيانه علي ماتقولون وبالوقوف علي مدلولات النصوص نجد فيها

المفهوم الاول

أن أول المفاهيم والدروس التي علم الله سبحانه وتعالى رسوله أن يربي عليه المجتمع المسلم أن يقيم عقيدته علي العلم بالاحكام وان يتبعه العمل الصالح وان عليهم الابتعاد عن الاماني والابتعاد عن بناء العقيدة علي مايتمنوه دون العمل لأن ذلك كان سببا في فقدان أهل الكتاب لمصد اقيتهم لانهم أطلقوا العبارات الكاذبه بدون دليل ولاسند ولا برهان

المفهوم الاول

أن المولي سبحانه وتعالى يضع لنا قواعد التصور الإسلامي وكيفيه بناء العقيدة الاسلاميه بأنه لاتقبل دعوي الا بينه ولايقبل من أحد قول بلا دليل ولايحكم لمدعي بدعوي بغير برهان فقال تعالي (هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) فكل اعتقاد لا يستند لدليل شرعي هو اعتقاد باطل وغير مقبول وهذه القاعده اختص الله بها امه الاسلا م دون غيرها الأمم السابقة التي حظيت بالكتب السماوية السابقه حيث أن هذه القاعدة فيها الرد الذي علم الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرد به علي مااثاره اليهود والنصاري من التعلل أن نزول القران منجما اي مفرقا علي الحوادث والمناسبات بأنه مخالفا لسنه الله في انزال الكتب جملة واحده

فاللّٰه بين أن البشرية كانت قبل البعثة في مرحله الطفوله البشرية فالامم لم تكن مستعده لاستقلالها الفكري ومعرفه الأمور وإدالتها وبرهانها

ولهذا كانت تكتفي بالتقليد للانبياء فيما يلقونهم ولم يكونوا يهتمون بمعرفه التفاصيل الشرعي لأمر الله ونواهيه ولم ينظروا الي الاداله والبراهين المتعلقة بذلك

لكن عقيدته الاسلام

لاتقوم علي التقليد بل تقوم علي العلم والمعرفة فاللّٰه سبحانه وتعالى يقول لنبيه في سوره محمد (فاعلم أنه لأ اله الا الله) ثم ذكر أن يتبع العلم العمل (واستغفر لذنبك)

فسنه القران تتناسب مع مرحله النضوج البشري الذي وصلت إليه الإنسانية من إطلاق الفكر للتأمل والنظر ومعرفه الأمور بإدالتها وبرهانها فقال تعالي (هذه سبيلي ادعوا الي الله علي بصيرة من امري انا ومن اتبعني)

وقد فسر المفسرون أن البصيرة هي الحجة القاطعه الداله على قدره الله وعلمه وحكمته وعظمته وإبداعه

المفهوم الثاني

أن بيان قاعده بناء العقيدة الاسلاميه علي العلم والمعرفة والنهي عن التقليد ومطالبه القران الناس بالحجه كان بعد أن ساق عليهم المحجه ولهذا نجد النصوصن يعلم الله سبحانه وتعالى نبيه كيف يرد علي أهل الكتاب الذي بنوا عقيدتهم علي الاماني الكاذبة... ليغرس في نفوس الناس فكره استقلال الفكر مع المساواة في الأمر بين الملل

١

فاللّٰه سبحانه وتعالى يبين لنا أن هولاء فقدوا المصادقيه لانهم يطلقون العبارات الكاذبه بدون دليل ولاسند ولا برهان

وانهم من ذلك تكريس فكره تفشي الاميه الدينيه فقالوا (لن يدخل الجنه الا من كان هودا... الخ

ولهذا يعلم رسوله صلى الله عليه وسلم أن يخاطب هولاء قل هاتوا ... ولم يقل سنطلب البرهان فاللّٰه قد حكم أن مايتمنوه لا مايستحقونه فلا يطلب الدليل فالطلب لم يكن كي يقنع النبي صلى الله عليه وسلم ولكن ليبين كذابهم في ادعائهم فطلب منهم أن ياتوا بالبرهان والدليل القاطع الذي لاشك فيه فقال (إن كنتم صادقين)فجعل اداه

التعلق الداله على كذبهم (أن) اي أنه لا دليل عندهم فهم غير صادقين

٢

أن النص فيه الإشارة ان ذلك القول منهم يدل علي كاذبهم فأراد بذلك اقامه الحجة علي دعوتهم الباطله بأن ياتوا بـ البرهان وهو البينه والحجه لبيان ان هولاء واقعون في ازمه حماقه والجهاله بإصدار قرارات دون وجود المعلومه ودون الاحاطه فنتج عن ذلك اتخاذ قرارات خاطئة في قضايا مصيرية ولهذا فإن اقامه الحجة جاء فيه بيان أن أقوالهم لاسند لها مبينا لنا أن سوء الإدراك هذا يعود إلي خلل فكري ونفسي ناتجا عن غرورهم وتوغل الاماني في النفوس وتكرارها مع غياب الرؤية الكليه المورثه من ثقافة التقليد بأن الطريق الي الجنه يكون بالانتساب الي الا نبياء والصالحين وادي هذا الخلل الفكري الي عدم إدراك لقيمه الايمان وقيمه العمل الصالح فتجروا علي القول أنهم احباب الله وانهم لاعقوبه عليهم وان الجنه خاصه بهم ولهذا يدعوههم إلى إحضار الدليل والحجه علي دعوههم بمعني تكذيب من الله لهم فيما ادعوا به من دعاوي باطله (إن كنتم صادقين) لانهم كاذبون وعاجزون عن إحضار البراهين علي تلك الدعوي ابدأ والله عالم الغيب والشهادة ويعلم أنهم كاذبون ومفترون

فالنص فيه بيان أن السبب بما اصابهم أنهم كرهوا الحق لأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث من امه العرب فحصل تشويش في أذهان هولاء جعلهم ينظرون إلى الأمور بشكل مغاير للحقيقه فتسلط عليهم الشيطان .. ولهذا كان الاتجاه الذي سلكه هولاء الادبار عن الحق والإقبال بوجههم نحو الشيطان ومدرسته فكانوا دعاه الجاهليه ... ولهذا تصور لنا النصوص أنه وبرغم عدم منطقيه ادعاءتهم إلا أن الوثنيه الدينيه استطاعت وتمكنت من حشد الأ نصار حول امنيه دخول الجنه بالانتساب الي الانبياء مع تعظيم الشعور المشترك بينهم لهذه الفكرة التافهه حتي صار لها تأصيل عجيب في نفوسهم جمعت وتوزعت في كل قلب فلم تترك فراغا لغيرها ولم يدركوا قيمه ارسال الرسل بأنهم يحملون منهج التوحيد والدعوة للايمان والعمل الصالح فيقول لنا أن علينا أن نفهم أن أساس المعركة في حقيقتها هي معركة ارده أكثر منها معركة مواجهة

المبحث الثالث

تأتي النصوص بتصحيح التصورات الخاطئة من خلال بيان منهم المستحقون للجنه ومن يدخلونها وسنن وقوانين دخول الجنه فقال تعالي (بلي من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون)

ابتدأت النصوص بحرف (بلي) وهي تفيد الجزم لنفي ماسبق وإثبات منهم المستحقون للجنه

فالنفي للاماني التي قامت عليها عقيدة اليهود والنصاري لكن النص جاء بصيغه العموم وأطلق اللفظ فيه (بلي من أسلم وجهه)

وذلك لبيان ان سار في طريقهم من المسلمين أفرادا أو طوائف أو جماعات فمن كان سلوكه وصفاته واوصافه مثل اليهود والنصاري بالاشارة الي أنه سيكون لدينا يهود ونصاري محليين من فرق المسلمين فجاءت النصوص تبين لنا الطريق الموصل الي الجنه

الأمر الأول

من أسلم وجهه لله وهو محسن)

تضمنت شرطان لدخول الجنه وقبول العمل (أسلم وجهه لله) (وهو محسن) اي الاخلاص والعمل الصالح لا الأ ماني الكاذبة فهذه قاعدة التصور الإسلامي في ترتيب الجزء علي العمل بلا محاباه ولا وساطه وان أساسه أمران

(من أسلم وجهه لله)

اي أخضع نفسه وقلبه وجورجه وحركاته وقلبه ومشاعره وإحساسه كلها خالصه لله وخاضعه لأمره سبحانه وتعالى بالعبادة دون سواه (وهو محسن) في إتقان العمل فهي مثل قوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين)

الأمر الثاني

أن النصوص تبين لنا ضرورة استشعار وجود الله في كل حركة تقوم فكل عضو من أعضاء جسدك وكل ملكه من ملكاتك لها دور تقوم به في عبادة الله ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى عبر عن هذا الخضوع والاذعان والتسليم الكلي بقوله (من أسلم وجهه لله)

فاستعمل الوجه للإشارة الي تسليم الذات لأمر الله بالخضوع والاجلال والمحبه والاذعان فذكر الوجه اشاره الي شدة الامتثال لان الوجه هو مظهر النفس...ولأن القلب هو المضغه التي يصلح بصالحه الجسد كله كما ورد في الحديث الصحيح ولهذا فإن المراد هنا هو اسلام القلب وصحة القصد كما قال إبراهيم عليه السلام (اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض)

فالمراد بهذا أن يكون العبد قاصدا بكل عمل يعمل وجهه الله اي يقبل عليه بوجهه ولا يوليه دبره فيكون التوجه بـ الوجه الي جهه مقصوده اشاره الي محبه هذه الجهه وان يقصد إرضاء الله

فذكر اقبال القلب علي الله تعالي الذي لا يحدده الجهات فالمسلم الحقيقي هو الذي يتضرع لله ويسجد له وحده يشعر بوجود الله وأنه متعبد لله حتي وهو يدخل الحمام لقضاء حاجته فيقرأ الدعاء ولذلك عبر بالوجه لانه هو الذي يسجد به ويخضع للتعبير علي اهميه الشعور برقابة الله وانك متعبد لله في كل الأحوال والتعبير أن الا ستجابة لله بالاقبال نحوه وأمره

فهذا القلب يذكر الله علي الدوام خالي من الأمراض وليس مثل اولئك الذين استجابوا لغرورهم وشهوتهم وامانيهم الباطله فبنوا عقيدتهم علي الاماني الكاذبة فكانوا دعاه الفكر الجاهلي وتوجهوا بوجوههم نحو الكتب الشيطانيه واصبحوا تابعين للشيطان ولهذا فقدوا الكرامه واتبعوا الاباطيل وظلت أفكارهم وسكنت صدورهم امراض الحقد والحسد والاماني الفارغه فعاشوا في دائرة عذاب الأفق الضيقه

الأمر الثالث

(وهو محسن)

احسان الإتياع فقد ربط الاخلاص بالقصد وإتقان العمل الذي يعمله وهو يحسن الإتياع

والمراد بهذا أن تظل نوافذ الهدايه مفتوحة لاستقبال نور الله وأحكامه ليكون عمله قائما على احساس معلوم من الشرع لا تقليد ولا ابتداع يكون له برهان ودليل علي عمله كما قال تعالي (ليس بامانيكم ولا اماني أهل الكتاب... الخ)

واتقان العمل التي تقوم بعملها تبدأ من معرفه الحكم الشرعي المتعلق بالعمل هل هو حلال ام حرام ومن ثم اتقان تنزيل الأحكام وإحسان التطبيق لها وهذا يتطلب معرفة الأحوال المتعلقة بصلاحيه الحكم الشرعي للتطبيق أو عدمها وكذلك معرفه انتهاء العمل بالحكم اي معرفة النسخ واحواله ومعرفه الوسائل والأساليب المساعده علي تطبيق الحكم هل هي حلال ام حرام لان الغايه النبيله لابد أن تكون الوسائل والأساليب المساعده لتحقيقها نبيله فـ لا يمكن تبرير الوسيله القبيحه لأن الغايه نبيله.. فإذا كانت الوسيله حلال أو مباحه نظر إلي المفاصد المترتبة عليها والمصالح ويكون درء المفاصد مقدم علي جلب المصالح في كل حركة وتعامل مع نفسه أو غيره او تعامله مع

الناس والآخرين من حوله

وهذا يتطلب إدراك الاخلاق والقواعد التي تنظم العلاقة مع الآخرين فلا تكون الحركة والتعامل سلبي فيه إفساداً لأرض فهو ينتقل في مراتب الاخلاق ليصل إلى الكمال بالتخلق بأخلاق الرب في تعامله مع الآخرين من العفو و الصبح والتسامح بالشعور برباقه الله تعالى

وان هذا الاتقان يتطلب العمل بروح الفريق الواحد في المجتمع المسلم فيكون تقديم المصلحه العامه علي المصلحه الشخصية وان يحب الخير للناس ويمد إليهم يد العون والمساعدة ولايكذب ولايحسد ولايضر بالآخرين ولايغش فيسود المجتمع الاحترام والقدرة علي مواجهه التحديات والصعوبات والمخاطر بشعور فريق العمل الواحد المشترك

الأمر الرابع

أن المولي سبحانه وتعالى يريد أن يغرس في نفوسنا الاحساس بعظم العمل الصالح الذي يكون خالصا لوجه الله ليحثنا علي حسن والتسابق والتنافس علي اتقان العمل فذكر الله جواب الشرط (فله أجره عند ربه) افرد الضمير بينما ذكر بعدها صيغه الجمع (فلا خوف عليهم... الخ فأراد بهذا الافراد الذي جاء منسجما مع أسلوب الشرط (من أسلم وجهه لله وهو محسن) ذكر الجزء المكون من شطرين (فله أجره) غرس قوه حب العمل الصالح بأنه لن تضيع أعماله فهي تصل إلي الله تعالى ثم ذكر العنديه (عند ربه) ليغرس الشوق في النفوس الي لقاء الله والاشتياق للجنه بمعرفه أن ثوب اسلام الوجه لله تعالى له مقام التشريف فذكر عند ربه... ايذنا بقوه ارتباطه بالعمل شوقا الي لقاء الله وذلك يزوده بقوه تدفعه إلى العمل الصالح والزهد عن الدنيا بالنظر إلى ماينتظره عند الله فلا يبالي بالمتاعب فهذا يتغذي من الاتصال الروحاني ب الله بالأعمال الصالحة والإخلاص لانه يعلم باليقين الجازم أن ترتيب الثواب و الجزاء يكون مرتبطا بالعمل الصالح والإخلاص فلا وساده ولا محسوبيه وهو ما يفهم منه أن الادعاء بالغرور والأ ماني الفارغه الكاذبه توصل صاحبها الي نار جهنم

*

كما أن ذكر صيغه الجمع بقوله (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) بعد الأفراد فهذا فيه بيان أن أول أمر يكون تربيته الفرد فهو أساس بناء المجتمعات وبعدها يكون تربيته المجتمع كله وبيان أن العمل الإسلامي يتطلب أن يكون هنالك عمل جماعي بروح الفريق الواحد فلم تأتي نصوص تزكيه النفس لتجعل الناس يعيشون في عزله فلا بد من الاجتماع وانه مثلما اجتمع أهل الكفر حول فكره كراهيه الحق ومحاربتة فإن أهل الإيمان لابد أن يجتمعوا حول فكره محبه الحق ونصرته ف الله سبحانه وتعالى مثلما أنه جعل للشر أنصار واهل فقد جعل لاهل الحق أنصار واه لا ولما كان المولي سبحانه وتعالى قد ذكر تركيبه كل فريق من أهل الشر واجتماعهم حول امنيه واحده وهي الرغبه في اعاده المسلمين الي الجاهلية جاء بهذا الجمع الذي فيه الرد على كل من بني عقيدته علي الاماني سواء كانوا من اليهود والنصاري أو من فرق المسلمين التي تحذوا حذوهم فهي لاتختلف عنهم في الابتداع وصناعه مناهج الاماني الكاذبة كما نري حال الكثير من الطوائف الإسلامية اليوم

ف الله يقول لنا أن اللازم علينا أن نفهم المهمه وندرك أبعادها والمسؤولية الملقاه علي عاتق الفرد والجماعه فليست الجنه طريقها الاماني بالانتساب الي الانبياء والصالحين فكل واحد مسؤول عن نفسه ف جاء أفراد اسلوب الشرط بأن الطريق الموصل الي الجنه يكون بالعمل الصالح الذي يكون به رضوان الله بلا إفراط ولا تفريط ولا مغالاه ولذلك أضاف العنديه عند ربه اشاره الي عنايه لهم عند الله تعالى وإن هذا المنهج فيه تربيته لهم لبيان ان مصدر الرجا يكون بالارتباط ب الله والنظر أنه سوف يحاسب عن أعماله ففقه الايمان والعزم والتوكل على الله والثقه ب الله وا لاطمئنان بذكره يعطينا التوفيق والاهتداء الي قانون التعامل مع الازمات فلا يكون إنكار الحق وانما القبول به فهذه عنايه الله وهدايته الخاصه للذين يتصلون به من عباده دون النظر إلي انسابهم لمن أخذ بأسباب الهدايه

الخاصة فإن الله يوفقه ويصلون الي السلامه والنجاه والفلاح والسداد والأمان

أما الكفار فهم يعيشون في خوف وقلق في الدنيا والآخرة لانهم تصورا أن الراحة والسلامه في الحصول على الجاه والسلطان والمال فهذه ليست فيها قوه فهم يعيشون في قلق وخوف علي المستقبل

المبحث الرابع

(وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود علي شئ وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لايعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامه في ما كانوا فيه يختلفون)

ذكرت الرؤيات أن سبب النزول هو الخلاف الذي حصل بين اليهود والنصاري عند قدوم نصارى نجران الي المدينة المنورة حيث اشتد بينهم الجدل والنقاش والتنازع فانكرت اليهود أن تكون النصارى على شئ من الحق أو الخير أو الهدايه يقصدون أنهم في ضلال وانحراف وباطل وشر وبالمقابل كان رد النصاري بالمثل أن اليهود في باطل وشر وبعد عن الحق وأنه لافايده ولامنفعه ولاحق لهم فنزلت الآية

وبالوقوف والتأمل علي ماتحمله النصوص نجد أنها لها مدلولات تستدعي عدم التوقف علي مساله الخلاف الذي وقع بين اليهود والنصاري في المدينة وذلك لأن تناول النصوص جمع اليهود والنصاري والمشركون في حكمه العادل الذي سوف يفصل به بينهم يوم القيامه بقوله (فالله يحكم بينهم يوم القيامه في ما كانوا فيه يختلفون)يفهم منه أن مصيرهم جميعا هو جهنم وهذا الحكم ورد بعد بيان الاختلاف والتنازع والافتراق بين أصحاب الملل واختلافهم فيما بينهم فقال تعالي (وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود علي شئ)وتصوير حالهم في المبالغه الشديده لهذا الاختلاف والتناكر والتكذيب فكلما منهم يطعن بالآخر وهم يتلون الكتاب اي مع العلم بالكتب السماوية مبينا أن حالهم حصل فيه انحطاط الي مستوي الاندماج مع الجاهلاء الذين لايعرفون العلوم الدينيه من العرب وغيرهم (مثل قولهم)

ولهذا فإن جمع هؤلاء جميعا بالحكم الإلهي جاء مرتببا بما قبله من النصوص فبين سبب الجمع بينهم بالحكم لاز اله اللبس الذي قد يقع فيه البعض فيقول كيف يكون جمع الأطراف المتنازعة في الحكم لأن المتداول في التعامل البشري أن الحاكم عندما يحكم بين الأطراف المتنازعة يبطل دعوي الباطل ويحق دعوي المحق لأن الخلاف يقتضي أن يكون أن يكون هنالك طرف علي حق وطرف علي باطل في أي مسألة يثار بشأنها نزاع وان العقوبه تكون علي المخطئ والثواب لمن كان صائبا بينما هنا جمعهم في العقوبه مع ذكر افتراقهم واختلافها ولهذا ذكرنا أن جمع هؤلاء بالحكم له سبب مرتبط بما قبلها من الآيات وبالتالي فإن هذا يستدعي البحث عن هذا الارتباط بين أجزاء النصوص من خلال التأمل لتاريخ الأمم والنحل والمال والطوائف التي تكلمت عنها النصوص أو من سوف يسلك طريقهم في العقائد والأعمال من الفرق المختلفه والطوائف لبيان مصير هؤلاء المشترك بأن كل من بني عقيدته علي التقليد والعصبية واتخذ الدين طريقا للوصول إلى المصالح الذاتية واستغلال الجماهير باسم الدين وارده الميل إلى الشهوات والملذات وارده تطويع الشريعة لتلك الرغبات فإن هؤلاء جميعا تجمعهم تلك الأشياء التي هي نيران تشتعل في النفس فمصدر النيران من اعمالنا وتنتقل معهم الي الآخرة ولهذا جمعهم الله في المصير والحكم الذي يفصل بينهم يوم القيامه بشأنهم فجمعهم كلهم في نار جهنم فالمسألة تتجاوز نقل ماحدث بين يهود ونصاري نجران حيث من خلال البحث عن ارتباط النصوص بما قبلها نعرف سبب الجمع لهم بالحكم أنهم في جهنم ويتضح ذلك من خلال الآتي

الأمر الأول

أن الجملة استثنافيه لها ارتباط بما قبلها فالوا استثنافيه (وقالت)والجملة سبقت لبيان جهالتهم المتاصله في نفوسهم فذكر الله اختلافهم وتفرقهم وهو التناكر والتكذيب والتضليل بطعن كل فريق بالآخر فقال تعالي (وقالت

اليهود ليست النصرى على شئ وقالت النصرى...الخ

بعد أن بين الله ابطال دعوي اختصاصهم بالرحمة دون غيرهم ومازعموا من القول بحرمان المسلمين من الجنة وأثبت الله استحقاق الجنة لكل مخلص صادق بالتوجه بالعمل لله تعالى واحسن العمل باتباع منهج الله فهو لا لهم السلامة والنجاه والأمان ودخول الجنة (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)لنفي الوساطه والمحسوبيه وأنه لا قيمه لها ولا الانساب ولا الألقاب اذا لم يسلك العبد طريق (من أسلم وجهه لله وهو محسن)

فاتبع ذلك بذكر مايفرقهم بعد ذكر مايجمعهم بأنهم بنوا عقيدتهم علي الاماني الكاذبة ومحاربه الاسلام والطعن بـ الرسول صلى الله عليه وسلم واعرضهم عن الإيمان فالحكم جاء متعلق باختلافهم وان فيه مخالفه الحق فهو القاسم المشترك الذي جمعهم بعد أن علموا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه حكم لكل مغرور ولكل اعتقاد باطل وحكم لكل من أراد تطويع الشرع للمصالح الذاتية وحكم لكل من فسدت مقاصدهم واتبعوا الاباطيل والأوهام والخرافات والأمانى الفارغه الكاذبه بأن مصيرهم كلهم جنة لانهم اجتمعوا على الباطل ف الله قد أخبرنا بشروط استحقاق الجنة في الجملة قبلها (بلي من أسلم وجهه لله وهو محسن ..الخ

فهو لاء لم يكن قصدهم التمسك بالاديان والصلب منهم عباده الله تعالى والانزعان والتسليم لله في كل شؤونهم فهم عندما يجادلون بالتشدد بالدين والانتساب إليه سواء فيما بينهم أو في مواجهه الحق إنما يهدفون من خلال ذلك الي استغلال الدين ليحجزوا ثمرات المصالح والجاه والرياسه والسلطان

*

يقول الله لنا أن اظهار هولاء المبالغه في محبه الانبياء والصالحين لايقصدون بذلك اتباع أمر الله واتباع ماحمله الرسل والأنبياء والصالحين وما جاء في الكتب السماوية اوحتي القران بل يهدفون من خلال ذلك الي استغلال الشعوب باسم الله والدين والرسل والصالحين

ولهذا فإن هولاء جميعا مصيرهم الي نار جهنم لأن أهل الحق مصيرهم قد بينته الايه قبلها وهو الجنة وقد أوضحت شروط استحقاق الجنة (بلي من أسلم وجهه لله وهو محسن)ولهذا اتبع ذكر مصير الذين رفضوا التسليم والانزعان والقبول بأمر الله تعالى بأنهم جميعا في جهنم

الأمر الثاني

أنه سبحانه وتعالى يقول لنا أن الحكم باستحقاق هولاء جميعا للعذاب في جنة متعلق باختلافهم عن الحق لا باختلافهم فيما بينهم البين فالجمع بالحكم متعلق باجتماعهم علي محاربه الحق والطعن بالرسول صلى الله عليه وسلم وهذه الأسباب هي ذاتها التي فرقهم فيما بينهم البين لأن الاعتقاد بالباطل يجمع أهله علي الاماني الباطله وتزين الأعمال فعيش أهله في سكر الأوهام والتردي في مهاوي الضلال وهويري أنه يحسن صنعا فالاختلاف هنا بين هولاء ليس فيه طرف محق وانما الجميع علي الباطل ولكن مبعث هذا الاختلاف والجدل هو الأمانى الباطله التي جمعتهم ضد الحق (فيما كانوا فيه يختلفون) وأستعمل الفعل المضارع(يختلفون) لبيان استمرار أوصاف هولاء في محاربه الحق الي قيام الساعه فجمعهم كلهم في الحكم أنهم في نار جهنم

الأمر الثالث

أن منطوق الحكم الذي جمعهم في العقاب جاء مسبقا بالأخبار ببيان وقائع وأسباب اشتراك هؤلاء بذلك المصير فذكر الله قول اليهود أن النصارى ليست علي شيء من الحق وهي محقة في قولها...والمراد بهذا إثبات أنهم جميعا قد انحرفوا عن الحق فالله يقول لنا أن كل طائفة منهم قد أنكرت علي الأخرى أي شيء من الحق وأي شيء من البراهين مع أن كلا منهما كان قبل ذلك علي شيء من الحق ولكن التقليد والعصبية والحسد أوصلهما إلي مرحلة التخلي عن ما كان لديهم من حق ولجاوا إلي بناء العقيدة علي الاماني الكاذبة فأصبحوا في جهالة وكان العيب الذي حصل منهم وهم أهل كتاب يمثل جريمه كبيره بحق أنفسهم ولهذا أصيبوا بالانحطاط الي مستوي التسويه لحالهم مع علمهم بمستوي وحال الجهله الذين لايفقهون شيئا من الدين

فقد وحدهم الله في فساد العقائد وذكر الحكم الذي جمعهم في العقوبه لانهم كلهم قد انحرفوا عن الحق

فقال تعالي (ف الله يحكم بينهم يوم القيامه في ما كانوا فيه يختلفون)

*

ان المسأله ليست متروكه لاحكم فيها....وان الله هو الحاكم العادل الذي لا يخفي عليه شيء وحكمه هو العدل وأنه لن يحكم فيها الأهواء التي تسيطر عليكم فقال (ف الله يحكم) أنه يحكم بحكم العدل الإلهي الذي يعلم أحوال العباد وحكمه الفاصل فهو العادل ومالك يوم الدين

*

ويخبرنا المولي سبحانه وتعالى أن اختلافهم وتفرقهم فيما بينهم سوف يتكرر الي يوم القيامه فاستعمل الفعل المضارع (فيما كانوا فيه يختلفون)

والتصوص فيها

الجدل مع هؤلاء هو جدل عقيم لانهم لا يجادلون من أجل إظهار الحقيقة بل تعصبا مع الأمانى الكاذبة واتباع الهوى فقد انحرفوا عن الحق وهذا بعد ذكر ما فيهم من دعائم الكفر..بعد بيان أن بناء العقيدة علي الاماني الكاذبة كان نتيجة التعمق في طلب الاسرار في الكتب الشيطانيه والسحر والشقاق بمخالفه الحق الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا كان منهم الميل والحيدان نحو الشهوات والأهواء ثم ذكر التنازع في الجدل بالباطل وذلك للاتي

المفهوم الاول

لتسليه خواطر المومنون بأنه إذا كان حالهم فيما بينهم بهذا التعادي والتكذيب والتناكر فإذا كانت اليهود قد أنكرت بنوه عيسى المبشر به في التوراه والذي انتظروه طويلا لاستعادة الملك فكذبوا بالانحيل وكذلك حال النصارى مع اليهود فلا غرابه أن يكذب هؤلاء جميعا بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالقران بعد أن انتظروه كثيرا فهم قد رموا الكتب السماوية وراء ظهورهم و أخذوا بالكتب الشيطانيه وتعمقوا في طلب الاسرار بقراءه كتب السحر ولهذا فقد بنوا عقيدتهم علي الاغترار بالاماني لا اكثر ويحتجون بما لا صحه فيه ويتبعون الهوى والظن

يقول للمومنين أنه لا عبره في اجتماع المشركون باقاول اليهود والنصارى فهم قد اجتمعوا علي محاربه الحق مع

المشركون فلا مصداقيه لهم بحصول ذلك... لأن ذلك الاجتماع وحدهم علي الكفر فجميعهم بالاخير كفارا فكيف يعتد بكفر هولاء بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو من شعب غير شعبهم وجاء بشريعه ناسخه لشريعتهم وهم لا يفهمون من الدين إلا أن يكون جنسيه تمنحهم الامتيازات

المفهوم الثاني

يخبرنا الله تعالى أن اصل الديانات السماوية واحد وهو التوحيد والحق ولكن اتباع الهوى والميل للباطل هو الذي ادي الي انحدار هولاء الي منعطف الي مستوي الجهله..والحيدان

عن الحق والابتعاد عنه

والمراد بهذا لفت انتباه المخاطبين الي استنشعار حقيقه ان بداية الابتعاد عن الحق يكون بالتعصب والاعجاب بـ الراي القائم على الهوى وحصول الانقسام في الامه الي فرق متناحرة تدعي كلا منها أنها الفرقة الناجيه (وقالوا لن يدخل الجنه الا من كان هودا أو نصاري...الخ

والله يحذرنا من طريق المغضوب عليهم والضالين فيقول لنا أن ما طرأ على الأمم السابقة من نزعات وتحريف وأعراض وتاويلات فاسده أو صلها في النهايه الي الحضيض ومتجرده من كل حق كأنها لم تحظي بشي من العلم الديني والكتب السماوية فقد فعل بتلك الأمم اتباع الهوى والعصبية والتقليد أن عوقبت بالحرمان من نعمه العلم وصارت في حاله من الجهل لاتقل مرتبه في الهبوط والانحدر نحو الجاهلية عن المشركون الذين لم يحفظوا باي علم اودريه

المفهوم الثالث

أن المولي سبحانه وتعالى يريد أن يلفت انتباه المخاطبين الي خطوره الانقسام الي جماعات ومذاهب متفرقه ومايترتب عليه من الشقاق والجدال والتنازع والافتراق ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يوصف لنا صورته لمشهد ترسم معبر عن ذلك فقال تعالي (ليست علي شي....الخ

فالصيغه فيما قالت اليهود ضد النصاري والعكس جاء فيها التنكير (شي) لبيان عموم نفي الخير والحق والأشياء الحسنه

الطيبه التي ترفع صاحبها الي مقام عال من الانسانيه الكامله

اي نفي اي شي من الحق واي شي من الكرامه واي شي من الانسانيه والرفعه

اي أن كلا واحد منهم يصف الطائفه الأخرى بأنها تخالف الحق وتخالف الرقي والتقدم والازدهار والارتقاء والنهضة للإشارة إلى عدم وجود أي قاعده يلتقي حولها هولاء للتعايش فلا يوجد قانون لديهم للتمييز بين الحق و الباطل في الاخبار والأعمال لدرجه انك تشاهد استحالة اجتماع هولاء علي قاعده مشتركه يكون فيها البناء و العمران الأخلاقي الذي يربط الحضاره الماديه بالقيم والمبادئ الروحانية وهولاء اذا سمعوا شي عن بقيه الطوائف الأخرى فإنهم ينكرون عليهم ذلك دون وجود قاعده يستندون عليها في انكارهم ولا معيار ولادليل لديهم يفرقون به بين الحق والباطل سواء ارده التغلب علي الآخرين ولذلك يحذرنا الله من الانقسام والعصبية فقال تعالي (ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون)

وهو ما حصل فعلا بأمه الاسلام حيث تمزق المسلمون الي جماعات ومذاهب متفرقه كما كان حال اليهود والنصاري فحلت النقمه بهذه الامه

المفهوم الرابع

أن الايه الكريمه فيها ارشاد الي خطوره التقليد الباطل فالايه جاءت امتداد لقوله تعالى (هاتوا برهانكم... الخ

حيث أن الايه قبلها جاءت تناقض اهميه تطابق منطوق الحكم مع الدليل ومقاصده فلا يحكم الا بمستند وهنا جاء التوجيه الي التحري والتحقيق والتفحص في الحكم علي الشي فلا ينبغي إقبال بالقول وإطلاق الحكم علي الشي الا بعد التحري والبحث ومعرفه مكان الخطأ والصواب وتنزيل ذلك بناء علي ما يقدم امامك من اداله سليمه وبناء علي ما يطرح امامك من وقائع ومعرفه تلائم وارتباط الاداله والبراهين مع موضوع ووقائع القضية ومعرفه أحوال وظروف الخصوم وملابسات الوقائع لغرض معرفه الحق والاحاطه لفهم وإدراك الحقائق وهذا يتطلب وجود العلم والمعرفه بكل شي متعلق بذلك والأمر يتطلب اعتدال النفس وبعدها عن الأسباب التي تمنع الرؤيه للحق

لأن الخبر يحتمل الصدق ويحتمل الكذب فإذا كان المرء لديه مرجعيه وعلوم يرجع إليها لمعرفه ونظر صدق الخبر من كذبه فإن استعمال هذه العلوم تكون مرشداً ودليل عمل وتعامل توصله الي الحقيقه لأن النفس في حال اعتدال فهي تعطي الخبر حقه في التمحيص والنظر حتي يتبين صدقه من كذبه

ولهذا نجد أن النصوص تبين لنا أن ما أفسد العمران والاجتماع في الأرض هو حاله التوحش والعصبيات واصنافها من القوميات وارده تغلب البشر بعضهم البعض وان حاله التشع للرأي والمذاهب والأحزاب والطوائف يولد حاله سوء التفكير في العقول لأن النفس إذا خامرها تشيع للرأي فإنها تقبل بما يوافقها من الاخبار دون تردد ولهذا فإن هذا التشيع والميل يكون سببا خطيرا لإفساد التفكير والإدراك فهو يشكل غطاء علي عين بصيره المتلقي يمنعه من استعمال ملكات الانتقاد والتمحيص فيقع في قبول الكذب ونقله وان من دواعي زياده هذا الجهل وتمكنه من السيطرة علي النفس هو الثقه بالناقلين الذي يجهلون مقاصد الادله في الغالب والذي يبني حكمه علي الظن و التخمين فيكون هذا الجهل سببا لتطبيق وقائع شابهة التلبس والتزين للباطل فنجد هولاء يتناقلون اخبار يستحيل قبولها من عاقل وصاحب علم ولهذا يخبرنا الله أن الاماني أوصلت هولاء الي مستوي ادني واحقر من الوثنيين الذين لم يحفظوا باي علوم ديننه(وهم يتلون الكتاب)

ولهذا جاء النص فيه ذكر الذم لهؤلاء وتحقير شأنهم للاتي

١

أن الواو حاله فهو يصور حالهم القبيح بأنهم تفرقوا وصار كل فريق ينفي علي الآخر العلم مع انهم أهل كتاب قد أنزل الله عليهم كتب سماوية وأرسل الرسل والأنبياء

٢

النص فيه تصوير حالهم ويرسم سوء التفكير لديهم (وهم يتلون الكتاب) اي يقرونه وهم يعلمون ما فيه من الميزان بين الحق والباطل وبين ما يرضي الله وما يغضبه وبين ما يرفع وما يخفض

٣

بيان أن هذا النوع من الناس لم يعد الكتاب يحكم حياتهم بل إن ما يحكمهم هو هوي النفس فصار ينظرون إلى الحق من باعث الهوي فكان الرأي والمزاج هو اداه اصدار الأحكام فحصل تشويش أذهانهم وكان نتيجة ذلك التفرق والاختلاف لأن الحق ثابت ويجمع الناس....بينما الهوي يفرق..والحق يهدي بينما الهوي يضل

وقد اضل الهوي هولاء لدرجه انك عندما تسمع حديثهم تتصور أنهم لم يوتوا حظا من العلم ولم يرسل إليهم رسول

واحد فتري أقوالهم مطابقه لأقوال المشركون الذين لم يحفظوا باي علوم أو اديان لاجتماعهم علي الهوي والشهوات والملذات التي صارت مرجعية لهم لا صدار الأحكام فكل حزب بما لديهم فرحون

فاللّٰه يقول إنّ هؤلاء قد اتحدوا مع الشرك وأهله عن علم ضد الإسلام واختلفوا فيما بينهم فكانوا أقرب من الأميون الذين لا يعلمون وهؤلاء لا عذر لهم

مبيناً أن تفرقهم يعود لانهم بنوا عقيدتهم علي اصول تعظيم التقليد والعصبية فهذه هي القاعدة الأساسية لجميع أهل الكفر من أولهم الي آخرهم فقال تعالي (كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم) فأشار (كذلك) بنسبه القول بـ المثل في المودي والمحصل بأسلوب فيه الاستخفاف بقولهم (مثل قولهم) لبيان ان التعصب الديني والمذهبي و القومية التي جعلوها جنسيه وزعموا أنها هي التي توصل الي النجاه والسلامه هي التي جعلت كل طائفة تدعي أنها الفرقة الناجيه ولهذا نجد أن اللّٰه سبحانه وتعالى يبين أنه يرد تلك الأقوال والمزاعم وان الحق له طريق واحد هو الايمان الخالص ولاعلاقه له بالاسماء والالقباب وان هؤلاء جميعا علي باطل لأن الباطل له طرق متعدده لكن يجتمعون في المصير الذي يتحدون به وهو أن اختلافهم كان فيه توحيد واجتماع حول هدف كراهيه الحق فذكر الحق سبب الحكم عليهم بعد بيان أنهم منحرفون كلهم فاستحقوا العقاب في نار جهنم

القسم الثالث

(ومن اظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعي في خرابها اولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخره عذابا عظيم ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله أن الله واسع عليم وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون بديع السموات والأرض اذا قضي أمرا فإنما يقول له كن فيكون وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا ءايه كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الايات لقوم يوقنون)

اولا

أنه وبالرجوع الي ما انشغل به اغلب المفسرون بخصوص هذه الآيه (ومن اظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه... الخ نجد أنهم ابتعدوا تماما عن المسائل التي تناقشها النصوص فيما لاطائل له لدرجه انك لاتجد مبررا معقولا لماذهب إليه علماء إجلاء امثال العلامة الجليل ابن جرير الطبري الذي ذهب للقول بأن بني بختنصر البابلي قاموا بهدم بيت المقدس وجعلها مكانا للجيف بإيعاز من النصاري الحاقدين علي اليهود وهذا القول يتعارض مع تاريخ غزو بختنصر البابلي بيت المقدس الذي كان قبل بعثه عيسي عليه السلام فقد غزا بيت المقدس ثلاث مرات أولها ٦٠٦ق:م وأسر اليهود ثم تبعها غزو بعد ذلك بثمان سنوات وآخرها عام ٥٨٧ق:م ولم يكن عيسي عليه قد ولد في ذلك الزمان اصلا ولم يكن هنالك نصاري

ومنهم من ذهب للقول ان المقصود بها المشركون لانهم منعوا المسلمين من العمره و الحج في الحديبيه وهذا القول غير صائب لأن نزول الآيه سابقه علي واقعه الحديبيه فضلا عن أن المشركون كانوا يتفاخرون بعمارته الكعبه فلم يسعوا الي خرابها المادي ف الله يقول في موضع آخر (اجعلتم سقايه الحج وعمارته المسجد الحرام.. الخ

ومنهم من قال انها متعلقه بواقعه تحويل القبله وما حصل من اليهود من اذيه المسلمين واستدلوا بقوله تعالي (ولله المشرق والمغرب) وهذا القول يتنافي مع زمان النزول للايه كونها كانت في وقت كان المسلمون يتوجهون بالصلاه الي بيت المقدس فهي قبل واقعه تحويل القبله

ولهذا فانه بالوقوف علي مدلالات الآيات نجد أنها تناقش المسائل الاتيه

المبحث الأول

انها تتحدث عن اثار العصبية الدينيه وكذلك العصبية الوثنيه واثارها علي الحياه الدينيه والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية فعندما يكون اسس بناء العقيدة علي فكره الأشخاص أو التعصب أو قوميه الفكره بحيث ينظر إلي الدين أنه جنسيه قوميه كما حصل من اليهود الذين تعصبوا للديانه اليهودية وللتوراه ليس لأجل اقامه الحق وعباده الله بل نظروا إليها من زوايه أنها جنسيه تمنحهم الامتيازات فأقاموا عقيدتهم علي أنهم شعب الله المختار وانهم سوف يدخلون الجنه باعتقاد فاسد وهو انهم ابناء الله واحبائه وكذلك كان شأن النصاري قائما علي ذلك الاعتقاد والتصور الفاسد وهذا هو شأن المشركون الذين كانوا يدعون أنهم ينتسبون الي اسماعيل بن ابراهيم

ولهذا جاءت الآيات بعد أن تناولت النصوص قبلها تفنيد اوهام اليهود والنصاري وابطلت ادعاءتهم انه لايدخل الجنه الا من كان هودا أو نصاري واوضحت النصوص كذب تلك المزاعم وأنه لاوساطه ولا محسوبيه ولا محاباه في ميزان الحق فقال تعالى (بلي من أسلم وجهه لله وهو محسن)

لنفي مزاعم وأوهام وظنون أهل الكتاب واتبع ذلك بذكر ما يجري بينهم من خلاف وتكفير بعضهم لبعض وان المشركون يفعلون فعلهم ويقولون قولهم فذكر اجتماع أهل الكتاب والمشركون معا في ذلك لبيان ان أساس عقيدة العصبية والقوميات سواء كانت عصبية دينيه أو وثنيه واحد فهم يجتمعون حول أمر مشترك وهو الاماني الباطله والكاذبه وان تلك الاماني تتغذي منها النفوس ومنها تولد فكره عدم احترام حقوق الشعوب الاخرين والأقليات وتغرس في النفوس الاستعلاء بالباطل واردة التغلب ويجمعهم محاربه الحق والاعتداء علي بيوت الله التي اختصها للعباده

فالحق سبحانه وتعالى يلفت انتباه المومنين الي مطالعه الامثله التاريخيه والنماذج السابقه في صفحات التاريخ لاثار واضرار العصبيات والقوميات اين كانت شعاراتها و الدكتاتوريات عندما تسود حيث أنه عندما يتم مصادره حريه الفكر ويتم وضع فكره يلزم الناس علي اعتناقها علي انها دين أو نظام حياه ويمنع اعتناق أي فكر أو دين آخر انظروا الي المجتمع عندما تسود العصبية فإنها تكون سببا في ظهور اشد انواع الاستبداد والظلم

فقال تعالى (ومن اظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه)

ولهذا فإننا نفهم من النصوص الآتي

اسمة....(وهنا نفهم من النصوص الاتي:

الامر الاول:

ان الله يحذرنا من العصبية الدينية التي تجعلنا لانقبل الاخرين ويتم استفراغ طاقتنا والحماس فى الجدل من اجل والجدل لأجل اظهار قوة الجدل لا لإجل اظهار الحق كما اخبرنا عن قول اهل الكتاب)وقالت اليهود ليست النصرارى على شئ(فا الصراع عندما يكون باسم الاديان من اجل الانتصار للجنس او القومية او اللون فان هذه المظاهر من اسباب ١- فقدان العلم فاخبرنا الله ان اهل الكتاب فقدوا قوه العلم واصيبوا بالجهالة فهبطوا الى مستوى اقل من الجهلاء الذين لم ينالوا حظا من علم الاديان (وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم)

٢- ثم يبين لنا ان الجدل بالباطل والتعصب للرأي واراده فرضه على الاخرين تحت شعارات القومية والعصبية يؤدي الى غرس اراده العلو في الارض وقمع الشعوب وارغام الاخرين على اتباع الفكرة التي يعشقها ان وصل الى السلطة.... وان لم يصل فانه يولد في نفسه الحقد والكراهية للأخرين والسعي بشتى الوسائل لهدم مقدسات الاقليات ولو بالاستعانة بالطغاة والمجرمين وتقديم التنازلات لأجل اتباع رغبة الانتقام ويخبرنا الله تعالى ان هذا النوع من الظلم هو اقبح واشد انواع الظلم ولهذا نفهم ان افتتاح الايه بالواو الاستثنائية وما تبعها)من الاستفهامية التي تنفي الاستنكار بمعنى النفي بان اشد واقبح انواع الظلم هو ذاك الظلم الذي يستهدف ارغام الاخرين على اتباع فكره معينه والوقوف في محاربه الحق تحت تأثير القوميات والعصبيات... ولهذا نجد ان العطف على ما سبق:

ليبان ان النماذج لبشاعه هذا الظلم الناتج عن العصبية الدينية عندما تنحرف ففي التاريخ

نماذج متعددة للاضطهاد مثل اضطهاد اليهود للمسيحيين ومنعهم من اداء الشعائر التعبدية الخاصة بهم وما تعقب ذلك من الجاوا

المسيحيين الي تطمس وقسطنطينيين الوثني وقاموا بتهدية ذلك الملك ضد اليهود وجعلوها يغزوا بيت المقدس ويهدمها ويهدم الهيكل ومنع المؤمنين من دخولها ومن اداء الشعائر الدينية الخاصة بهم فا الحقد والعصبية جعل النصارى يساعدون الوثنيون لهدم مساجد ومعابد اليهود قال تعالى) وقالت النصارى ليست اليهود على شيء(

وكذلك ما حصل من ابرهه الحبشي الذي حاول هدم الكعبة المشرفة بأرادته العلو في الارض وكذلك قيام المشركون بوضع ا لاصنام داخل الكعبة وينسبونها الى اسماعيل عليه السلام وهذا ظلم لان الشرك) ظلم عظيم(كما ورد على لسان لقمان عليه السلام وهو يوصي ابنه الامر الثاني:

ان الله يخبرنا ان اختلاف الاديان لا ينبغي ان تجعلك ترغم الاخرين على اتباع دينك ولهذا يجب الابتعاد عن الجدل والنقاش العقيم الذي لا طائل له اذا خرج عن القواعد الأساسية التي يمكن ان تشكيل نقطه حوار ولقاء غايتها معرفه الحقيقة اما اذا كان الجدل يهدف الى التعصب للفكرة بدون برهان ولا دليل فهذا يكون جدل الجهلاء لا داعي له ويجب احترام مقدسات الاخرين واحترام امورهم وشعائرهم وترك الجدل معهم قال تعالى) فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون(اي لا اكراه في الدين وانما حوار) هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين(له قواعد واصوال لا تعصب وادعاءات باطله) كما قالوا كذبا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى(فاذا كان الحوار قد خرج عن اطار القواعد العلمية الى الجدل العقيم فيجب التوقف عنه وترك هؤلاء ومعتقداتهم وافكارهم فالله هو الذي سوف يحاسبهم يوم القيامة وحكمه العادل....

الامر الثالث:

يخبرنا الله تعالى ان احترام الاقليات ومعابدها ورموزها امر يجب على المسلمين وهو امر يقتضيه حق العدل الذي تقوم عليه

الدولة في حمايه حقوق الرعايا واحترام حقوقها واديانها فيقول
الله لنا ان هؤلاء الذين جمعهم الله في الايه)وقالت اليهود
(ليست النصرى على شيء....)

ينبغي احترام معتقداتهم وحمايه معابدهم وعدم اذيه ايان منهم و
التعايش معهم لكن هؤلاء لا ينبغي ان تسمحو لهم بالاستيلاء على
الدولة ومراكز القوه والتمكين)اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا
خائفين(لان هؤلاء لا يصلحون للخلافة والقيادة لان الخلافة تقوم
على امرين) العلم والعدل(فالإنسان خلق ظلوما جهولا ولهذا لحمل
امانه الخلافة ينبغي ان يقوم الخليفة بإزاله الجهل والظلم... فذكر
الله ان هؤلاء قد سلبوا العلم) وهم يتلون الكتب كذلك قال الذين لا
يعلمون مثل قولهم(فاصبحوا هم والوثنيون متساوون لا علم لهم
وكذلك ان الاحقاد والعصبية قد ولدت فيهم كراهية العدل والحق
لغيرهم لدرجه ان وصلوا لمستوى كراهيه ان يذكر اسم الله وانهم
يسعون جاحدين لمنع غيرهم من ذكر اسم الله... يسعون الى التجبر
والاعتداء على كل ما هو مقدس ولهذا نجد انه تعالى اصف الجمع
الى المساجد للاشارة ان ذلك اعتداء... وان هذا الاعتداء هو
اعتداء على الله لان المساجد مخصصة لعباده الله ومنع ذكر الله
فيها هو اكثر الآثام ٢- ان التعصب للفكرة اوصلت هؤلاء الى الظلم
بالشرك بالله والظلم بانتهاك بحقوق الاخرين ولذلك قال)وسعى
في خربها(ولم يقل تخربها لان المراد بهذا كله جهدا يبذل سواء
للتدمير المساجد او السعي كي يخلوها من العبادة الحق فلم يقل ت
خربها او كما قال عن اليهود) (لان خراب البيوت يكون اذا
خلا من السكان ولهذا فان خراب بيت الله يكون من تعطيل
العبادات المخصصة فيها

٣-ولمنع جاء استعمل لفظ المساجد) مساجد الله(للفظ الشمول
للتحكم والجمع يدل على ان المنع ظلم على جنس المساجد ولا
يختص بأحدهما ٤- ان الايه فيها اختبار لما ماضى وما سوف
يحل في المستقبل اذا سمح لهؤلاء ان يصلوا الى مركز القرار فى
الدول منهم نتيجة العصبية التى فيهم سوف يهدمون المساجد

ويمنعون الصلاة فيها فالاختيار هنا بمعنى الطلب (اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين)

اي لا تمكنوا هولاء اذا قدرتم من الوصول الى مراكز القوة التي تمنحهم السلطة والاستيلاء على مفاصل الدولة فهم اذا تمكنوا من ذلك سوف يمنعونكم من ذكر الله في المساجد ويهدمونها وفعلاً هذا ما حدث بدخول المغول بيت المقدس وهدمها وما حصل من القرامطة الذين هدموا الكعبة ومنعوا الحج فيها.... وما يحصل في القدس المحتلة اليوم.... وما يحصل حاه في المجتمعات العربية الخاضعة لسلطات ظالمة والتشكيك الحاصل من قبل الفرق الاسلامية ببعضها البعض وهدم المساجد ودور القراءن و غيرها تحت تأثير العصبية المذهبية والفكرية ويخبرنا الله ان المسلمون هم بينون المسجد النبوى بالمدينة ان الهدف منة هو ذكر الله تعالى.... ليس المراد من بناءه العصبية كما كان حال اليهود والنصارى واهل مكة من المشركون الذين اتخذوا بيت المقدس والكعبة مركز للتفاخر وعمارتها بالأفكار الظلامية والاجرامية فذلك امر غير مقبول.

فالمساجد ينبغي ان يكون دخولها خوفاً من الله تعالى لانها بيت الله فلا يتجرأ العبد على منع ذكر الله في بيته اوهدم بيت ربه هذه هي ثقافة الاسلام في احترام دور العبادة الامر الخامس:

ان النص جاء بمناسبة بناء المسلمون دولتهم بالمدينة لان سورة البقرة هي اول سورة نزلت بعد الهجرة فهي لتعريف المسلم بنفسه ودوره بانه خليفة والخلافة تنطلب ان يزيل الظلم والجهل (بالعلم والعدل) ولهذا نجد ان النصوص جاءت منسجمة مع الامور التي اتخذها الرسول صلى الله عليه وسلم من الاخاء بين المهاجرين والانصار ..وبناء المسجد-والمعاهدات مع اليهود ...

ف الله يخبرهم بلفظ العموم (مساجد الله) والمعنى سواء كانوا هولاء المانعون الظالمون اليهود او النصارى او المشركين ام اصحاب

الفيل الذين حاولوا هدم الكعبة او من اتصف بأوصافهم ان هولاء لا يسوغ السماح لهم بالوصول الى مركز القوة والتمكين من امر المسلمين ومساجدهم فهولاء لا يصلحون للخلافة لانهم واقعون في مرض العصبية المنحرفة و اول اهداف العصبية اذا حصل لها تمكين هو هدم اماكن العبادة..

فهى لا تحترم حقوق الاقليات... اما امه الاسلام فهى امه عادلة لأ تكره الناس على اعتناق دين الاسلام وهى امه تحترم الديانات ولا ترضى بانتهاك حقوق الاقليات المخالفة لها بالفكرة والعقيدة بل ان من اهم مبادئ العدل ان تقوم بحماية الاقليات من اي اعتداء او ما يعكر صفاء الاقليات اثناء اداء عبادتها بدليل ان اول اية نزلت بـ السماح بالجهاد ذكرت ان من اهم الاهداف للقتال والجهاد هو رفع المظلومية عن المومنين وحماية اماكن عبادة غيرهم من الاديان قبل حماية المساجد) قال تعالى (ولولا دفع الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات الخ

المبحث الثانى :

ان الله سبحانه ذكر انواع الظلم واشدها بعد ذكر انقطاع العلاقة بين اليهود والنصارى وبين العلم لبيان الافاق الضيقة التى اصابت هولاء لانهم انحرفوا عن العقيدة بالأمانى الكاذبة فقد فقدوا الكنوز والمواهب التى اودعها الله فيهم لانهم فقدوا الاتصال بالله واصيبوا بالجهل لانهم اختاروا العصبية لهم ديناً لانهم خرجوا عن مفهوم الخلافة ومعيارها فى اقامة العلاقة مع الاخرى فقد النور الرباني الذى يجعله يستمد القوة من الله لا النسب وخضعوا للأهواء و الشهوات والعصبية....

فهم قد فقدوا الخلافة وشرفها واذا حصلوا على قوه وسلطان وساس فهى قوه بلا شرف قوه عمياء ترتكب الجرائم والمحرمات و لا تتورع فى هدم اماكن العبادة والتنكيل بالاقليات... فهى لا تلبث ان تحطم نفسها على مذبح عباده الذات او عباده الهواء والاوثان التى تمكن لهم الحياه. فقال تعالى في سوره العنكبوت (مثل الذين

اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن
البيوت لبيت العنكبوت... الخ

وهنا في هذه السورة

قرر الله لهم عقوبة في الدنيا الخزي بعد الاستعلاء والذل بعد الا
ستكبار قال تعالى (لهم خزي في الدنيا)

ف الله يخبرنا ان الذين يتصورون انهم يتحصنون وراء قوه
السلطة والجاه والتمكين اذا وصلوا الى مركز القيادة التي لا ينبغي
ان يصلوا اليها ولكن اذا وصلوا وحصل منهم هدم المساجد ومنع
ذكر الله فيها فان هؤلاء سيكون نهايتهم الذل والخزي والمهانة و
القتل والسبي

وفعلا حصل لقريش في بدر القتل والسبي وحصل لهم الخزي بـ
الفتح المبارك وكذلك حصل لا برهه كما ذكر الله في صورة الفيل
وجعل للصليبيين الخزي والذل والخوف على يد صلاح الدين
فهذه قاعده خالدة ثابتة لنهاية كل ظالم متجبر مستكبر
٢- فالنص فيه الوعد للمسلمين بالنصر والتمكين وتخليص
المساجد من الكفار واما النهي فهي بمعنى لا تسمحوا الكفار ولا
تمكنهم من دخول المسجد اذا قيل انه متعلق بالمسجد الحرام او
بيت المقدس فهذا القول لا يصح لانه في وقف قوه الكفار...
ولكن الايه فيها حث المؤمنين على اعداد انفسهم وبناء دولتهم
ليكونوا جاهزين

لقيادة البشرية ف الله يخبرهم بهذا الوعد... وهي للامه الى قيام
الساعة بالابتعاد عن الانقسام او ان يصيبها مرض العصبيات لان
ذلك من دواعي الشيطان والوهن وفيه الضلال ولهذا يخبرنا الله بـ
الحكم الذي يكون بالوعد لظهور الحق وانه فيها يحصل للمتعصب
الفضيحة والخزي والعار بافتضاح امره وبظهور بطلان ما هو عليه
وانه سيطرة بالأخرة عذاب عظيم... بدليل ان اللفظ
جاء عاما (مساجد الله) وذكر عقوبة دنيوية وهذه العقوبة لا تكون
الا عندما يكون الفعل صادرا عن نظام او دوله لا افرداً فلا يلزم

الوعيد بالعقوبة ان تنال المعاقب به اذا كان عملاً فردياً لانظاماً
المبحث الثالث:

ولأبطال ما قد يصيب البعض من التوهم انه اذا حصل المنع لهم من
اداء الصلاة في المساجد بانه عندها يكون التوقف عن اداء
العبادات كما هو حال تفكير اهل الكتاب يخبرنا الله) ولله المشرق و
المغرب فأينما وتولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم) بان الله لا
تحده الجهات ولا تحصره الأمكنة فهو في كل مكان وان عباده الله
تكون في اي جهة ومكان انت فيه فليس شرط ان يكون في
المساجد كما كان يعتقد اهل الكتاب الذي اعتبروا سقوط بيت
المقدس امراً جعلهم يتوقفون عن العبادة وعن استعادة دورهم
بحمل الامانه.... فلا محاباه لمكان على اخر فقال الخالق) فأينما
تولوا فثم وجهه (فأينما شرطيه على المكان والجواب) فثم وجه
الله) ان الارض كلها لله فتوجهوا اليه بالعبادة والايه جاءت بعد

الهجرة فأمرهم بالتوجه الى الله في كل مكان (ان الله واسع
عليم) لا يمكن ان يحدده الجهات ولا تحصره الأمكنة فذكر السعه
لله بالملك والسلطان فلا يقتصر ملكه وسلطانه على مكان دون
مكان بل هو واسع عليم بما يجري.... يعلم الاحوال فالمسالة
متعلقة بكيفية التعامل

في حاله الاضطهاد عليكم بالهجرة فارض الله واسعه وليست
عباده الله متعلقة بمكان واحدا او بقعه.

فالنص يخاطب الامه ويخاطب المسلم ان يجعل وطنه من جميع
العالم ويجعل امته مشاعه بين جميع الاجناس... وكل الارض
سواء و جميع الاوطان سواء والارض كلها جعلت مسجداً وطهوراً
ليخبرنا انه باستثناء امتار مربعه من الارض في مكة وهو البيت
الحرام وامتار اخرى في المدينة وهي المسجد النبوي وامتار في
الث الحرمين المسجد الاقصى فان جميع الارض موطننا لنا. ف
الدنيا بنجومها الجغرافية وحدودها الجغرافية والسياسية لا
تصلح لان تكون شيئاً للنزاع و اساساً للعواطف الموضعة المحددة

فكلها مملوكه لله وضمن سلطنة فهي مسرحا للنشاط البشرى
كوحدة فلا يصلح ان تحتجز المسلم اساس فى الارض.

فاذا كان الله قد اختار العرب ليكونوا حمله رسالته فان هذا يقطع
بافضليتهم لهذا الشرف ولكن لا يعنى ذلك ان تكون هذه المنزله
التاريخية سببا للتعصب لجنس العرب فلا عصبية ولا قومية ولا
أجناس ولا عراقية فى عقيدة الاسلام فرساله الاسلام جاءت تدعو
المسلمين الى عالميه وانسانيه هذه الرسالة فى وقت كان لا يعرف
فيه الا العصبية.

يقول لهم الله ان انتصار الاسلام انتصاراً للحق الذي قامت به
السموات والارض فى كل زمان ومكان لانتصاراً لأرض على
ارض ولا شعب على شعب.

فالإسلام يهذب المسلمين يخبرهم ان لهم ان يتخلوا عن ما عاشوه
قبل الاسلام لان الامه العربية فى جاهليتها عاشت على العصبية
التي تفرق بين ن الشمال والجنوب والشرق والغرب وقبيله وفخذ
وفخذ فقد عاشت فى نزاعات الاوطان المحلية والافاق الضيقة....
ولهذا يخبرهم الله ان الارض كلها ارضه وعليهم ان يعيدوا ترتيب ا
لاحساس والمشاعر والافكار والعقول وبالابتعاد عن العصبية فهي
من القاذورات التي تكون سببا فى هدم الدول والحضارات....

المبحث الرابع:

انه بعد ان بين الله تعالى فساد عقيدة العصبية وخطوره هيمنة
اهل القوميات والعصبيات والنزعات على الدولة وما يترتب على
ذلك من تضيق الخناق على الاقليات والاديان الاخرى وظهور الأ
نظمة الديكتاتورية التي تستبد الناس ويبلغ بها الظلم ذروته واعلى
قمه فيه بمنع ذكر الله فى منابره من المساجد واماكن العلم و
العبادة وانهم يسخرون مقدرات الدولة وامكانياتها من استخبارات
واموال والقوه العسكرية والقبضة الحديدية لمنع ذكر الله فى بيوت
الله قال تعالى) فى بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها
اسمه) ويسعون الى خرابها سواء كان ذلك الفعل مادياً بهدم اماكن

العبادة او كان معنويا بجعلها اماكن عباده شكليه يروج فيها للظالمين اعمالهم الإجرامية كما هو حال المساجد والحرم المكي وا لآزهر الشريف وغيرها من المنابر التي اصبحت مكان تستخدم لمحاربه الاسلام وتبرير افعال المجرمين فهذا تخريب معنوي للمساجد التي يكون دورها في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر...

ان من مظاهر هذا الخراب ان يصبح دعاه الشر والشيطان هم الذين يعتالون المنابر والمساجد ويخطبون في الناس لأجل نشر افكارهم القذرة في العقول على انها هي شريعة الله ومنهجه يغرسون الجهل بدل العلم ويضيعون قواعد الاستبداد من الناس الذي ينظرون لها انها هي طاعه الله من خلال تحريف التفسير و التأويل للنصوص فيعظمون الاشخاص ويصنعون منهم الهه واصناما بادعاء الانتساب الى الصالحين والانبياء.... فالأصل انها منابر لمن يخاف الله قال تعالى) انما يخشى الله من عباده العلماء(وهؤلاء يتوعددهم الله بالذل والخزي والهوان في الدنيا وفي الأخرة لهم عذابا شديدا وقوي... ووعد للمؤمنين ان لهم النصر والتمكين وان ارض الله واسعه وانه تعالى موجود وفي كل مكان ولا يحدده مكان وان هؤلاء لا يستطيعون الفرار منه ولا المهرب فهو له المشرق والمغرب وكل شيء في قبضته وهو عليم بـ احوال العباد.

وهنا تأتي النصوص لبيان جوانب من فساد تصوراتهم واعتقاداتهم وكيف ان المغالاة والعصبية اوصلتهم الى الانحراف يقول لنا انظروا الى فساد اصولهم وان اسموها) اصول العلم والدين(فهي اصول الجهل واصوال دين الشيطان لادين الرحمن... فقال تعالى) وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما فى السموات والارض كل له قانتون بديع السموات والارض اذا قضى امرا فإنما يقول له كن فيكون(اولاً:

فمن هم الذين يقصد بهم انهم) قالوا اتخذ الله ولدا(فالبعض ذهب

الى القول انهم النصارى عندما قالوا ان عيسى ابن الله وذهبوا الى القول ان النصارى وحدهم المراد بالنص ولكن هذا القول غير سليم للاتي:

1- ان النص جاء معطوفاً على قوله) وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هوداً او نصارى()وقالت اليهود ليست النصارى على شيء....(فقد عاد النص الى النسق السابق في تعداد مخازي اهل الكتاب والمشركين والنص يصح ان ينسب القول فيه الى النصارى واليهود والمشركون على السواء وذلك لان النصار قالوا ان المسيح عيسى ابن الله واليهود قالت ان عزيز ابن الله والعرب كانت تقول ان الملائكة بنات الله

2- ان النص جاء فيه الإشارة الى الوثنية الدينية التي يسقط فيها الانسان الى الحضيض حيث يفقد العلم والمعرفة فالنص فيه اخبارنا ان المعرفة بالله ليست موقوفه على اصولهم بل تمام المعرفة موقوف على العلم بفساد اصولهم وان اسموها) اصول الدين والعلم(فهي اصول الجهل واصول دين الشيطان لا دين الرحمن.

ولهذا جاء النص بالاخبار (وقالوا) لتحقير شأنهم وفساد معتقداتهم...

فذكر هذا القول) اتخذ الله ولدا(والاتخاذ يعني الاكتساب وهو ما يؤكد ان المراد بالنص هم اليهود والنصارى والمشركون... للاتي:

أ- ان اليهود سموا عزيز ابن الله وصحيح انهم لم يعبدوه ولم يفعلوا مثلما فعلت النصارى ولم يشركوا ولكن لم يعبدوا الله بل استكبروا عن عبادته وكانوا وما زالوا يعبدون الشيطان لا الله. فقال تعالى) نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان(فهم معطلون لعبادته ويستكبرون كما اخبرنا الله تعالى وهم لم ينزه الله وقولهم ذلك فية تشبية لله بالمخلوقات

ب-ان النصارى قالوا ان عيسى ابن الله وعبدوه واشركوا ب الله فى ذلك ج-وكذلك فان المشركون قالوا ان الملائكة بنات الله وصنعوا اصناماً وقالوا انها تماثيل لها وعبدوه ليتقربوا الى الله زلفى

٣-ولهذا فان النص متعلق ببيان فساد معتقداتهم التي تقوم على التمثيل والتشبيه للخالق بالمخلوق فى التناسل والتوالد وهذا هو المراد بالنص.... لا ما تنتج عن ذلك من العبادة لهم فى دون امر الله ثانياً:

ولما كانت الفكرة التي تدور حولها النصوص قد تناولت التعريف بفساد اصولهم التي بنوا عليها معتقداتهم الفاسدة وتصوراتهم الضالة من اصول الجهل ودين الشيطان... عندما ذهبوا الى القول الذي فيه التعطيل لصفات الله بالتشبيه المعيب بالقول انه يتناسل ويتوالد ولان هذا القول فيه عيب ونقص يمس كمال الذات الإلهية قال تعالى) سبحانه له ما فى السماوات والارض وكل له قانتون بديع السماوات)

الامر الاول:

انه سبحانه وتعالى قال) سبحانه(رد على مدعي اتخاذ الولد فى التسبيح يعنى تنزيهه عن كل عيب او نقص او سواء وفيها اثبات صفاته وذاته والكمال لة سبحانه وتعالى

فالتسبيح يعطى التنزيه والتعظيم والتعظيم يستلزم اثبات المحامد التي يحمد بها تعالى فيقتضى ذلك تنزيهه وتحمده وتكبره وتوحيده وتعالى الله ان يكون له شبيهه او مثيل او ولد

قال ابن ابي قاسم حدثنا ابي.... قال سأل رجل ميمون بن مهران عن) سبحانه الله(فقال اسم تعظيم تنزه الله به عن السوء.....

فهو الواحد الاحد ليس كمثله شى...

وقولهم باكتساب الولد فية اساءة للخالق لانهم جعلوه مشابهاً للمخلوق لان التناسل والتوالد من صفات

المخلوقات. فجاء الرد) سبحانه)

(١) تقيد التنزية مع التعجب مما ينافيه لأن الذي يعرف ربه تعالى لا ينبغي ان يصدر عنه مثل هذا القول بان له تعالى شيئاً يماثله.

(٢) و هذه الصيغة تبين ان هؤلاء جاهلون وظالمون لم يعد لهم من العلم والعدل شيء فقد وصل بهم الظلم الى الظن بالله غير الحق...

وكيف يثبتون لله تعالى الولد وهو سبحانه المتعالي عن ما لا يليق به من الاولاد فليس كمثلته شيء

الامر الثاني:

بين الله تعالى انه سبحانه وتعالى له العلو والكمال الذي لا يماثله غيره في شيء فهو متعال عن ان يماثله شيء فهو عال على كل ما سواه قادر عليهم ولا يليق ان ينسب له ولد من مخلوقاته فالخالق لا يشبه المخلوق قال تعالى (بل له ما في السماوات والا رض) ونجد في النص الاتي.

المسألة الاولى:

استعمل) بل (الانتقال من تنزيه الى تنزيه لان من دواعي الاولاد والتناسل هو... الهروب من الموت بان يترك المرء بعده ولدا وكذلك الحاجة الى معاونة الولد فيقول الله لنا انه ليس مثله شيء فهو له الملك الكامل والسلطان التام لما في السماوات والا رض وما بينهما فكيف يحتاج الولد وكل شيء ملكه ويستحيل ان يكون محتاجاً الي ولد وكل الوجود في سلطانه

٢- انه ليس فقير يحتاج الى الولد الذي يساعده ويعاونه وهو يقول) يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد)

٣- وليس محتاج الى الناس فكل شيء خاضع لسلطانه يسبح بحمده قال تعالى) تسبح له السماوات السبع والارض ومن فيهن (المسألة الثانية:

ان الولد الذي نسبه له تعالى لا بد ان يكون من العالم السفلي الا

ارض او من العالم العلوي وهو السماء وهذا القول غير مقبول و لا يصلح منها شيئاً ان يكون مجانساً له عز وجل لان جميع ما في السماوات والارض ملكه ول له قانتون لعزته وجلاله اي بـ القهر والخضوع لإرادته ومشية منقادون له سبحانه وتعالى وان الجميع عبيده وانه تعالي اصطفي البعض وميزهم بطبعهم واستعداداتهم وفطرتهم ولكن هذا لا يعني تخصيص واحد منهم للانتساب إليه ولا يعني جعله ولداً مجانساً له) ان كل من في السماوات والارض إلا آتى الرحمن عبداً (المسألة الثالثة:

ان اصطفاه الله للأنبياء وحمل الرسالة الى الناس واصطفاه الملائكة لبعض الاعمال والمهام فان هذا التخصص والاختيار لا يرتقي بهم الى مرتبه الخالق فالجميع مخلوقات الله وان يودع الله في فطره من شاء ما يشاء فادخل فيه مايؤهله لما يشاء منه (ربنا الذي اعطى كل شىي خلقه ثم هدى) ولهذا استعمل الخالق (له ما في السماوات والارض) لان البعض اتخذ الملائكة الها والبعض اتخذ الانبياء والبعض اتخذ الكواكب والشمس والقمر والنجوم قد ذكر الله ان الجميع مخلوقاته ولا يمكن تشبيهه المخلوقات بالخالق...

المسألة الرابعة:

ولان جميع الموجودات مخلوقاته سبحانه وتعالى وقد بين الله انه خلق كل شىء لما سخر له فالأنبياء انما هم رسله الى الناس فجمع بالتسخير هنا العاقل وغيره لان المراد به هو التسخير الطبيعي فاستعمل في الملكية ما يغالب منه مالا يعقل فقال تعالي) له ما في السماوات وما في الارض(لان المراد هنا التسخير الطبيعي الذي لا يشترط فيه الاختيار المتعلق بالتسخير الشرعي والتكاليف الذي يفعله الكاسب باختياره ولهذا فان الغير عاقل فيه اوضح فاستعمل مايغلب اللفظ فيه العقلاء الذي يشعر ان الفعل باختياره فقال (كل له قانتون)

الامر الثالث:

يخبر الله عباده ان الكون كله ملكه سبحانه فكيف يتخذ ولد لان

الجميع في قبضته (كل له قانتون) والقنوت والخضوع والتسليم وا
لاذعان اشاره الى القهر لهم جميعا وهم في قبضته وانه تعالى قادر
عليهم ونجد في النص

١(لفظ العموم) كل (اي ان جميع ما في الوجود خاضع لله تعالى
فهو لا يحتاج الى طاعه من يطيع ولا يضره معصيه من يعصيه

٢(ان النص فيه وضع قاعده بان العبودية لله امر مسلم به ف
الجميع خاضع لا راده الله ومشيتته سبحانه قبل من قبل
ورفض من رفض فالجميع عبدا مقهورا لقدرته وسلطانه ولكن
الخلافة لا يثبت للمرء بمجرد ولادته وانما تكون لمن اراد ذلك
واختار ان يكون خليفه لله واطاع الله وقام بأمر الله عن علم
فأزال الجهل عن نفسه وعرف الله بالتوحيد والاخلاص واسلم
امره لربه بانه اخضاع ارادته طوعيه لله تعالى... وتخلص من
الظلم فهذا يكون خليفه لله.

ولهذا كان في اللفظ العموم الجمع اشاره الى ملكيه الله وسلطانه
على جميع من في الوجود فهم عبدا لله بعد ان تناول تخلى
اليهود والنصارى والمشركون عن شرف الخلافة عندما فقدوا العلم
واصبحوا جهلاء حصل التساوي فيهم بمن لم ينال حظاً من العلم و
الاديان مع الوثنيون وبين ما ينتح من الظلم وازهاق الارواح
واستبداد الناس ومنعهم من ذكر الله ان صاروا لهم دوله الا انهم
وان كان لديهم قوه وسلطان فهي بلا شرف اخبرنا الله انها ستكون
نهايتها الذبح في معابد الذات والشهوات لان سلطان الله اقوى لا
شبيهه ولا مثيل له...

الامر الرابع:

قال تعالى) بديع السماوات والارض(استعمل صيغه) بديع(وهي
تختلف عن لفظ خالق لان الخلق تعني التقدير والايجاد اما بديع
فهي تعني ايجاد الشيء بصوره مخترعه على غير مثال سابق
وهو يقتضي سبق المادة

فإذا كان الله هو مخترع ومبدع الكون على غير مثال وخلقه سبحانه لهم كلهم فهم عبده سبحانه فكيف يصح ان ينسب إليه شيئاً منها على انه ينتسب له تعالى فتنزه الله عن ذلك علو كبير

٢- ولان نظريات هؤلاء عندما قالوا اتخذ الله ولدا زعموا انه نشأ عنه ملازماً كما ينشأ الضوء من والشمس والنور من السراج اي نشأ من الوجود الاول نشوا المعلول من علة المسبب من سببه وهذا القول منهم فيه تعطيل لصفات الله وكماله كأنهم يقولون ان الله ليس فاعلاً مختاراً دائماً وانما نشأ الولد نشوء المعلول من العلة ولهذا رد الله عليهم بأثبات ملكيه وقدراته على الخلق و التكوين والابداع للسموات والارض بإرادته ردا لكفرهم وضلال عقولهم واوهمهم الباطلة فاخبرنا الله سبحانه عن مظاهر ارادته واختياراته بانه له ملك السموات والارض وعطف بعدها قائلاً (واذا قضى امر فإنما يقول له كن فيكون) أ

(الواو حرف عطف على انه بديع السموات والارض)

ب) انه فاعل مختار بفعل ما يشاء فاذا اراد ايجاد امر واحده فإنما بأمره ان يكون موجوداً فتكون موجوداً

ج) اذا تعلق ارادته تعالى بإيجاد الشيء بعضه وجوده فليس بعد الإرادة الا حصول المراد

ه) (فذكر الله الامر لكلمه) كن (وهو ما يسومونه امر التكوين ويقابله امر التكليف فالأول متعلق بصيغه الإرادة والثاني متعلق بصيغه الكلام ٣- فالتولد محال في حقه سبحانه وتعالى لانه المبدع لجميع الكائنات وهي باسرها ملكه ومسخره لإرادته فلا معنى لأضافه الولد إليه سبحانه .

ثالثاً:

تستمر النصوص في بيان ما كان من امر الناس من التحدي الذي جاء به القران ان يأتوا بمثله... وكيف انهم عجزوا عن الايتان بمثله فتبين النصوص كيف ان هؤلاء اصابتهم الحميه والعصبية بالجهل و

العمى عن رؤيه الحق فكانت عائقا مانعا من اتباع الحق... فذكرت النصوص المواجهة الحاصلة بين اهل الكتاب وبين المسلمون وكيف ان اهل الكتاب وقفوا عاجزين امام ما جاء به القران ودلالاته على صدق النبي صلي الله عليه وسلم وانهم اثاروا الشبهات الباطلة واجتمعوا على عدوان الاسلام رغم افتراقهم قال تعالى) وقالت اليهود ليست النصارى على شيء(فلما انتهى من تناول حجج وابطال هؤلاء قال تعالى (كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم)

انتقل الى ذكر شخصية مشركي العرب الذين ساروا في طريق من سبقهم من اهل الشرك) وقال الذين لا يعلمون (اي الجهلاء ب الكتب والشرائع من مشركي العرب الذين كانوا قد استعانوا ب اليهود وخبرتهم في وضع طلبات تعجزيه فطلبوا ان يفجر انهار ب الصحراء(وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً) ف النصوص تناقش

الامر الاول:

ان مساله انكار الرسول صلى الله عليه وسلم والرسالة من هؤلاء جميعا لم يقع عن حجه وانما وقع عن جهل (وقال الذين لا يعلمون) فهم يعترضون على بشرية الرسول.. ولذلك طلبوا ان يكلمهم الله مباشرة ويخبرهم انه رسول وهذا لانهم محرومون من نور الهدايه نتيجة كبرهم وجحودهم وهذا داء اصاب جميع المكذبون وقالها جميع المكذبون سواء اليهود والنصارى وسائر الكفار فهم انكروا على الرسل بالوحي قال تعالى (ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك)(كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم)

الامر الثاني:

انهم طلبوا واقترحوا تلك الطلبات كشرط الايمان) وقالوا لولا يكلمنا الله وتأتينا ايه(من نزول الايات الحسيه والمعجزات المادية وعناداً فهم لا ينقصهم المعجزة لان القران قد تحداهم ان يأتوا بمثله ولغة القران معروفه لديهم ولكنهم عجزوا عن الا

ايتان بمثله ولهذا لجأوا الى الطلبات التعجيزية فاستعمل النص قوله (لولا) وهي حرف يستعمل للتعجيز في الطلب فالهدف من ذلك التعجيز لا طلب الحقيقة

٢- ان هذا السلوك هو نفس سلوك الكفار في كل زمان سواء اليهود او النصارى او المشركون على ممر التاريخ (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم)

الامر الثاني:

فالنص يبين ان مله ومنهج ومدرسه الكفر واحده فتصوراتهم وافكارهم الفاسدة واحده...

فقال تعالى (تشابهت قلوبهم) فالقلب هنا نسب اليه القول الصادر(وقالوا لولا يكلمنا الله...) واعمال القلب هي الإرادة و المحبة والكرهية وتوابعها اي ان ال باعث والداعي للقول وعلته هو هوى القلب الذي سكنه الطغيان وكرهية الحق فهذه القلوب ميته لا حياه لها فالغفلة والجهل والشهوة والهوى جعلت افكارهم تهدف الى تحصيل الاغراض واتباع الشيطان فالدنيا هي التي تسخطه وترضيه والهوى يعميه عما سوى الباطل ويعمي لدرجه انك ترى التشابه في القول والسلوك ظاهرا كأنهم توصوا على ما يقولون (وتوصوا به بل هم قوم طاغون) وهو ما بين ان مله الكفر واحده وقدرتهم الشر واحده والمعلم لهم الشيطان

فالتفكير لديهم واحده فمهما اختلفت الازمان لان اغراضهم واحده وهو العناد وكرهيه الحق وبالتالي فان سماع هؤلاء الحق يزيدهم حيره وضلال

القسم الثالث:

بعد بيان انحراف اهل الكتاب والمشركون واحوالهم في استقبال دعوه الرسول صلى الله عليه وسلم وموقفهم من القران والرسول صلى الله عليه وسلم من الجحود والكفر والتكذيب... وبعد ان اتحداهم الله ان يأتوا بمثله لجأوا الى الطلبات والأسئلة التعجيزية

فقالوا) لولا يكلمنا الله... (فالفظ)لولا(استعمل للتعجيز اي ان طلباتهم تعجيزيه فهذه القلوب يسكنها التعصب ومختله بالباطل واستكبارا فهم فقد لجأوا الى المطالب التعجيزية

ويبدو ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان في ضيق واسف من حال اهل الكتاب الذين قابلوا الرسالة بالتكذيب مثل ما حصل من المشركون وكان يأمل ان يؤمن اهل الكتاب فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لو امن بي عشرة من اليهود لأمن اليهود كلهم وقصد الرسول من ذلك ان يكون بهم قوه الاسلام لان المشركين كانوا يستغلون كفر اهل الكتاب ذريعة ويطالبون بنفس مطالبهم فقالوا (لولا يكلمنا الله) فلم يرد الله على الطلبات التعجيزية ولم يلفت اليهم لانهم جهلاء لا يستحقون الرد فقال تعالي (قد بينا الايات لقوم يوقنون)اي قد اوضحنا الأدلة والآيات العظام الدالة على صدق نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم وبها يحصل الفائدة لقوما يطلبون الحق واليقين وليس هؤلاء الحمقاء الذين يطلبون تبديل المعجزة بمعجزه غير القران ولهذا نجد ان نصوص جاءت تناقش المواضيع الأتية

اولا:

(انا ارسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولأتسأل عن اصحاب الجحيم) ابتداء الخطاب الالهي(انا ارسلناك) فا الخطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم بصيغه فيها التسلية للرسول صلى الله عليه وسلم لا زاله ما كان يمر به الرسول صلى الله عليه وسلم من ضيق واسف من حال المكذبون وبالذات اهل الكتاب فالجملة جاءت معترضة بين موقف اليهود والنصارى المتصلب من الدعوه للقبول بالايمان و التصديق بالرسول صلى الله عليه وسلم

فذكرت احوالهم وظروفهم وما كان منهم والاسباب الكامنة وراء هذا الجحود الغير متوقع منهم بالذات...

٢- فالنصوص تبين ان المرحلة الاولى من الدعوة (مرحلة الاقتناع بالشخصية والفكرة) تكون شاقة وصعبه حيث ان الرسول صلى

الله عليه وسلم وجد معارضة واساءت لشخص الرسول صلى الله عليه وسلم ولل فكرة التي حملها الى الناس وقد واجه معركه شرسة حاولت النيل من الرسول صلى الله عليه وسلم لمنع الناس من اتباعه فوضعوا الشبهات وقد تزعم هذه المعركة اليهود الذين كان يفترض بهم الايمان فهم اهل الكتاب ليخبر الدعاة ان هذه المرحلة شاقه وتحتاج الى كفاح وثبات وصمود... وان لا تصاب بالهزيمة في ضجيج هذه المعركة الإعلامية ولهذا نجد ان النصوص تناقش المواضيع الآتية.

الموضوع الاول:

ان الله يطمئن رسوله صلى الله عليه وسلم ويخبره انه مرسل من عنده) انا ارسلناك (فأضاف اسناد الضمير إليه سبحانه وتعالى في الخطاب الذي يخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم ولم يقل (ان الله ارسلك) وهذا فيه اخبار من الله لكل الدعاة الذين يحملون منهج الله بالاستعلاء بالحق والانتساب الى الحق فالمؤمن لا يستمد عزته من مال ولا جاه او نسب ولا عشيره وانما من الحق من الايمان بالله تعالى وانك تحمل الحق

2- ان الله يخاطب النبي بهذا الخطاب الذي فيه التشريف للنبي صلى الله عليه وسلم وليشعر ويحس انه يتكلم مع الله الخالق جلا ثناؤه بلا وساطة فلم يقل) ان الله ارسلك (وهو لبيان اهمية قراءه القران كانه وحي ينزل عليك لتحصل على الفائدة والمنفعة التي اخبرنا انه قد اوضح الايات لقوما يوقنون..

3- يخبره انه مرسل من الله تعالى والله سوف يتولى حمايه دينه ومنهجه وما عليه الا ان يبذل جهده بحدود مهمته ... با الا نذار البشير وليس اجبار الناس حتى يكونوا مؤمنين

4- الموضوع الثاني:

ان النص جاء فيه البيان من الله تعالى) انا ارسلناك بـ الحق(مخاطبه النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ا بتعته رسولا

وجعل معجزاته الدالة على صدقه القران التى هي المعجزة والعلامة الواضحة الدالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وان المعجزة هي عين المنهج ولهذا نجد انه سبحانه ذكر ارسال النبي صلى الله عليه وسلم مقترن بالرسالة او القران) بالحق (وهذا فيه .

1- في القران معجزه بكل المقاييس... لانه منزل من عند الله فقال تعالى) انا ارسلناك (واطاف اسناد الضمير اليه سبحانه لبيان ان الاصطفاء والاختيار للرسول صلى الله عليه وسلم هو منه تعالى فهذا الشرف باختيار الله لة بالرسالة فكان اسناد الضمير للشريف... لبيان ان سبب عمى هؤلاء ورفضهم القبول بالحق مع وضوحه انهم يسكن قلوبهم الحسد لان الله اختص الرسول بالرسالة

2- ان البيئة واضحة لا غموض ولا نقص فيه ا) بالحق (فهو ايه واضحة وقد تحدى به الكفار وعجزوا من ان يأتوا بمثله وهو فيه الحق لمن اهتدى ولمن اراد الحق فهو الحق لانه منزل من عند الله وبه تقوم الحياه وتستقيم قال تعالى (خلق السماوات والارض بالحق) انا جعلناك في الارض خليفة لتحكم بين الناس بالحق (فهو الحق في احكامه ويشر المؤمنين بما ينتضرهم من ثواب ويحذر المكذبين بما ينتظرهم من عقاب وانه حجه واضحة وعلامة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فهو المعجزة الخالدة وهو عين المنهج الذي فيه اصلاح افات وامراض المجتمعات فهو منهج ليضع به الاهتداء... وكيف لا يكون حجه طالما وهو كذلك ولهذا فقد خص الله ذكر المنتفعون به وهم اهل اليقين(قد بينا الايات لقوم يوقنون) لان قلوبهم طاهره صالحه لاستقبال نور الله اما المعاندون والطغاة الذين يسكن قلوبهم الاحقاد والتعصب والحسد والكراهية للحق فهؤلاء يصرفهم عنه لان قلوبهم غير طاهره (كذلك سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق)فانت لست مسؤولا عن عدم ايمانهم ولا تلتفت اليهم فقال تعالى (فلا تسال عن اصحاب الجحيم) اي لا تلتفت الى ما يطرحه هؤلاء من شبهات واقاويل من المطالبة بالآيات المادية

الموضوعية وقولهم ان ذلك هو سنة الله في ارسال الرسل ان يرسل الرسول معه الكتاب والمعجزة

المادية... فطبيعة هذه الرسالة تختلف عن سابقتها ولهذا فلا تلتفت الى اقوالهم... فالنصوص فيها بيان الامور الأتية:

الامر الاول:

معجزه القران:

١- ان معجزه القران خالده تجاوز هذا الزمان والمكان فهو عال عن ان تتعلق به الاوهام او يسمو اليه الفكر ويطمع منه طامع... فهو معجزه لا يقدر العتاه عليه... وهذه المعجزة تحدي الله بها الاولين والآخرين وقد عجزوا عن الايتان بمثله... لانه يفوق قدره العباد فهو قول الله تعالى وكلامه والخلق لا يقدر ان يأتوا بمثله ولهذا نجد ان الله تعالى لم يرد على طلب هؤلاء الايات وان يكلمهم الله فأشار الى ان المنتفعون به هم الموقنون (قد بينا الايات لقوم يوقنون) وذلك لان هؤلاء لا يستحقون الا لتفات فهو سبحانه قد تحداهم ان يأتوا بمثله وعجزوا لانه يفوق قدرتهم ولهذا نجد الله يقول لأزاحه شبهات اليهود لنسخ المعجزات المادية (لم تعلم ان الله على كل شيء قدير) لبيان انه سبحانه وتعالى القادر عليه وحده فهو معجزه ظاهره لا عوض عنها شيئاً ان احكامه تنسجم مع حركه الكون وانتظامه في جميع ملكه فله ملك السماوات كله) الم تعلم ان الله له ملك السماوات والارض (فالجميع في قبضته فهو القادر عليهم و القادر على انزاله فقال) وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) وهنا يؤكد انه الحق اي (الصدق) الحق الذي فية انتظام حياه الناس وتحقيق امر الله ولهذا نجد انه سبحانه يتوعد المكذبين بالنار ويقول انه بشيرا ونذيرا لإقامه الحجه ولا يكون اقامه الحجه الا هو معجزه واضحه فلولا انه برهان واضح لم يصح ان يتبع ذلك الا انذارا والاخبار عن العذاب الذي يعيش فيه المكذبون وما اعد الله لهم من

عذابه في الآخرة لا يمكن تصوره قدرته

٢- فاخبر الله تعالى انه الحق فهو حجه كافيه لا يحتاج مع وضوحها لى بينه تعددها وان الذهاب عنها كالذهاب عن الضروريات وو التشكيك في المشاهدات فقال تعالى (ولا تسال عن اصحاب الجحيم) فاخبر سبحانه ان جدال هؤلاء الكفر لا يستحق الالتفات والاهتمام فهو لا يقع عن حجه او رغبه في معرفه الحق وانما يقع عن جهل واراده التغلب على الحق با الباطل ذلك لان الله يختم على قلوب المكذبين ويصرفهم عن الفهم لوجه البرهان لجحودهم وعنادهم فقال تعالى (ولا تسال عن اصحاب الجحيم)

الامر الثاني:

أن شخصيه الرسول صلى الله عليه وسلم تدل على صدق المعجزة

ان الرسول صلى الله عليه وسلم وحياته هو دليل على صدق نبوه كونه لم يقرا ولم يكتب ولم يجلس لأهل علم ولم يتعامل مع من لديهم علوم لهو دليل قاطع على صدق نبوته لان ما حملة للناس من الحق يستحيل ان يكون مصدره شخص بتلك المواصفات والاحوال والظروف التي عاشها الرسول صلى الله عليه وسلم وتدل انها تصل اليه من الوحي الالهي ولهذا نجد انه سبحانه اضاف اسناد الضمير الية سبحانه لبيان ان عناية الله واصطفائه واختياره للرسول صلى الله عليه وسلم لحمل الرسالة فالقران هو الحق الذي فيه الدليل والبرهان الواضح وبه الهدايه وهو حجه ودليل صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وعلامات نبوته

2- لان الشخصية ذات اهميه لإقامه الحجه على المخاطبين نجد ان الله يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بان عليه ان يخبر الناس بالمعجزة التي اتى بها من عنده سبحانه بانه اتى بالقران من عند الله وليعلم الناس وانه اظهر من جهته كي يمكن ان يستدل به على نبوته وهنا يخبر الله الرسول صلى الله عليه وسلم

بمهمته (بشيرا ونذيرا) فالمهمه البلاغ في تبشير المؤمنين بـ
الجنة وانذار الكفار بالنار والمعجزة هي القران فذكر الامر بالمهمه
بعد قوله) انا ارسلناك بالحق(اشاره الى اقتران الرسالة بالمعجزة
القرآنية التي تثبت صدق نبوته وبها يكون اقامه الحجج وانها
المنهج الذي يعالج افات وامراض المجتمعات واتبعها بيان
تعريف النبي بالمهمه وهو واحد منهم فالنص جاء معترضا من
جهة (قد بين الايات لقوم يوقنون) ومن جهة (ولا تسال عن
اصحاب الجحيم) وهذا الربط له اهميه لان الشخصيه عنصر مهم
لمعرفه صدق المعجزة ولأجل اقناع الناس به وإقامة الحجج.
لانه لو تلقى رجل من القران سوره ثم ذهب الى بلد وادعى
ظهورها عليه وانها معجزه لا تقم الحجج على اهل البلد حتى
يبحثوا و يثبتوا انها ظهرت عليه وانه لم يلتقي علوم متعلقة بها
ولهذا نجد مجي النص بأسلوب اسند الضمير لله سبحانه
وتعالى) انا ارسلناك(واتبعها بلفظ الحق محققاً ان القران اتى به
النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وظهر من جهته على الناس
وجعله علماً على صدق نبوته

3- فحصل البلاغ وعلمنا ذلك ضرورة فصار حججه على كل الناس
ولهذا اخبر الله نبيه انه لا يلتفت الى المعاندون الذين يطلبون
تبديل معجزه القران بايه اخرى او يكلمهم الله فقال تعالى) ولا
تسال عن اصحاب الجحيم(اي لا تلتفت ولأتهتم لأمرهم فقد
اوقيمت الحجج عليهم. كما ان قوله تعالى) انا ارسلناك بـ
الحق(فيه اشاره الى ان ارسال النبي صلى الله عليه وسلم بالإس
لام الذي هو دين الحق فهو عمل الحق (ان الدين عند الله الاسلا
م) وهو الدين الحق الذي امر الله به ويتفق مع الفطرة فهو الدين
الحق والذي لا معنى للأديان الاخرى بعد مجيء رساله الاسلام
فهي رساله ناسخه لجميع الاديان(من يتبع غير الاسلام ديننا فلم
يقبل منه) فالمنهج القران هو الحق الذي يقوم عليه سلامه حركه
المجتمعات ان اتخذته طريقا تصل الى النجاة والفوز ولذلك
يبشرها الله بالنجاة وان المكذبين فتحصل لهم بالانذار بالهلاك

ولهذا يخبر النبي صلى الله عليه وسلم الا يحزن ولا يضيق من كفر هؤلاء ولا يهتم لشانهم قال تعالى (ولا تسال عن اصحاب الجحيم) فالمسألة ليست لنقص البيان او ان هنالك تقصير بل لان هؤلاء اصبحوا قرنا للنار مثلما ان صاحب يلازم صاحبه.

5- ان النص جاء بعد قوله تعالى (قد بين الايات لقوما يوقنون) وهؤلاء كانوا يطلبون ان يكلمهم الله... وهنا يخبرنا الله انه قد ارسل رسوله بالحق اي بالقران الذي هو كلام الله تعالى فاخبرنا انه بناء نبوته صلى الله عليه وسلم على دلالة القران ومعجزته وصار له من الحكم من دلالاته على بعثته وصدقه اي ان يعلم انه كلام الله واخبرنا الله تعالى ان القران مصان من الا باطيل فهو الحق وان هؤلاء قد ناصبوه الحرب وظاهروه وناذبوه ولكنهم عجزوا عن دحض حجه القران وعجزوا عن الا يتان بمثلة او ما يفسد دلالاته ويبطل امره فيعدلون عن ذلك الى سائر الى ما وصاروا اليه من الامور التي ليس فيها الامزيذا من المكابره والمعاداة بطلبات تعجيزيه (لولا يكلمنا الله ا و تأتينا ايه) فالله يقول ان هؤلاء لا يستحقون الالتفات (ولا تسال عن اصحاب الجحيم) انه سبحانه لم يرد عليهم فقال (قد بينا الايات لقوم يوقنون) فطريقه سهل فهو ليس غريب مستنكر في الصيغه والتكلفة بل جعله قريبا الى الافهام ليبادر معناه لفظه الى القلب

الموضوع الثالث:

قال تعالى (ولا تسال عن اصحاب الجحيم) ذهب المفسرون ان اراء متعددة من تأويل هذه الايه فمنهم من قال ان المراد بذلك التهويل والتفخيم من العذاب الذي ينتظر هؤلاء يوم القيامة بانه يفوق

التصور والوصف كان تقول لشخص يسال عن شخص لا تسال عن فلان فهو في عذاب يفوق ما تعرفه... والبعض ذهب الى ان المراد لا تهتم لشانهم فانت لست مكلفا باجبارهم علي الا يمان والمتامل الي النصوص يجد انهاوردت بعد الإشارة الى

اقامه الحجه عليهم با يتان مثل القران لاثبات صدق نبوه
الرسول صلى الله عليه وسلم فذكر انه تعالى انزل القران
وجعله معجزه الرسول صلى الله عليه وسلم مبينا أن مهمته لإ
قامة الحجه) بشيرا ونذيرا) فحصول البلاغ والانذار ولهذا
يقول له الله ان عدم استجابة هؤلاء ليس شيئا كي تلقي اللوم
على نفسك فقد اقامت الحجه عليهم وبلغتهم... ولأنه لا ينتفع
به الا الذين تخلصت قلوبهم من الاوساخ والكفر والتعصب وهو
الموقنون الذين خصهم الله بذلك قال تعالى (قد بينا آيات لقوم
يوقنون)

- 1 - اما المعاندون الذين امتلت قلوبهم بالأوساخ فهولا لا تسال
عنهم فلم يحصل تقصير من جهتك وكفرهم لا يعود لغموض
في الحجه او نقص في البيان فا الحجه واضحة والبيان تام
وقد اقيمت الحجه عليهم اما كفرهم فذلك يعود الى ما في
قلوبهم من امراض الحقد والحسد والكراهية والتعصب وقال
تعالى في وصفهم (لا تسال عن اصحاب الجحيم)
1- سماها الله اصحاب الجحيم اي انهم ملازمون جهنم التي
اسماها الجحيم من شدة غضب الله عليهم وما أعد لهم من
العذاب والحريق
- 2- بانهم ملازمون لها ملازمه الصاحب لصاحبه الذي لا يفارقه ٤-٥
النصوص تعطينا بيانا ان هؤلاء ملازمون للجحيم التي هي نار
منبعها غضب الله تعالى وانها تشتعل بالمعصية فهي تشتعل اولا
في القلب قال تعالى (تشابهت قلوبهم) فاصل هذا الجحيم
هو الحيرة والهموم والالام والحزن التي تشتعل في قلوب هؤلاء
فهي مشتعلة بالنار المضطرب على الدوام في الدنيا فاخبرنا
الله عز وجل ان هؤلاء يتمنون زوال الخير عن المسلمين...
ويتمنون حسدا لو يتركوا الاسلام وليتحقوا بالكفر.. وانهم
يتعصبون... فهذه كلها نيران جحيم تشتعل في قلوبهم ولذلك
قال انه لا ينتفع بالآيات الواضحة الا اهل اليقين الذي استقرت
قلوبهم واطمنت فهي وحدها تعرف الحق اما هؤلاء قلوبهم

مشتعلة بنيران وجحيم الشهوات والاهواء والاحقاد والكبر و
الحسد فكان صرفهم عن الايمان واصابهم العمى عقوبة لهم لان
النور لا يدخل لهذه القلوب ولذلك لم يذكرهم الله فيها بالجواب
على طلبهم الايات و ان يكلمهم الله تحقيرا لشانهم فهم لا
يستحقون الرد وهنا يقول لنبيه لا تشغل نفسك بهم ولا تسال
عنهم فهم لا يستحقون

3- ثانياً:

(ولن ترضي عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان
هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهوائهم بعد الذي جاء من العلم م
الك من الله من وليا ولا نصير)

الامر الاول:

ابتداء الخطاب بقوله تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا
الانصارى حتى تتبع ملتهم) والتحذير ولئن اتبعت اهوائهم بعد
الذي جاء من العلم) موجه للرسول صلى الله عليه وسلم و
السؤال هل يقصد به شخص الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا
التحذير الشديد والتهديد والوعيد؟؟؟

من المؤكد انه لا يقصد به الرسول صلى الله عليه وسلم
بشخصه ولكن النصوص تناقش مساله الانفتاح والمرونه و
الثبات في مجال الاتصال بالمجتمعات والثقافات الاخرى حيث
ان قوله تعالى (ولا تسال عن اصحاب الجحيم) امر بعدم الا
لتفات لهؤلاء... فدل ذلك على التوقف عن الجدل معهم فلا
معنى لها... ودل على ان كراهية الحق لديهم هي المانع لهذا
الجحود... فليست المسالة نقص في الحجة او قصور في البيان
فدلت النصوص على

1- استمرار معارضه هؤلاء للحق وان عدم الرضا يعود لما في
نفوسهم من الكراهية والحقد والانحراف والحسد ولهذا فلا
امل في اتباعهم الحق.

2- فالخطاب لا يقصد به شخص الرسول وانما هو موجه لجميع المسلمين عموما والقادة الذين يمتلكون القرار ان عليهم معرف عدوهم وان لا يكون الرغبة في استقطاب الاخرين سببا للتفريط بالسيادة للامه او القيم والمبادئ فالإسلام يدعو الى الانفتاح على الامم الاخرى للاستفادة فيما عندها ولكن وضع ذلك ضوابط فالله يقول ان الامر بان لا تسالوا عنهم لا يعني قطع العلاقات والعيش في عزله ولكن يجب ان يكون التعامل معهم قائما على التوازن وهذا يستوجب معرفه عدوك واهدافه فلا يسمح الاتصال بهذه الامم ان تنقل ثقافتهم الى ثقافه الاسلامه المسلمة كما هو حاصل اليوم حيث ان اصبح العالم الاسلامي مي مسلوب القرار وتسلب الكفار على مقدرات المسلمين الفكرية والاقتصادية والتربوية والاجتماعية.....

3- فالنص للتحذير من تقديم التنازلات في العقيدة او المبادئ والقيم التي تقوم عليها الامه المسلمة تحت شعار تبادل الثقافات والخبرات وتحت شعارات المنظمات الإنسانية و الحقوقية كما هو حاصل اليوم في المجتمعات الإسلامية حيث نجد ان عرى الاسلام اليوم قد تمزقت بفعل دعاوي الاعتدال والانفتاح... وغيرها من الشعارات واصابه الامه الوهن والضعف

4- الامر الثاني:

ولأجل ذلك يخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بحال هؤلاء وما في نفوسهم التي يخفونها ولا يظهرونها لان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يتوقع منهم هذا الضغوط والعناد والمكابرة فهم اهل الكتاب ويرفعون شعارات الدين والاخلاق فكان تآثره من فعلهم اكثر مما حصل من فعل المشركون

2- وهنا يخبرن الله تعالى عن حال هؤلاء بان قلوبهم شبيهة بالانانية والتعصب والعداوة والبغضاء والحقد والحسد والحقد... فلا تتخذوا بشعارات الاديان التي يرفعونها ويجب عند عقد المعاهدات معهم استحضار امانيتهم وكيف انهم اتخذوا الاديان

جنسية لهم ولمصالحهم اما قلوبهم فهي مشحونة بالانحراف الذي اجتمعوا عليها.

3- وهذه الامراض تجمعهم مع بعض ولهذا جمع الله الملتان في قوله) من اتبع ملتهم(لان الكفر مله واحده فالكفر جمعهما وكرهية الحق وحدهما

4-)فمن اتبع ملتهم(والملة تستعمل للشريعة والاديان)مله ابيكم ابراهيم(والمراد هنا اي الملة التي جاء بها احبارهم ورهبانهم التي حرفوها اي يكذبوا مثلهم في الباطل وفساده القلوب والتفرق والانقسام الى شيع وأحزاب بعيدة عن منهج الله فمنهج وملة هؤلاء اوهام او جدتها الشهوات فما لديهم هو اهواء وضلال اي ما عندهم هو ليس بدين وانما اهواء باطله واوهام فاسده

5-اي ان عليك الحذر من مخططات هؤلاء الذين سوف يحاولون استهداف عقيدتك من خلال بعض الوسائل والحيل مثل المنظمات التي تدعو الى الانسانيه والمدينة وحوار الاديان او مد جسور الصداقة وما اطلق اخيرا من مزاعم الميثاق الابراهيمي الذي يتصور المجرمون من قادة العرب والمسلمون ان هنالك قواسم مشتركة مع اليهود تجمعهم وان ذلك هو الطريق للاجتماع معهم فهو ليس طريق اقناع هؤلاء.... فلا توجد قواسم مشتركة تجمعك معهم فدع طلب ما يرضيهم واقبل على طلب رضا الله فهذا هو الفعل الذي يحصل منه الألفة والدين والقيم وقال تعالى)قل ان هدى الله هو الهدى(

6- فخص الهدى بالإضافة الى الله تعالى بان دين الله هو الحق ودين هؤلاء باطل فالنص فيه التوجه للنبي بان يلتزم هدى الله الذي يجمع الخلق في الألفة عليه فهو السبيل والطريق ام مله هؤلاء فهي الانحراف والضلال فذكر ان نشاتها من الاهواء و الشهوات التي في النفوس فهو ليس دين ولذلك جاء يضع التحذير والتهديد التي ابعثت اهوائهم وقصر العلم على الوحي و

القران (بعد الذي جاءك من العلم.) والمجيء يفسر بالحصول دلا له ان الوحي فيه البيان المقنع والقضاء الفاصل.

٧- ان النهى جاء مؤكدا فاللام الدلالة على القسم (لئن) وهي اشد انواع الفاظ التأكيد لبيان العاقله للاتباع بان الذي يخالف ويسلك طريقهم ويتبعهم لابد ان يترك عليه عقاب الله تعالى فقال تعالى (مالك من الله من ولى ولا نصير) فلا يكون له ولى محب يدفع عنه ولا نصير ينصره من وعد الله وهذا التأكيد ان اتباع اهواهم يستوجب نزول العذاب ولا يجدون فية من ينجيكم من غضب الله.

ثالثا:

بعد ان ذكر حال اليهود وانهم قد انحرفوا عن التوراة يبين الله للمؤمنين ان حال الفريق الثاني من هؤلاء القوم ف الله منصفا في حكمه فقال (الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به ومن يكفر به فذلك هم الخاسرون) فاللفظ فيه بيان ان اصل العقائد واحده وان الكتب السماوية التي اعطاها الله للأمم هي مثل القران ينزل معها الانباء عن الغيوب والفارق بينهما وبين القران الكريم ان نظمه معجزه... وهو ما يمكن ان يعرف من سمعه انه كلام الله لان موسى لما سمع كلام الله علم انه في الحقيقة كلام الله.

٢- فهو فيه المعجزة بانه كلام الله وفيه التوحيد التي نعرف بها الله دون الحاجة الى الدليل العقلي ولكن هنالك قراءه تختلف عن قراءه فالذي يقرون كتاب الله ينقسمون الى فريقين ا

الفريق الاول:

يسمعون للقران بنفس شاكر وعقل مدرك وقلب مؤمن ومعبر عن الفهم والتدبير والتفكير لهؤلاء يقول تعالى (يتلونها حق تلاوته)

لان التلاوة في هذا المقام تعني الاتباع لقوله تعالى (والقمر اذا ت
لاها) اي تبع الشمس ولهذا فان التلاوة الحق تعني الفهم و
التدبير والفكر لانها قراءه طلب معرفه الحقيقة فهؤلاء الذين
يقرؤون ويسمعون ويفقهون ويعقلون هم الذي يحصل لهم الا
نتفاع (اولئك يؤمنون به) اي يصدقون يذعنون لما يأمرهم
باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فهؤلاء هم اصحاب اليقين
فا اليقين والايمان هما شرطافهم كتاب الله قال تعالى (قد بينا ا
لايات لقوم يوقنون) فبينت النصوص ان التدبر والفهم بالتلاوة
حق تلاوته يرشدهم الى ذلك وهو المقصود من التلاوة لمعرفة
الحقيقة سواء كانوا اهل الكتاب ام غيرهم قال تعالى (ومن اهل
الكتاب امه قائمه يتلون آيات الله اثناء الليل وهم يسجدون)
الفريق الثاني:

يشتركون مع المؤمنين بالتلاوة ولكن هذا الفريق من اهل الاهواء
والبدع اذا قرؤوا القران يكون مجرد تلاوة وتحريك اللسان بالأ
لفاظ ولا يفقهون ولا يتدبرون احكامه وشريعته فهؤلاء مثل
الحمار يحمل اسفار اوان فهم فان هذا الفهم من قبل التصورات
القائمة على الخيال والاهوام فهي سرعان ما تغيب عنه فأشار
اليهم (ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون) حيث يفهم من هذا
ان الجاحد بالقران هو الخاسر من جهة اشتراء الكفر بالإيمان و
المقصود بالتلاوة هنا هو القران لانه يتحدث عن المعجزة بان
نظمه منه اعجاز لا يحتاج الى الدليل المادية المعجزة
الموضوعية والدليل العقلي ولهذا تختتم النصوص بما ابتدأت به
الآيات من الخطاب الموجه لبنى اسرائيل قال تعالى (يا بني
اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على
العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفسا عن نفسا شيئا ولا يقبل منها
عدل ولا تنفعها شفاعه وهم ينصرون)

للتنويح بان هذا السلوك فيكم لا يصح وانتم تنسبون الى يعقوب
عليه السلام وكما اوضحنا سابقا من تفسير النصوص فهي مثلها
تماما ولأخلاف الا في مسالة تقديم (لا يقبل منها عدل) على (ولا

تنفعها شفاعة)وهناك كان (ولا تقبل منها شفاعة)... وهذا جاء
مناسبا مع السياق حيث ان الحديث هنا جاء بعد ذكر تغلب
المصالح والاهواء لدى هؤلاء... وهناك افتتاح النقاش فكان
التذكير بيعقوب والنسب افضل بالتقديم.

"* واذا ابتلى ابراهيم ربه وبكلمات فاتهمن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين

حيث نجد ان النص تضمن خطاباً الهياً بتناول قصة ابراهيم عليه السلام وابتداء بذكر تكليف رباني له بأمور شاقه كلف بها ابراهيم على سبيل الامتحان والاختبار لم تبين النصوص ماهيه هذا الامتحان والابتلاء ولا فقد جاءت مجمله ومبهمة دون ذكر (" بكلمات ") الكيفية التي تم بها تنفيذ الاختبار وانما قال تعالى التفاصيل..... واخبر الله بان ابراهيم قد نجح في الامتحان وقام بالمهمة على اكمال وجه وتأدية التكليف على احسن وجه دون تقصير او توان والحقه بذكر تشريف اني جاعلك للناس أي قدوه صالحه وحسنه واللفظ مطلق هل يقصد بها الامامة النبوة ام الرياسة الدينية والعلمية والقدرية ام سائر انواع القيادة والرياسة فكان الجواب (وكذلك نجد انه سبحانه يذكر لنا ان ابراهيم طلب ان يحظى بعض ذريته من نسله بهذا الشرف بان وعده لا يصيب الظالمين (من الله) ("الاي نال عهدي الظالمين

.....ويخبر فيه ابراهيم انه سيكون من ذريته ظالمين وانهم غير جديرين بالشرف الذي اختص الله به ابراهيم ولهذا سوف نقف على مدلولات النصوص والمفاهيم التي تتحدث عنها لمعرفة المراد من ذكر القصة وما ابهم فيها :-اولاً

ما هو المراد بالكلمات التي اختبر الله بها ابراهيم عليه السلام ؟ ذهب المفسرون الى عدة اراء في تأويلهم للمراد بالكلمات التي ذكرها الله في النصوص منهم من حصرها بالأيات الواردة في سورة براهه وعشر وعشر في ("س") وعشر من سور المؤمنون ("قد افلح المؤمنون") ("ان المسلمون والمسلمات") من الاحزاب وهذا القول لم يسند بدليل الى الرسول () باعتبار ان السنه هي الموضحة لما ابهم وبالتالي كيف ("ال سائل يمكن حصره بها ومنهم من قال ان المراد بالكلمات هي الطهارة خمس في الراس وخمس في الجسد من حلق الراس وقص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وقلم الأضفار وحلق العانة وتنفث الابطط والختان وغسل اثار الغائط والبول بلماءوهذا القول لا يصح ان يضاف الى تأويل كتاب الله الكريم ولا يقبله عاقل لما فيه من استخفاف بالعقول ولا عبره ان ورد ذكره في تفسير العلامة ابو جريير الطبري او ابن كثير او الجلالين وانه منسوب لابن عباس لأنه بعيد عن الاهداف العظيمة التي تحملها النصوص ولا ينسجم في تركيب الجمل والنصوص في السياق للاتي:- ان النص ابتداء بذكر قصة فيها حوار الهى مع المخاطبين من العرب واليهود والنصارى والمسلمون استهلكت بذكر حصول امتحان وابتلاء واختبار لإبراهيم عليه السلام ومعلوم ان لفظ الابتلاء انه دليل وعلامة على ان هنالك معاناة هذا المعنى الاول الابط ("ونبلكم حتي نعلم المجاهدين منكم والصابرين) ومشفه تكبدها ابراهيم عليه لاء والمعنى الثاني للابتلاء ان يكون هذا الاختبار امتحان لمعرفة سلامة العقل والمدرك والرشد لديه والابتلاء يكون هنا بمعنى الفحص للمدارك كما قال تعالى بشأن الايتام وابتلوا اليتامى فإذا انستم منهم رشدا فادفعو اليهم أموالهم وبالتالي فان مثل هذه الامور والاشياء لا تصلح ان تكون وسيلة اختبار وامتحان لمعرفة سلامه ابراهيم ورشد عقله ولاهي دليل على قيامه بأمور شاقه وصعبه

- كما ان هذه الامور يسهل القيام بها من قبل الطفل الذي لم يتجاوز سن التاسعة من عمره فهو لا يحتاج الى 2 جهد ولا يلحق القائم بها مشقه ولا تعب وبالتالي كيف يتصور ان يتم اختبار الخليل عليه السلام من الله بهذا ا أي قام بأداء الامتحان بالوفاء والتمام دون أي ("لاختبار السهل ثم يمدحه الله تعالى بعد ذلك بقوله ("فاتمهن تقصير ولا توان فالنص فيه انه كان يواجه مشقه وكانا يحتاج الى قوة اراده وعزيمه وهمه فدللت الكلمة هنا انه صبر وكان شديد العزم والامسك بقوة الهمة فلم تكن المسألة سهله قد واجه مصاعب

- والنص فيه المدح الالهي لا نجاز الخليل عليه السلام المهمة على اكمل وجه والثناء عليه والحقه بذكر 3 التشريف فقال تعالى اني جاعلك للناس اماما بالتالي لو كانا الامتحان بهذه الاشياء السهلة التي يستطيع القيام .. فليس فيه تمييز لقدوه لجميع الناس والانبياء فما هو المميز من ذلك ولماذا هذا الاختباربها كل الناس بأمور ليس فيها مشقه ولا تعب لو كانا المراد بالكلمات ما ذهب اليه الامر الذي يقتضي ازالة هذه التأويلات من كتاب الله الكريم ولهذا سوف نقف على ما ورد في النصوص وتراكيب الجمل وما ورد في كتاب الله لمعرفة

-: المراد بهذه الكلمات : وذلك من خلال المباحث الآتية

-: المبحث الاول

ان النص ابتداء بذكر تكليف بأمور شاقه كلف بها سيدنا ابراهيم وبعد ذلك لحقه بذكر ما كان من التشريف لا ابراهيم..... وهذا فيه ارتباط بأسلوب الحوار الرباني الذي تناول فيه الخطاب عقب ذكر قصة بني اسرائيل

فنجد العامل في وانا مضمراً أي انه عطف على ما قبله يفهم انه عطف قصة ابراهيم على قصة ما كان من ابن (إسرائيل الذي ادمج لهم اليهود والنصارى والحق بهم العرب المشركون لما كان من امرهم جميعاً في مواجهة رسالة الاسلام التي حملها اليهم النبي فذكرت النصوص ماكان منهم جميعاً لبيان الآتي

- فساد التصورات لديهم فقد خالفوا التورات وما امرتهم من الايمان والتصديق بالنبي وفاء للعهد المقطوع 1 عليهم

(كما قال اوفو بعهدي اوف بعهدكم وهنا يخبرهم ان العهد لا يصيب الظالمين الذي ينقضون عهد الله (" "

فقد جحدوا بالرسالة وبالرسول) الذي طالما انتظروه طويلا لانه لم يأتي من امه اليهود وكذلك كرهو هم و العرب والمشركون ما اختص الله به المسلمون من نعمة الايمان

- انهم جميعا كانوا يدعون عبادة الله عز وجل وهم يشركون مع الله الهه ` اخري أي كانت عبادتهم مجموع 2ا لاصنام والاثوان سواء والنصارى الذي اتخذوا عيسي الها ` وكذالك اليهود الذين عرفوا الله كثيرا ولكن لم يعبدوا الله قالوا ان عزيز ابن الله واشركوا عندما قاموا بطاعة الرهبان في تحريف التوراه وجعلوا لهم سلطة التشريع والمشركون كانوا يدعون انهم يعبدون الله وان الاصنام هي وسيله تقرب الى الله

- بينت النصوص فساد المعتقدات لديهم وسخافة العقول في تصورتهم ونظرتهم للثواب والعقاب بان تصوروا 3 ان الانتساب للأنبياء يجعلهم فوق الآخرين

- ذكرت النصوص اصابتهم بخلل في النفوس افسدت الفطرة لديهم نتيجة الحسد والحقد وكرهية الحق 4 وفقدوا العلم وصاروا جميعا في عقله واحده كأنهم لا يعلمون

- انهم بنو العقائد على التقليد والتعصب والانانية ورفضوا القبول بالحق لمرض كراهية الحق وتعارضه مع ما 5 - انهم كانوا 6 في نفوسهم من حب الرياسة والسلطة والقيادة

جميعاً يدعون الانتساب الى ابراهيم عليه السلام فاليهود والنصارى هما من نسل يعقوب واسحاق والعرب من نسل اسماعيل

كان يدعي انه على ملة ابراهيم وان ما هم عليه هو ملة ابراهيم عليه السلام قصة بني اسرائيل معطوفه على قصة ادم عليه السلام ونشاه البشرية على الارض لارتباط الإمامة بمفهوم الخليفة (" **واذ قال ربك اني جاع**

ل في الأرض خليفه وكان ذلك بمناسبة تناول أصولا العلم وقواعد الدعوة العامة (" **يا ايها الناس اعبدوا**) **ربكم** لبيان ان الغاية والمقصود من الوجود الانساني على الارض هو معرفة الله ومحبته وتوحيده وعبادته والقيام بأمر الخلافة وفق منهج الله تعالى

واخبرنا الله تعالى انه قد منح الانسان خصائص حربية الاختيار والقدرة على التمييز بين الحق والباطل ابتلاء وامتحان واختبار من الله تعالى لهذا الانسان ("وعلم ادم الاسماء كلها فهذا هو سر التفوق الانساني على سائر

المخلوقات الذي جعله قادرا على ضبط الحركة بحيث يصل الى الغاية المقصودة من الوجود وهي عبادة الله و القيام بتكاليف الخلافة على الارض وفق منهج الله وذكر ان عدم العلم

وفقدته يسبب الم الجهل وتعطيل الحوس الظاهرة والباطنة بالكفر والفساد والعصيان وان الله تعالى قد غرس في الفطرة معرفة ربها لتكون احد ادله تحقيق الغاية والمقصود من وجود الانسان وهو معرفه

الله ومحبته وعبادته وتوحيده فكل مخلوق يداخله انجذاباً نحو خالقه ومحبوه الغائب عنه تسمي جاذبية الفطره..... ولكن هذه الفطرة تتعرض لافات واخطار الحضارات والغرائز التي تصنع ضبابية تمنع الروية

وتصيب المرء بالعمي وبالشلل العقلي والنفسي وتصيب قوي الانسان الثلاثة بمقتل سواء قوى العقل او قوى الشهوة او قوى الغضب ولهذا فان قوى العقل مرتبطة بمعرفة الغاية و المقصود من الوجود الانساني

وهو لا يكون الا بمعرفة المادة وخالق المادة وبهذه المعرفة يستطيع الانسان حمل الامانة بالتخلص من الجهل **ه كان ظلوما جهولا** وان الكفر فيه إفساد لهذا القوى فاذا افسدت حصل ("والظلم") **(وحملها الانسان ان**

نقص العقول وحصل الاضطراب والشبهات والشرك والتقليد والتعصب وسقط الوعي وغاب العقل وكذلك اذا اختلت قوى الغضب فان الحركة البشرية تكون فاسده لما تغرس في قلب الانسان من المساواة ويسود الطغيان ويصبح الناس مثل الوحش المفترس وكذلك اذا فسدت قوه الحب والارادة فان العبد يصير كالبهائم

3

- ولذلك فان الله خلق هذه القوى في الانسان اختباراً وامتحان له كي يقوم على طاعة الله وينقاد لإمره ولهذا فقد اخضع ادم لتجربه في الجنة واسكنه هو وحواء فيها لا عداوه وتأهيله ليكون اهلاً " لحمل الأمانة وقادراً عليها وبعد ذلك هبط ادم الى الارض وحينما سلم مفتاح الارض اخذ عليه العهد ("فأما يأتينكم مني -: هدى فمن تبع هدى ") والنصوص تتناول الاتي

الموضوع الاول :-

تخبر النصوص المخاطبين ان يتأملوا حال اليهود والنصارى والعرب الذي انبعث الرسول (ص) اليهم جميعاً حيث انهم يدعون الانتساب لإبراهيم عليه السلام ومع ذلك يشركون بالله تعالى مع ان ابراهيم عليه السلام كان على الحنفية التي تعني الفطرة فقد دعا الى الفطرة وتبرأ من الشرك والمشركين وتبرأ من ابيه وقومه فالنص جاء بالضمير المضمرة واذا ابتلى أي وأذكروا ابراهيم الذي يدعون الانتساب اليه :-

حيث وان النص جاء عقب تناول اختلاف الطوائف والمذاهب ولملل وتحذير الرسول من تقديم التنازلات لهؤلاء فهم لن يرضوا حتي يترك الاسلام فهم لم يكونوا على ملة ابراهيم وقد انحرفوا وتركوا الحنفية وابتدعوا اليهودية والنصرانية (" **ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم** ")

فدلت النصوص انهم ميؤوس من استجابتهم للإيمان لانهم مشغولون في اذهانهم بأمر الدنيا والشهرة فهؤلاء قد فسدت فطرتهم واصابها الخلل والمرض فتوهموا ان ما لديهم هو دين الله وانه ملة إبراهيم ولذلك نجد انه سبحانه وتعالى يذكرهم بالماضي الذي كانوا عليه (" واذ فضلناكم على العالمين ") ويحذرهم من اليوم الاخر ("**لا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون** ")

حيث تلاحظ تقديم ("**لا يقبل منها عدل** ") بعكس الآية في مقدمة المقطع ابتداء بتقديم الشفاعة وهذا لان النص ذكر الخسارة لمن يشتري الكفر بالإيمان

فدلت النصوص ان تلوث الفطرة لدى هؤلاء تعود الى امراض خفية تخفى على صاحبه فلا يشعر بها فهم قد اصابوا بهذا المرض الذي افقدهم الشعور ودلت مجموع النصوص ان حب الرئاسة يفقد الشعور وكذلك حال الشهوات الخفية التي تصل لدرجة انها تخفى على صاحبها فلا يشعر بها مثل التعلق بالمال والجمال والرياسة والجاه والسلطان حيث نجد ان صاحبها لا يعرف بهذا المرض فاذا فقد المال او الجمال والجاه او السلطان خرج عن اطواره وظهر حاله كانه لا يعلم شيء في اضطرابه ونشاهد الكثير من الناس في مجتمعنا يكون له ثروته لا تظهر تعلقه بها ولكن اذا فقدها اصاب بالجنون وفقد ما كان لديه من رابطة الجأش كذلك نجد شاباً يتصرف بأداب وذكاء وعقلانية وفجأة تراه كانه مجنون واذا بحثت عن السبب وجدت انه متعلق بشهوة الجمال فدل هذه على الحب المتقدم والحب مستلزم للشعور وهذا ناتج عن شعور في النفس بأمر قد يخفى على الانسان نفسه .

و حيث ان الشياطين تمد اتباعها بالغي فلا يبصرون مع الغي شيء فيعيش في الاوهام ويفقد العلم والا فان الفطرة تريد الحق وتحبه وتكره الباطل وتبغضه

ولهذا كان النداء بالتحذير من اليوم الاخر لأن الفطرة تستيقظ عند المتقون الذي يخافون ("**إذا مسهم**

طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ")

ولذلك نجد ان الله سبحانه وتعالى يخبر هؤلاء انهم بحاجة الى تنقيه الأوعية العقلية والقلبية والذهنية و النفسية من ركام الفكر الجاهلي .

وأول أمر لهذا هو :- يذكرهم بشخصية إبراهيم عليه السلام فقدم المفعول على الفاعل لشد الانتباه لشخصية ابراهيم فهيا لها دلالة لمعالجة الامراض التي لدى هؤلاء القوم الذي ابتعت الله نبيه (ص) اليهم سوا اليهود و النصارى والعرب لأنه محل أجمع جميع الطوائف والملل والله يدعوهم الى ان يتذكروا الاختبار والابتلاء الذي اختبر الله به ابراهيم حتى استحق على ذلك التكريم والشرف فاراد بذلك :-

1- دحض مزاعم فكره ان الانتساب للأنبياء والصالحين بالدم والعرق له اثار تمنع عنهم العذاب او ان يكون له اثر في استحقاقهم القيادة والرئاسة فأخبرهم الله ان الانسان مخلوق للغاية وهي معرفة الله ومحبته

وعبادته والله قد منح للإنسان الاختيار والإرادة ورتب على ذلك المسؤولية والحساب فهو لم يخلقهم عبثاً
بدليل ان ابراهيم عليه السلام قد اختبره الله مع مكانته ومنزلته بأمر شاقه وهو لم يتمرد ولم يتعنت وقام بـ
التسليم لأمر الله واداء التكليف بأحسن وجه (**" و ابراهيم الذي وفى "**)

2- فالنص يبين لهم ان الوعد الالهي بالتمكين والوصول الى الرئاسة الخلافه انما يكون بعد الامتحان والا
ختبار فقال تعالى (**" فآتمهن "**) بالإشارة الى القيام بالمهمة بالتوفية.

- للقيام بالمهمة واكمال دون تقصير او توان او تفريط وعلى شدة العزم والقوه في الامسك والاستعمال فآتمهن
الفاء المفصحة الدالة على قيامه بالفعل على اكمل وجه

تخبرهم ان اصل الخلقة عبادة الله وحده والعبادة غايه الحب والذل ولذلك فان الاتصال ب الله تكون بهذه الامو
رلا بالنسب وان الوصول الى وعد الله بالتمكين والقيادة والرياسة له سنن ونواميس يسبقه ابتلاء وامتحان و
لا يكون الا بالامتنال لأمر الله وترك التعصب والعناد والمكابرة

والله قد كرم الإنسان بالعقل لحمل الامانة (**" وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً "**)

وبالتالي فهو بحاجة الى التخلص من الجهل والظلم ليكون اهلاً للقيام بالمهمة ولهذا فلا بد من حسن
استعمال القوي العقلية وفق ومنهج الله تعالى فالله يقول لهولا ان الله اختبر ابراهيم بقواه العقلية والفتوة و
النفوس والقلب من خلال الاتي :-

انه توصل الى معرفة الله من خلال تأمل الآيات الكونية حيث نضر الى الاصنام فادرك انها ليست الهه ولا تصح
ان تكون الهة تعبد .

فقال لأبيرة (**" يا ابت لما تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً "**) وقال له ولقومه (**" اذا قال لا
بيرة ما تعبدون قالو نعبد اصناماً فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو
يضررون "**) الى قوله (**" فانهم عدو لي إلا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو
يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين "**) وقال (**" اني وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض حنيفاً وما أنا من المشركين "**) وقال (**" انني براء مما تعبدون الا الذي
فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون "**)

1- حيث عرف بذلك سلامة فطرة ابراهيم عليه السلام

2- وانه توصل الى معرفة ربه بالأدلة الكونية (**" وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من
الموقنين "**) فظهر سلامة عقله ومدركه واستقامته وفي هذا اخبار هولا الذين طلبوا تبديل معجزه القرآن بأية
اخرى ان المعجزة الكونية هي اعظم الادلة والمعجزات وعلى اعجاز القران وهي التي وصل بها ابراهيم الى
اليقين للرد على قولهم (**" لولا يكلمنا الله او تأتانا اية "**) الى قوله تعالى (**" قد بينا الآيات
لقوم يوقنون "**)

المسألة الثانية :-

انه من خلال تأمل الاختبار العقلي والفطري الذي اختبر الله به ابراهيم عليه السلام نجد الاتي :-

انه لما عتابهم بعبادة من لا يعلم ولا يسمع ولا يبصر فقال (**" ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفي
على الله من شيء في الارض ولا في السماء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق
ان ربي لسميع الدعاء "**) وانه لما عتابهم بعبادة من لا يغني شيئاً فلا ينفع ولا يضر قال (**" الذي خلقني فهو
يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين "**)

فيها حاجة الانسان الى جلب المنفعة لقلبه وجسمه ودفع المضرة عن ذلك وهو متعلق بأمور الدين والدنيا
حيث ذكر منفعة الدين الهدى ومضرة الذنوب ودفع مضرته بالمغفرة ومنفعة الجسد الطعام والشراب ومضرته
المرض ودفع المضرة بالشفاء وذكر ان النسب منفعة بالاجتماع والتباهي والتفاخر به وذكر مضرته بالخزي و
العار (**" واغفر لابي انه كان من الظالمين ولا تخزني يوم يبعثون "**) ودل ذلك ان المنفعة تكون بالإيمان
والقلب السليم (**" الامن اتي الله بقلب سليم "**)

ليبيان :-

1- ان المومن لا يستمد قوته من جاه ولا من سلطان ولا مال ولا قوه تمتد قوته من العلم بالوحي الذي يحمله
الرسول ليظهر نفسه من الجهل والظلم .

2- ان الايمان هو النسب الحقيقي بغض النظر عن الزمان والمكان والدم والعرق فلا عبره له وان الكفر نسب
ينتسب اليه كل من كان سلوكه الافساد في الارض بغض النظر عن اسلافه (**" انه ليس من اهلك انه عمل "**)

غير صالح " بان النسب يكون بسلامة الحركة والاخلاص والتوحيد والاعمال وفق منهج الله .
فوجد انه اخبر أن ربه يحيي
وأنه فاطر

ويميت فوصف كماله بأنه حي
السموات والارض ويقتضي امساكها وجمالها الذي وصف كماله بأنه قائم بنفسه
والافل هو الذي تغيب تارة وتظهر تارة فليس هو قائم على عبده في كل وقت وان الذي يعبدون ما سوى الله
من الكواكب ونحوها ويتخذونها اوثاناً يكونون في وقت البزوغ سابيين وفي وقت الافول لا يحصل مقصدهم
ولا مرادهم فلا يجدون منفعة ولا يدفعون مضرة فبينما ما في الالهية التي تعبد دون الله من نقص وبين ما
لربه فاطر السموات من الكمال بان الخالق العليم السميع البصير الهادي الرزاق المحي المميت
وسمى ربه بالأسماء الحسني الدالة على نعوت كماله

المسألة الثانية:-

يخبرهم الله تعالى ان الرسل انما تأتي لتذكير الفطرة بما هو معلوماً لها وامدادها بما يساعدها على التخلص من
الاسواخ اي تقومها بما تعرفه فكل مولود يولد على الفطرة الا أبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه
والرسل بعثوا لتقرير الفطرة وتكميلها لا لتغيير الفطرة وتحويلها فلكمال يحصل بالفطرة الكلمة (**"لا اله الا الله"**)
(فهي الكلمة الطيبة التي تمد صاحبها بالقوة وتزيل عنه
الظلم والشرك كلمه خبيثة والله يقول ان الشرك اعظم الظلم فقد وردا عن ابن مسعود قلنا يا رسول الله أي
الذنب اعظم فقال (**" ان يجعل لله ندا"**) ولهذا فقد تبرأ إبراهيم من ابيه وقومه واصنامهم (**" قال**
أفرءيتم ما كنتم تعبدون انتم وأبؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين ")
فالشرك مانع من الصلة والنسب مع الاسلاف والمؤمنون (**" قد كان لكم اسوء حسنه في ابراهيم والذين**
معه اذا ")

الامر الثاني :-

تبيين النصوص ان إبراهيم عندما اخبره الله انه جعله اماماً وقوده يقتدي به الناس قال طالباً من الله ان يمنح
ذلك بعض ذريته ذلك الفضل والشرف فقال (**" ومن ذريتي "**)
حيث نجد ان السؤال كان بمن فهو كان فيه سؤال التأدب مع الله لأنه يعلم ان الجميع يستحيل ان يكونوا ص
الحين جديرين بهذا الشرف
وثانياً ان إبراهيم عندما طلب هذا الطلب التزام بسنة الله تعالى في الخلق فلم يطالب بما يخالف سنة الله
التي لا تتغير لا بتبديل لسنة الله
وان الجواب جاء من الله (**"قال لا ينال عهدي الظالمين "**) أي لا يصيب عهدي او وعدي الظالمين والله لا
يخالف وعده واستعمل الفعل المضارع (**"لا ينال "**) أي لا يصيب العهد الظالمين فلا يشملهم فذكر الصنف
الذي لا يستحقون هذا الشرف وانهم غير جديرين بان يمنحهم الله الامامة والقيادة لانهم خرجوا عن العدل و
العلم الى الظلم واعلى درجات الظلم الشرك (**" ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون "**)
والجواب من الله ان الظالم لا يكون اماماً يقتده به اهل الخير فالإمامة انما تكون لأولياء ه واهل طاعته دون
اعداءه والكافرون به
والظالم لا يجوز ان ينصب اماماً لان الامام انما يكون لكف الظلم .

وارد بهذا :-

الحججه على المشركين واليهود والنصارى بان الامامة والقُدوة والقيادة لا يكون استحقاقه لنسب لبيان حالهم ب
الكفر بالنبي (ص) الذي كانوا ينتظرون قدومه وقبله الانبياء عندما كانوا يحملون ما يخالف هوائهم لبيان
فساد تصوراتهم عندما تصوروا ان الانتساب الى الانبياء سبباً لدخولهم الجنة وان لم يعملوا الاعمال الصالحة
وكذلك تفاخر العرب بالكعبة
والنصوص تبين ان مع هولاء العناد والمكابرة والغضب والكرهية للحق وانهم بنو عقائدهم على الاوهام و
الخرفات والاماني الكاذبة والأهواء الباطلة واصبحوا دعاه للفكر الجاهلي .

افقدهم الغضب والتقليد العلم وولد لديهم الجهل
وزاد في حدة الظلم لديهم انهم اصبوا بسوا الاختيار فاختر لأنفسهم ما هو ادني فعاقبهم الله بالذل والمسكنة
وزاد الظلم منهم بالاعتداء على الاقليات والسعي لهدم اماكن العبادة ووصل بهم الحال الى القول ان لله ولد .

المسألة الثالثة:-

يخبرنا الله ان كراهية الحق وعلان العداوة له سبباً منعاً لهم من الرياسة والقيادة والامامة لان العهد الذي قطعه الله مع إبراهيم انه لا ينال الوعد الظالمون خاصة وان الله ذكر قبلها الطوائف والملل فكان عطف القصة على القصة للاتحاد في المقصد ولان المقصد من ذكر احوالهم تعريفهم بأصول الدين التي جاء به الرسول (ص) واتباع الحق و ان هذا يستوجب 1- ترك التعصب والانانية وحب الرياسة لأنه اذا علم ان الامامة بالرياسة لحكمه منه تعالى وانه لا يمكن ان يتولى هذا الشرف من هو ظالم فالظلم مانع له من هذا الاستحقاق 2- فان هذا يعني ان عليهم تخليص و تنقيه الالوية العقلية والقلبية والذهنية والنفسية من اوساخ الجاهلية والفكر الجاهلي فنجد انه سبحانه ذكر ابتلاء بصيغه الماضي وذكر ان الامامة لا تكون الا بالمجاهدة واعلا ذلك جهاد النفس وانه سبحانه قدم لمفعول على الفاعل وهو الكلمات الى ابتدا بها النص لان ابراهيم هو محور القصة فهو يحظى باهتمام واحترام الجميع وكلهم يتفاخرون به ويدعي الانتساب اليه فذكر لنفي علاقته بالنسب بإبراهيم لكل ظالم ليبان ان النسب الحقيقي يكون بالإيمان والعمل الصالح وتسليم الوجه لله تعالى واحسان الاتباع فهذا النسب الحقيقي

المسألة الرابعة :-

ان القصة جاءت معطوفة على قصة سيدنا ادم عليه السلام ليبان انه سبحانه وتعالى قد جعل منذو فجر ا لبشرية للخير اهلا مثلما جعل لشراهما ولهذا فإن الله سبحانه قد جعل ارسال الرسل الذي يحملون المنهج لعلاج الاقات والامراض وازاله ركام الجاهليه ولكي يحصل التميز بين الحق والباطل عندما تنخفض الروية نتيجة كثافة ضباب الحوادث التي تغطي الروية وتحصل اختلاط الاشياء وما يتبع ذلك من انحدار وضعف جانب الايمان فذكر الله انه قد جعل لكل مدرسه اصول وافكار وقواعد وسياسات ومنهاج وان اصول مدرسة الخير تعود الى منهج الرسل وانها بدعت باب التجربة الاول ادم عليه السلام فهو اب ا لبشرية الاول

وان اصول مدرسة الشر هو منهج ومشروع ابليس (انا خير منه) الانانية والمكابرة والعداوة والتعصب للجنس والنسب ويهدف هذا المشروع الى اشاعة الفساد في الارض وسفك الدماء ونشر الظلم وان حزب الله يكون انصاره المؤمنين من الانس والجن الذي يتبعون ما حمله اليهم الرسل من منهج هداية من عند الله وان اهل مدرسة الشر هم الكفار من الانس والجن الذي يتبعون مدرسه الشيطان ومنهجه (" انا خير منه ") وهذا افيه

1- ان مسألة النسب بالدم لا معنى لها لان النسب المعتبر هو بالانتساب الى مدرسة الانبياء والمرسلين ومن ا تبع ما حملوه من منهج هداية فهذا هو النسب المعتبر الذي يطلق عليه الابوة الشرعية المسندة بالمنهج فجعل هنا نوعين من الابوة والنسب ابوة الشيطان " الابوية الوضعية " الابوة الشرعية " ابوة المنهج "

فجعل اقامه المنهج والوفاء بالعهد هي شرط الابوة الشرعية ويكون الارتباط والتسلسل لهذه المدرسة قائما على هذه الشروط بالتسليم والاذعان والانقياد لله ("ملة ابيكم إبراهيم وهو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم ولتكونوا شهداء على الناس ") واذا خرج العبد عن هذه الشروط حصل انقطاع الارتباط وانفك التسلسل فليس العبرة في المدرسة الابوية بالتسلسل العرقي وانما هو اتباع المنهج ولهذا اخبر الله إبراهيم ان الوعد لا ينال الظالمين لان اتصاف هولاء بالظلم جعلهم ينسبون الى الشيطان الرجيم الذي عبر عن نفسه بأن مبداءه " وفكره يقوم على التفاخر والتكبر بشرف العنصر والمادة والذات عند ما رفض السجود لادم فقال انا خير منه ولهذا فان النص فيه ذم لهؤلاء لانهم قد اصبحوا ينتسبون الى الشيطان في عقائدهم وثقافتهم افكارهم فقد اتخذوا من المدرسة الشيطانية نسبا " واتبعوا كتب الشيطان والسحر. فكان ابليس ابوه

المسألة الثالثة:-

يخبرهم الله انهم اذا ارادوا الانتساب الى إبراهيم فعليهم التحرر من الخوف وترك التعصب للنسب لان اول ما امره الله تعالى وما اخبر به إبراهيم كان هدم الاصنام فقام بالمهمة على اكمل وجه ونجد ان الله استعمل صفه "ربه " اي المحسن اليه اشعاراً بان التكليف للعباد هو غايه الابتلاء وان الله فرض عليه تكاليف وامورا فيها مشقة فقال (" بكلمات فاتهم ") فهو لم يتمرد ولم يتعنن واذ عن للأمر واحترام ما امر به فظهر ان

الصراط المستقيم هو حال إبراهيم ومن ذكر منه الانبياء فالاعتداء بإبراهيم يكون بالتزام الوفاء بالعهد سوء عهد الايمان الذي اخذ من ادم حتي سلم مفتاح الارض (**" فما يأتيكم من هدى "**) او العهد المقطوع معكم فاتباع الرسول (**ص**) كما قال تعالى (**" اوف عهدي اوف بعهدكم "**) حيث ربط الوفاء بالوعد والتزام بالوفاء بالعهد وهنا اخبر الله إبراهيم بان العهد هو وعد لا يصيب الظالمين الذي ينقضون العهد ويفسدون في الارض حيث ونفوس هولاء فاسده ممتلئته بالحقد والحسد فحرب عليهم الذلّة والمسكنة لانهم كانوا ظالمين

المسألة الرابعة :-

ان التفاصيل التي ذكرت بشأن بناء الكعبة والدعاء ببعثه الرسول (**ص**) فذلك فيه توطئة وتمهيد لاستقبال القلب نحو مكة المكرمة وفيه بيان سر اختبار الله للامه العرب لحمل رايه الهديه في هذه الفتره الزمنية تحديد لقيادة العالم والناس في مستوي متدني من العقيدة الفاسدة والاخلاق الذميمة والفواحش بان هذه الامر مخطط ومقصود مثلما كان وجود ادم على الارض مخطط له ومقصود من قبل ان يخلق ادم فقال تعالى (**" اني جاعل في الارض خليفه "**) وان دخول ادم الجنة لم يكن إلا لغرض الاعداد وتربية لا دم فهي ليست دار التكليف والله قد اخبر الملائكة انه اختار ادم ليكون خليفه في الارض وكذلك فان اختيار النبي (**ص**) وتحضير السكن الذي سيكون نقطه الانطلاق من هذه البقعة من الارض مكة هو امر مخطط له فقد امر الله ابراهيم ببناء الكعبة هو واسماعيل لتكون المرجعية التي سوف تنطلق منها رسالة اخر الزمان والا مر مخطط له من الله ولهذا كان الامر بتطهير البيت من النجاسات الماديه والمعنوية بكافة أشكالها. فقيادة الرسول (**ص**) واختيار مكة امر مقصود ومخطط له من الله وان ابراهيم قام بالتجهيز لهذا المكان بأمر الله تعالى

وانه اذا كان لديهم حب لإبراهيم فأنهم سوف يبادرون الى امتثال الامر واتباع الرسول الخاتم فكانت هذا التفاصيل من الامور المرتبطة بأحوال وماتستلزمه النصوص السابقة وشرح اوجه المعركة بين الحق والباطل وليس انها المقصود والمراد بالكلمات التي كانت ثمرات النجاح الذي حققه ابراهيم عليه السلام بعد الامتحان واختبار لان الاختبار والامتحان يعني انه لم يكن يعرف النتيجة التي سيكون نهاية الامتحان اما بناء الكعبة وما تلاها من الدعاء لبعثه النبي صلي الله عليه وسلم على لسان ابراهيم واسماعيل فان ذلك يشعر الى انهم يعلمون من الله ماهو المقصود من قيامهم بهذه الأفعال وبالتالي فان ذلك لا يكون السر الذي ارادوا به لانه لاعمري لظهور العله وكشف الحكمة وانما هو تفاصيل بما اختص الله به امه اخر الزمان بان الا مامة والقيادة على البشرية سوف تنقل الى هذه البقعة من الارض فامر الله ابراهيم ان يجهز المكان لبناء الكعبة فاخبره الله انه سيكون له شان عظيم في مكة

المحب الثاني :-

ان النص ابتداء بقولة (**" واذا ابتلى ابراهيم ربه "**) والابتلاء يفهم أنه خوض تجربة وفيها مشقه وتعيب ليكون اهلا لاستقبال الخير فهو فيه إعداد وتأهيل الكوادر البشرية للتميزين منهم والقاده وليس كما يتصور البعض ان ذلك فيه شر والم أي ان النصوص بين لنا ان الكلمات التي ابتلاء فيها ابراهيم هي مدلولات لا الفاظها وحروفها لان هذا الابتلاء يحصل بها النضج والابتلاء فيها تهذيب النفس من امراضها كالكبر والحسد والبطر فهي تعطي فرصة للتغير قال تعالى (**" وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خيرا لكم "**) تقوم العقيدة على ان الالم ينمي المهارة والتفكير التسخيري الذي ياخذ بالأ سباب ومواجهة التحديات بقوة الايمان والعزم والتوكل على الله تعالى فهي النار الهادئة التي ينضج بها النوع الانساني وهومن الناحية الفسيولوجيه :

بمثابة الانذار المبكر عن الاخطار التي تصيب جسد الانسان ولو تصورنا ان الانسان اصيب بالمرض دون الالم فانه لن يذهب للعلاج لأنه لم يحس بالألم

والالم هو الذي يقف وراء الابداع الإنساني ويسهل المهمة في الارض والحياء لا تخلو من الالم ولولاها لما حصل تطور النوع الانسان ولحصل الجمود

والبلاء ينضج به الذات حتي ترفع الحجب التي تحجب بها العبد عن الله فهبوط الانسان الى الارض هو اكبر انواع الالم . ولهذا فان البعد عن الله هو اعظم الم ولذلك فالمسلم ينظر الى ان الموت ليس الماً لأنه فيه عودة

الى حياة ثمينه حياة خالدة... ولهذا تجد انه سبحانه الحق ذلك بذكر التشريف بعد نضوج ابراهيم (**" اني جاعلك للناس اماما "**) والابتلاء كما اشرفنا يكون بامرين اختبار

في سلامة العقل والرشد (**" وابتلوا اليتامى "**) والابتلاء بالتكاليف الشاقة ولهذا نجد ان النصوص تتحدث

عن الطريق السليم الذي فيه الهدية ولان ابراهيم يحظي باحترام وتقدير جميع الطوائف فالله يخبرنا عن الامور المتعلقة بالكلمات من النصوص القران بانها مدلولاتها لا حروفها والفاظها من خلال الاتي
الامر الاول :-

ان الله تعالى يخبرنا ان ملة الاسلام هي ملة ابراهيم فهو لم يكن يهودياً لا نصرانياً ولا مشركاً وانما مسلماً حنيفاً فاول ابتلاء لإبراهيم عليه السلام كان التوحيد حيث ان التوحيد يقتضي ان يكون له تأثيراً على القوي النفسية تدفعه للعمل فلا يكون مجرد اقوال يردد بالسان فالعقيدة النظرية تكون بالمعرفة للرب وانه المستحق للعبودية والالوهية والربوبية ووحدة لا شريك له فكان اول اختيار لإبراهيم في التوحيد وهو يطلب معرفة ربه بالفطرة السليمة حيث و النصوص تبين كيف ان إبراهيم عليه السلام كان صاحب عقل سليم وقلب مدرك واستقامته جعله يستحق اسم الخليل التي تعني الصداقة والمحبة التي تخللت قلب ابراهيم فصارت خلاله واستحق بهذا ان يسمى الخليل تشرifa له وان يكون اماماً للناس وذلك لما في قلب ابراهيم عليه السلام من حب الله تعالى وسمي بهذا الاسم لانه يوالي ويعادي في الله تعالى وخلصه الله له نصره وجعله اماماً وهذا يتضح من خلال الا تي :-

تضر ولا تنفع فقال (" **واذا قال ابراهيم لآبئة ازر اتخذت اصناما الهه اني اريك وقومك في ضلال مبين** ") ومن سورة الشعراء (" **وهل يسمعونكم اذ تدعون** ") وهذا

التعريف لاله انه لا بد ان يسمع لمن يدعو وقت الحاجة وفي كل وقت (" **او ينفعونكم او يضرون** ")
2- والعقيدة النظرية تعني ان يكون التوحيد موثر في حياه العبد فيكره الظلم ويحب العدل اما اذا صار الظلم مألوفاً وعندما نجد الناس يساعدون الظالمون ويقفون ضد الحق وعندما يحصل الاستهزاء بالهدى والتكاليف وعندما يحصل الابتعاد عن الخالق فان ذلك العبد يكون بعيداً عن مصادر الاستحقاق للقيادة فالله يقول (" **اذكروني اذركم** ")

توقفوا واذعنوا للجلالي
اذركم ") اكشف الحجاب عنكم واعنكم برحمتي واحساني
ولهذا نجد الاختبار لرشده جعله يفهم اهمية الانقطاع لربه وقصرها عنه له
ولهذا رفض التقليد فقال (" **أفريتكم ماكنتم تعبدون انتم وباؤكم الاقدمون فانهم عدولي الارب العالمين الذي خلقتي فهو يهدين** ")

2- وابراهيم اسمه بهذا الاسم الذي يعني اب رحيم فقد قطع العلاقات مع قومه وابية عندما اعلن رفضه لعبادة الاصنام وهو الموصف بانه (" **ان ابراهيم لأواه حليم** ")

الامر الثاني :-

3- ان هذا الاختبار يخبرنا الله تعالى فيه ان الغرض منه (" **وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه اليل راء كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الافلين فلما راء القمر بازغاً قال هذا ربي فلما قال لئن لم يهدني ربي لا كونن من القوم الضالين فلما راء الشمس بازغها قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يقوم اني برئ مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً وما انا من المشركين وحاجة قومه قال تحجوني في الله وقد هدين ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاربي شي وسع ربي كل شيء علماً افلا تتذكرون** ") فهذا الاختبار فيه
1- ان الغرض منه ان يري ابراهيم الآيات الكونية المشهودة الدالة على حضور الخالق عز وجل كي يصل الى اليقين لبيان ان المعجزة القرآنية التي كانت هي عين المنهج واضحة لاغموض فيه ولا لبس

فالكلمات لمن تدبر وفهم وقراءة الآيات واضحة مما نظمه يدل على صدق الرسول (ص) وان من ضمن الآيات والبراهين الدالة على صدق الرسول هي الآيات الكونية المطمورة في الارض وانه سوف يكون اكتشافها لكي ترقي الانسان في عقله (" **ليكون من الموقنين** ")
2- وذكر النص ان من ضمن ما ابتلي الله به ابراهيم بان جعل الطريق لمعرفة الله من خلال الآيات الكونية للرد على من طلب (" **لولا يكلمنا الله او تأتينا اية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشبهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون** ")
بان معرفة الله تعالى وتوحيده لا يحتاج الى معجزات وآيات مادية موضوعيه حيث وان ابراهيم قد ابتلاه الله واختره ب

التوحيد بقلب معرفة رب الوجود في الشرق والغرب فذكرت الآيات

وليكون من الموقنين "

والنصوص اوضحت ان المشاهدة للآيات الكونية تدل على البيئة الواضحة التي تغني عن المعجزات المادية فما اخبر به القران من الآيات الكونية التي تبين الاكتشافات العلمية كلما تقدم الانسان بالمعرفة توافقها مع ما اخبر به القران قبل الف واربع مائة سنة فالذي لا يقبل الايمان بما جاء به القران يكون شاك بالمشاهدات فهو محجوب عنه الروية 3- والله يقول لنا ان العقيدة الاسلامية هي من اطلقت العنان للفكر وحثه على النظر والتأمل في كل شيء الا في مساله الخوض بالذات الإلهية لان الله تعالى ليس مادة تخضع لا سئله العقل فالعقل مخلوق لا يدل الا على مخلوق مثله

وان اول درجة وسلم اليقين هو تنظيف الفطرة والقلب من التعلق بالأوساخ ولهذا أخبرنا أن ابراهيم تخلص من النسب والقبيله والسلالة فلم يقبل عبادة الاصنام واخبر قومه انهم في ضلال واضح بهذه العبادة لعاجزون و اخبرهم أن الرب هو الذي بيده الضر والمنفعة وهكذا يعرف الانسان ربه من جهة ربوبيته وبالتالي فان التعصب والتباهي بالانتساب للعشيره والسلالة تمنع ويحجب الروية

المسألة الثانية:-

تبين النصوص ان الانسان يعيش في غرابة وسجن الالم والانانية والذات اذا لم يتصل بالله ويعرف قانون التعامل مع الكون من حولة بني جنسه والحيوانات والنباتات والمحيط به

ولهذا كان يبحث ابراهيم عن ربة وسعية هو كي يعرفه ربة (**" فلما جن عليه ايل رءا كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الافلين "**) فالليل يقبل مع الخوف ومافيه من الهدوء الذي يشكل مادة للتفكير ولهذا فان نظرة الناس الى الكون من حولهم تتفاوت بقدر المعرفة وبسلامة العقول وليس بالذوق فإبراهيم نظر الى الكوكب فقال هذا افضل من الاحجار والاصنام فلم غاب (**" قال لا احب الافلين "**)

المسألة الثالثة :-

ان الحب جزء أصيل من قواعد الاسلام لأنه يصل العبد بالله وهو الوسيلة للخروج من سجن الذات الى اتساع الافق في الكون يدرك به العبد انه لا يعيش وحيداً من الكون ولذلك يتحرر من الغرابة والخوف فيحصل تحرير مواهبة وطاقاته من السكون ولذلك يستطيع ان يتعامل مع الكون وبني جنسه وخالفه كل شيء فاعظم الحب حب الله تعالى ثم حب الكون وحب الانسان والحيوان والنبات وهذا الحب هو جوهرالاديان وهو المسئول عن الضوء والنور والاجسام فطرت على الظلام والارواح فطرت على النور ولهذا نظر ابراهيم في الليل يبحث فيه عن الانوار التي تضي قلبه عندها قال (لا احب الافلين) لأنها ليست قادره على اعطاء روحة النور أي لا يستحق الحب العظيم الا عظيم والحب الباقي لا يليق الا بالخالد فهو مصدر النور للحياة واصل الحب الانكسار القلب .

المسألة الرابعة :-

ولما كان الحب يعود الى الروح والذي لا يعرف شيئ لا قيمة له ومن الصعب ان يحب لأنه الحب هو الحجر الا خيره في هرم القيم ويستحيل ان يوحد الحجر الاخير في غياب الهرم وان من يقدر على الحب يقدر على الفهم والملاحظة والروية والاحساس والعتاء وكلما زاد الانسان من المعرفة زادت قدرة القلب على الحب وتحصيل الرقي للانسان بمعرفة العلاقة التي تربطه بالكون من حولة وتنضج شخصيته من خلال الوعي بالذات والماضي والمستقبل ويستطيع ان يعرف ربة وتقديره حق القدرة ويشعر بالامتنان الى ربة (**" فلما رءا القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لنن لم يهدني ربي لا كون من القوم الضالين "**) تبين انه يقدر الاقتراب من الله ومحبة الله والتقرب اليه تجعل الهداية الخاصة وهي هداية التوفيق والارشاد فطلب الهداية والتوفيق من الله لبيان ان ثاني خطوه هي بالدعاء والدعاء يتطلب الشعور والاحساس بوجود الله وبحمايته واحسانه والخروج بالذات من سجن غرابة الذات والتحرر من كافة القيود .

المسألة الخامسة :-

الشعور بان الله اكبر من الوجود واكبر من كل شيء وهذه المشاعر مهمة للوصول الى روية الحقائق حيث يحصل سمو الروح والاتصال بمصدر النور الرباني فهو سبحانه.. اكبر من ظلم الظالمين ورحمة الراحمين اكبر من معجزات الانبياء واكبر من دلالات الحروف واشارات العباد اكبر من كل شيء (**" ليس كمثله شيء "**)

وهو السميع العليم ") فقال (" هذا ربي هذا اكبر مني فلما افلت ") حصل منه روية النور الرباني فحصل انتقال العلم والانوار من النظرية الى مرحلة الحركة والعمل .

فاعلان البراءة من المشركون واعلان التسليم والاذعان لله عز وجل (" يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً وما انا من المشركين ")
فحصل البراءة من الانساب

وابتلاه الله بالجدل مع قومه فقال لقومه (" وحاجة قومه قال اتحاجوني في الله وقد هدني ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما افلا تتذكرون ") حيث وان هذه الامور توقظ الفطرة فتعرف ربها.....

الامر الثاني :-

ان هذا الاختيار عرف به عقل ابراهيم وقلبه السليم وادراكه المستقيم فهو تخلص عن العصبية والسلالة و النسب ورفض التقليد وانكر الالهة والاصنام فاليقين امر ينقل الفكر والمشاعر ويغزو المناطق الداخلة للإ نسان أي اعتقاد عقلي يؤثر في احساس القلب يتبعه عمل تقوم به الجوارح ولهذا لا يقبل الظلم الذي واكبر انواع الظلم هو الشرك (" ان الشرك لظلم عظيم ")

والتوحيد ليس فكره مجردة يخبها الانسان او يكتنزهافي تلافى مخه بل هي قانوناً مؤثراً يحكم حركة الانسان ويسيطر على تصرفاته فالحقائق لم تنزل لتحفظ في العقول دون ان تخرج الى الخارج فهي ليست تنزل كي يكون ادخار العقل للحقائق لتكون نوعا من انواع الحلى وتهدر الحكمه من الاستحلاف فهي لابد ان تنقل الى الحياة ولهذا اوصف الله ابراهيم بانه كان امة (" ان ابراهيم كان امة قانتا لله

حنيفاً ولم يك من المشركين ") واستحق بعد هذا الاختبار ان يكون امة من وقوفه امام الظلم متعرض للاختبار التالي :-

حظي بعناية الله بعد الخصام مع قوم رموا به في النار عريان فقال تعالى (" يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم ")

وكذلك تعرض للامتحان بترك الاهل والهجره الى الشام تاركاً اهله واسرته ولم يومن به احد الا لوطا فعوضه الله باسحاق ويعقوب والذرية

3- ابتلاه الله بان امره ان يذبح ابنه اسماعيل قال تعالى (" ان هذا لهو البلاء العظيم ")

والنص جاء مرتبط بقوله تعالى (" واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملقوا ربهم وانهم اليه راجعون ")

بالخطاب الموجه لأهل الكتاب كي يبادروا الى الالتحاق بدعوة الاسلام بان عليكم ان تخضعوا اردتكم مختارين ان تكونوا مجبورين اختياريا فهذه هي الحرية الحقيقية التي تنعي الخروج من كل سلطان غيرسلطان الله و ابراهيم عليه السلام كان يحب ابنه اسماعيل فقد رزقه الله بعد ان بلغ من الكبر ما بلغ وها هو يري في المنا م انه يذبحه لقد كانت روي ابراهيم امتحاناً شديداً وبلاء عظيماً لان الرؤيا الانبياء وحي قال تعالى (" ان هذا لهو البلاء العظيم ")

والامتحان ان يخرج ابراهيم من قلبه كل حب غير حب الله من قلبه فعلمة الله درساً وهو حب الله تعالى واخراج ما سواة من قلبه فعندما اخرج ابراهيم حب ابنه من قلبه وحين استسلم له وادغان واطاع المشيئة الالهية

وقعت المعجزة (" وفديناه بذبح عظيم ")

يفهم من هذا ان ابراهيم كان مع الله بلا ارادة كان مجبراً اختياراً والله يخبره هولا كيف لهم ان يعترضوا على ارده الله ومشيته على اختبار الله لنبي (ص) بالرسالة

والله يخبرهم ان ابراهيم عند ما خضع لمشيئته الله (" اتخذ الله ابراهيم خليل ") فقد اتخذ الله حبيبا حينما اخرج ابراهيم من قلبه كل ما سوا الله فالاذعان والتسليم من ابراهيم ويقبوله اختيار الله له أكرمه فجعله الله للناس اماماً

المسألة السادس :-

انه نفذامر الله وترك ابنه اسماعيل من ود غير ذي زرع وفصله عن ذريته من زوجية تنفيذيا لأمر الله واي مشقة ان يترك الشخص طفلة من مثل تلك الظروف التي ترك بها سيدنا ابراهيم ابنه اسماعيل وهذا فيه امتحان اداءه ابراهيم فاستحق التكريم ويلفت انتباه المخاطبين ان كمال القوي والقدرة انما يكون بالاتصال

بالله والنجاح بالامتحان فالفصل لإسماعيل من ذريته فيه اشارة الى عمومة الرسالة الاخيره التي سيكون الى العالم اجمع ("**ملة ابيكم ابراهيم**") وقد تحمل المشقة من هذا الاختبار المحب الرابع :-

انه سبحانه اخبر ابراهيم ان الامامة والرياسة والقيادة انواع منها استخلاف خاص مرتبط بالوعد الالهي للمؤمنين وان هذا الاستخلاف لا يصيب الظالمون وذلك عندما طلب ابراهيم ان ينال ذريته ما وعدة وما اخبر به فقال ("**لا ينال عهدي الظالمون**") والنص يبين الامور والحقائق الاتية :-
الحقيقة الاولى :-

ان الخلافة ("**الاستخلاف**") نوعان العام : هو استخلاف البشر في الارض باعتبارهم مستعمرين لها متسلطين عليها ("**وهو الذي انشاكم في الارض واستعمركم فيها**") الخاص : وهذا استخلاف سواء استخلاف الدول بالأخذ بالأسباب والتقدم والقيادة او استخلاف الافراد من خلال التمكين لهم في الحكم والسلطان ("**يا دواد انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله**")

ولهذا فان الاستخلاف الذي يكون له شرف وقوه هو الاستخلاف الذي يكون فيه القيام بأمر الله وطاعته تعني حصل التخلص من الجهل والظلم \ بالعلم والعدل سواء الخلافة والرياسة العلمية او الدينية او الحكم والسياسة او الاقتصاد او غيره وهذا لا يتحقق الا بالالتزام بمنهج الله
الحقيقة الثانية :-

ان الاستخلاف الرباني شروط :-
1- اول شرط مرتبط ارتباطاً وثيقاً بأقواله ("**فأما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم واهم يحزنون**") وهذا شرط اخبر الله به ادم حينما سلمة مفتاح الارض
2- ان الخلافة سواء على المستوى الانساني أي الانسان نفسه او في الحركة او على مستوى المجتمع الدولة فان الله جعل لاستحقاق ذلك شروطاً وهو ان تكون الامة اهلاً للاستخلاف وكذلك الافراد .
3- وان الخلافة شرف الانسان وبالتالي فهذا الشرف والقوه يكون بالاتصال بالله وطاعته والقيام بأمره لان الخلافة اختبار وامتحان ("**وهو الذي جعلكم خلائف في الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما اتاكم**")
ولهذا فان هذا الشرف يكون بالقيام بأمر الله واتباع الرسل والاتصال بالله فهذه هي الحصون التي تعطي الخليفة قوة ويكون قدوة سالحة
4- ان الاهلية والصلاحية لاستحقاق الامامة تقوم على توفر الشروط السابقة و ابراهيم كان من نسل رجل كافر وقد تبرئ ابراهيم منه
5- وكذلك فان الله بقوله ("**لا ينال عهدي الظالمين**") بين للناس انه صلاح الابوة لا يكون بمثابة قانون صلاح الابناء ("**ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين**")
الحقيقة الثالث :-

ان الله يضع للناس قانون الخلافة وشروطه بقوله ("**لا ينال عهدي الظالمين**") فالقيادة والرياسة والقدوة الربانية لا تطبق الا على المسلم لقوله تعالى ("**ومن يبتغي غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه**")
وان الخلافة تقوم على مبدأ التقوى ("**ان اكرمكم عند الله اتقاكم**") فالتقوى هي اساس الصلة بين الله والا نسان وبالتالي لا يجوز ان يطلق على الملحدون والمكذبين والكفار انهم خلفاء الله تعالى

ولهذا فالامامة يقصد بها الامامة والرياسة التي تربط بمفهوم ان الانسان خليفة الله تعالى

لان هذا ملتزم بقانونين الخلافة في طاعة الله والقيام بأمره اما المكذوبون والملحدون فالله سماهم ايضا ائمة ولكن يدعون الى النار (" وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ") وبالتالي فان الخروج عن طاعة الله يعني الخروج عن شرف الخلافة والخلافة من الله هي شرف الانسان الحقيقي ولهذا فان فقد ان الانسان لهذا الصفة تكون خلافته مثل بيوت العنكبوت فهي ليست حصون تمنع ذبحها والفتك بها فالذي يهدرون قانون الخلافة في الارض غير مشمولين بوعد الله بالعناية والتمكين والعز لا نهم اتخذوا اولياء من دون الله واهدروا قانون الخلافة ولهذا فهم غير جديرين بوعد الله حينما اخبر الله نبيه ابراهيم

القسم الثاني :-

اولا :-

يتأمل الآية (" واذ جعلنا البيت معاينة للناس واما ")

ب تأمل مفردات النصوص نجد انها جاءت بلفظه (" جعلنا ") وهذا الكلمة تستخدم لمعني اليجاد والخلق و التكوين وتستخدم لمعني التحويل والصوره..... والبيت هنا هي الكعبة المشرفة وسماها الله تعالى (" البيت ") وهذا الكلمة ما خوزة من البيات والبيت أي السكن والماوي وهو المكان الذي يجد فيه الانسان راحته من الهموم والاحزان والمتاعب ومثابه تعني مرجعاً يعود اليه الناس ولمعرفة المراد بهذا لابد من الوقوف على الاتي :-

الامر الاول :-

ان النص جاء معطوفاً على ما قبله (" وذا ابتلى ابراهيم ربه ") والقصة معطوفة على قصة بني اسرائيل (" اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم ") وهي الاخر معطوفه عليكم على قصة ادم (" اني جاعل في الارض خليفة ") والنصوص مرتبطة بقصة ادم عليه السلام ووجوده على الارض حيث ان الله يلفت انتباه المخاطبين الى المشاهدة والتأمل كيف ان الله تعالى اختبر الاولين من لدن ادم عليه السلام الى الاخرين من هذا المقام بحجار صماء لا تنفع ولا تضر ولا تسمع حيث ورد عن قتادة انه تعالى حرم الحرم وذكر أن البيت هبط مع ادم حين هبط فقال الله له اهبط معك شيء يطاف من حولة كما يطاف حول العرش وطاف حولة ادم ومن كان بعدة من المومنين حتي اذا كان زمان الطوفان حين اغرق الله قوم نوح رفعة وطهره ولم يعرضه عقوبة اهل الارض فتتبع منة ابراهيم اثرأ فنباه على احساس قديم فامر ابراهيم فنادي بالناس فصار حرماً للناس يرجعون اليه

2- فالله يقول لنا انظر الى مكانة البيت (مكة)لذي وضعة الله تجدون انه وعراً لاشجار فيه ولا انهار ولا مظاهر جمال فيه ولا ماء ولا مظاهر زينة ولا عمران فهي في منطقة متقطعة عن القرى الاخرى والجبال المحيط به فهي في مكان منقطع عن مظاهر الجمال وال عمران ولذلك ظل في امن من اطماع الطغاة و الجبابرة من جهة ومن جهة اخري فان ذلك فيه حكمة الهية ومفاهيم عظيمة والله يلفت انتباه المحاطين الى الاتي:-

المفهوم الاول :-

انه سبحانه وتعالى جهز المكان (" السكن ") الذي سوف تنطلق منة رسالة الاسلام واعدة ليكون صالحاً لا استقبال الرسالة العالمية التي يتجاوز حدود المكان والزمان وان ذلك كان من قبل هبوط ادم عليه السلام الى الارض مثلما اعد الارض لادم فقال للملائكة (" اني جاعل في الارض خليفة ") ولهذا فانه مثلما ان وجود ادم على الارض كان مخطط له ومقصود من قبل ان يخلق ادم فكذلك كان اختصاص امة الاسلام برسالة اخر الزمان مخطط له ومقصود من الله تعالى من قبل ان يخلق ادم باعتبار ما ذكر ان البيت خلق قبل خلق السموات والارض

الرباني الذي فصل فيه ابراهيم ذريته ونسله من اسماعيل عن بني اسرائيل وتركهم في هذه الارض القاحله التي لا زرع ولا ثمار فيها ولا مظاهر حياة فلو نظر المرء بنظرة الانسانية التي تختفي عليها حكمة ما غاب عنها سيرى ان ابراهيم بهذا قد ارتكب فعلاً لا يقبل لكن ابراهيم الخليل كان قد اخرج من قلبه محبة كل من سوى الله ولذلك فاز بالامتحان وهنا يخبرنا الله تعالى عن الحكمة الالهية من فضل امة العرب وانها لم تنال شيء من ارث ابراهيم الذي اختص به اسحاق ونسله وذلك لان الله يريد لهذه الامة ان يكون لها شان عظيم في اخر الزمان وهنا يسرد الله لنا القصة كجزء من ثمار اتمام ابراهيم الامتحان على احسن وجه

المفهوم الثاني :-

يقول للمخاطبين انظر وا كيف ان الله خلق من الاسباب التي جعلت لمكة منزله ومكان في قلوب الناس فجعلتهم تميل قلوبهم وافتدتهم اليها واحبوها فصارت محلا ً لهوى الناس يقصدونها بعد ما امر الله نبيه ابراهيم أن يدعو الناس اليها فقد كانت غايه الرحال يسرعون إليها من جميع أقطار الأرض ويتوقفون عن القتال فيها حتي أن الرجل يجد قاتل أبيه فلا يتعرض له ويحلقون رواسهم الذي يكون فيه ازاله محاسن الجمال الخاص بهم فالله يقول لنا أن هذا ابتلاء وامتحان عظيم من الله عز وجل فلو أراد الله سبحانه أن يوضعها في مكان تحيط به الوديان والخضرة والأنهار والأشجار والأحجار الكريمة لفعل ولكن ذلك الأساس المحمول علي ما ذكر لا يحقق الغايه والهدف والابتلاء الذي تعلق بهذه الأرض للآتي

المساله الاول: أن الله يريد أن يغرس في النفوس أن فضله بوتيه من يشاء وليس لأحد الاعتراض علي مشيئته سبحانه وتعالى ولهذا فإن المولي جلا ثناؤه يلفت انتباه المخاطبين ويشد أذهانهم لتهيئه النفوس و القلوب لمساله تحويل القبله فأراد بهذه التوطئه لاستقبال الأمر ولغرض شد تنبأه أهل الكتاب لإعلان انتقال مركز القيادة الي امه الاسلام

المساله الثانيه: لتربيه المسلمين وأخبارهم أن هذه النعمه التي اختص الله بها مكه لاتعني الرفعه والتكريم الابالقيام بحقها وذلك بالتخلص من العصبية والشرك والحسد والحقد لانه لو وضعت الكعبه مكان محاط بالا نهييار والمظاهر الخلابه لكانت المساله سياحه ولما تحققت الغايه من الاختبار الذي يكون محاط بالمكراه و الشدائد وأنه لا بد من الجهد والسعي لإخراج مافي القلوب من الأمراض ليسكن الذل لله في النفوس ولهذا نجد أن المولي يخبرنا أن الهبوط الذي تزامن مع هبوط ادم والبيت الي الأرض جاء مرتبط بالمنهج (اهبطوا منها جميعا)ومتعلق بإغايه (اني جاعل في الأرض خليفه)وشرط الخلافه هو اتباع منهج الله الذي حملة الرسل (فماياتكم مني هدي)وهو مرتبط ارتباطا وثيقا بالتوحيد ولهذا فإن مكانه مكه وتجهيزها هو لأجل انطلاق رساله اخر الزمان ولهذا نجد أن هنالك ارتباط بين اعداد وتجهيز مكه بنعمه الامامه والقياده وربط استحقاق القيادة بالطهاره من الشرك والنجاسات والاوزاخ حيث نجد الرد الإلهي علي ابراهيم (لاينال عهدي الظالمين)وفيه بيان أنه سيكون من ذريته ظالمون غير جديرين بهذا الشرف وان الظالمون لا عهد لهم وانما الحمايه لهذا المكان حتي يأتي نبي اخر الزمان وعندها يحل له قتل المشركين

الأمر الثاني :

ان النصوص تبين عالميه الرساله الاسلاميه ولهذا كان الارتباط بين اختيار هذه البقعة في هذه الفتره الزمنيه تحديدا والناس في مستوي متدني من العقيدته الفاسده والأخلاق الذميه والهمجيه وتكشف سر اختيار هذه الامه لتحمل رايه الهدايه للعالم أجمع علي يد الرسول صلي الله عليه وسلم وبما أنزل الله من منهج فيه الشفاء للعالمين وحيث أن الله تعالي بين لنا أنه خلق جميع المخلوقات لغايه وحكمه تسعي إليها وأنه سبحانه يهئ الظروف والاسباب التي تحقق الحكمه من خلقها مبينا أنه عندما فصل اسماعيل عن أهله من بني إسرائيل فإن ذلك كان لحكمه لانه سيكون من نسله من يحمل الرساله الاخيريه وهي افضل رساله وهي للعالم أجمع فالنص فيه اشاره الي عموميه الرساله الاخيريه والابوه هي أبوه الاسلام (مله ابيكم ابراهيم)وان الله جهز المكان الذي سيكون صالح لانطلاق رساله اخر الزمان فحماها من اي غزو أو استعمار (ربنا الذي أعطي كل شي خلقه ثم هدي)فقد حرمها الله يوم خلق السموات والأرض فكانت في امان تلك الحرمة (يتخطف الناس من حولهم)وجعل الله لها مكانه في قلوب العرب تهنئه لبعثه الرسول صلي الله عليه وسلم وفرض تحريمها علي لسان ابراهيم لتكون لمن بعده سنه يستنون بها وكان ذلك بعد أن ذكر الله أنه اتخذ ابراهيم خليلاوأنه جعله للناس اماما يفتدي به وإلزام الله عباده حينئذفرض تحريمها علي لسانه والأماكن تعني القيادة والقيادة تحتاج الي الارض عاصمه يعلن فيها الدوله والدستور ومراسيم الحكم كما تفهم وبالتالي فإن هذا الارتباط يدل على ان الله جعل مكة عاصمه لحكم العالم اجمع وفق منهج الله بعكس ما كانت عليه الرسالات السابقه التي تتخذ من مناطق معينه ارضا تنطلق منها فهي عواصم محدوده والامم محدوده

الامر الثالث :-

ان الله يخبرنا انه قد جهز مكة واعدها لتكون المرجعة الدينيه والرياسة والتي اختارها الله تعالي لقيادة العالم (" وجعلنا البيت معايبه للناس وامنا ") حيث وان اللفظ (" معايبه ") هي مرجع يعود اليه الناس ولهذا حفظ الله مكة وصانها من الجبابرة لان لها مهمه فالله اعدها

وجهازها لمهمة حمل مهمة الدين والمنهج القران الذي يجب ان يحكم العالم ويهيمن على الدين كله ويقود البشرية جميعاً
فهي المرجعية السياسية وذكر انها تزول فيها الاحزان والاطهار ويخبرنا الله ان مقتضي ذلك ان يكون هذا
المحل مرجعية يجد فيها الانسان راحتهوان الله اخبر ابراهيم انه سيكون من ذريته ظالمون وان هؤلاء
لا عهد لهم وان ذلك العهد انما هو للنبي (ص) الخاتم وعندما يأتي سوف تحل دماهم فقال (" لا ينال عهدي
الظالمون ")
عندما

طلب ان يكون لذريته الامامة
والامامة هنا :-

الرياسة الدينية والعلمية والسياسية حيث وان اصل الخير او الشر يكون من هاتان المسالتان :-
فاليدع انما تنشي من العلماء والظلم يأتي من الرياسة القدرية فاذا صلح شانها صلحت الرعية
والله يذكرهم بإبراهيم عليه السلام الذي حطم الاصنام بذكرهم ان الرياسة العلمية والدينية والقدرية التي
اختص بها مكة لقيادة العالم ينبغي ان لاتودي الى التعالي والظلم والافساد في الارض (" لا ينال عهدي
الظالمين ") فالظالم والباغي والمتسلط لا يكون موفقاً الى الاستخلاف
ولذلك بعث الله الرسل ولهذا نجد بعد فضل مكة يبين لنا الله أنه يجب علينا أن نعمل علي استقرار مكة ف الله
يخبرنا أنه فيه أمان لكن يلزمنا أن نبتعد عن ارتكاب الجرائم والظلم فيه وأن هذا الامان مرتبط بامتثال أمر
الله تعالى وشريعته فإذا اطعنا الله حصل لنا العز والتمكين وان لم نطيع الله سلب عنا الامان والعز والتمكين
ف الله لا يصيب هذه الظالمين

ثانياً :-

(" واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين و
العاكفين والركوع والسجود ")
بعد ذكر مكة والبيت الحرام نجد ان النص جاء بتقرير تحويل القبلة (" واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى
")
حيث وان بالوقوف على مدلولات النص نجد الاتي :-

الامر الاول :-

1- ان الفعل (" واتخذوا ") اما ان يكون بكسر الخاء على الامر وهي احدى القراءتين والاخري بالفتح على
الخبر
على الوجوب لكن انعقد الاجماع على جواز التوجه في الصلاة الى جميع جهات القبلة فدل هذا على عدم
التخصيص بناء على ان المراد بالمقام هو الحجر الذي وقف عليه سيدنا ابراهيم عليه السلام وهو
في البيت ومنهم من قال الحرم كله ومنهم من قال ان (مصلى) قبلة المهم هنا ان الامر بفهم منه ان
يكون التوجه نحو القبلة بشكل عام لمن كان خارج مكة وان الوقوف خلف المقام يكون عند ركعتي الطواف كما
ذهب البعض ولهذا فان ذكر المكان الذي ارتفع فيه ابراهيم وقام عليه عندما ضعف ابراهيم عن رفع الحجارة
فقام بالوقوف على صخرة توجد عليها اثاراً قدم سيدنا ابراهيم عليه السلام فهذا الرسم اريد به الاهتمام بهذا
المقام وهذا يهدف الى الاتي :-

1- لبيان اهمية العبادة القلبية من خلال استشعار المكان الذي وقف عليه ابراهيم عليه السلام وهو ينفذ
التكاليف التي امره الله بها فالعبادة القلبية ان تقبل على تنفيذ الامر بشوق ورغبة ومحبة والنصوص تخبرنا عن
حال ابراهيم وهو ينهض بالتكليف 2- ولان المسلمون كانوا يتضجرون من الصلاة خلف المقام لأنه بمنزله

حجاب يمنع عنهم روية الكعبة فنزلت الآيات (" واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ")

واخبرنا الله تعالى ان في المقام آيات واضحة (آيات بينات مقام ابراهيم)

والله يلفت انتباه المخاطبين ان في هذا المكان آيات واضحة فالله يريد منهم ان يشاهدوا هذا المقام الذي
يكون فيه التذكر والعظة والاقتداء بإبراهيم عليه السلام لما في هذا المقام من مظاهر تنفيذ الامر والنهي
فهو دليل من ادالة امتثال ابراهيم عليه السلام حيث نري فيها اثار محاولة ابراهيم ان يزيد في اتقان ما امر به
حتى حفر على الصخرة ما يشير الى تشكيل قدمة

والله يخبرنا ان هنالك فرق بين القيام بالأمر بدون رغبة ومحبة وبين توافر ذلك في العبد لبيان اهمية العزيمة
والمحبة والرغبة والهمة العالية للقيام بتنفيذ التكليف

3- فالمقام فيه الدليل والبرهان وهو المكان الذي امر الله ابراهيم ان يقيم القواعد من البيت

الأمر الثاني: _____ ("وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهر بيتي للطائفين") اي أن الله يقول لقد امرنا ابراهيم واسماعيل بتطهر البيت من الاوساخ والنجاسات المادية و المعنوية لتكون صالحة لاستقبال المهمة فالطهارة من الشرك والنجاسات ("معنوية") والطهارة من الاوساخ المادية لا جل ان يكون مرجعة للناس ("مثابة") حيث ان الله يقول ("الم

نعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين")

وبالتالي فان النص تضمن وجوب تطهر البيت وهو ما يدل على الاتي :-

1- ان البيت كان قد تعرض للأوساخ المادية والمعنوية وان الامر جاء بإزالة وتتبع اثار البيت الحرم وتنظيفها من كل الاوساخ

2- ان الله سبحانه وتعالى امرهم بذلك بقوله ("**ان طهرا**

بيتي") بإضافة البيت إليه سبحانه وتعالى وهذا فيه تشريف يوجب الشعور بعظمة البيت الالهي فكما انك تريد ان ترى منزلك نظيفاً من كل ما يعكر الراحة والاطمئنان والسكينة والامان فيه فان الواجب عليك أن تكون أفعالك وارادتك وعزيمتك أن تري بيت الله نظيفاً طاهراً خالياً من كل ما يمكن ان يشكل اداة تعكر اداء بيت الله لمهمته وان تريد ان تراه من غاية الجمال فهو بيت الله

3- ان النص ذكر فية الامر بان يكون البيت طاهراً على الدوام ("**ان طهر بيتي")** من الاوساخ والشرك والا صنم والامر عند قيام ابراهيم واسماعيل بالمهمة البناء فكان أضافه التشريف ("**بيتي")** وذكر هذا الا مر بعد الاشارة الى مقام ابراهيم لبيان اهمية تأسيس البنيان علي تقوي الله ورضاه لان مقام الرضوان الذي يسعي الية كل مومن انما يكون بإتقان الاساس والاساس هنا هو الطهارة

4- ان الامر بهذا ليس مقصوراً لا جل الحجاج كما يحاول البعض القول لان الله تعالى يقول ("**للطائفين و العاكفين والراكع والسجود")** وذلك لان لفظ العاكفين تعني من يقيم فيها على سبيل الإقامة ولو لم يكن في مشاعر الحج والعمرة وهو ما يدل ان الطهارة فيها لا جل ان تكون مرجعية للناس اي مرجعية دينية وسياسيه واقتصادية وكل شيء لا مجرد مرجعية الحج لمن ذهب إلي القول إن المراد بذلك أن الحجاج يذهبون ويعودون اليها

ولهذا يفهم ان المراد بهذا طهارتها لتكون عاصمة الموحدين فقال ("**والركع والسجود")**

ف الله يخبرنا ان اعداد مكة وتجهيزها لا جل ان تنطلق منها رسالة اخر الزمان فهي عاصمة الموحدين فيجب تطهير النفوس من اوساخ الشرك بالتخلص من الاصنام والعصبية والقومية ومن الجهل والتخلف والاضطراب و الظلم فكل ذلك يمثل عائقاً من القيام بالخلافة وقيادة العالم الذي يتطلب ان تكون محل هذه القيادة مستقراً فالنوحيد ليس قاصراً على عمل النفوس وحدها فلا بد ان يخرج الى الميدان ويتحرك في الحياة ولهذا نجد ان الرسول (**ص**) عندما حوضر في مكة هاجر الى المدينة لا جل تحقيق اهداف الدعوة وضلت عينة على مكة فلا بد للمجتمع المسلم من دولة يحكمها القران وعلاقات انسانية مع الاخرين يتداخل فيها تنظيم حياه الفرد والأ سرة والمجتمع ويقوم على الالتزام بقيم الحق والعدل والمساواة حضارة الانسانية تحترم الانسان وتكرمه ف الله يخبرنا ان تطهير مكة من اوساخ الشرك والخرفات والظلم هو الذي يعطيها القوة لا التفاخر والتباهي بالأ نتساب الى اسماعيل وابراهيم

ثالثاً :-

وان قال ابراهيم ربي اجعل هذا بلداً امناً وارزق اهله من الثمرات من امن منهم ب الله واليوم الاخر قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم اضطره الى عذاب جهنم وبئس المصير) انتقل النص الى سرد دعاء ابراهيم وطلبية من الله عز وجل ان يجعله بلداً امن بلدة لأنه كما نعرف لم يكن فيه احد من الناس فهي منطقة مقطوعة ("**اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع")** فهو منطقة خالية كما فهم من قول ابراهيم ايضاً ("**عند بيتك المحرم")** ان المكان عند نزوله به قدحرم قبل ذلك والا فما معني ("**عند بيتك الحرام")**

والسؤال هنا لماذا يطلب ابراهيم تحريمه واحاطته بالأمان والحرمه طالما وانه محرم من قبل مجيئه؟؟ الأمر الأول: _____ ان الثابت بالأدلة القاطعة ان الله حرم مكة يوم خلق

السموات والارض لكن بغير تحريم منة لها على لسان احد انبياه ورسلة ولكن بمنعة من اردها بسوء وبدفعه عنها الآفات والعقوبات وعن ساكنها ما احل بغيرها من النقمات .

فلم يزال امرها كذلك حتي بوأها ابراهيم عليه السلام واسكن فيها هاجروابنه اسماعيل فسأل حينئذ ابراهيم ربه ايجاد فرض تحريمها على عبادة على لسانه ليكون ذلك سنه لمن بعده من خلقه يستنون بها فيها اذا كان تعالى ذكره قد اتخذه خليلاً واخبره انه جاعلة للناس اماما يقتدي به فاجابة ربه الي ما سالة والزم عبادة

فرض تحريمه على لسانه فكانت مكة بعد ان كانت ممنوع بمنع الله ايها بغير ايجاب الله فرض الامتناع عنها على عبادة ومحرمه ويدفع الله عنها بغير تحريمه اياها على لسان احد من رسله فرض تحريمها على لسان نبيه ابراهيم .

ووجب على عبادة عدم استحلالها او استحلال صيدها واعطاها بإجابة الامتناع عن ذلك ببلاغ ابراهيم عليه السلام رساله الله الية بذلك ولذلك اضيف تحريمها الى ابراهيم فكان ما قبل ابراهيم الحفظ لها من الله وبعد ابراهيم كان فرض تحريم على لسانه لزم العبادفرضه دون غيره

الامر الثاني :-

ان ابراهيم طلب من ربه ان يرزق اهله من الثمرات وخص بذلك المومنين من اهل مكة دون الكفار لأنه لما علمه الله بشأن مسالته لذريته ان يكون ائمة يقتدي بهم قال (**" لا ينال عهدي الظالمين "**) فانه قطع مشاعرة عن الظالمين وان كانوا من ذريته وطلب من الله ان يختص بهذا الدعاء المؤمنين وخص بذلك اهله (**" وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الآخر "**) ان العلاقة في الدعاء يبين ان الايمان هو السبب وهو صلة القرابة فجاء اللفظ بعموم الاهل وقيده بالأيمان وهو ما يفهم منه ان علاقة النسب ليست هي المعتبرة في الولايه والخلافة الربانية لا كما يحاول البعض القول حيث ان ابراهيم فهم ان العهد الرباني هو لاهل الايمان والعدل .. ولهذا تخلى ابراهيم عن فكرة الذرية وطلب في الدعاء الرزق لأهل الايمان لان مكة كما تعلم قد سكن فيها قبيلة جرهم وهم ليسوا من نسل ابراهيم عليه السلام

2- والنص يبين فيه المولي تصحيح المفاهيم لدى ابراهيم من الله (**" قال ومن كفر فأمته قليلا "** ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير ") فذكرت الاستحلاف العام الذي يكون فيه الاخذ بالأسباب لاستغلا ل الارض وثروتها فهذا العطاء فيه لا يستند الى الوعد المتعلق بالقيادة والاستخلاف الخاص كما اشارنا سابقاً واخبره الله ان المال والرزق يمنع لكل واحد من البشر لاجل الامتحان والاختبار والعطاء غير منقطع فاخبره الله أنه يرزق الفاجر والمومن والكافر وهو متاع قليلا " زائل ثم يكون العقاب والحساب والثواب في الاخرة على أنعامه سبحانه وتعالى

رابعاً :-

(اذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم)

الملاحظ في النصوص جاء فيها عدم مراعات الترتيب الزمني حيث نعلم ان البيت وجد اولاً ثم بعد ذلك رفعت القواعد ووضع الحجر الاسود في موضعه من قبل سيدنا ابراهيم وبالتالي فإن عدم المراعاة للترتيب الزمني يعود إلي ان المولي لا يريد ان يعطينا الاخبار التاريخيه بل المراد هنا هو العبرة والدروس المدلولات لا اللفاظ والحروف حيث ان الثابت ان البيت الحرام قد هبط مع ادم الى الارض كما سبق الاشارة وانه لما كان الطوفان رفع فكان الانبياء يحجونه ولا يعلمون مكانة حتى بواه الله ابراهيم واعلمه مكانه فبناه على اساسه حيث والادلة تؤيد هذا القول للاتي :- 1- ان الله تعالى قال (**" ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدي للعالمين "**) فطالما ان الله قال وضع فمعني ذلك ان الذي وضعه هو الله تعالى وإن وضعه للناس والناس هم ادم وحواء

كان متزامن مع هبوط ادم الى الارض اي بعد ان شرع الله التوبة لادم فكان مقرن بالتوبة 3- ان ابراهيم قال حين ترك اسماعيل وهاجرقال (ربي اني اسكنت من ذريتي بوادي غير ذي زرع عند بيتك المحرم الى قوله (**" لعلهم يشكرون "**) فدل ان البناء كان قبل ابراهيم عليه السلام

4- ان قوله تعالى (**" اذ يرفع ابراهيم القواعد في البيت واسماعيل "**) فيه طلب استحضار السامع للذهن كي يعيش المواقف الخالده العجيبة الشان عندما كان ابراهيم واسماعيل يرفعان القواعد من البيت والرفع متعلق بالبناء فوق الاساس لان كل بناء له ارتفاع وعرض وطولا " وسمك فالبيت كان موجود وابراهيم لم يبني البيت وان رفع القواعد لإظهار مكان البيت لان قواعد البيت اساسه واساسه قيل انه كان قائماً " على اركان اربعة من الارض السابعة

الامر الثاني :

يخبرنا الله تعالى بالمراد من ذكر هذا الامر كما اشرنا ان المراد هو العظة والعبرة والدرس لا التسلسل الزمني للأحداث حيث نجد ان المولى سبحانه وتعالى ذكر مظاهر تنفيذ ابراهيم واسماعيل للأمر بصيغة المضارع

" **اذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل** ") وهو ما يفهم منه ان أي عمل يجب ان يكون رفعة متوجهاً لله فالأساس لبناء الاعمال ينبغي ان تكون قائمة هي **التقوى .. والاخلاص ... والتوحيد.. وطلب رضوان الله** وهذا امر في غاية الاهمية ينبغي الشعور به في كل زمان ومكان فليس قراءة القصة ان ينظر الى ابراهيم واسماعيل كتاريخ بل يجب ان يكون لنا ملهم من جميع الازمان الحاضر والماضي والمستقبل

مكة هي مركز القيادة والمرجعية للناس كان الهدف الاساس لبنائها هو التوجيه الى الله فان الله يخبرنا ان اي حضارة ينبغي ان يكون بنائها على هذا الاساس كي يكون الاستقرار وتحقيق اهداف الخلافة فوجد ان ابراهيم واسماعيل كان يقولان (**ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم**) والدعاء متوجهاً لله رغبة في قبول العمل وانهما قد اخلصا الثواب لله تعالى في الفعل فهناك فرق بين من يعمل بحب ورغبة ويستمتع بالمشقة في سبيل الله والله يريد منا ان نعيش هذه اللحظات ونحن نسمع قصة ابراهيم واسماعيل

فالنص يتوجه الى اولئك الذي يدعون الانتساب الى ابراهيم واسماعيل به وان كان لهم السدانة على الكعبة فانه لا قيمة لها اذا لم يحصل الاتصال بالله والايامن وتحرير الضمير والعقول من دنس حب الدنيا والتعلق بها فيقول لنا ان هذا مثل البائس الفقير الذي يجلس يتذكر ثروات أسلافه يحكي القصص وهو ذليل لاقوه له فالقوة انما تأتي بالارتباط بالله تعالى حيث والنصوص تبين ان طلب ابراهيم الذي كان يقوم بالبناء واسماعيل الذي كان يناوله الاحجار هو القبول من الله فهذه الغاية والعمل خالص لله والاتجاه به هو الي الله ويريدون من وراءه رضا الله والرجاء في القبول متعلق بان الله يسمع الدعاء يعلم بما رآه من النية والشعور

2- فهما لم يقوموا بالبناء كي يكون مسكناً يسكنانه ولا منزلاً ينزلنه فالبناء ورفع القواعد اراد به ان يعبد الله تعالى ويتقربان الى الله بذلك. (**ربنا تقبل منا**)

فعلم انهما كانا في انقياد واذعان لله وان امتثالهما طاعه لله و طلب رضاء الله ومحبهه وأنه سبحانه يعلم صدق اخلاصهم فالله يعلم ما يريدون وما يخفون

خامساً :-

ان النصوص فيها اظهار مشاعر المحبة في اداء التكليف من قبل ابراهيم واسماعيل والنصوص تبين كيف ان الاقبال على تنفيذ التكليف برغبة يولد طاقة عالية في النفوس ويقوي الارادة حيث يجد العبد حلاوة ولذة عالية في القيام بشرف التكليف فهذا ابراهيم واسماعيل عندما اكتمل بناء الكعبة قال (**ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم**) انهما يشعران بحلاوة الفعل وقد تذوق هذه الحلاوة فلم يشعر بالإرهاق والتعب فجنه المومن تبدأ من الدنيا لانهما يريدان الثواب لانهما عند القيام بالفعل يرون الجنه والنعم فالشوق لها يجعلهما لا يشعران بالمتاعب بل يجدون فيها حلاوة ولذة .

فهما يلجأ بالدعاء الى الرب الذي يدل انهما يدركان انه هو الذي يقوم بتربيتهم ورعايتهم بهذه التكاليف وكل ما يطلبانه هو قبول العمل وانهما قد توجهوا به الى الله بإخلاص ليس لهما في ذلك شيء فهما يريدان رضا الله والخطاب فيه ان الله يسمع نداءهما ويعلم ما في صدورهما فلا يخفي عليه شيء للدلالة على انهما قام بالفعل وهما يشعران بالرقابة الالهية ويشعران ان الله محيط بهما وباعمالهم .

فوجد ان النصوص تستمر بذكر دعاء ابراهيم وابنة اسماعيل (**ربنا اجعلنا مسلمين لك**)

1- فالنص يدل على عشق حلاوة التكليف منهما وانهما وجد في القيام بأمر الله استمتاعاً فطاعة الله فيها ا لمتعه وزيادة الطاقة والقوه فيها التربية والصلاح ولهذا عطف بالواو (**واجعلنا مسلمين**) على قوله (**تقبل منا**) واستعمل لفظ الربوبية للتعظيم والدلالة على انه المرابي لهما بهذه التكليف وانه يحصل لهم الا رتقاء بها فقالوا (**واجعلنا**) بمعنى صيرنا في وجودنا خاضعين مستسلمين مطيعين لك اشارة الى التسليم والاذعان والطاعة لله في كل احوالهم وامورهم .

وسبقها القول (**ربنا**) للإشارة على الشعور بأنعامه وعطائه وحسنه وإحسانه ثم يخص ذلك (**لك**) اي خاضعين مستسلمين مطيعين مخلصين لك بالتوحيد والعبادة كقوله تعالى (من أسلم وجهه لله وهو محسن) حتي نصل اليك مسلمين كما قال يوسف (**توفني مسلماً**)

2- فالنص يدل على ان قبول الاعمال لا تكون الا بتوفيق الله وان اسباب الوصول الى التوفيق هو الاخلاص (**مسلمين لك**) لان الامراض الخفية من حب الرياسة والشهوة قد تخفي على الانسان نفسه فلا يعلم انه مصاب بهذه الامراض اذا لم يوقفه الله تعالى

3- والفظ جاء فيه العموم (**" مسلمين " لك "**) فهو بين ان كل ما لديهم من جوارح وملكات وحواس ظاهره وباطنية هي لله تعالى (**" لك "**)

الامر الثاني :-

نجد ان سيدنا ابراهيم يطلب الدعاء ان تحظي ذريته بهذا الشرف (**" ومن ذريتنا امة مسلمة لك "**)
1- والدعاء للذرية امر مطلوب لان الذرية الصالحة هي ثر من الإثارة الدالة على الانسان الصالح فقد قال ابراهيم في ايه اخري (**" واجنبي وبني ان نعبد الاصنام "**) والذرية الصالحة لها شان كبير بالنسبة للإنسان
2- والنص جاء فيه واطلاق المراد بالتبويض من الذرية (**" ومن ذريتي" "**) فمن المفسرون من قال ان ذلك يعود الى ما سبق وان اخبر الله به ابراهيم ان ذريته سيكون فيها ظالمون فجاء بلفظ البعض فقالوا ان المراد بهذا جزء من ذريته ابراهيم سواء اليهود والنصارى والعرب وانه لم يرد فيه فريقتا من ولدة باعيانهم دون غيرهم واستدلوا بقولة (**" ومن قوم موسي امة يهدون بالحق "**)
ولكن النص كما يفهم من السياق انه اختص بالذرية ابناء اسماعيل كون المكان والزمان الحاصل فيه بناء الكعبة امر متعلق بمسألة فصل اسماعيل عن بني اسرائيل وان الدعاء من بدايته كان متعلقاً بتوفير الماوي والغذاء وا لامن لهم لأنه اسكنهم في واد غير ذي زرع وسيدنا ابراهيم كان يضع قواعد واسس رسالة الاسلام التي سوف يحملها نبي اخر الزمان فقال تعالى في اية اخري (**" ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل" "**) ولان النصوص جاءت بمناسبة الرد على مسألة تحويل القبلة واختيار الله لامة العرب لحمل رسالة اخر الزمان

و

الفرد (**" ان ابراهيم كان امة قانتا لله "**)

تطلق على الزمان (**" واذكر بعد امة "**)

وتطلق على الاجيال (**" ان وجدنا اباؤنا على امة "**)

وتطلق على الدين وتطلق على اتباع الانبياء فهي مرتبطة بالمقاصد ولهذا فان النص اذا اريد به العموم فذلك انما يكون لغرض الاشارة الى عموم الرسالة بانها تعم العرب والعجم فهي رسالة عالمية والرسول (ص) عندما كان يقول امتي يقصد بذلك العرب والهنود والصينيون والاريون والروس وكل الناس فهم امة محمد (ص) ولهذا فالدعاء مرتبط بمسألة تهئيه المكان ليكون صالحا لاستقبال رساله الإسلام وجاء اللفظ بصيغه التبويض لأن حمل الراية سيكون لامة العرب ولان اسماعيل اشترك في الدعاء وامة العرب هي تنسب الية على الخصوص .

الامر الثالث :-

كما ان النص فيه دليل على اندفاع ابراهيم واسماعيل نحو طلب التكليف في الله سبحانه وتعالى وان يشمل هذا العطاء الرباني الذي فيه التربي والاعداد لهم ذريتهما من بعدهما فهذه هي صلة النسب التي تمتد في الدنيا والاخرة فقال (**" وارنا مناسكتنا "**)

والدعاء بلسان ابراهيم واسماعيل والمراد به ذريتهما والمناسك جميع منسك وهو الموضوع الذي ينسك الله فيه ويتقرب الي الله فيه في كل ما يرضي الله من عمل صالح او ذبيحه او صلاة او سعي او طوف وغير ذلك من الاعمال الصالحة فقد اريد بهذا الدعاء :-

ان يروا ويبصروا المناسك لان الاصل في الانسان الجهل والمرء يحتاج الى العلم والمعرفة والفهم ولان الحج فيه من التكليف ماهو معلوم وفيها ما هو غير معلوم للعقلولهذا فان عمر عندما قبل الحجر قال انك حجر لا تسمع ولا تبصر ولولا اني رأيت الرسول (ص) يقبل ما قبلتك وبالتالي فان هذه المناسك تحتاج الى روية قلبية وهي المشاعر التي يكون فيها التعظيم والتكريم للمشاعر كما قال تعالى في سورة الحج (**" لن ينال الله لحومهم ولا دماؤها ولكن يناله التقوى "**)
(**" ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوي القلوب "**)

ولهذا فان المشاعر والاحساس مهمة عند روية الاحداث المرتبطة بكل مشعر من مناسك الحج تري هاجر وهي تهزل مسرعة نحو الصفاء والمروة وتري اثار قدم ابراهيم فتعيش اللحظة كأنك واقفا خلفه وهو يرفع الحجر يشاهد روية هذه المناسك فتحصل الارتقاء بالتقوي ويحصل الاجتماع بين المسلمين على طاعة الله ولهذا استعمل لفظ المناسك قال شعائر الحج لانها اما رات علامات يعتادها الناس ويترددون

عليها
 واصل المناسك الموضع المعتاد الذي يعتاده المرء ويألفه أي يعتاد للخبر أو الشر وسميت منسك لأنه يعتاد
 ويتردد إليها بالحج والعمرة والأعمال التي يتقرب بها إلى الله تعالى والنص يعني أنهم قالوا علمنا كيف نعبدك
 وابن نعبدك . فجمع بين الهدايه العامه والخاصة في المساله طلب البيان وطلب الاعانه والتوفيق
 والاصل في العبادة انها توقيفيه لا يكون عباده الله الا بما شرع الله ويكون عالما وليس مقلدا
 الامر الخامس :-

(" وتب علينا انك انت التواب الرحيم ")

وهنا قد يقول قائل لماذا يطلب اسماعيل وابراهيم عليه السلام التوبة هل اقترف خطأ او ذنب ؟؟
 الجواب :- انه ليس هنالك مخلوق الا بينه وبين الله شيئا فالحث على الانابة منة والتوبة
 ولكن النص هنا كما يفهم يطلب الدعاء فيه لذريتهم الذي علمهم الله تعالى انهم سيكون فيهم ظالمون
 ومشركون فجاء الدعاء من ابراهيم واسماعيل لامة العرب بالتوبة لغرض ان تكون اهلا لاستقبال رسول اخر
 الزمان ولان المعصية تفقد حلاوة الايمان باعتبار ان اللذة العاجلة تكسب العقب غطاء يبيلد الاحساس ولا يشعر
 صاحبها بلذة الطاعة والقيام بالتكليف فالدعاء فيه بيان اهمية ازاله اثار المعاصي من القلب واصل التوبة
 الاولى من مكروه الى محبوب فتوبة العبد الى ربه او توبه فما يكرهه الله منه بالندم عليه والاقلاع عنه والعزم
 على ترك العود فيه وتوبة الخالق على عبده \عودة عليه بالعفو له عن حرمة والنصح له عن عقوبة ذنبة مغفرة
 له منة وفضلا عليه . ولهذا نجد الاتي :-

1- ان النص جاء بصيغة المبالغة في وصف الخالق سبحانه لبيان كثرة التائبين وكثرة من يعفو
 ويتوب عنهم
 2- والنص هنا به الحال التي كان عليها في رفع القواعد البيت لان
 ذلك كان اقرب الاماكن لاستجابة الله لدعائهما واراد بذلك ان يجعلها سنة يقتيدي بها وان يتخذ
 الناس ذلك الموضع بعدهما لطلب العفو و المغفرة من الله تعالى .

3- وخصها بذلك لفهم الرحمة التي يكون قبول التوبة من رحمته سبحانه والنداء يعني انك انت العائد على
 عبادك بالفضل والمتفضل عليهم بالعفو والغفران الرحيم بهم المنقذ من تشاء منهم برحمتك من هلكته المنجي
 من تريد نجاته منهم برافتك من سخطك .

4- ان التوبة لسائر المسلمين تكون بالندم ورد المظالم والعزم على عدم العودة وهنا لنا توبة
 الخوص وتوبة خواص الخواص كما نجد من قول يونس ("سبحانك") وقول موسى (" اني تبت اليك")
ذلك ان حسنات الابرار سيئات المقربين

5- ونجد انه تم التقديم صفة التوبة على صفة الرحمة والرحمة صفة عموم وفيها يكون التوبه وهذه لان
 الفاصلة لا تناسب تأخير التوبة لارتباطها
 بما قبلها ("السميع العليم") كان التقديم في النص لصفات التوبة على الرحمة
 سادسا :-

الآية :- (" ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم ")

ان النص بين استمرار ابراهيم واسماعيل بالدعاء لذريتهما أثناء تجهيز البيت ليكون ماوي ومسكن رسالة اخر
 الزمان حيث نلاحظ في النص :-

1- ان الدعاء بان يكون بعثة رسولا من عند الله يقرأ عليهم القرآن (" يتلو عليهم آياتك ")
 والآيات تندرج فيها المعجزات سواء الآيات الكونية او الآيات المقروءة وتبين النصوص ان تلاوة الآيات هي
 الدليل المعجزة عن ان نزول القرآن سيكون منجما وان عين المنهج هي نفسها المعجزة القرآنية
 2- انه ورد فيها قوله (" منهم ") أي يعرفونه بصدقة ونسبة وحسن أخلاقه وأمانته كما قال تعالى ("ماضل
 صاحبكم وماغوي ") فسمي الرسول (ص) (" صاحبكم ") أي انه الشخص المعروف لكم فالمراد من النص ("
 يتلو عليهم آياتك ") أي يبين ويوضح الآيات والمعجزات (" وما ارسلنا من رسولا الا بلسان قومة ليبن
 لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ")

وهذه نعمة انعم الله بها على هذه الامة بان ارسل النبي صلى الله عليه وسلم رسولا للعالم اجمع
 فكان هذا الدعاء بمثابة الرد على اليهود والنصارى الذي رفضوا القبول بنبوة النبي (ص) والله اخبرهم انه (ص)

من نسل ابراهيم وهو ابن اسماعيل عليه السلام بني ابراهيم وبالتالي فلا حجة لكم لان الله فضل بأرساله للناس كافة فقد استجاب الله لدعاء ابراهيم عليه السلام ويخبرهم الله انهم سلبوا القيادة لانهم ظالمون في الارض واراد الله ان يخبرهم ان هذا النبي من نسل ابراهيم الامر الثاني:-

ان ابراهيم بهذا الدعاء كان يعلم من طبائع امة العرب كونها طبيعة البدوه والقساوه والعناد والجحود و الخشونة فهم اعداء المدينة والحضارة ولا يقبلون الخضوع والاحتكام وهم اميون اعداء العلم والحكمة ولهذا نجد أن سيدنا ابراهيم يدعو الله ان يختصهم برسول منهم معروف لديهم كي يقوم بإعادة تشكيل العقول و الطبائع لهؤلاء ونقلهم من البدوه الى الحضارة والمدينة ومن الامية الى العلم ومن الخشونة الي اللين و التسامح

أنا دعوه ابراهيم وبشري عيسي ورويا امي عندما سيل سولا " مفاده ان يخبرهم عن نفسة
1- من ان مهمة الرسول ان يقرأ عليهم الكتاب وهو التلاوة التي ابتداء بها النص لان اول ما يكون هو السمع فهذا تقوم بها الحجة (" وان احدا من المشركين استجارك فاجرة حتي يسمع كلام الله ")
2- وبعد حصول السمع يكون الانتقال الى التعليم لمن اراد ان يتعلم وهذا امر خاص اما الاول فهو عام و التعليم يختلف عن التلاوة بانه يكون تعلم المعاني وفهم المدلولات واسند الى الرسول (ص) لانه هو الذي كلف بهذه المهمة فهو معلم البشرية وقائدها الرسول (ص) هو الذي يقوم برعاية المصالح والحكم
3- والتعلم متعلق بأمرين (الكتاب والحكمة) الكتاب متفق عليه انه القران

لكن الحكمة اختلف في معانيها المفسرون الى عدة اراء منهم من قال انها السنة النبوية باعتبار انها المبينة والموضحة والمفصلة لما ابهم واجمل واغمض في النص ومنهم من قال انها المعرفة بالدين والفقه والاتباع له والحكمة تدرج من ضمن معانيها العقل و الدين لقوله تعالى (" ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ") والحكم يكون في احكام الشرائع واكتمالها ومعرفة مدلولاتها واستنباط المفاهيم والحكمة تعني وضع الشيء الصائب في موضعه فقد ورد في تأويل قوله تعالى (" و اتلو عليهم نباء الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها) انه لم ينتفع بالآيات حيث لم يكن معه حكمة والحكمة شيء يجعله الله في القلب نور له به ولهذا فان الفهم للأحكام والمعرفة بها تدخل ضمن هذا المعني باعتبار الحكم يعني المفصل بين الحق والباطل
4- ذكر التزكية التي تعني الطهارة والنماء والزيادة لتطهرهم من الشرك ومن الاوساخ وتنمية وزيادة هولاء بالأيمان ومكارم الاخلاق بحيث يكونون اهلا " وجديرين بهذا الشرف

الامر الثالث :-

نجد ان النص فيه تقديم مسألة التعليم ونقل العلم على التزكية بعكس آيات وردت في موضع أخري من القران وهذا يعود الى ان الايه هنا تهدف الى حصر الحوادث وبيان حاجه العرب الى العلم والتعلم ليكونوا اهلا " للقيادة فكان تقديم هذا الموضوع مناسباً لسياق النصوص بعكس الآيات الأخرى التي فيها التزكية والطهارة فقدم على ما ذكر.

فلم يقل
انك انت العزيز الحكيم "
الغفور الرحيم لان المراد بهذا الدعاء ان يكون الارتقاء بهذه الامة التي فهم ابراهيم انها ستكون ضعيفة لا نظام ولا دولة لها ولا تعرف المدينة ولا الحضارة ولا العلوم فهي بحاجة الى الوسائل واسباب ونواميس العز فخص صفة العزيز الحكيم لان العزيز ينعقد به مرادة و الحكيم حكمته سبحانه وتعالى لقوله (" الله اعلم حيث يجعل رسالته ")

وقوله (" وكنوا احق بها واهلها ") فهو سبحانه الغالب الذي لا يقهر والحكيم الذي ينزل من التشريعات والاحكام ما يناسب احوال البشر واوضاعهم والصيغة الاولى صيغة ذات والثانية صيغة فعل كان التقديم مناسباً للنصوص القسم الرابع ؛

ابتداءت النصوص باستفهام (" ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفة نفسة ")
1- حيث نجد ان المراد من هذا الاستفهام النفي الذي يكون معناها الانكار أي انكار ان يكون الشخص الذي يعرض ويترك ملة ابراهيم من العقلاء ولهذا نجد انه جاءت بعد اداة الاستثناء (الا) (" من سفة نفسة ")

أي اهان نفسة واحتقرها واستخف بها فهو جاهل احمق سواء كان عالماً بذلك ام لم يعلم فهو قد اضر بنفسه بهذا الفعل وبالوقوف على المواضيع التي تناقشها النصوص للوصول الى الفوائد والمفاهيم

الامر الاول :-

مفهوم السفة بالنص :-

انه بالرجوع الى صيغة الخطاب نجد استبعادان يكون الشخص الذي يعرض عن ملة ابراهيم من العقلاء لان ه بهذا الفعل يكون قد اختار لنفسه طريقاً وعراً يوصل صاحبها الى الهلاك دون ان يشعر وسماه الله بمن سفة نفسة ؟؟

قد عرضت علينا مشاهد هولا السفهاء
قابلو الحق الواضح
وكيف انهم
(" ق

الوا انومن كما امن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا "

وسياتي بعد هذا المقطع كلام الله بشأن ردة فعل اليهود من تحويل القبلة فقال تعالى سيقول السفهاء من الناس والسفة هو الذي لا يحسن التصرف ويكون عديم المسؤولية والاحساس لا مبالاة لدية ضعيف الراي عاجز غير قادر على ان يفرق بين الحق والباطل ولا يميز بين النافع والضار والله سبحانه وتعالى يقول في سورة النساء بخصوص هولا (" **ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما "**)

فسماها الله اموال الولي لان السفه لا يحسن التصرف فهو لا يستطيع ان يفرق بين ما ينفعه ولا ما يضره ولهذا نهى الله الولي ان يعطي هذا الشخص المال لأنه ليس اهلا " للقيام بحق هذا المال في الاستخلاف فهو لا يستحقه وهنا نجد ان الله يريد ان يخبرنا بان الذي يعرض عن ملة ابراهيم هو جاهل احمق وسفة اهان نفسة لا يملك عقلا " يعتمد عليه في الاختيار بين النافع والضار

الامر الثاني :-

الملاحظ ان السياق وصف هذا السفة بسفة النفس وهو ما فهم معه انه اخطر من سفة العقل بدليل انه سبحانه وتعالى ذكر المحرك والباعث على ايجاده في النص فقال (" **ومن يرغب "**) لان اصل هذه الكلمة هو الطلب وهي تستعمل لا مرين فاذا جاءت ب(في) كان تقول رغبت في كذا دلت على الطلب.....واذا اقترنت ب(عن) فهي بمعنى الترك والاعراض فاللفظه ه لها ارتباط بالبواعث والغرائز الكامنه في النفوس (" **قوة الحب ولا رادة - وقوة البغض والنفور "**) سواء كان ذلك متعلقاً بأخلاق الحركة واخلاق السكون والفاعلية الإيجابية او السلبية فالنص يناقش البواعث النفسانية والغرائز الدافعة الى الافعال على الفعل او ترك الفعل للحركة او السكون (**ويربط ذلك بالفعل وجوداً او عدماً**). وهذه فيه عدة مسائل :-

المسألة الاولى :-

1- ان هذه الفعل في غاية الخطورة لان الشبهات راسخة في القلب فهي قد سرت اليه فالكبر وحب الرياسة من الشبهات النفسانية (الأمن سفه نفسه) ولما كان الثابت ان أي امر يرد على الانسان فانه يعرضه على النفس فان خامرها ميل للأقبال عليه فأنها تقوم بأداة وان خامرها ميل للأعراض عنه تتركه ولهذا فان الشبهة عندما ترد على العقل ولا تكون موافقة لهوى النفس فهي لاتتأثر كثيراً وسرعان ما تدفعها او تتجاهله ولذلك فان الارادة ماهي لا تعبیر تنفيذي لأمنية تتجسد بالمفاضلة العقلية والاختيار النهائي لها في مضمون هدف وبذلك تتصل الارادة بالهدف عن طريق الاختيار

2- ولهذا فان منح الله الانسان الارادة الحرة في اختيار اهدافها وطريقها هو ابتلاء واختبار من الله تعالى

والحق يكون بتوجيه الارادة نحو ربها ومحبتة والاقبال عليه لان الانسان جاء الى الدنيا لتحقيق هدف وهو معرفه الله ومحبتة وعبادته والله سبحانه وتعالى خلق في النفس البشرية الفطرة التي تعرف بها النفس خالقها(فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون ")

(" ما من مولود الا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه كما تنتج البهيمة

بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء (" فلو ترك الانسان على فطرته لما انحرف عن الايمان وانما يعود هذا الانحراف الى تأثير الوالدين والبيئة السئية المحيطة به حيث وان الانسان يعيش في بيته و منها يتلقي علومه واوليات علمة ومعلوماته وافكارها ووجهة نظره للحياة يتلقى كل ما يكون افكاره وتصورته في الحياة ولهذا عندما ترد عليه مساله فانه يرجع الى هذه المعلومات التي تلقاها من البيئة فهي تشكل مادة تفسيره للأشياء والحقائق حسبما يراها .
وانحرف الفطرة عن الحق يكون عن مرض ناتج عن شبهة يستمد مادتها من الشبه العقلية والشهوة النفسية ومن هنا يكون خطرها اكبر لأنها تجد سندا ورغبة من هوي النفس التي تميل الى ما الفتة ونشأت عليه فتتبع ذلك الميل .

المسألة الثانية :-

يخبرنا الله بخطورة سفة النفس لان الباعث والمحرك لهذا السفة هو النفس فهو اخطر من سفة العقل. وذلك لان انقطاع العبد عن الاتصال بربة يحدث ظلمة ناتجة عن محبة مخلوقات او لهوى وهذه الظلمة تشكل حائطاً تحجب الروية عن العقل لأنها تطمس انوار الفطرة وكذلك تطمس انوار المعرفة ولذلك فان تخليص النفس من التعلق بالدنيا او الاجداد او التقاليد والعصبية امر في غاية الاهمية لإزاحة الا غطية لا تقل شائناً عن تخليص العقل من التعطيل للأسماء والصفات لأنها تحجب نور المعرفة .
والنصوص معطوفة على ما سبق بيانه من احوال بني اسرائيل والعرب الذي يدعون انهم على ملة ابراهيم حيث ذكرت النصوص ان هولاء بنو العقيدة على الاماني الكاذبة (" **تلك امانهم** ") **مبيناً** لهم انهم خلفوا المنطق (" **هاؤوا برهانكم ان كنتم صادقين** ") فالكذب يهدي الي الفجور لأنه يضع اغطية تحجب نور الحق فلا يراها صاحبها فيكون هذا العقل احمق وجاهل لأنه اهدار الطاقات التي تولد القوة كي يتم توجيهها الى الغايات المنشودة التي فيها السعادة الابدية .
حيث وان محبة النفس المخالفة منهج الله عندما تشق لذاتها طريقاً مخالفاً يفسد الفطرة والعقل فلا يستجيب لنداء الحق لأنها يصبح ظلامه الفاعلية تعيش للانانية والحسد والحقد والتعصب ويفقد الانوار وعندما تصبح عقيدة التقليد والانانية والكبر وحب الرياسة راسخة من القلوب ولا يصل صاحبها للحق لأنه يصبح عديم المشاعر ولاحساس يري الاشياء بصورة مغايره للحقيقة

المسألة الثالثة :-

1- فالنصوص تخبرنا عن خطورة ذلك على العبد عندما يطرأ على الفطرة الانسانية محبة العاجلة و التعلق بها وكيف يكون حال العبد في استقبال العهد الرباني في ظل هذه الظروف حيث وان النص يبين لنا ان هنالك فريباً لا يقبل العهد او يقبله وهو كراه ولا يحدث نفسه بفهم العهد وتدبره والعمل على تنفيذه لأنه يكون مكبلاً بقيود ما اعتاد وما الفة من افكار وتصورات العصبية والتقليد والحسد وغيرها من الامور فهذا الشخص يكون فاقد للقوى لا عزيمة ولا قوة له لأنه اسير الشهوات والشبهات اسير العادة غير قادراً على الخروج من قيودها فهو عاجز عن الفهم والادراك .
فهذا يعيش كانه بهيمه لا عقل لها اليس ذلك فيه تحقر لنفسه واهانة لعقله ؟؟
2- والله يخاطبنا انه جلا وعلا قد رفع قدر العقل البشري الى الذروة يوم اعتمد عليه في كشف سر الوجود بان جعله قادراً على التمييز بين الخير والشر وقد اكرم الله الانسان بالفطرة التي تعرف ربها وان احترام الانسان ومنزلته انما يكون باحترامه لذاته وعقله ولذلك فان ابعث جريمة يرتكبها الانسان بحق نفسه هي ان يعطل امانة الله بحق نفسه عندما يعطل امانه الله التي ميز الله بها بني ادم عن الحيوانات والعقل هو الجوهرة التي حظيت بالتكاليف
لنا أن ملة ابراهيم عليه السلام هي الاسلام أي دعوة اجابة الفطرة فالنفس اذا استقامت فانها تعرف ربها واسماها الله العقل فمن ترك ملة ابراهيم وتجاوزته بالذهاب الى الاوهام فهذا الا يريد لنفسه النفع فتلك الرغبة انما هي ارادة افساد نفسه وبالتالي فان الرغبة عن ملة ابراهيم فيها اهانة النفس وتحقرها ووضعها في الجهل والحمق والطيش والرعوننة فهو قد اوقع نفسه في الحماقة والجهل بسوء الاختبار

الامر الثالث:-

يخبرنا الله تعالى ان هذا الشخص قد افقد واعظ الفطرة الحكم الذي اودعه الله في نفس البشرية و يرشدهم الى موطن الخير ويبعدهم عن موطن الزلل وحمي صاحبة من شرود النفس الا ماراه بالسوء.....

" وان ملة ابراهيم " الحنيفة التي هي الاسلام في عبادة الله وحدة لا شريك له والقيام بأمر الله تعالى وترك ما نهى عنه
لا ابتلاء بالطاعة والصبر وذلك يكون بالبراءة من الكفر واهلة وسلامة قوي الانسان الثلاثة (العقل -
الشهوات - الغضب)

من خلال اتباع كتاب الله وسنة رسوله والتوبة لله كما بينت النصوص السابقة
وان سلامة الاردة ومحبة الله تعالى والتعلق به امر في غاية الاهمية من خلال معرفة الانسان لربه
بأسمائه وصفاته وكمال ذاته وصفاته سبحانه وتعالى دون تشبيهه ولا تمثيل ولا تعطيل وان يتخلص المرء من
كل محبوب الا الله سبحانه وتعالى ليحصل المرء على المعرفة وانوار الارادة يتبعها ان يكون التوجيه
بالأعمال كلها الله تعالى فيما يفعل العبد او يترك لا يقصد به سوى الله .
وان هذا الامر لا يكون الا بمعرفة الانسان نفسه بانها ضعيفة وظلامية وانها بحاجة الى ربه فاذا عرف الا
نسان ان نفسه مخلوقة لا حول لها ولا قوة وعرف ان له خالقا وقادرا وقويا وحي دايماً لا يموت عندما يعرف ا
لانسان ضعفة واقتصره لربه اما اذا جهل الانسان حقيقة نفسه فانه حينها يوقع نفسه في الهاوية
لأنه يكون قد سرت السفاهة من النفس الى صاحبها بشدة وبسرعة وتوغلت في أعماقه وتمكنت منه فكان
مركز قيادته قد سلمت لمن اتصف بالسفه فهو يتحرك ضد مصلحته فهو احمق لا احساس ولا مشاعر لدية .
أي انه سفيهاً مهما كان حكيماً في غيرها كقيامه بالاختراع والصناعة وادارة المصالح فانه يكون احمق جاهل
اذا اشرك بالله ورفض القبول بدعوه الاسلام
الامر الرابع :-

تبين النصوص قوة وخطورة هذا النوع من السفة كما اشارنا لتعلقه بالبواعث والمحرك على إيجاده
فحب الرياسة والخيلاء امر اذا تمكن من النفس يصعب اخراجه بسهولة ولذلك نجد ان الله سبحانه
وتعالى يخاطب هولاء بان يتبعوا رسالة الاسلام فيقول (وأنها لكبيرة الا على الخاشعين الذي يظنون انهم ملاقوا
اربهم وانهم الية راجعون .) وهنا يخبرنا سبحانه وتعالى بان من رغب عن ملة ابراهيم فهو سفية الحق
الضرر بنفسه وذلك لان اليهود والنصارى تركوا دين ابراهيم ويدعوا دين الانبياء فكانت هذه العوائق
مانعا لهم في الايمان

اما موسى والمسيح عليهما السلام فقد كان على ملة ابراهيم فقال تعالى " ولن ترضي عنك اليهود و
لا النصارى حتي تتبع ملتهم قل ان هدي الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم " فذكر ان هولاء قد
بدلوا وغيروا ملة ابراهيم وذلك لانهم اتبعوا الهوي وسلموا القيادة للارغبات والاهواء اما الرسول (ص) فالله
يقول " ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفاً "
ثانياً :-

" ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين ")
الاصطفاء يعني الاختيار أي انه افضل وانقي الناس لان لفظ الاصطفاء من الافتعال أي انه من صفوة الشي و
خياره واصلة النقي
فالنص فيه اشارة الى ان اختيار ابراهيم ليكون خليلا لله وقدوة واماماً فيه رفعة لقدرة ومنزلته " رب هب
لي حكماً والحقني بالصالحين ")
حيث انه وصل الى هذه المنزلة العظيمة بالامتحان والابتلاء والاختبار وذلك للإشارة الى مقدمة السورة ")
واذ ابتلي ابراهيم ربه ") ومالحة من تشریف بان جعله اماماً " قال اني جاعلك للناس اماماً ")
فالنص يبين عدة امور :-

الامر الاول :-

ان الطريق الى السعادة في الدنيا والاخرة يكون من خلال المحبة الخالصة لله والتوكل عليه والرجاء والخوف
فيه تعالى فان هذه المحبة تحرق حياتنا السفلي من الامراض حب الرياسة والانانية والتعصب تحرق الهتنا
الباطلة من الهوى وغيره من الامراض التي تغزو النفوس وتلوث الفطرات فالله يخبرنا ان ابراهيم
استحق هذا الاصطفاء بعد ان وضع نفسه وماله وعرضه ونسبة قريباً بين يدي ربه الخالق فقد امره الله
ان يتبرا من ابية واهلة وقومة لانهم كفار فكان استقباله للعهد بالفهم والتدبر والعزيمة على العمل بأحكامه و

امرة وقام بالنظر والتأمل في الكون حتي عرف ربه ؟؟ وقف ضد امته وعشيرته ولم يبالي بقوتهم فوصفه الله انه كان امه (" ان ابراهيم كان امه قائنا لله ") لقد اخبره الله في ابنة بأمرة ان يذبحه فنفذ الامر دون تردد فكان بذلك قد اخلص عملة كلة لله فولدت فيه قوة عزيمة وهمة عالية ولدت فيه نور يبصر فيه الحقائق بقلبه الذي قطع المسافة نحو ربه فقال (اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض الخ فأصبح يشرب من ماء الحياة الجديدة التي اخضع فيها جميع حواسه الظاهرة والباطنية كلها لله تعالى . فولدت هذه المحبة في القلب طاقة واردة وعزيمة احقرت الشوائب التي في القلب من محبة الابن والاهل والا ب والاسرة.. فأول خطوه نحو هذا الاصطفاء هو التسليم لله تعالى في كل وقت وحين لان الغذاء الروحاني للمومن هو محبة الله وعز وجل

فتسلم الرقاب ووضعها بين يدي الله تولد فتور عجيب لا تعرفه الدنيا وتقتل الانانية ويظهر الصبر والثبات في طاعة الله فهو يجدلده في طاعة الله ولا يحس بالمشقة والمتاعب فتخدم الشهوات النفسانية من تلقاء نفسها عندما يحصل الاتصال الروحاني بالله سبحانه وتعالى لان القلب اصبح طاهراً واهلاً لاستقبال نور الله فيحب المرء الخير ويكره الشر ولا يحس بألم الطاعة (" وحبب اليهم الايمان وزينة في قلوبهم ")

الامر الثاني :-

يخبرنا الله انه اختر ابراهيم من الدنيا كخله والقودة والقيادة .
لأنه نجح من الامتحان قال تعالى (" شاكرًا فأجتبناه ") وهنا جاء بالقسم لتأكيد هذا الاختبار من جهة الأصطفاء
ء باللام ثم (قد) واكدة بالوصف وذلك انه في الدنيا .
للإشارة الى ان الابتلاء يكون بعده تشریف و ابراهيم استحق هذا الشرف بعد الامتحان
فأعداد القائد لابد ان يكون مسبقا بالامتحان لمعرفة اهليته لتحمل المسؤولية
2- وتبين النصوص عن المنزلة العظيمة له في الاخرة (" وانه في الاخرة لمن الصالحين ") فهو كان له النجاح في الدراين
والنص فيه بيان خطأ وقبح عقل من ترك ملة ابراهيم والاسلام وانه بذلك يكون ضاراً بنفسه لأنه عاملاً ضد
مصلحته فهو سفية العقل والنفس أي كل من يترك ملة ابراهيم

ثالثاً :-

بين الله لنا مفهوم هذه الملة (" اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ") بين الله لنا ان ملة ابراهيم هي (الاسلام)
1- بالقبول والخضوع والاذعان والتسليم لأمر الله دون تردد فذكرت النصوص ان ابراهيم بادرً بالأمر الانقياد و التنفيذ بمجرد ان تلقي الامر
2- ان النص جاء فيه رسم جواب ابراهيم بالتسليم والاذعان وربطة بمفهوم الربوبية وهذا يناسب النصوص قبلها لان مظاهر شهود صفات الربوبية يوجب التوكل على الله والافتقار اليه والاستعانة به والذل و الخضوع والانكسار له وهذا لا يكون الا ممن عرف نفسه انه بحاجة الى الله وافتقار اليه على الدوام
3- ان النص جاء فيه الحكم ودليلة (" اسلمت لرب العالمين ") فلم يقل اسلمت لك وهذا دليل ان ابراهيم ادرك ان ربوبية الله وعطفة ورحمته هي بالمخلوقات والكائنات كلها وادرك العلاقة التي تربط بالكون وان الجميع يتحرك وفق هدف وغاية وهي عبادة الله تعالى وان الجميع خاضعون لله تعالى ويعيشون على عطاءه وان الكون لا ارداه له فهو ينفذ أوامر الله وفق نوااميس وسنن تصل بكل مخلوق الى غايته التي خلق لأجلها
واما الانسان فهو محاسب لأنه لديه الارادة فالنصوص تناقش الامور الاتية :-
ان اول خطوة لعرفان الله تعالى هي بالبحث عنة في التأمل ومشاهدة مخلوقاته سبحانه وتعالى والله يوافق ويعين من يبحث عنة لأنه حي دائم لا يموت فعند ما تدعوه واثقا به ومطمئناً بالله ومحياً لاختياره سبحانه وتعالى فان ذلك يجعلك ترى جمال وجلالة وإحسانه وعطاءه سبحانه فيكون هذا الاحساس والشعور بالا اتصال بالله غذاء للروح فيصبح العبد كلة لله تعالى

الامر الثاني :-

1- ان شهادة ("لا اله الا الله") تقع بروية جمال الله وحسنة وجلالة وانه المألوه بحق سبحانه وتعالى بخضوع ومحبة واجلال وتقدير والكون كلة مخلوق ويتحرك وفق ارده الله ومشئيه (رب العالمين) فاذا ايقن العبد انه ليس وحيداً في الكون وانه بحاجة الى المعرفة التي يتعامل بها مع نفسه ومع بني جنسه ومع الكون من حولة فانه بذلك يتحرر من كافة القيود التي تشكل عبئاً عليه فيكون شاعراً بالاتصال بالله..... يتحرر من الغرابة والخوف

السكون ومن الحركة الفوضوية عندئذ يكون الانسان حراً
2- يشعر الشخص انه مسئول عن نصرته المظلومين في معركة الحق والباطل في معركة العدل والظلم في معركة الايمان والكفر..... فان المسلم حينها يكون محارباً للألم الانسانية بكل اشكالها وصورها من الطغيان والفساد ويقف ضد الطغاة والمستبدين

3- ولهذا فان ذلك الشعور يولد في القلب حب عميق للنوع البشري حب عميق قبل ذلك في تنفيذ اوامر الله فلا يحس بالمشقة ولا بالتعب لان اعظم حب هو حب الله تعالى
ولهذا فان ربط ذلك بقصه ابراهيم والحج لان تعظيم هذه الشعائر التي اقامها ابراهيم الذي اتخذه الله خليلاً أي هو احياء لشعائر حب الانسان لله..... وحين يعظم المسلمون العيد ويحتفلون في نفس الوقت بقصه النبي ابراهيم الذي امره الله ان يذبح ابنة فسلم امره واطاع ربه
وكانت طاعته تلك اشارة الى ان المسلم هو الذي يحب الله اكثر من محبة نفسه وأبنائه
فلا يستحق الحب العظيم الا لرب العظيم..... والايمان بالله ييدا من القلب فالخواص الباطنه لها درو صحيح ان العقل وادواته الظاهرة لها دور في توجيه الانسان لكن المدخل لذلك يكون من سلامة الخواص الباطنه فاذا صلحت صلح الخواص الظاهرة واذا فسدت فسدت الخواص الظاهرة

رابعاً:-

ان النصوص تعطينا دروساً من قصة ابراهيم عليه السلام بعد ان ذكرت النصوص كيف قام ابراهيم بالدعوة الى الله في مقاومة عبادة الاصنام وكيف أنه كان وحيداً علي التوحيد وكيف أنه كان يخاطبهم بالحكمة و الموعظة الحسنة انه يخاطب والده ("يا ابراهيم لما تعبد ما لا يسمع") يخوض الامتحان بكل شجاعة واقام عليهم الحجة حتي عجزوا عن محادثته وبعدها رموا به في النار وبعدها يترك بابل ويهاجر الى الشام من في حران يقيم.... فيامره الله ان يفصل اسماعيل عن بني اسرائيل.... فيتركهم في مكة في مكان لا زرع ولا يوجد طعام ولا شرب ولا سكان في مكان خالي من اي مظهر مظاهر الحياة فهو ينفذ امر الله دون تردد او التواء

انه يأمر ان يذبح ابنه فبادر الى الاستجابة لأمر الله و يامر ان يبني الكعبة فيقوم ببناءها لتكون محلاً ص الحاً الاستقبال رسالة اخر الزمان..... ففي هذه المدرسه اعداداً للدعية وتأكيداً لدور المسجد وان علينا الا استفادة منها في بناء المجتمع المومن الموحد فرحلته في الحياة كلها كانت دعوة الى التوحيد و الى الاسلام وان الهدف من رحلته تلك والهدف من تركته زوجته هاجر وابنها الرضيع في مكة هو اعلاء كلمه الله سبحانه وتعالى واقامة دين الله

اهمية الحرص على الدعوة الى الله واهمية الحرص على اعلاء كلمة الله..... واهمية غرس هذه المشاعر في النفوس لتنهض الامة بدورها في حمل راية الهدية الى العالم اجمع حيث نجد ان الله تعالى يخبرنا عن قيمة الحرص على الدعوة واهمية بانه جعل ابراهيم وابنة يعقوب حريصان على الدين حتي اخر لحظه من حياتهما (" ووصي بها ابراهيم بنية ويعقوب يا بني ان الله اصطفاء لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون")
حيث وانه يعلم ان هنالك سي نافع يحب الحرص عليه

يحرص على ان يناله ابنائه من بعده..... والنص ورد فيه ذكر حرص ابراهيم على الوصية لبنينه..... وان يعقوب عليه السلام قد حرص على هذه الوصية

اسلمت لرب العالمين (" و الملّه الاسلام او التوحيد حيث نجد في النصوص الاتي

1- النداء من الاباء للأبناء بصيغة فيها التودد ("يا بني") وهذا فيه ارشاد للدعاة والاباء اهمية استعمال وانتقاء الالفاظ التي يكون لها تأثيراً على النفوس فالأبوة مظهر الرفق فيجب استخدام الفاظاً يستحلب بها قبول النفس للنصيحة والاقبال عليها

2- ان النص ما مسنحماً مع القضية التي يناقشها ويضع الدليل والبرهان على انحراف الراغبين عن ملة ابراهيم وانهم لم يقتدوا به ولم يتبعوه ولهذا نجد ان التركيز جاء بذكر الوصية بلسان ابراهيم ويعقوب وذلك لا ن الله بعث الرسول (ص) وكان المحل الذي وجهت به الدعوة فيها العرب الذي يدعون الانتساب الى اسماعيل

بن ابراهيم واليهود والنصارى الذي يدعون الانتساب الى يعقوب عليه السلام
 فـالله يلفت انتباه المخاطبين ويطلب منهم العناية بهذه الوصية التي ابتدأها بأبراهيم وعطف عليه بذكر
 يعقوب للإشارة الى امتداد الوصية للذرية لنفي ما ابتدعته اليهودية والنصرانية والمشركون
 فـاخبرهم الله انه اختار واصطفي لهم الدين (الاسلام) فما فيه هو المناسب الذي يحقق مصالح العباد
 وسعادتهم في الدارين وهو اخلاص التوحيد والاذعان والخضوع لله عز وجل أي عهد اليهم بذلك وامرهم به
 3- واستخدم (ال) التعريف في لفظ (الدين) لان الذي خوطبوا بذلك كانوا قد عرفوه وهو ما سبق الاشارة
 اليه (اسلمت لرب العالمين) ولهذا يقول تعالى ("ولا تموتن الا وانتم مسلمون")
 فلا تفارقوا ايام حياتكم فانهم لا تعلمون متي تأتي المشيئة (الموت) حيث ان الموت يأتي فجارة دون ان
 يعرف موعده 4- فاراد بهذا بيان اهمية الحرص واليقظة على طاعة الله وامتنال اوامره واختيار
 نواحيه أي عدم التساهل في استقبال العهد او التهاون في التنفيذ قصيصة الوصية ("ان الله اصطفي
 لكم الدين") بعد ذكر انها وصية المؤمنين لمن بعدهم جيلا بعد جيل وربطها ("ولا تموتن الا وانتم
 مسلمون") فيها التشديد بأمرهم وانه يجب الالتزام بالوصية وان لا يفارقوا الاسلام حتي لحظة واحدة فـ
 الصيغة فيها الاتي :-

(أ)- ان يعرف العبد انه في سفر الى الله تعالى والدار الآخرة ولهذا فان استحضر العبد لذلك علي الدوام وهو
 يشمل خوف الايمان والشعور بان اعمالك محسوبة عليك ورقابة الله عليك توجب مفارقة المعاصي والذنوب
 وتقدير الله حق قدرة على الدوام دون انقطاع انه خوف العلماء الذين عرفوا ربهم وعظمتهم هو خوف
 العظماء والصديقين والشهداء والنبيين

(ب)- ان في ذلك كمال العبودية وبه يكون نيل الوصال والقربه والنص فيه ان الانسان يحب ان يعيش
 في ترقب الموت في أي لحظه فحياه العبد بين الشهيق والزفير وان باب التوبة مفتوحة وعلى المومن العودة
 والاعتصام بحبل الله

(ج)- ان الاعمال بخواتمها فيجب على العبد محاسبة النفس على الدوام وترتيبها حتي لا يصاب بالسفة و
 الغفلة فلا يامن العبد فالعبرة بالأعمال بالخاتمة التي يكون عليها العبد لحديث ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة
 حتي ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فسبق عليه الكتاب فعمل بعمل اهل النار

الامر الثاني :-

تستمر النصوص في الخطاب الموجه لبني اسرائيل ومن في حكمهم الذي رفضوا اتباع الرسول (ص) والايمان
 برسالة الاسلام لحنهم على الايمان وليبيان اهمية الحرص على اعلاء كلمة الله والدعوة الى الله و
 الخضوع والاستسلام لله وليبيان ان رسالة الاسلام هي التي حملها جميع الرسل وهو الدين الذي يقبل عند الله
 ("ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنية ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله
 ابائك ابراهيم واسماعيل واسحق الهاء واحدا ونحن له مسلمون")

1- الاستفهام با(ام) يدل على انه استفهاماً منساقاً مرتبط بما سبق مثل قوله تعالى ("الم تنزل الكتاب لا
 ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه")

حيث ان المراد من ذلك هو انكار ادعاءات ومزاعم اليهود من القول ان ما هم عليه من عقائد متناقضة وباطلة
 بانها هي دين يعقوب عليه السلام والله سبحانه وتعالى لم يقل ("ام كنتم حضورا") لان لفظ الشهادة
 هي الظبطوالاحاطة بعلم الشيء
 فالاستدلال على سبيل التقسيم عليهم فابطل قولهم وادعائهم الباطلة بالدليل العقلي ثم احتج بالدليل السمعي
 النقلي فغللهم انهم كاذبون في ما ابتدعوه من النصرانية واليهودية فالخطاب موجه لليهود والنصارى و
 المشركون أي احضرتوصية يعقوب لبنيه كي تزعمون انها كانت موافقة لدعواتكم الباطلة بمعنى ان ليس
 لكم دليل عقلي ولا نقلي مثل قوله ("تلك امانيتهم قل هاتوا برهانكم") والنص يتطابق مع قوله ("ومن
 يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفة نفسه")

المسألة الثانية :-

1- كما ان نجد انه تعالى يقول ("اذ حضر يعقوب الموت") فوصيه يعقوب لبنيه كان في اللحظة الآخرة
 من حياته عند الموت وهذا الوقت لا يغش المحتضر ولا يكذب لأنه يرى انه مقبل على الله تعالى فـ

النصيحة تكون في هذه اللحظات خاصة بأمر في غاية الأهمية لان وقت المحتضر ينفذ فتكون نصيحته بأمر يريد ان يتمسكه ابناؤه فهو مخلصاً لهم والموضوع يكون ناتجا عن مشاعر حب الابناء ففي الوصية السعاده لهم والنجاة
2- ولهذا نجد ان سبحانه ذكر يعقوب بالتقديم على الموت
لشد انتباه المخاطبين ولاستجلاب الإهتمام بالقصة لأنها نزلت في معرض اقامة الحجة على اليهود والنصارى و الكفار واقامة الحجة اقتضت هذا التقديم الذي جاء فيه اسناد الامر الى يعقوب لا للموت.....
والوصية للأبناء والموت حق على الأنبياء وابناء يعقوب كانوا على التوحيد ولهذا فان النفوس مجبولة على حب الاباء ولهذا فان تأثير هذا الحب يورث الصلاح والفساد فنحن نفهم من قصة ابو طالب عندما كان يحتضر ودعاة الرسول (ص) للإسلام فقال قال له الكفار اترغب عن ملة عبدالمطلب - فرفض الايمان والمعني هنا اذ حضر يعقوب مقدمات الموت

المسألة الثالثة :-

ان النصوص تنقل القاري الى مرحلة يعيش فيها اللحظة كانه كان حاضرا اثناء هذا الموقف الذي يشكل لحظة من حياة يعقوب عليه السلام
الموت فكان تقديم ذكر يعقوب لأجل استحضر القارئ للمشهد فهو وقت حضور الموت وحضور الموت كناية عن حضور اسبابه ومقدماته فالنص فيه سؤال خاطب يعقوب اولاده به فقال (**" ما تعبدون من بعدي "**) فهي صيغة تقتضي الازمنة المتعددة (**من بعدي**) فهو سؤال بمثابة امتحان واختباراً وبين لهم طريق لاهتداء فالسؤال يعني اي ماتعبدون من بعد موتي (فالنص يبين للداعية وسيلة التربية وتعليم الابناء والمريدون بضرورة مشاركتهم في الوصول الى الهدف المراد غرسه في الانها ان بمعني الابتعاد عن اسلوب التلقين قدرا لإمكان فالسؤال يجعل المخاطب مشاركا في صناعة الهدف والمراد من ذلك توطين وتدريب الأبناء علي امتثال ما حواه العهد والعمل على تنفيذه ليحصل ارتقاءهم بما يقذف في قلوبهم من نور وعزيمة

الامر الثاني :-

نجد ان الجواب (**" قالوا نعبد الهك والة ابائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الهة واحدا ونحن له مسلمون "**)

أي نعبد الهك (**" الله وحدة لا شريك له "**) أي اخلاص العبادة والتوحيد والربوبية والالوهية (**" ونحن له مسلمون "**) أي خاضعون بالعبادة والطاعة منقادون له في الحال وحتى نموت فالنصوص تبين الاتي :-

المسألة الاولى :-

ان المعبود هو الاله فقد قالو (**" نعبدالهك واله ابائك "**) فهو الاله الذي يعبده هولاء صلوات الله وسلامه عليهم كلهم وهو اله واحدا (**" الهة واحدا "**) ونحن له مسلمون وهو ما يعبده من كان على ملتهم كحال سيدنا يوسف فقد قال (**" اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة ابائي ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شي ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس "**) الى قوله (**" ذلك الدين القيم لكن اكثر الناس لا يعلمون "**)

المسألة الثانية :-

ان النصوص تبين ان ملة آباءه هي عبادة الله وحدة وهي ملة ابراهيم ولهذا فان ذلك دليلا على ان اليهود و النصارى لم يكونوا على ملة ابراهيم ولم يعبدوا اله ابراهيم فان من عبد اله ابراهيم كان على ملته (**" وقالوا كونوا هودا او نصاري تهتدي قل بل ملة ابراهيم حنيفا**)

المسألة الثالثة :-

جاء بالجواب بالتعريف (**" نعبد الهك "**) ثم وصفوه (**" الهة واحدا "**) لان من يعبد الالهة غير الله الواحد لم يكن عابداً لله وهو مشرك فمن يجعل مع الله الهة لا يكون مومن .

المسألة الرابعة :-

ان لفظ الاله يعني انه المستحق للألوهية والربوبية والعبودية
وان معتقدات هولاء باطلة وقد صنعوا اصناماً من انفسهم كما قال الله (" **انما تعبدون من دون الله اوثناً
وتخلقون افكاً** ") وقال (" **وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم ا
لا يخرصون** ")

فهي اعتقادات باطلة - مخالفة لمله ابراهيم والحقة بقوله (" **ونحن له مسلمون** ")
واو العطف ووصل الواو بالحال بوصفهم بانهم خضعون لا حكامه ومنقادون لاوامره سبحانه وتعالى حتي
يأتيهم الموت

الامر الخامس :-

ان النصوص ورد فيه تقديم اسماعيل وذكره انه اب لا بناء يعقوب فذلك فيه بيان ان العم بمنزله الاب بقوله
(ص) العم صنو ابية) ولأن اسماعيل اكبر بالسن فكان الترتيب لاجل ذلك
وقد ورد في سورة الزخرف بان الوصية من ابراهيم (" **وجعلها كلمة باقية في عقبه** ") وهي التوحيد و
المراد من هذا بيان ان النسب لامعني له فإبراهيم كان والدة مشركاً وكان يصنع الاصنام لا مجرد عبادتها
وهنا ذكر ابنائه بالأيمن وتلك هي العلاقة
والنصوص تبين ان رسالة الاسلام هي رسالة جميع الاديان ويذكرهم الله بإسماعيل بانه كان فصلة عن بني
إسرائيل لحكمة الالهية وهي ان الله اختص ذرية اسماعيل برسالة اخر الزمان وهنا يخبرهم ان النبي (ص) من
نسل اسماعيل عليه السلام بن ابراهيم وان عليهم المبادر للأيمن

خامساً :-

نجد ان التعقيب على ما سبق هو قوله تعالى (" **تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسا
لون عما كانوا يعملون** ")

والنصوص ابتدأت بتلك وفيه اشارة الى ما قبلها من الوقائع التي سرد الرب ذكرها متعلقة بجماعات سبق
ذكرها وهو مايفهم منه ان المراد بكلمة (**امة**) هو ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط لان
النصوص تناولت قصة ابراهيم وان ملتة الاسلام واصطفاء الله واختياره وان التوحيد والاسلام وملة
ابراهيم هي الوصية التي اوصي بها ابراهيم بنيه بان لا يفارقوا عقيدة التوحيد حتي يلقوا الله وهم ثابتون
عليها وان يحاسبوا انفسهم على الدوام حتي لاتقع في السفة والرسوب في الاختبار فترك الحق فلا بد من
محا سبة النفس على الدوام ومنعها من الاغترار بالأوهام الانساب والعصبية والخيلاء وطول الامل (" **ولا
تموتن الا وانتم مسلمون** ") فلا يحصل تمرد على الخالق عندما يراقب المرء نفسه ويحاسبها على الدوام
ويوجه طاقاته لتنفيذ امر الله والشوق الى لقاءه وان يعقوب عليه السلام كان محرضاً لأولاده ساعة احتضاره
على الثبات علي الاسلام وان أولاده قالوا له انهم سوف يعبدون الهه واله ابائهم واسماعيل واسحاق
وانهم لن يفارقوا عقيدة الاسلام والتوحيد حتي يلقوا الله على العهد

وسماهم الله هنا امة والتي تعني جماعه ومفهوم الجماعة تعني اجتماع الناس واتحدتهم على فكرة او هدف او
غاية لتحقيق هدف حصل الاجتماع عليه وهنا قد يكون الجامع لهم دين وعقيدة او وطن او منطقة ه او حرفه
او مهنة او مصلحة فتقول جماعة التجار والمهندسين والاطباء

والله اخبرنا سابقاً ان هولاء اجتمعوا على التوحيد والاسلام فهو الهدف الذي اجتمعوا عليه حتي يلقوا الله
تعالى وخلت لها معاني متعددة منها انها انفردت فيقال خلا فلان بفلان اذا

اصبح منفرداً به ويقال خلا المكان اذا اصبح منفرداً من نزيلة الساكنون فيه (" **واذا اخلوا الي شياطينهم** ")
أي انفردوا بهم واللفظه اذا استعملت في المكان فيكون

المقصود فيها خلوة من السكان واذا استعملت في الزمان فيكون المراد به المضي أي مضت الايام (" **في الايام
الخالية** ") حيث يفهم من هذا ان المراد من التعقيب الامور الاتية

الامر الاول :-

افهام هولاء ان اخبار الرب عن الواقع المحسوس بالقصة والدليل التاريخي الذي ذكر فيه قصة ابراهيم
واسماعيل واسحاق ويعقوب ليس كما قد يتوهم البعض ان الغرض التباهي والتفاخر بالأنساب الى هولاء
الصالحين فليس هذا الغرض من دليل الحدث التاريخي وانما المراد الى الحث على الاقتداء بهم العظة والعبرة
بأحوالهم بالنظر الى حالهم ومعرفة الاسباب التي اوصلتهم الى العز والقوة وبسطت لهم العافية وازاحت عنهم ا

لاعداء وكيف انقادت لهم النعمة واوصلتهم بحبال الكرامة فقد كان ابراهيم عليه السلام مثالا ً وقدوه يتحذي به في امتثال امر الله والصبر على البلاء في العسر واليسر فقد ابتلاه الله بالإنعام والارازق عندما رزق بإسماعيل واسحاق على الكبر فقال (**" الحمد لله الذي وهبنا على الكبر اسماعيل واسحاق"**) فآله لاء بان امرة بذبح ابنه اسماعيل فقال (**" ستجدني انشاء الله من الصابرين "**) فالبلاء نوعان منه بالعطاء والنعم ويكون مقابلة ذلك بالشكر والنوع الثاني يكون بالمحنة والحرمان ويكون مقابلة بالصبر فالله يقول تدبروا في احوال الماضي من المؤمنين قبلكم كيف كانوا من حال التمحيص والبلاء وكيف انهم نجحوا في الامتحان وتحملوا في سبيل الله فكان ذلك سببا لنصر الله لهم وقد بلغت الكرامة من الله لهم مالم تبلغ الآمال الية بهم

2- يخبرهم الله عز وجل ان عليهم التمسك بالإسلام اذا ارادوا نيل الشرف والتواصي بها

الامر الثاني :-

يخبر الله المخاطبين لا فهم هولاء المكذبون من اليهود والنصارى والمشركون ان دليل الحدث التاريخي هو القراءة ونظر احوال السابقين للوصول الى اسباب العزو والتمكين الذي وصلوا اليه والسير في الطريق الذي ساروا عليه وليس قراءة التاريخ لأجل التباهي بالأنساب والتفاخر بماضي ا لأسلاف فحال هذا مثل حال البائس الفقير الذي يقعد جالسا يتفاخر بما كان لاسلافه من مال وغني قد فقده هو لأنه لم يتصرف بالمال الذي ورثه بأسلوب حسن حيث انه لم يبالي به وحصل منة تبذر بالمال لأنه سفيه وبعد ان فقده لم ينهض من سكونة للحركة والعمل وكسب مالا ً يسد حاجته بل جلس بجوار حائط يقص ما كان لاسلافه من غني ومال 2- ولهذا نجد ان الله يقول لهؤلاء (**"**

تلك امة قد خلت ") أي قد مضي زمانها وانقضي وانفراد عن زمانكم اي انتهي زمانها وخلا المكان منهم ب الموت واستعمل المولي اسم الاشارة (**" تلك "**) للدلالة على البعد المكاني والزمني فهو سبحانه يريد افهام اليهود والنصارى والمشركون انهم ليسوا على ملة ابراهيم ولبيان ان امتداد الشرف والمنزلة والمكان للذرية انما يكون بامتثال الوصية التي اوصي بها ابراهيم ويعقوب بنبيه فكانت تلك المقدمة في اخبار الرب عن الواقع المحسوس توطئة وتقدمة لا بطل دعوى النسب التي يتشدد بها هولاء بان الانتساب للأنبياء يمنحهم الشرف وعدم المحاسبة عن الاعمال الباطلة بحجة ان الاعمال السلافهم يكون لهم شفاعة عند الله وان لم يفعلوا خيرا ً

3- يبين الله لهم ان الصلة التي تربط

امة الخلف بالسلف لا يقوم على اساس الاجتماع بالنسب بالدم او بالعرق او اللون حسما يتصور هولاء الفاسدون وان الصلة التي تربط الامم هي صلة العقيدة والاعمال الصالحة وان اخر الاجيال لا تنتفع بالأعمال الصالحة التي قالم بها الاولين ان لم تقتدي بهم والمنفعة تكون بالقوة الحسنة لا بالتفاخر بذكر الماضي للأجداد.....

4-

ان الله يخبر المخاطبين ان ابراهيم كان امة مع انه فرد لم يومن به سواء سارة ولوط كما نعرف من سوره العنكبوتوهنا يصفة الله انه كان امة بينما هو واحد لحت المخاطبين ان ابراهيم كان ثابتا على الحق وهو بمثابة امة عندما تبرأ من الكفار عافيههم ابية ازر الذي كان يصنع الاصنام (**" ان ابراهيم كان امة "**)

5- تبين النصوص ان البعد الزمني والمكاني (**" تلك امة قد خلت "**) لا يمكن تجاوزهم الا بالافتداء والاخذ با لأسباب التي كانت سببا لوصفهم بانهم امه وانهم نالوا القرب من الله والشرف وليس بالأمانى والتفاخر و التباهي بالأنساب فالله اخبر نوح ان ابنة ليس من اهله لان عملة غير صالح ولهذا فان الطريق لإزالة البعد المكاني والزمني يكون بالافتداء بهم واعمالهم والشعور كانك واحد منهم تسميع وصية يعقوب فالشعور انك المخاطب بالوصية يولد الطاقة الكهربائية التي تبعث الحركة و التسليم لله في كل شيء

الامر الثالث :-

ان النص ورد لابطال الدعاوي الباطلة لمن يتفاخر بالانتساب الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ويعتبر ذلك سببا لدخول الجنة وان لم يعمل الأعمال الصالحة أو من يدعي سببالكسب الامتيازات وانه من سلالة وطبقة لها ولاية الهية لحكم الناس بحكم الانتساب لإبراهيم واسماعيل فينت النصوص انه لاقيمة للانتساب وانما القيمة والرصيد هي الاعمال كما ورد عن النبي (**ص**) قال لبني هاشم (**" لا تأتون بانسابكم ويأتي ا لناس باعمالهم "**) محذرا لهم من الغرور بالنسب دون العمل وقد ورد في هذا المقام ان الرسول (**ص**) قيل له من اكرم الناس قال اكرمهم اتقاهم قال يا نبي الله ليس هذا نسال قال فاكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي

الله ابن نبي الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسالك قال فعن معادن العرب تسالون قالوا انعم قال ا
خياركم فن الجاهلية اخياركم في الاسلام اذا افقها

والاولى :-

اكرمهم اتقاهم موافقة لقولة تعالى (**" ان اكرمكم عند الله اتقاكم "**) وهذه هي قاعدة التعامل الانساني في ا
لاسلام فالتفاضل يكون بالتقوي في تولى المناصب مع الكفاءة القوي الامين
فهي من جهة الاعمال الصالحة

والثانية :-

يوسف نبي الله ابن نبي الله فهي من جهة الشرف الاجتماع النسب الصالح بالعمل الصالح

الثالث :-

1- احوالهم التي ينتسبون اليها يتفاخرون بها وجعلت معادن لما فيها من الاستعداد المتفاوتن او شبههم ب
المعادن لكونهم اوعية الشرف مثلما المعادن اوعية الجوهر ولكن ربط ذلك اذا افقها جمع من شرف في
الجاهلية والشرف في الاسلام بان شرفهم في الجاهلية بالخصال المحموده من جهة ملاءمة الطبع ومحاسن ا
لاخلاق خصوصا بالانتساب الى الاباء المتصفين بذلك ثم الشرف في الاسلام بالخصال المحموده فقد كان
شريفاً بالجاهلية شريفاً في الاسلام اذا فقوا أي فهموا فهو اعلى من التشريف الجاهل
2- ان النص ابتداء واسم الاشارة للبعيد واستخدم لفظ امة لبيان انقطاع العلاقة والصلة بينهم وبين اجدادهم
لان الرابط الذي كان يربطهم هو التوحيد والايمان والنص تبين ان رسالة الاسلام هو الوريث لجميع الاديان
وهو النسب الذي يصل اول الامة باخرها وليس النسب بالدم

الامر الرابع :-

تبيين النصوص ان مبدأ الثواب والجزاء لا محسوبية فيه ولاوساطه ولا معني لصلة النسب فيه فكل فرداً او
جماعة مسولون عن اعمالهم الاعمال الصالحة لا تتخطاها الى غيرها
اي ان احد لا ينفعه كسب غيره فلا ينفعكم الا ما كسبتم والمعني ان الانساب لا توجب الانتفاع بأعمال الا
ولين وانما تحصل المنفعة بالاقضاء بهم واتباعهم في طريق الخير (**"لا يأتي الناس بأعمالهم وتأتون
بأنسابكم "**) فقال تعالى (**" ولكم ما كسبتم "**)

لكم ما كسبتموه لا ما اكتسبه غيركم فحصل تقديم المسند منه وذلك يقتضيه قصرة على المسند اليه مثل قولة
تعالى (**" لكم دينكم ولي دين "**)

مقتضي ذلك انه لا ينفعكم الا ما كسبتم والقصد ازاحة ما قد يتوهم متوهم انتفاعهم بكسب اسلافهم فذكر
ذلك لبيان امتناعه بان الاعمال الصالحة تكون لفاعلها لا تخطاهم الى غيرهم
وهنا قد يقول قائل كيف يكون ذلك والله يقول بشأن ذرية المؤمنون (**" الحق بهم ذريتهم "**)
فالجواب ان الالتحاق هنا ما يلحق ناقصاً بالكمال فكان يزيد الناقص درجة كي يكون في منزلة واحدة بالجنة
وهذا يكون للذرية المؤمنة التي اعمالهم صالحة وليس للذرية الكافرة فهولا قد انقطع الصلة بينهم وبين
اسلافهم .

والامر الخامس :-

(**" ولا تسالون عنم كانوا يسالون "**)

فهي جملة مقرر لمضمون ما سبق فلما كانت النصوص قد جمعت المخاطبين وقطع اطماعهم الفارغة بالانتفاع
بصلة النسب فأوضحت إنما خلق الانسان للعمل وان الحكم العادل من الله يقوم على وزن الاعمال فلا يؤاخذ
احد بازرا واثم الاخرين (**" وان ليس الانسان الا ما سعي "**)

والله يقول لهولا لا تسالون عن اعمال من سبقكم ولا تؤخذون الا عن اعمالكم فان كانت خيراً فخييراً وان كانت
شراً فشرراً

(**" كل نفس بما كسبت رهين "**)

فلا يسال احد عن عمل الاخر ولن ينتفع احد بعمل غيره والانسان ليس مسولاً عن عمل الغير وانما هو
مسئول عن عمله

الامر السادس:-

تنتقل النصوص الى مناقشة وتنفيذ دعوى اخرى باطلة من دعاوى اليهود والنصارى وهي الدعوة الى اتباع اليهودية والنصرانية والزمع ان الهداية والحقيقة تكمن في اتباع اليهودية او النصرانية وطبعاً هما دعوتان مختلفتان لان كلا منهما يدعي انه يمثل الحقيقة وطريق الهداية فقال تعالى (**" وقالوا كونوا هوداً او نصارى تهتدوا "**) فذكر الله خصومه اليهود و

النصارى مع المؤمنين..... والضمير عائد على اهل الكتاب والواو لتنويح والمعني مقابله هولا لدعوة الاسلام التي جاء بها الرسول (**ص**) وهي الدعوة التي حملها جميع الرسل حيث كانت مقابله هولا لها بالرفض والنصوص تناقش الداعين الى ملة غير ملة ابراهيم والنص جاء بضمير الغائب (**" وقالوا "**) للإشارة بانهم لا يستحقون الألتفات لان اقوالهم فارغة

وهي حجة عليهم لانهم تناقضوا وادعاهم ان اليهودية او النصرانية سبيل الهداية امر غير مقبول لانهم ذهبوا الى التشبيه التعطيل وقالوا بان المسيح ابن الله وقالو أن عزيزا بن الله والمشركون قالوا ان الملائكة بنات الله فكيف يكون هولاء على ملة ابراهيم مع وجود هذا التناقض وكيف كان امتناعهم عن الايمان بالنبي (**ص**) والبه رهين مع اظهار التمسك بملة ابراهيم

فمرض هولا هو الجدل والمخاصمة والمغالبة فاصبح كل واحد منهم مدفعاً عن راية باطلة فالجدل يكون به تحول الناس عن الهدى الى الضلال فقد ورد عن النبي (**ص**) قوله (**" ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل "**) وقال تعالى (**" ما ضربوه لك الا جدلاً بل هم قوم خصمون "**) والجدل يولد النفرة والكراهية ويسبب الايحاش بين المتخاصمين وهولا قد ادعو الباطل ان اليهودية ملازمة للهدية وكذلك ادعت النصارى ان النصرانية ملازمة للهداية

الامر الثاني :-

يأتي بعد ذلك ابطال هذه الدعوى بصيغة الاطراب (**" قل بل ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين النص جاء فيه التوجيه للنبي (ص) (" قل ") وهو الخطاب لكل الناس فكان التوجيه عبر النبي (قل) لأنه مقابل لقول اتباع موسى وعيسى فيما كانوا يفعلون (" بل ملة ابراهيم ")** أي لستم على ملة ابراهيم واستخدم (**بل**) للإطراب لأبطال ما سبق وادعوا انهم اتباع ملة ابراهيم بانهم ليسوا على ملة ابراهيم والعقائد التي يدعون اليها ليست عقيدة الاسلام التي دعا اليها ابراهيم (**" فقال حنيفاً "**) والحنيف المائل عن كل شيء باطل الى دين الحق واللفظه هنا لها علاقة بمسالة الحق لان الميل من القدي ان تميل قدم الى اخرى والميل هنا القدم اليميني الى اليساري واليساري الى اليميني

وهنا قد يقال كيف يكون الاستدلال بالميل على انه يحقق الاستقامة وهي يكون فيه معاني الاعوجاج والنص يبين انه كلما حدث انحطاط في القيم والمبادئ الروحانية كلما زادت الحاجة الى بعثة الرسل حتي اذا وصل الانحطاط الى درجة اصبح فيه الحق غائباً واصبح الناس ينظرون الى اللص انه امين وينظرون لمن يحمل القيم بانهم اغبياء وحمقاء فان انحطاط الناس وا جذبهم نحو الارض ففي ذلك الوقت يكون انوار السماء يجهز الاوضاع لإرسال الانوار الى الارض فلا يكون ارسال الرسل الى البشر لأبعد تفشي اعوجاج المجتمعات فيكون الحق هنا بمعنى لاعوجاج لان الاعوجاج عن المعوج يحقق به الاستقامة

1- وبذلك يكون المراد من ذلك تصحيح اوضاع البشر بعد ابتعادهم عن منهج الله فقال تعالى (**" ان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيلة "**)

واعوجاج الناس يكون من قبل البدع في العقيدة والانحراف بالشرك والمعاصي وان اليهود والنصارى كانوا من المشركين فكيف ينسبون الى ابراهيم

2- والله يبين ان ملة ابراهيم هي الاسلام وهي تنفق والفطرة السليمة التي تقبل الحق وترفض الباطل بطبيعة ما فطره الله عليه النفس من محبة الحق وقبوله فهو شاهداً بقبول النفس له فقد ورد عن الرسول (**ص**) انه ق ال استفتي قلبك وان افتاك الناس

فقد فطر الله عبادة على معرفة الحق ومحبته والسكون اليه وقبول الحق وركز من الطباع محبة ذلك والنفور عن الباطل وسمي الية ما امر به معروف وسمي مانهى عنه منكراً لان النفس تعرف الحق وتكر الباطل ولكن يطرا على الفطرة تلوث من البيئة والاباء والاجداد تؤدي الى تكوين طبائع غليظة وتضعف الادراك فتصبح النفس عدو للإنسان فقد قال الرسول (**ص**) اعدي اعدائك نفسك التي بين جنبك وانها صارت اعدى اعدائك

لطاعتك لها
ابراهيم يحتقر نفسه فهو ليس له عقل لا يعرف ما ينفعه ولما يضره فأراد بهذا الحذر من الوقوع في مواطن الغفلة ومن مخاتل العدو وهجمات الهوى وضرورة الشهوة وأمانى النفوس وعطف على ذلك بنفي ان يكون من المشركين (" وما كان من المشركين ")
فدل ذلك على ان اليهود والنصارى مشركون في معتقداتهم ولهذا لا علاقة لإبراهيم بهم (" وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون ")
فمن عبد مع الله الهه فهو مشرك ولهذا فليست اليهودية ولا النصرانية هي ملة ابراهيم من جملة المشركين
القسم الرابع :-

بعد ان ذكرت النصوص خصومة اليهودية والنصارى الذين ادعوا ان الهداية عندهم فقالوا (" كونوا هودا او نصارى تهتدوا ")
وقد اخبر الله نبيه (ص) ولقنة الحجة التي يرد بها على هولاء فقال تعالي (" بل مله ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ")
بعد ان بينت النصوص قبلها رد فعل ابراهيم اذا قال له ربه اسلم (" قال اسلمت لرب العالمين ") فلم يقل (" اسلمت لك ") يفهم منه أن الله يريد ان يخبرنا انه جعل الدين موافقا لسنن الكون وفطرة الانسان والكل في حركة ... وهنا تأتي النصوص لتربيته النفس الموعظة وتعليم المؤمنين طريق الهدية وماهي ملة ابراهيم الجامعة مواجهاً للمؤمنين (" قولوا ءامنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والابساط وما اوتي موسى وعيسي وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احدا منهم ونحن له مسلمون ")
1- فأول امر بالخطاب الموجه للمؤمنين هو (" قولوا امنا بالله ")
يخبر فيها المؤمنين هل تريدون معرفة حقيقة ملة ابراهيم الجامعة التي وردت في الآية السابقة فقال (" قولوا امنا بالله ")

والقول هنا يقصد به التصديق باللسان الجازم باعتقاد والقلب فالقول يكون نطقاً واعتقاداً فهذا الايمان المستلزم للقبول يتطلب التصديق (" التوحيد ") بأربعة امور الايمان بوجود الله وحدانيته وانفرده بالربوبية والالهية والاسماء والصفات والعبودية
2- والله يقول لعبادة ان الهدية والرحمة كلمتان كبيرتان ولا يعقل ان تنحصر في شعارات او شعائر وحقيقية الايمان تستحق هذا الرتل المتعاقب من رسل الله وتستحق ما القوا من عنق في سبيل الله فالنص بكلمة (" لا اله الا الله ")
ففي الايمان الكامل بالله وانه لا شريك له فهذه هي دعوة التوحيد التي حملها جميع الرسل وهي تتضمن اثبات الالهية لله وحده بان يشهد العبد أن لا اله الا الله ولا يعبد الا اياه ولا يتوكل الا عليه ولا يوالي الا في الله ولا يعادي الا فيه ولا يعمل الا لأجله ولهذا تتضمن اثبات الاسماء والصفات التي ثبتها الله لنفسه ولهذا فان المراد بالتوحيد ليس مجرد توحيد الربوبية كما يعتقد البعض ان الله خالق العالم وانه بذلك يكون موحداً ان شهد بهذا في حين انه العبد معه اصناماً سواء كانت مادية ومعنوية والذي يظن ان الارزاق بيد البشر فهذا لم يؤمن بكلمة (" لا اله الا الله ") حقيقية لان مقتضى الايمان بهذه الكلمة تعني افراد الله بخصائص الاستعلاء والكبرياء فهو الذي بيده الارزاق وحده هو الذي يعطي ويمنع فلا يكون الشخص مومناً اذا لم يكون ايمانه يرفع من مكانته فلا يخضع الا لله وكذلك فان المشركون كانوا يؤمنون بوجود الله وانه خالق السموات والارض ولكن كانوا يعبدون اصناماً معه وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وكذلك لا يكون الشخص مومناً بالله اذا لم يحصل الانقياد التام وللخضوع والتسليم لله تعالى فمن رفض الاحتكام لمنهج الله فهو مشرك وان ادعاء الايمان فلا يؤمن الا بالخضوع لله (" ونحن له مسلمون ") وكذلك لا يكون العبد مومناً وان اعلن الايمان اذا حصل او اعتقد في الله ما فيه التعطيل للأسماء والصفات والتشبيه به فهو (" ليس لمثله شيء ")
الامر الثاني :-

ان الخطاب الموجه للمؤمنين قد بين ان الهدف الحقيقي الذي حملته الديانات كلها هو ارسال اساس عقيدة التوحيد لتحقيق سعادة الانسان
والله يخبرنا ان هذا الدين (الاسلام) هو الدين الذي تتعاقب الاجيال على الارتواء من منابعه من حين خلق

الله الارض ومن عليها فجميع الرسل حملوا منهج التوحيد ولهذا فان القول بكلمة (" لا اله الا الله ") ينبغي ان يكون قائمها عارفاً بها وعاملاً بمقتضاها باطنياً وظاهراً افلا بد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولها (" فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك ") وان عقيدة الاسلام تقوم على اساس وحده الدين و وحدة الايمان فلا يقبل من الشخص ان يقول انا مومن ب الله انه الخالق والمدبر والمتصرف في الكون ولكن يرفض الايمان باحدا الكتب او الرسل فهذا لا يعد مومناً ولا يقبل منه ذلك ولذلك نجد ان الله يأمرنا بالايمان به وبالرسل والكتب السماوية واليوم والاخر والقضاء والقدر

المحب الثالث :-

ان الخطاب جاء فيه الامر من الله للمؤمنين بالايمان والتصديق (" قولوا امنا ب الله ") ثم الزامهم بالايمان (" وما انزل اليها ") وهو التصديق بالقران والسنة النبوية التي حملها الرسول (ص) من الله لقوله تعالى (" وانزل الله عليك من الكتاب والحكمة ") حيث نجد ان النصوص ورد فيه الخطاب بإضافة التنزيل اليهم (" وما انزل اليها ") في حين ان القران منزل من الله على الرسول (ص) وقدم ذكر القران المنزل اليها وان كان متاخراً من الانزال وهذا يرجع إلى الآتي الامر الاول :-

كما قلنا ان الخطاب موجه للمؤمنين لأجل تعليمهم عقيدة التوحيد وملة ابراهيم ولهذا فان امة العرب بحاجة الى التعليم لأنها لم تحظي باي علوم ولا تعرف الاديان وقد اختص الله هذه الامة بمهمة عظيمة وهي انها ورثت جميع الاديان ومدرسه الخير من ادم الى بعثة النبي (ص) ولهذا قدم ذكر القران المنزل اليها وان كان متاخراً في الانزال تشريفاً له وليغرس في نفوس المؤمنين ضخامة المهمة ولذلك عطف عليه قوله (" وما انزل الي ابراهيم واسماعيل واسحاق ")

2- ان الله يخبر المؤمنين ان القيادة انتقلت اليهم وان اصلاح امراض المجتمعات والنهوض بالامة وقيادة العالم امر يحتاج الى اعداد وتأهيل والله يخبرنا ان مدرسة الايمان سلاحها الوحيد هو الآية القرآنية التي استخدمها الرسول (ص) في تربية اصحابها

ومن هنا فان المؤمنون مأمورون بها وملتزمون بما انزل على الرسول (ص) فكان بمعنى التنزيل اليهم لما هم فيه من المعاني التي وصفت وان كان منزلاً لرسول الله (ص) للإشارة بامتثال امة الاسلام وتلبيه الأمر مثلما امتثال ابراهيم وان دعوته الاسلام هي دعوة ابراهيم (" اسلمت لرب العالمين ") فكلمة (" لا اله الا الله ") اعلان لوحده الانسانية عن طريق الربوبية

3- ان الله يبين للمؤمنين دينهم كيف يكون الانتفاع بالوحي (" القران ") لاحداث التغيير المنشود في الحياة والآية القرآنية هي الوسيلة التي سيقف لغرض تعليمهم فهي المعلم المباشر للإنسان فلا بد ان ينضج المومن بما فيها وان تغرور عقيدة التوحيد ضميره وحياته تجوانب فكرة ومناحي سلوكية مباشرة

4- والله يشد انتباه المخاطبين انه ينبغي ان يكون للآية القرآنية دوراً كمعلم للإنسان كما يقول ("مالك نبي ") فلا بد ان تقررا القران كأنه انزل عليك انت

بمعنى ان تستخدم القران كأنه فكرة موحاه اليك لا فكرة مجردة مكتوبة فلم يكن القران في عهد الرسول (ص) كذلك بل كان يوحى الى الضمائر ليزلزل كيانه فكان يفجر كلاً ما حيا فيه ضوء ينير طريق الهدى كان مشعاً للطاقة يكهرب ارادة المجموع

لم يكن الرجل يتحدث عن ذات الله كما صورها علماء الكلام فلم يكن يتحدث عن الله العقلي بل الله المتجلى على عبادة بالرحمة والقهر الفعال لما يريد ولذلك تحولت الحقيقة القرآنية الى اثر مباشر على الضمير وافسحت المجال للفكرة المجردة لتأخذ مكانها في الفاعلة الايجابية التي يحدث بها ارتقاء المجتمعات وتطوره لأنه يفكر بعملة ويعمل تفكيره فهذه هي الوسيلة الوحيدة لاستعادة الامة دورها ولتعود للآية دورها كمعلم يحدث التغيير (" ان الله لا يغير ما بقوم حتي يغيروا ما بأنفسهم ")

الامر الثاني :-

يخبرنا الله ان التوحيد هي العقيدة هي التي حملها جميع الرسل والايمان ب الله وحدة لا شريك له هو الدعوة التي حملها جميع الرسل قال شيخ الاسلام التوحيد الذي جاءت به الرسل التي يتضن اثبات الالهية لله وحدة

بان يشهد ان لا اله الا الله لا يعبد الاية ولا يتوكل الا عليه ولا يؤتي الا له ولا يعادي الا به ولا يعمل الا لاجلة ومنه ينقسم اثبات ما اتت الله لذاته من الاسماء والصفات (" **والهكم اله وحدة لا اله الا هو الرحمن الرحيم** ") وقد اخبر عن كل نبي من الانبياء انهم دعوا الى عبادة الله وحدة لا شريك له (" **قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدأ حتي تومنوا بالله وحدة** ") فهذه هي الدعوة التي حملها جميع الرسل وان اختلفوا في الاوامر والنواهي والطقوس (" **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا** ") (" **وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا اذا فاعبدون** ") وهذا بين ان الحكمة والغاية من ارسال الرسل هو التوحيد **فقال تعالى** (" **ونحن له مسلمون** ") والنص فيه :-

- 1- ان دين الانبياء واحد ("**وهو التوحيد**") وان اختلفت شريعتهم
 - 2- ان كل الانبياء دعوا الى عبادة الله ونهوا عن عبادة ما سواه فلم يزل الله يرسل الرسل من نوح عليه السلام من الرسول (**ص**) الا بدعوه التوحيد
 - 3- ان الله خلق الخلق لعبادته وعبادته هي طاعته بفعل المأمور وترك المحذور وذلك هو حقيقة دين الاسلام لا ن معني الاسلام هو الاستسلام لله تعالى المتضمن غاية الانقياد والذل والخضوع
 - 4- ان الاسلام هو الوريث لجميع الرسالات وهو جامع ما جاء به الرسل قبلة وعبر الله عنها ملة ابراهيم التي اجتمع عليها الرسل وان اختلفت ازمانها والكتب في تفاصيلها وتشريعاتها ("**ما جعل الله عليكم من الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل** ") وهنا من التعقيب ("**ونحن له مسلمون**") والتوحيد هو ملة ابراهيم الجامع ونحن له مسلمون
- الامر الثالث :-

ترتبط النصوص بين ما انزل الى امة الاسلام بملة ابراهيم للإشارة الى ان الصحف التي نزلت على ابراهيم وكذلك ما انزل على اسماعيل ولم نعرف ماهي وما انزل علي يعقوب ولا ما انزل على الاسباط الذين هم ابنا يعقوب كما ورد في قصة يوسف (" **اني رأيت احد عشر كوكبا** ") والسبط هو الحفيد والنص يبين انهم انزل عليهم رضي الله عنهم وجاء فيه تأكيد ان ملة ابراهيم هي من وحي الله تعالى وامرنا بالتصديق والايمان بالتوراه والانجيل وبكل ما اوتي به النبيون جميعهم دون ان تفرق بين احد منهم وعطف بقوله ("**ونحن له مسلمون**") والنص فيه بيان الاتي :-

- 1- تضع النصوص لنا الخطوط العريضة لقيادة الامم وانه ينبغي ان تنظر الى المسالة بجدية واهتمام واحساس بالمسوليه الملقاة على عاتقنا بامانه حمل منهج الايمان الممتد من ادم الى الرسول (**ص**) فقد جمع هذا المورث في قالب واحد وهو رسالة الاسلام
- 2- ان ذلك ينبغي ان يولد الطاقة والبواعث التي تتحرك النفس نحو القيام بالتكاليف الواردة في القران ليحدث التغير والارادة تمثل اداة التنفيذ للتعبير عن الاهداف التي قبل بها المسلمون وجعلوها غاية وجودهم وهي عبادة الله والعمل على تنفيذ اوامر الله وهذا التغير الذي ينبغي ان يحدث في البشرية نقلة نحو التقدم والرقى لا بد ان يكون مصحوباً بالاتي :-

- (أ) - التخلص من ركام الافكار الجاهلية كالتعصب والسلالة وحب الذات والانانية فذكرت النصوص ان من يرغب عن ملة ابراهيم هو الذي يحقر نفسه لان البواعث التي دفعتها كانت فاسدة فجعلته يقع في الا نحراف ف الله يقول لنا احذروا من ذلك السلوك
- (ب) - ان التوحيد الذي هو ملة ابراهيم هو الجامع للناس جميعاً وامر به المسلمون ليخرج الى العلن وليس ان يبقي في النفوس فلا بد من دولة له ونظام وبالتالي فان هذه القيادة بحاجه الي التخلص من الجهل والظلم بالعلم والعدل لان الله اخبرنا ان الظالمين غير جديرين بالإمامة والرياسة وقال تعالى ("**ولا تركنوا الى الذي ظلموا انفسهم**") والظالم لا يعتمد عليه
- (ج) - ان من مظاهر التوحيد الوحدة الانسانية ووحدة الرسالة التي امر المسلمون بها لقيادة البشرية فلا يت

صور ان تكون قائداً للعالم وانت في نفسك تعصب لسلالة او منطقية او قومية وبالتالي فلا بد من التخلص من كافة ركاب الجاهلية وتنقية الالوية القلبية والنفسية والروحانية من الاوساخ
3- وذلك لا يكون الا بإعادة ترتيب الاحساس واجراء عمليات نفسية وروحانية وعقلية للترقي بالإنسان المسلم وهذا يكون من خلال الاتي

(أ) - ان ينظر الانسان في نفسه انه مخلوق وينظر في الوجود الانساني حولة وينظر الى العلاقة الانسانية من خلال معرفة الخالق سبحانه وتعالى ومعرفة ان الانسان خلق لغاية وهدف وهو عبادة الله تعالى
(ب) - ان هذه المعرفة تتطلب الوعي بالذات بانك مخلوق فانت بحاجة الى توفيق الخالق ولهذا الابد من الحب للخالق فهو احد اعمدة العبادة بجانب المعرفة والحب امر ضروري لاحداث العطاء والعباءة يحتاج الى ان يترقى الانسان لان معظم الخلق يحبون ولكن انفسهم فحسب ولهذا اراد الله من تعليم المؤمنين كيفية قراءة القران وذكر التعقيب ("**ونحن له مسلمون**") ان يخرج بالمؤمن من ذاته بالوعي بالذات والماضي والمستقبل والاخرين لغرض ربط نفسه بالبشرية والعالم الخارجي ليخرج الانسان من سجن الذات الى شعاع الكون من خلال الخضوع والاستسلام لله تعالى فتشعر ان الله معك في كل وقت فالتوكل على الله يولد القوة والطاقة والاستغناء بالله يولد الزهد والثروة في النفس بالقناعة

4- ولما كان الحب لا يقدر عليه الامن توفر منة الفهم والمعرفة والعطاء والقدرة على الاحساس ليصل المرء الى مرحلة الشعور انه يأخذ وهو يعطي فان ذلك يعني ان يخرج المرء من دائرة الافاق الضيقة والانانية والعصبية فيشعر انه مسئول عن اخراج العالم من الظلمات الجهل والكفر والشرك وان يعتمد على الاصول الجامعه التي يحصل منها الاجتماع والوحدة فانه يقول لنا اشعروا بالمسؤولية فالمهمة عظيمة وادة المعرفة هو الآية القرآنية فعليكم ان تفهموا الآيات الفهم الصحيح وتقرونها كأنها انزلت عليكم

الامر الثالث :-

نجد ان سبحانه وتعالى ذكر الانزال ("**وما انزل الينا**") ثم ذكر التورة والانجيل بمعني الايتاء وذلك لان المراد ("**اتوا**") بما اظهر عليهم من الآيات لما علم ان عيسي وموسى عليها السلام من العصاء والمعجزات المتعددة وعيسي احياء الموتى وغيرها من الآيات وذلك لان الايتاء يكون من الجهات الأربعة من اليمين والشمال والامام والخلف وهي تتفق و المعجزات المتعددة اما الانزال فهو يكون من الاعلى الى الاسفل ثانياً :-

تستمر النصوص في مخاطبة المؤمنين بأخبار الله تعالى لهم كيف يحملون المهمة والدعوة لدين الله وحدودها وكيفية القيام بها فقال تعالى ("**فان امنوا يمتل ما امنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فإنما هم من شقاق فسيكفيهم الله وهو السميع العليم**") ("**صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون**")

1- ان الخطاب موجه للمؤمنين من الله بين لهم المهمة التي كلفوا بها لإصلاح احوال البشريه والتي تهدف الى تحقيق الغاية التي خلق الناس لأجلها ("**عبادة الله**")
وان مهمة المؤمنون جمع البشرية حول دعوة الايمان فهي دعوة الى وحدة الانسانية وسعادتها ونجاتها و الوصول الى السلامة والنجاة

2- فاستعمل ("**الفاء**") لترتيب ما بعده على ما قبلها ("**فان امنوا**") فان الله يبين للمؤمنين ان ما تقدم ذكره من الايمان الذي امرتم به واخبركم الله به ("**قولوا امنا ب الله وما انزل الينا**.....") فالدعوة الى معرفة الله ومحبته وعبادته وتوحيده....والايمان بالرسول (ص) والتصديق بالرسالة والايمان بالكتب السماوية والتصديق بالرسول فهذا هو الهدف الذي حملة جميع الرسل وما جاءت به الكتب السماوية

3- ولما كانت النصوص قد اوضحت ان الهداية لا تكون الا بالأيمان الكامل بالله ورسلة وكتبته كما تبين النصوص

والدعوة الى معرفة الله ومحبته وعبادته وتوحيده تعني ان العباد بحاجه الى معرفة الله اسماء الله وصفاته وهذه المعرفة قد جعل الله القران هو الوسيلة التي تحقق هذه المعرفة ولذلك امر باتباع منهج الحق القران الذي حملة الرسول (ص) فهذا المنهج فيه السعادة البشرية وسلامتهم ونجاتهم وفيه مرضاه خ القهم فقال تعالى ("**ونحن له مسلمون**")

المفهوم الاول :-

يخبر الله المؤمنين بما يكون الهداية وانواع الهداية حتي يكون الناس على بينه مما به يهتدون

1- فالله يخبر المؤمنين ان اليهود والنصارى لن يصيروا مؤمنين الا اذا تحروا الايمان بطريقة يهدي للحق مثل طريقكم الذي اعلمكم به النبي (ص) من ربة (" **يمتل ما امنتكم** ") والتشبيه بين ايمان الفريقين لا بين المؤمن به

2- والله بين ان اليهود والنصارى لن يكونوا مهتدون ولا مؤمنون الا اذا سلكوا الطريق الذي سلكه المسلمون (" **ونحن له مسلمون** ") ان الدين عند الله الاسلام .

والنصوص قد تبين :-

ان طالب الهداية الى الحق لا بد ان يكون قد سلك الطريق الذي جعله الله سبباً وطريقاً للوصول الى الهداية وا لايمان الحقيقي الذي يصل به كمال العقول والنفوس والقلوب
فالباء (" **بمثل** ") للسبب أي تحروا الاسباب التي توصلهم الى الايمان الذي يكون مطابقاً لإيمان المؤمنين وهذا الطريق قد اوضحته الآية السابقة بانه سبحانه قد جعل لخلقة سبباً يوصلهم الى الهداية والنجاة والسلا مة فقال (" **قولوا امنا ب الله وما انزل الينا** ") فالطريق تكون باتباع كتاب الله وسنة الرسول (ص) والاسلام هو الدين الحق الذي دعاء الية جميع الرسل
وقد بين الله للمؤمنين الطريق الذي يوصلهم الى مولاهم الحق فاخبرهم ان يكونوا عبيداً لله في كل احوالهم وظروفهم مخلصين له في كل اعمالهم فالرضاء والتسليم والاذعان للمولى هي الطريق الموصل الى الغاية عبادة الله تعالى (" **ونحن له مسلمون** ")

3- فاذا كان الهدف من الدعوة هو معرفة الله ومحبته وعبادته وتوحيده

(أ) - فان المعرفة لا تكون الا من خلال القران التي بين الله لنا اسماءه وصفاته سبحانه ولهذا افلا بد ان يكون العلم والمعرفة بيقن واليقين شرط في الايمان والتصديق

(ب) - ان المعرفة بدون خضوع لا معني لها ومن لم يخضع قلبه لما عرفه من عقائد الاسلام لم يفيد تلك المعرفة ولم يكن من المسلمين فقال تعالى (" **ونحن له مسلمون** ") والله قد قال عن اهل الكتاب (" **الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون انباءهم وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** ") و الخضوع يكون خضوع حب واجلال وتوقير واذغان لله تعالى .

(ج) - وكذلك لا معني للأيمان بدون عمل

4- والاسلام هو السبيل الجامع العام والقران هو منهج دين الاسلام الذي يجب أن يسلكه العبد في جميع الاحوال

5- وبالتالي فان القران هو المنهج الذي فيه الطريق والسبيل الموصل الى الله تعالى وهو وحياً انزله الله على رسوله (ص) فقال تعالى (" **ومن يبتغي غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه** ") ولهذا فمن طلب الهدى وجعل الشر والتعصب والهوى والتقليد سبباً للهدى كان على ضلال مبين .
والتمسك بالإسلام ومنهجه هو سبب الهداية والنجاة ومن رفضه لم يهتدى .

المفهوم الثاني :-

ماهي انواع الهداية والى ما يكون الهداية

1- فالهداية عامة :-

هداية الدلالة والارشاد وهذه تحقق بإرسال الرسل والكتب السماوية التي تبين الاوامر والنواهي لتحقيق الغاية من الخلق (" **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون** ")

2- اما الهداية الثانية فهي خاصة :-

أي أنها هدية الدلالة والارشاد مع التوفيق والتسديد وهذه الهدية تكون من نصيب الذي اتبعوا الرسول وما انزل الله في كتابه اتباع تسليم واذعان وقبول وخضوع محبة واجلال وتعظيم بكل ما امر الله به فقالوا (**" ونحن له مسلمون "**) بحيث يكون منهم الرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله (**ص**) في كل احوالهم لتفتح لهم ابواب المعرفة والعلم والهداية فاصول الهداية تدركها الفطرة وتسلمها العقول لان من شعر انه مخلوق وانه بحاجة لله وللهدية فان ذلك يجعله يقبل على منهج الله ليكون عمله قائماً على علم .

3- والآية تبين ان المؤمن الخالص هو الخاضع لله في كل امر فهوا يبتغي بهذا الخضوع والتسليم والاذعان رضوان الله تعالى فقال تعالى (**" ونحن له مسلمون "**) فكان الايمان عن علم وعمل ففي ذلك علامة على صدق ايمانه وعلى صلاح النفس والاعمال شاهداً على صلاح المرء وازالة نقصه وازاله فساده والله بين للمؤمنين ان المؤمن الكامل هو الذي يخضع لله وحده وهو الذي يمثل اوامر الله راغباً ان ينال رضوان الله فيكون هذا الهدف سبباً في دوام ارشادهم وتوفيقهم فقال (**" صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون "**) فهم احبوا الله فجعل الله الهدية تسري في قلوبهم ومشاعرهم لانهم احبوا الله فأصبغهم الله بلون الاسلام الذي يتوافق مع الفطرة

4- فهم لم يبنفوا أهوائهم ولا ما لوفهم ولا ما اعتادوا عليه وابعاءهم ولم يكونوا مقلدين ولا معتصبين ولا متكبرين فقوة السبب هي مقتضي قوة المسبب والخير يهدي الى الخير والهدى يزيد صاحبة بالاهتداء والنص بين الرابط الشرعي بين التوفيق والاتباع (**" فان امنوا يمثل ما امنتم فقد اهدوا "**) وهذا الرابط يقتضي وجود رابط بين الاعراض والخذلان (**" فان تولوا فإنما هم في شقاق "**) حيث انه يقدر ما يكون الاعراض عن الهدى يكون الخذلان والحرمان لأنه يكون في حرب مع الله (**" فسيفيكم الله وهو السميع العليم "**) وانه اختص التوفيق بالعمل الصالح والاتباع فجعل ذلك سبباً للتوفيق (**" فان امنوا يمثل ما امنتم به فقد اهدوا "**) المفهوم الثالث :-

ولمعرفة اوجه الرابط الشرعي بين التوجيه والاتباع (**" فان امنوا يمثل ما امنتم به فقد اهدوا "**) و الرابط من الاعراض والخذلان (**" فان تولوا فإنما هم في شقاق "**)

لابد ان نعرف الى ماذا تكون الهدية :-

الامر الاول :-

والمعلوم ان الانسان لديه شئون خاصة يحتاج الى دليل وبوصله العمل والتعامل معها وكذلك بينه وبين ابناؤه وزوجاته واقرباءه وجيرانه وكل ما يتصل منهم في علاقة ومصالح والانسان اجتماعي بطبيعته وله تعاملات وعلاقات وكذلك فان الدولة تحتاج الى قوانين وتشريعات تنظم امورها وعلاقاتها مع الدولة الاخرى وتنظم حا لات السلم والحرب وغيرها وهذه الشئون لها سبل وطرق مع الحياة للبلوغ الى الغايات والمقاصد والعبء بحاجة الى اصلاح اوضاعه واهتمامه واهتمام المجموعة فان سلكت طريق الهدية وصلت الى السلامة والنجاة والعبء يحتاج الى ارشاد وتوفيق. والانسان يمر بأوقات يكون وحده في ضيق وكربات تتخبط به كمن يتخبط في الظلام لإنكاره الحق ولانه اتبع الهوى يعيش في حالة شك وحيره هو بحاجة الى حالة الاطمئنان فيكون بحاجة الى الدعاء لله ليفتح له ابواب المعرفة وكي يمده سبحانه بأسباب التوفيق والتسديد

2- فالنصوص تبين انما يكون النهضة للمؤمنين بمقتضيات ايمانهم بالله ورسوله اذا كانت لهم قوه وانما يكون لهم قوه اذا اتصلوا به في جميع احوالهم ولذلك فان من مقتضي ذلك ان يكون لهم جماعة منظمة بفكر وتدبر ت خضع لمنهج الله تنهض لجلب المصلحة وتدفع المضرة متسانده في العمل عن فكرة وعزيمة الحق وتسعي على مقاومة الظالمين والمستبدين

الامر الثاني :-

التوفيق والهداية الخاصة التي بها اسباب السعادة والكمال هي من فضل الله الخاص لمن قبلوا دلالتة **" بما**

رشدهم منهجه وكتابة واقبلوا على ما اتاهم فامنوا بالله والنور الذي انزل عليه فهو لا قال تعالى (فيهم) الذين اهتدوا ازدهم هدى) حيث تزيل الهدية جمود النظر وفساد الادراك واثار التقليد واعتقاد الباطل والشك بالحق .

بما تغرس من اليقين والمعرفة التي تصل المرء بربة وهي تزيل فساد الاخلاق وترتقي بالعقول ويحصل بها تكميل النفس الانسانية واهل الكتاب كانوا قبل البعثة في ظلمات الجهل والانانية والظلم وفساد التصورات عندما حرفوا الاديان واتبعوا كتب الشيطان والسحر فقال تعالى ان رفضهم اتباع الرسول (ص) والايمان يمثل ما امن المسلمون قد اوقعهم في الشقاق والاختلاف والنزاع بالباطل فكان ذلك سبباً للخذلان (" فان تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ") حيث نجد فيها الآتي

1- الإشارة الى مصدر وباعث التوالي بتصوير الحال بالأعراض الجسمي والبعد الدال على الاعراض النفسي فالمعنى فان رفضوا القبول بما جاء به الرسول (ص) واعرضوا عن الايمان بالرسالة الجامع للرسالات الالهية فان من ترك الوحدة والرسالة فقد اختار طريق النزاع والمجادلة وهنا فان دخوله في النزاع والجدل يكون قد ادخل هذا النزاع في الدين وادخل فيه التعصب والهوى وعندها يفقد الدين السطان من القلوب وتختل موازنه ويدخل الشخص في نفق مظلم لا يجد له مخرجاً

2- ان النص جاء فيه قصرهم (" فإنما هم في شقاق ") بانهم في خلاف وعداوة فهم ليسوا طالبين للاحق في شيء ليس لديهم استعداد لقبول الحق وذلك لان المدافعة والمبالغة موجودة في فطرة الانسان ولهذا وصف الانسان بانه اكثر شي جدلاً فاذا غزت هذه الغرائز النفس فان الفطرة تنحرف عن ما خلقها الله عليها من محبة الحق ومعرفته ولما كانت التربية الدينية هي التي تضبط خلق الله وبها يكون التقويم للفطرة فان غياب المنهج الرباني يودي الى طغيان خلق المدافعة والمغالبة فيكون الجدل لأجل اظهار قوة الجدل بها وليس لاحقاق الحق فاذا صار ذلك خلفاً فانه يحصل اندماج لفكر ونفس صاحبه يجعل الانسان معها في كل شيء فيكون متعصباً لفكرته ومعانداً لا يبالي بحق او باطل فهذا يعيش في مرضة ذلك وهو ميؤوس منه فيعاقب بالحرمان من الهدية

3- والنص يبين ذلك فقال تعالى (" فإنما هم في شقاق ") للإشارة الى ان الطريق الذي اختاره هولاء وعرض السير فيه صعب ويكون قد وضع نفسة في زاوية ضيقة يصعب الخروج منها ولهذا فان استخدم الجملة الاسمية (" فإنما هم في شقاق ") هي للدلالة على الاستمرار من هذا الوضع فكان القصر (ان) لبيان دوام حالهم بانه ليس من حالهم الا الاختلاف والتمزق وجاء ب(في) النظر فيه لتقدير هذا الحال كان الشقاق محيط بهم من كل جانب فهم مغموسون فيه والشقاق بمعنى الخلاف والله يقول في موضوع اخر (" وان الظالمين لفي شقاق بعيدا ") وهذا القيد انهم في هلاك هذا الخلاف

4- والشقاق تستعمل للمحاربة فيقال اذا شاق فقد حارب وتستعمل للفرق (" فان خفتم شقاق بينها ") أي فراق فالنص بين للمؤمنين ان دعواتكم للايمان الذي فيه الوحدة الانسانية هي دعوة جميلة وهي الهداية التي اختص الله بها المؤمنين (" قل ان هدى الله هو الهدى ") ولكن هولاء قد فرطوا بأدميتهم وانسيانتهم فهم قساوة يحبون انفسهم لا يباليون بحق او باطل سفهاء عطلوا عقولهم وفطرتهم فهم مفارقون لها يحبون الباطل ويبغضون الحق

5- فاخبر الله انهم محاربون للحق وكشف عن ما سيكون منهم من الوقوف ضد الحق فأشار الى ذلك بالتفخيم في التنوين بانهم في مستوى خلاف عظيم بعيد عن الحق والنص يبين للدعاه الى الله ان يبتعدوا عن سلوك هولاء فعند المناظرة يجب ان يقصد احقاق الحق وابطال الباطل واقناع الخصم بالحق وان يستعمل من الوسائل ما تودي الى تحقيق الهدف فلا تكون المناظرة سبباً لمزيد من الخلاف والفراق ولا تكون تعد على الخصم وابعاده وفيها تنفيره عن الاستماع والقبول

6- يطمئن الله عز وجل المؤمنون ورسوله (ص) (" فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ") لبيان ان المعركة بين الحق والباطل محسومة (والفاء) تشعر بان الله متكفل برد مكايدهم هولاء وحرهم ضد الاسلام ورسوله الكريم والنص جاء فيه الخطاب للرسول (ص) عطفاً على خطاب الله للمؤمنين (" فان امنوا يمثل ما امنتم ") (" فسيكفيكهم الله ") وهذا يعود الى عدة اسباب اهمها ان المعركة بين الحق والباطل ترسم لنا ان اهل الباطل في الشقاق والخلاف يستهدفون القائد الرباني بالكيد والدعاية والاعلان

وغيرها من الوسائل لغرض النيل من الافكار والعقائد التي يدعو اليها وذلك لان الشخصية للقائد وحصول القناع بها امر جوهري بالذات في مرحلة الدعوة وتأسيس الدولة فاذا حصل اهتزاز الناس بشخصية القائد فقد القدرة على تنفيذ الاهداف فكان النص فيه ضمان الإظهار لرسول الله (ص) بهذه الآية التي جاء فيها هتك حاجز المستقبل بالأخبار بما سيكون واستعمل السين لتأكيدانه لا محاله من الحماية الربانية لرسوله (ص) بانه سبحانه متكفل برد مكايدهم بنفسه اعتناء منه تعالى بنبيه (ص) وهو وعد لكل المؤمنين في كل زمان ومكان بالحفظ والنصر والتمكين على عدوهم ان هم امنوا بما امر الله تعالى بقوله (**" قولوا امنا بما انزل الينا"**) وقد حصل ذلك فعلا " بالجلء والقتل لهم فهذه معجزة اخبر الله بها النبي (ص) عمن سيكون في المستقبل من شان هولاء

7- (**" وهو السميع العليم "**)

انه السميع ما ينطقون به ويعلم بما في نفوسهم من الحقد والحسد والكبر وهذا فيه الوعيد للكفار والنص أيضا فيه الوعد لرسوله (ص) فكان التعقيب موافقاً لهذه المقاصد بانه سبحانه يسمع دعاء المؤمنين بـ النصر لدين الله ويعلم ما يريدون من اظهار دين الحق

فهي مثل قولة تعالى (**" اليس الله بكاف عبدة ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضل الله فما له من هاد "**) فالعني ان تطمئن بالله وتثق بنصره وانت تحمل دعوته فهو يسمع ويعلم بأحوالك كما قال لموسى (**" اني معكم اسمع وارى "**)

ثالثاً :-

(**" صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون "**)

1- الصبغة ما تتلون به الثياب لمن يحب تغييره بلون اخر وهي شيء يصعب اخراجه من الملابس لأنه ينفذ الى الداخل في الملابس التي بها شعيرات ومسامات مثل القطن والصوف بعكس الالياف الصناعية التي لا يمكن ان تصبغ لأنه ليس لها مسامات ولهذا يكون ما عليها هو طلاء يعطيها لون معين والفارق بينها ان الالياف الصناعية يمكن غسلها بسهولة وازالة الطلاء اما القطن والصوف فيها تحتاج لجهد كبير لان لها مسامات تنفذ من خلالها هذه الصبغة فتصير جزء منها وهذا هو الفارق بين الصبغة والطلاء

2- فاستعمل لفظ الصبغة حتي تفهم ان الايمان تخلل جسدك كله وتخلل الى كل مسام في جسدك من القلب و العقل والباطن فهو ليس لونا " خارجياً كالطلاء ولهذا يريد الله ان يقول لنا انه جعل من آياته القرآنية و الكونية ما تصبغ المومن والايمان بالآيات الربانية ليس طلاء من الخارج بل تبعث من داخل الانسان فالتوحيد قد غزا المنطقة الداخلية للمشاعر الانسانية مثلما تنفذ الصبغة من مسامات القطن والصوف ولذلك فان المومن عندما يقرأ القران يحس انه يوحى اليه وهذا ما يحدث اهتزاز لكل جسده الخارج والداخل فقال تعالى (**" الله نزل احسن الحديث كتباً متشبهاً معانى تقشير منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضل الله فما له من هاد "**)

فهذه هي صبغة الله التي اصبغ بها قلوب ونفوس وجلود المؤمنين سلامة الفطرة و خلوص القلوب لله تعالى ونور الايمان و حياة القلوب بالقران فقد طهرها بالإيمان و سمله صبغة لأنه اظهر امرة عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتدخل في قلوبهم تداخل الصبغ بالغوب القطن بحيث يكون في جميع مسامات ممتزجاً به اما ايمان غير المسلمين فهو طلاء خارجي من عندكم اما دين المسلمين فهو صبغة الله فهذا اللون يميزنا عن غيرنا وهو ما يكون الاستعلاء به بالحق لا بالنسب ولا المال ولا الجاه والسلطان (**" ومن احسن من الله صبغة "**)

استفهام وذلك لان النصارى كانت تقوم بتعميد اطفالهم بغسلهم بماء يطلق عليه ماء مقدس وحينها تكون هذه ا لاصباغ هو بمثابة لون النصارى والله يقول لنا ان علينا ان نستعلى بالحق باننا افضل منهم لأننا صبغة الله تعالى فهذا اللون الاسلام هو صبغة الله وهو الدين الذي حملة جميع الرسل (**" ونحن له عابدون "**) خاضعون خاشعون (**" وان كانت لكبيره الا على الخاشعين "**) فالخضوع والتسليم والاذعان لله هو شرف ومنزله عظيمة يعتز بها المومن وهذه هي علامات الايمان الذي هو صبغة الله بان اثاره تظهر في الاعمال فقال تعالى (**" ونحن له عابدون "**) فهي صبغة منه تعالى تغللت في القلوب حتي صار لونا لها غير قابل للتغير لونا مستمراً بالإيمان والاذعان والتسليم فهي الزينة التي تتزين بها القلوب المؤمنة

ثالثاً :-

تستمر النصوص بتناول جوانب من خصومة اهل الكتاب وصوراً لمظاهر محاربة هؤلاء للإسلام والملاحظ ان هذه الآيات جاءت بعد ذكر قاعدة الهدية والايمان التي ذكرت ان مشروع الاسلام الحق هو الوارث لجميع مراحل الديانات والدين في تاريخ الانسانية فهو المنهج العالمي لعبادة الله تعالى وهو الطريق الحق لمراد الله تعالى .

الأخيرة من مراحل البشرية انه الاسلام (" **ومن يتبغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه** ") وقال تعالى (" **ونحن له مسلمون** ") (" **صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون** ") فالنصوص تبين اوجه معارضة ومحاربه اهل الكتاب لدين الله وانهم اثاروا الشبهات فقالوا ان المشركين عبدة الاصنام افضل واهدى من المسلمين وقالوا انهم شعب الله المختار وقالوا انهم ابناء الله واحباءه وقالوا ان ابراهيم كان يهودي وقالوا لو كان الرسول (ص) مرسلًا لكان هذا الرسول من امة اليهود لا العرب ورفضوا القبول بالدعوة لوحداية الله والا لتحاق بجماعة المؤمنين فقال تعالى (" **قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون** ")

المحبت الاول :-

ان النص جاء فيه التوجيه للرسول (ص) من الله (**قل**) يعلمه امة كيف يقيم الحجة على اهل الكتاب وكيف يرد عليهم وعلى الشبهات التي كانوا يثرونها حول امر الرسالة والتوحيد وجحودهم وتكذيبهم وما ذهبوا اليه من القول ان الرسالة لو كانت صحيحة لارسل الله رسولا منهم لانهم اهل الكتاب ولهم الحق من الولاية لانهم ينتسبون الى الانبياء . وهذه الخصومة منهم تفهم من النص انها كانت خوضاً في شئون الله تعالى ورفضهم التوحيد وانهم اثاروا الشبهات في الله وتدل على وجود خصومة وفي هذا عده امور

الامر الاول :-

ان الله سبحانه وتعالى سماها حجة مجازاً ولا فهي شبهة والسبب ان الناس كانوا ينظرون الى اليهود والنصارى انهم اهل اديان وعلم بالوحي والاديان والرسالات وانهم ينتسبون للأنبياء وانهم اهل علم ومعرفه ب الكتب وب الله . اقوال اليهود والنصارى عن الاسلام وعن القران حجه لمواجه القران والاسلام والرسول والمسلمون لانهم يعتقدون خطأ ان ما يقوله اليهود والنصارى هو من كلام الله وقد استعمل اليهود والنصارى تلك الصورة المغلوطة عنهم لدى القبائل العربية والمشركون وتلك الاجواء لمحاربة الاسلام ومحاوله احتواء الرسالة ومنع انتشارها وقاموا بتقديم صورة مغلوطة عن الاديان والرسالات لدرجة انهم قالوا للمشركين ان طريقهم التي هي عبادة الاصنام انها اهدى من طريق المؤمنين (" **هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا** ") وقد كان ذلك مادة للمشركين نظروا اليها انها دليل لمواجهة المسلمين وتصورا خطأ انها بمنزلة الحجة القاطعة التي تدحض رسالة الاسلام

الامر الثاني :-

انه سبحانه ابتداء تلقين الرسول (ص) الحجة لمواجهة تلك الشبهات فقال (" **اتحاجوننا في الله** ") حيث نجدان الاستفهام جاء بالهمزة والتي يكون الاستفهام بها للإنكار والانكار هنا يكون بمعنى النفي..... وهذا يهدف الى الاتي :-

الهدف الاول :-

ازاحة وابطال الشبهات التي اطلقها اهل الكتاب عندما استغلوا المكانة والمنزلة الدينية التي تنظر اليهم بها من في قبل القبائل المحيطة بهم والمشركين حيث نجد ان سبحانه سماها حجة مجازة فقال (" **اتحاجوننا** ") وهي في الحقيقة شبهة فالله يلفت انتباه المخاطبين ويشد الاذهان بهذا الاسلوب المجازي ليكون النفي هو لأزاحه تلك الشبهات

الهدف الثاني :-

اثبات ان هولاء ليسوا اهلا للجدل والحديث في الله سبحانه وشئونه وانهم قد انقطعت صلتهم بالله

والدليل المثبت لذلك والذي هو في نفس الوقت فيه ازالة الشبهات وابطالها يفهم في النص نفسه والانكار بالا ستفهام بالهمزة يحتوي على دليل النفي نفسه دون الحاجة لدليل اخر (" **قل اتحاجوننا في الله** ")
ف الله يقول متنكراً حالهم وتصرفاتهم فالتناقض الواقع منهم مع مفهوم الايمان والتوحيد فيه الدليل والبرهان الذي ينفي نفياً قاطعاً ان يكون لهؤلاء صلة تربطهم بالله تعالى
لانه لا يمكن ان يكون هولاء لهم معرفة بالله وهم يعتقدون ان المسيح ابن الله وان عزيزا بن الله كيف يكون هو لا عارفون بالله وهم على عقيدة الثلوث وعقيدة الصليب وقد ذهبوا الى تعطيل الاسماء والصفات (" **وقالت اليهود يد الله مغلولة** ")

وقد اتخذوا الرهبان والاحبار الهة تعبد من دون الله عندما سمحوا لهم ان يشرعوا للعباد فقد فرطوا بسيادة الشرع وفرطوا بالتوحيد وبالتالي فهؤلاء قد انقطعت صلتهم بالله

الامر الثالث :-

اقامة الحجة عليهم :-

فالنص فيه انكار حالهم فكيف لهم ان يتحدثوا عن الله وشؤونه وهم يشركون بالله كما اوضحنا ففي هذا اقامة الحجة عليهم فيقول الله ان معرفة الله تدعوا الى محبته وخوفه خشيه ورجاءه واخلاص العمل لله وهؤلاء يشركون بالله ولا يعملون بما يعرفون عن الله وحالهم يتناقض مع مفهوم الايمان والعبودية التي هي القاعدة الاساسية التي انطلق منها الانبياء كلهم في معالجة الخلل الموجود لدى اقوالهم ليكون الا مثقال والخضوع الكامل لله تعالى
فجاء الاستفهام يقصد انكار ذلك السلوك منهم وان الاصل ان ينشغلوا بالتفكير في انفسهم وعبوبهم بدل الجدل العقيم ينظروا هل هم على منهج التوراة والانجيل وما انزل الله ام انهم قد انحرفوا عن ذلك وابتعدوا عن الحق وبالتالي فان عليهم العودة الى الحق والتصديق بالنبى(ص)

المحب الثاني :-

تستمر النصوص بدعوة اهل الكتاب الى المبادرة للاتحاق بجماعة المؤمنين وترك مستنقع الكفر والضلال والعناد الذي اتخذوه وطريقاً فجاء الخطاب بأسلوب حوار معهم يطلب حضور العقل والتفكير والتدبر وترك العناد ف نجد ان النصوص تستمر في ازالة الشبهات (" **وهو ربنا وربكم** ")
فمادام الله رب الجميع أي انه الخالق لنا نحن وانتم والجميع من مخلوقات الله وهو سبحانه يتفضل علينا وعليكم بالرحمة والفضل والعناية والرعاية فهو المربي للناس جميعاً
وطالما انه رب الجميع فمعني ذلك شمول عطفه واحسانه وفضله ورعايته على جميع الناس نحن وانتم وهذا فيه

1- فكيف تدعون انه ربكم وحدكم وانكم شعب الله المختار وتنكرون نبوة الرسول (ص) لأنه ليس منكم وتقولون لو ارسل الله رسولا ً لكان منا فلماذا ترون احقيتكم بالرسالة وهو ربنا وربكم والجميع ومادام الله رب الجميع فان الحجة قامت عليكم لان ما جاء به القران الكريم حق وهو من رعاية الله لتربية الناس (" **و الذين يحاجون في الله من بعدما استجب له جحتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد** ")

والجدل لا يقوم بين الحق وحق لان طريق الحق واحد وانما يقوم بين حق وباطل او باطل مثله لان الباطل له عدة طرق وهي وان تنوعت وتعددت فهي تودي الى الباطل الذي تجتمع في مدرسة الشر الإبليسية

2- يقول الله ان الرسالة فضل يؤتيه الله من يشاء من عبادة وطالما نحن الجميع عبيداً لله وهو ربنا وربكم فلماذا تنكرون ان يختصنا الله برحمته وفضله ولهذا نجد ان النصوص جاء بذكر الاختصاص بطريق الفضل او طريق الاعمال (" **ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم** ") والطريق الموذي الى رحمة الله يكون بالأعمال لا بالأنساب والاعمال هي التي تربط المؤمنين ببعضهم ... وهي وسيله الاتصال بالله وليس الانساب فلا محابة ولا مجامله ف الله قال لنوح عندما طلب النجاة لابنه (" **انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح** ")
فاختصاص الله برحمته وكرمه لا تكون لقوم دون قوم

الامر الثاني :-

ان القائل هو الله تعالى (ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم)
 فالله يقول للنبي (ص) اخبر هولاء ان علامة الصلاح او الفساد هي الاعمال فالنص فيه لفت انتباه هولاء ان
 ينظروا الى اعمالهم واعمالنا فكيف يتناولون بادعاء احتكار الايمان والهدية ويجادلون بشأن ذلك في حال ان
 اعمالكم تدل انكم غير ملتزمون بمنهج الله وامره فانتم لستم اهلاً للحديث عن الحق وانتم بعيدون عنه
 بينما نجد اعمالنا صالحة وانتم اعمالكم فاسدة نحن موحدون وانتم مشركون لأنكم حتي وان صدر منكم
 اعمال في الظاهرة الصلاح لها فانتم لا تقصدون بها وجه الله بل تريدون الشهرة والسمعة والرياء بينما نحن
 مخلصون لله تعالى فمن هو احق بحمل راية الهداية نحن ام انتم؟؟
 فدلنا الآيات ان ايمانهم بالرؤية مخدوش واعمالهم منقوصة واخلاصهم معدوم
 رابعاً :-

تستمر النصوص بمحاورة اهل الكتاب واقامة الحجة عليهم ودحض الشبهات التي اثاروها (" ام تقولون ان
 ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب كانوا هوداً او نصارى)
 ذكر الله شبهه جديدة اثارها اهل الكتاب فجاء الخطاب موجها لهم مباشرة وابتداء بذكر الشبهة التي اطلقها هو
 لا (" ام تقولون ان ابراهيم واسماعيل ") حيث ان الخلاف بشأن ابراهيم والانبياء كان قائماً كما
 يعرف من سورة العمران (" قل يا اهل الكتاب لما تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل ا
 لا من بعده افلا تعقلون ")

والنص تبين مسالة في غاية الاهمية وهو ان اعداء الايمان يسعون الى فصل العلاقة بين التاريخ والاديان
 وهذا المسالة ليست جديدة ولهذا فان اهل الكتاب ارادوا فصل الاسلام ورسول الاسلام عن تاريخ الاديان التي
 تعد جزء من التاريخ الانساني الذي تطور تبعاً للتطور البشري ليكون الاسلام هو الوريث لهذه الاديان كلها وان
 هولاء قد سعوا الى فصل العلاقة بين الاديان والتاريخ فاردوا قراءة التاريخ بمعزل عن الدين الاسلامي
 واردوا تغيير التاريخ لمصلحه التعصب والانانية التي سيطرت عليهم ولهذا يقيم
 الله عليهم الحجة (قل انتم اعلم ام الله)

ان تشدقكم بمزاعم ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب كانوا هوداً وانصاري فهذا القول مدحوض لان الله
 سبحانه وتعالى اخبرنا انهم كانوا على عقيدة الاسلام والتوحيد والايمان وان الابواه هي ابواه الايمان ("
 ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولى المؤمنين ")
 وبالتالي فان منطلق القراءة الشرعية للتاريخ يقوم على الرابط الواعي بين الديانة كتنازل شرعي وبين التاريخ
 كحياة ومجتمعات وانسان وتجربة يجب ان تقوم ويفهم ويفسر من حيث كان المطلب الرباني في العبادة
 وذلك بالافتداء لا التباهي بالأنساب واذا كان الله قد أخبرنا أن إبراهيم وإسماعيل واسحاق ويعقوب كانوا علي
 الاسلام فإن هذا يقتضي بطلان مزاعمكم لانه لا يوجد اعلم من الله

2- واذا كان الله قد اخبرنا بذلك واخبرنا انكم امرتم باتباع النبي الامي عندما يأتي (" الذي يتبعون الرسول
 النبي الامي الذي يحدونه ")
 وهنا قال تعالى (" ومن اظلم ممن كتم شهادته عنده من الله ")
 اقبح واشد ظلم وكفر الذي يكتم الشهادة الواردة في التورات والانجيل عن الرسول (ص) ويأتي بالتحذير ("
 وما الله بغافل عما يعملون ")
 فهو مطلع على اعمالهم وكنتمهم الشهادة .

الامر الثالث :-

انه سبحانه نفى عنهم العلم فقال (" قل آنتم اعلم ام الله ")
 ثم قال (" ومن اظلم ممن يكتم شهادته عنده ")
 ولا يكتم الامن علم ولهذا فان الامر منه الاتي :-

1- الاستفهام (" قل آنتم اعلم ام الله ")

هو استفهام نفى مقتضي العلم لا العلم بذاته لان وقوع ذلك القول منهم امر منكراً لا يصدر عن عالم بالمسالة
 فهذا العلم منفي عنهم لانهم لم يثبتوا عليه

2- ان الثاني انهم علموا بان ابراهيم كان مسلماً وعلموا ان الرسول (ص) هو نبي اخر الزمان ومع ذلك كنتموا ما

يعلمون ولهذا فقد اجتمع فيهم مقتضي الجهل والظلم وبالتالي فهم غير جديرين بشرف الخلافة التي ينال شرفها بالتخلص والنجاة من الجهل والظلم وهذا الداء الذي يفسد قوى الانسان الثلاثة داء الطغيان والتعصب و الأناية وحب الذات والحسد الذي يحدث قطيعة لدى المرء عن المفاهيم الربانية ويكون الفهم مقصوراً على ما تكونت في النفس من امراض سيطرت عليها وافرزت هذا الداء

والذي حذر الرسول (ص) امته من ذلك فقال (" اصابكم داء الامم قالوا يا رسول الله وما داء الامم قال البغضاء والحسد لا اقوال حالقه الشعر ولكنها حالقة الدين الا ادلكم على شيء اذ فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم ") فقال

تعالى (" تلك امه قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسلون عما كانوا يعملون ") سبق تفسير هذه الآية وان التكرار للمبالغة من اهمية ما تحتويها من مفاهيم

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الجزء الثاني من سورة البقرة تبدأ :-

المقطع الاول :-